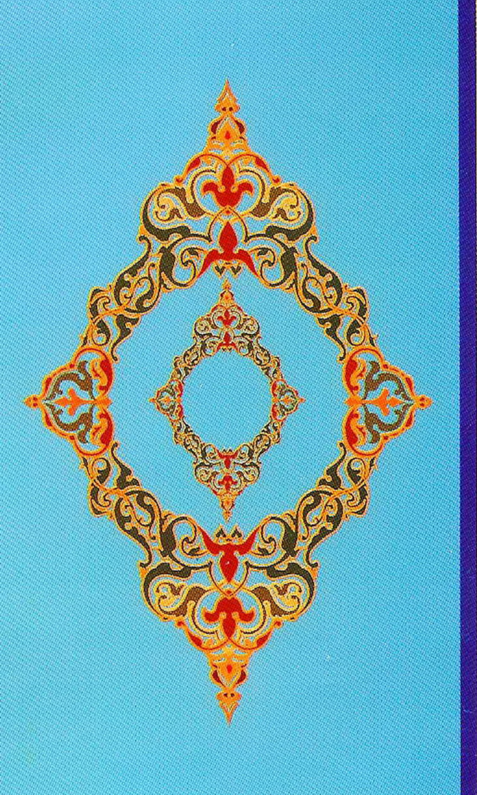


الفرقة النّاجية

تأليف

سلطان الواعظين

العلامة السيّد محمد الموسوي الشيرازي

(قدس سره)

تعريب وتحقيق وتعليق

الشيخ فاضل الفراتي

الفرقة الناجية

مناظرات ومراسلات في العقائد والتاريخ
عن سبب افتراق المسلمين إلى ٧٣ فرقة

تأليف

العلامة السيد محمد الموسوي سلطان الواعظين الشيرازي قدس سره

«مؤلف ليالي بيشاور»

تعريب وتحقيق وتعليق

فاضل الفراتي

الجزء الثاني



اسم الكتاب : الفرقة الناجية / الجزء الثاني
المؤلف : العلامة السيد محمد الموسوي سلطان الواعظين الشيرازي (قدس سره)
تعريب وتحقيق وتعليق : فاضل الفراتي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ
يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ
ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّالِّينَ ﴿٧﴾

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي لا يبلغه بعد الهمم، ولا يناله حدس الفطن، الأوّل الذي لا غاية له فينتهي ولا آخر له فينقضي والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريّته محمّد خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله الذي أخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعزّ الأرومات مغرساً من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتخب منها أُمناءه عترته خير العتر وأُسرته خير الأُسر وشجرته خير الشجر وعلى أهل بيته الذين هم أعلام التُّقىٰ وأركان الهدىٰ والعروة الوثقىٰ لاسيّما ابن عمّه ووصيّه ووزيره وحافظ شريعته وأخيه وباب علمه وعلى الأئمّة المعصومين الطاهرين من آله وعترته أعدال القرآن، من تبعهم وتمسّك بهم فقد نجا ومن تخلّف عنهم فقد هلك، ولعنة الله على أعدائهم ومبغضيهم والمتنكّبين عن طريقتهم من النواصب والخوارج.

وبعد: فمن الثابت بالدلائل العقلية والبراهين النقلية أنّ القرآن الكريم هو الحجر الأساس للدين الإسلامي إلى يوم القيامة، ثمّ إنّ هذا القرآن يحتوي على آيات محكمة واضحة وأُخر متشابهات ومجملات نحتاج في فهمها إلى مفسّر وعالم بظاهرها وباطنها.

ويضمّ أيضاً آيات ناسخة وأخرى منسوخة ومجملة ومفصّلة و... نحن كمسلمين بحاجة إلى مَنْ يبيّن لنا كلّ ذلك بحيث يكون المرجع لنا جميعاً.

وهذا أمرٌ بديهي فإنّ كلّ كتاب علمي فإنّك حتّىٰ تفهمه تكون بحاجة إلى استاذ يشرح لك مضامينه ودلائله، ولا خلاف في أنّ رسول الله ﷺ هو المرجع للمسلمين في بيان القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(١)، ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

ولذلك كان المسلمون الأوائل يرجعون إلى النبيّ ﷺ في فهم القرآن الكريم، ولكن بما أنّ هذا الكتاب ـ الذي هو أساس الدِّين ـ سيبقى إلى يوم القيامة صار من المفروض ـ عقلاً ـ على النبيّ ﷺ أن يعلّم علوم القرآن كلّها لمن بعده ليؤدّي نفس الدور الذي كان هو ﷺ يؤدّيه وبه يرتفع الاختلاف الذي قد يحصل مع عدم وجود النبيّ ﷺ ويُسدّ طريق الافتراق والاختلاف حول معاني ودلائل آيات القرآن الكريم، فزعم أهل السُنّة أنّ رسول الله ﷺ ترك القرآن لأمّته وقالوا حسبنا كتاب الله، وأمّا مفسّر ومبيّن هذا الكتاب فهو موكول إلى علماء كلّ عصر، وهذا مبناهم إلى اليوم.

وإذا صحّ قولهم هذا، فإنّ الثمرة لن تتحقّق لأنّ آيات القرآن لها ظاهر وباطن وبالتالي فهي تحتمل أكثر من معنى فكيف سيتمّ تحديد المعنى الحقيقي والمراد عند الله؟ وهذا ما يؤدّي إلى الاختلاف، وهو أمرٌ مرفوض وبالتالي تكون هذه العقيدة غير قابلة للهضم، لأنّها أشبه بكتاب علميّ نعطيه إلى الطلبة ونقول لهم: افهموا منه ما بدى لكم، فكلّ طالب سيفهم غير ما يفهمه زميله.

---

(١) النحل: ٤٤.

(٢) النحل: ٦٤.

أهل البيت والقرآن معاً

بينما يلتزم ـ الشيعة ـ بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ورّثَ علمه أهل بيته الأطهار أوّلهم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومن بعده ولده الأئمّة عليهم السلام فهؤلاء مرجع المسلمين ولهم دور التبيين لآيات الذكر الحكيم وإليهم ملاذ العباد، وهذه العقيدة أسّسها رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أنّه صلى الله عليه وآله صرّح في أكثر من محفل ومجلس وبمختلف الأساليب والتعابير أنّه صلى الله عليه وآله خَلّفَ أهل بيته والقرآن الكريم معاً وهم أعدال القرآن، وقد نقلت أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله في هذا الصدد كتب الفريقين الشيعة والسنّة كقوله صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتّىٰ يردا عَليَّ الحوض إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً[١].

وهذا الحديث يوجب رجوع المسلمين إلى أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وأوّلهم أمير المؤمنين عليه السلام لفهم الدين وتفسير القرآن وأخذ معالم التشريع، ولكونه عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بدلالة آية المباهلة[٢] إلّا أنّه ليس نبيّاً، بل ينطوي علىٰ صفات وكمالات الأنبياء، ولهذا ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله في كتب الفريقين: أنا مدينة العلم وعليّ بابها ومن أراد العلم فليأت الباب[٣].

---

(١) سوف نذكر تمام مصادر الحديث لاحقاً وإليك بعضها:
فضائل الصحابة لأحمد ج٢ ص٥٨٥ وص٦٠٣ ط السعودية، ومصابيح السنّة للبغوي الشافعي باب مناقب أهل بيت رسول الله ص٥٢١ ج١ دار القلم بيروت، وإسعاف الراغبين ص١١٩ وهو هامش علىٰ نور الأبصار.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾.

(٣) نظم درر السمطين، جمال الدين محمّد بن يوسف الحنفي، القسم الثاني من
←

وجاء في كنز العمّال للمتّقي الهندي عن أبي ذرّ، قال رسول اللهﷺ: عليّ باب علمي ومبيِّن لأُمّتي ما أُرسلت به من بعدي[١].

وأيضاً في كنز العمّال وفرائد السمطين ومقتل الحسين للخوارزمي وينابيع المودّة نقلاً عن المناقب لموفّق بن أحمد عن سلمان الفارسي أنّه قال: قال رسول اللهﷺ: أعلم أُمّتي من بعدي عليّ بن أبي طالب[٢].

وذكر في ينابيع المودّة عن مناقب ابن المغازلي الفقيه الشافعي وفي مناقب موفّق بن أحمد الخوارزمي بسنده عن أبي الصباح عن ابن عبّاس عن رسول اللهﷺ قال: لمّا صرتُ بين يدي ربّي كلّمني وناجاني فما عُلِّمتُ شيئاً إلّا علّمته عليّاً فهو باب علمي، وفي مناقب الخوارزمي: ثمّ دعاه إليه فقال: يا عليّ سلمك سلمي وحربك حربي وأنت فيما بيني وبين أُمّتي[٣].

← السمط الأوّل ص١٠٦، والصواعق المحرقة ج٢ ص٣٥٧ مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: عبد الرحمٰن التركي، والمستدرك ج٣ ص١٣٨ رقم ٤٦٣٩ والاستيعاب للقرطبي ج٣ ص٢٠٥ دار الكتب العلمية، بيروت، وكنز العمّال ج١١ ص٦٠٠ رقم ٣٢٨٩٠ والمناقب للخوارزمي ص٤٠.

وجاء في فردوس الأخبار للديلمي ج٢ ص٧٨ رقم ٤٠٠٠ ط دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م.

قال رسول اللهﷺ: عليّ باب علمي ومبيّن لأُمّتي ما أرسلت به من بعدي، حبّه إيمان وبغضه نفاق، والنظر إليه رأفةً ومودته عبادة /المترجم.

(١) كنز العمّال ج١١ ص٦١٤ رقم ٣٢٩٨١ ط سوريا.

(٢) كنز العمّال: ج١١ ص٦١٤ رقم٣٢٩٧٧ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٩م، وفرائد السمطين: ج١ ص٩٧ رقم٦٦ ط بيروت.

المناقب للخوارزمي ص٤٠ ط النجف مع مقدّمة العلّامة محمّد رضا الخرسان.

وينابيع المودّة ج١ باب ١٤ ص٦٩.

(٣) ينابيع المودّة ج١ الباب ١٤ ص٦٨.

وجاء في ينابيع المودّة عن مناقب الخوارزمي والحمويني وفردوس الأخبار ومناقب ابن المغازلي الشافعي عن مجاهد عن ابن عبّاس وعن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أشار لعليّ عليه السلام وقال:

هذا أمير البررة وقاتل الكفرة منصورٌ من نصره مخذول من خذله فمدّ بها صوته، ثمّ قال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها ومن أراد العلم فليأت الباب[(١)].

وفي ينابيع المودّة أيضاً عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب وكلّ باب منها يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب حتّىٰ علمت ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وعلمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب[(٢)].

وفي هذا الصدد توجد أحاديث كثيرة في كتب الفريقين كلّها تؤكّد أنّ عليّاً عليه السلام هو أعلم وأقضى الأمّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ولا خلاف في ذلك أبداً لاسيّما وهو أوعى الأمّة لشدّة حافظته واستيعابه العلم كما قال تعالى في حقّه: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[(٣)].

وقد ذكر الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودّة عن مناقب الخوارزمي والحافظ أبو نعيم الاصفهاني وشرح المواقف والثعلبي بأسانيد مختلفة عن ابن عبّاس وبريدة الأسلمي ومكحول ويحيىٰ بن سالم وجابر والأصبغ بن نباتة وعمر بن علي وأمير المؤمنين عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ هذه الآية نزلت في عليّ عليه السلام[(٤)].

---

(١) ينابيع المودّة ج ١ باب ١٤ ص ٧٠، وسنذكر تمام المصادر لاحقاً في محلّها.

(٢) ينابيع المودّة ج ١ باب ١٤ ص ٧٥.

(٣) الحاقة: ١٢.

(٤) معرفة الصحابة لأبي نعيم ج ١ ص ٣٠٦ ط السعودية، ونور الأبصار ص ٨٧، ومناقب الخوارزمي الفصل ١٨ ص ١٩٩، وينابيع المودّة ج ١ باب ٣٩ ص ١٢٠.

ويؤيّد هذا قولهﷺ: عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لا يفترقان حتّى يردا عَليَّ الحوض[١].

وأيضاً ذكر سليمان البلخي الحنفي في الينابيع والحمويني بسنده عن شقيق عن عبدالله بن مسعود أنّه قال: نزل القرآن علىٰ سبعة أحرف، له ظهر وبطن، وأنّ عند عليّعليه السلام علم القرآن ظاهره وباطنه[٢] ولهذا لم يدع أحد بعد رسول اللهﷺ أنّ لديه الإحاطة بالقرآن سوىٰ أمير المؤمنينعليه السلام. فقد ذكر سليمان البلخي عن شرح رسالة الفتح المبين لمحمّد بن علي الحكيم الترمذي عن ابن عبّاس إمام المفسِّرين قال: يشرح لنا عليّعليه السلام نقطة الباء من بسم الله الرحمٰن الرحيم ليلة فانفلق عمود الصبح وهو بعد لم يفرغ فرأيت نفسي في جنبه كالفوارة في جنب البحر المتلاطم.

وقال كرّم الله وجهه: لو ثنيت لي الوسادة وجلست عليها لحكمت لأهل التوراة بتوراتهم ولاهل الإنجيل بإنجيلهم ولأهل القرآن بقرآنهم، ولهذا كان الصحابة يرجعون إليه في أحكام الكتاب، ويأخذون عنه الفتاوى كما قال عمر بن الخطّاب في عدّة مواطن: لولا عليّ لهلك عمر، وقالﷺ: أعلم أُمّتي عليّ بن أبي طالب[٣].

وذكر في نفس الباب نقلاً عن مناقب الخوارزمي عن يحيى بن أم الطويل قال: سمعت أمير المؤمنينعليه السلام قال: ما بين لوحي المصحف من آية إلّا وقد علمت فيمن نزلت وأين نزلت، وإنّ بين جوانحي لعلماً جمّاً، فسلوني قبل أن تفقدوني. وقال: إذا قدمتُ عليه أقرأنيه ويقول: يا علي أنزل الله عَليَّ بعدك كذا

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ج ٥ ص ٤٥٥ رقم ٤٨٧٧ ط مكتبة المعارف، الرياض، ومرّت بقيّة مصادره في الجزء الأوّل.

(٢) ينابيع المودّة ج ١ باب ١٤ ص ٦٨.

(٣) المصدر نفسه ص ٦٩.

وكذا وتأويله كذا وكذا ويعلّمني تأويله وتنزيله[١].

ولهذا قال عليه السلام من على المنبر ولعدّة مرّات: (سلوني قبل أن تفقدوني).

وقد ذكر هذه العبارة أهل السنّة والشيعة سواء، فمثلاً أنّكم تجدونها في عمدة القارئ وجامع بيان العلم ومفتاح السعادة والرياض النضرة وفتح الباري وتاريخ الخلفاء للسيوطي وتهذيب التهذيب أنّه عليه السلام قال: سلوني، والله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلّا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار في سهلٍ أم في جبل[٢].

وذكر الشيخ سليمان الحنفي في مطلع الباب الرابع عشر من الينابيع شعراً نُسب لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قال:

لقد حزت علم الأوّلين وأنّني ... ظنين بعلم الآخرين كتومُ

وكاشف أسرار الغيوب بأسرها ... وعندي حديث حادثٌ وقديمُ

وأنّي لقيّوم على كلّ قيّم ... محيطٌ بكلّ العالمين عليمُ

ثمّ قال عليه السلام: لو شئت لأوقرت من تفسير الفاتحة سبعين بعيراً، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، قال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[٣] فمن أراد العلم فليأته من الباب[٤]. وقد جسّد أمير المؤمنين عليه السلام هذه القدرة الفائقة الموهوبة له من الله سبحانه وتعالى حيث قال ابن عبّاس: أخذ بيدي الإمام عليه السلام ليلة مقمرة فخرج بي إلى البقيع بعد العشاء وقال: إقرأ يا عبدالله فقرأت: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فتكلّم لي في أسرار الباء إلى بزوغ الفجر[٥].

---

(١) ينابيع المودّة ج ١ باب ١٤ ص ٧٢.

(٢) مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج ١، ص ١٢٥ ـ ط أُمّ القرىٰ.

(٣) البقرة: ١٨٩.

(٤) ينابيع المودّة ج ١ باب ١٤ ص ٦٤ ط اسلامبول.

(٥) المصدر نفسه ص ٦٨.

وروي عن ابن عبّاس أيضاً أنّه قال: عِلمُ النبيّ صلى الله عليه وآله من علم الله وعلمُ عليّ من علم النبيّ صلى الله عليه وآله وعلمي من علم عليّ وما علمي وعلم الصحابة في علم عليّ إلّا كقطرة في سبعة أبحر[١].

فيُعلم من جميع هذه الأدلّة المسلّمة عند المسلمين أنّ عليّاً عليه السلام هو المرجع للأمّة بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله باعتباره باب علم النبيّ صلى الله عليه وآله لحلّ ما اُستشكل على الناس ولبيان أحكام الدين، لاسيّما وأنّ الصحابة وعامّة الناس كانوا قد ألفوا طريقاً لمعرفة أسرار القرآن وذلك هو السؤال من النبيّ صلى الله عليه وآله فقط فلم تكن لهم أيّ وجهات نظر ولم يجتهدوا وإنّما اعتادوا السؤال طيلة حياة النبيّ صلى الله عليه وآله ومن بعده كانوا يرجعون إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على رغم ابتعاده أو إبعاده قهراً عن مسرح الحياة السياسيّة في الجملة، إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من إرشاد الناس وتعليمهم، بل حتّى الخلفاء الثلاثة أيضاً رجعوا إليه لحلّ المعضلات وبعض المواضيع الحسّاسة، فقد ذكر في ينابيع المودّة عن رسالة الفتح المبين لمحمّد بن علي الحكيم الترمذي (وقد ذكرناه قبل قليل): كانت الصحابة يرجعون إليه في أحكام الكتاب ويأخذون عنه الفتاوى كما قال عمر بن الخطّاب في عدّة مواطن: لولا عليّ لهلك عمر، وقال صلى الله عليه وآله: أعلم أُمّتي عليّ بن أبي طالب[٢].

وقد كتب أكابر علماء أهل السنّة أنّ عمراً قال هذه العبارة: (لولا عليّ لهلك عمر) أكثر من سبعين مرّة كلّما عرضت عليه واقعة يعجز عن حلّها، وأحياناً كان يقول: (هذه معضلة لا يجيبها إلّا أبا الحسن)، أو (لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن)[٣].

---

(١) المصدر نفسه ص٦٨ ـ ٦٩.

(٢) ينابيع المودّة ج١ باب ١٤ ص٦٩.

(٣) مطالب السؤول ج١ ص١٤٢ ط أمّ القرى.

فيما بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام

ولكن بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام تسلّط على رقاب المسلمين بنو أُميّة الذين ألحقوا الإسلام العار تلو العار فقد ظلموا واضطهدوا آل الرسول صلى الله عليه وآله ومعدن العلم وأعدال القرآن فقتلوهم وقتلوا شيعتهم وطاردوهم حتّىٰ صار العلم مفقوداً على أثر هذه الحملات التعسّفية ضد أعلام الإسلام والتشيّع وانتشر الجهل بكلّ ألوانه والتخلّف على عدّة مستويات فظهرت الأساطير والخرافات والإسرائيليّات، بعدما لحق آل الرسول صلى الله عليه وآله وشيعتهم والعلماء ما لحقهم من القهر والظلم والاستبداد، فلم يعد المسلم يجد مَن يسأله أو يرشده إلى معضلات القرآن ومعارف الأحكام، واستمرّ الوضع تقريباً إلى زمن بني العبّاس، فكانت الفترة هذه فتنة كفتنة بني إسرائيل يوم أضلّهم السامري، فتمّ إخلاء الساحة الإسلامية من الرموز الأصيلة التي لها كفائتها واستعدادها في ميدان العلم وتوضيح معالم الدين وتمّت عملية إبدال هؤلاء العلماء بعلماء قشريّين وعّاظ السلاطين يداهنون الظَلَمة ويحرصون على الدُّنيا أكثر من الدين.

بعض حالات الحسن البصري

ومن هؤلاء الحسن بن يسار البصري المعروف بالفصاحة والبيان والبلاغة، ولد قبل موت الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب بسنتين وأُمّه أُمّ ولد كانت تحت أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة فأعتقتها، وكانت ولادته بالمدينة المنوّرة، وتوفّي عام ١١٠هـ في البصرة وله من العمر ٨٨ عاماً.

وقد ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي أنّه من جملة المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام ومن جملة المخذلين عن نصرته، وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام رآه وهو يتوضّأ للصلاة ـ وكان ذا وسوسة ـ فصبَّ على أعضائه ماءً كثيراً فقال له

الإمام: أرقت ماءً كثيراً يا حسن، فقال: ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر، قال: أوساءك ذلك؟ قال: نعم، قال: فلا زلت مسوءاً، قالوا: فما زال الحسن عابساً قاطباً مهموماً إلى أن مات[١].

ولهذا السبب مدحه المخالفون للشيعة بينما سكتوا عن الأعلام الذين كانوا إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام فلم يتطرّقوا إلى مدحهم مع عظيم مقامهم!!

ثمّ إنّ الحسن البصري جعل لنفسه حلقة درس في مسجد البصرة وقام بتدريس القرآن الكريم والمسائل الفقهية، وكان يدلي برأيه الشخصي في تفسير القرآن وبيان الأحكام ممّا أدّى إلى إضلال طائفة كبيرة من الناس الذين اعتمدوا عليه بجهلهم، وبذلك فتح الحسن البصري أوّل باب للاجتهاد مقابل النصّ، المتمثّل بوجود أهل البيت عليهم السلام الذين أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بالرجوع إليهم والتمسّك بهم.

إعتزال واصل بن عطاء

وأوّل من اعترض على آراء الحسن البصري هو واصل بن عطاء أحد تلامذته الذي عجز عن إقناع استاذه بخطئه لإصرار الأخير على المجادلة وعدم التواضع، فلذلك خرج واصل من حلقة الدرس واتّخذ أحد أعمدة المسجد ليعقد عنده حلقة درسه مقابل حلقة درس استاذه، وذهب إلى حلقة درس واصل كلّ من كان مخالفاً لآراء الحسن البصري وبمرور الزمن أخذت هذه الدروس طابع التحرير والتدوين بعدما كانت سماعية وشفاهية، فأخذ الطلّاب يدوّنون آراء واصل بن عطاء وهكذا آراء الحسن البصري حتّى وضعت قواعد خاصّة بهما لعلم الكلام.

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٥ دار إحياء الكتب العربية.

ظهور المعتزلة

ثمّ إنّ أتباع واصل بن عطاء عُرفوا فيما بعد بـ (المعتزلة) وكان يتزعمهم عمرو بن عبيد الذي عُرف بالزهد وقد حرص عمرو على إظهار عقائد المعتزلة بشكل علمي دقيق، فاشتهروا بالمسلك العقلي أي أنّ كلّ حديث أو آية لا يوافق ظاهرها القواعد العامّة فإنّهم يؤوّلون ذلك بما ينسجم مع العقل وقواعدهم الكلامية.

بينما التزم جماعة الحسن البصري بظواهر النصوص وإن كانت تخالف العقل، و اعتبروا المعتزلة مبتدعة في الدين ومنحرفين عن الإسلام، بينما أطلقوا على أنفسهم (أهل السنّة) باعتبار تمسّكهم بظواهر النصوص.

وفي الحقيقة كانت لعبة سياسيّة نجح بنو أُميّة في ترويجها إذ أنّ الاختلاف والافتراق وتبادل الاتهامات يصبّ في مصلحتهم من خلال سياسة (فرّق تسد) وبالتالي سوف ينشغل هؤلاء وهؤلاء بمباحث علمية فرعية ويستغرقون كامل عمرهم ووقتهم في المجادلات والمحاورات تاركين بني أُميّة يلعبون في وجدان الأمّة ويقتلون الأبرياء.

وأكبر دليل على ضلالة الحسن البصري وأتباعه أنهم عملوا بالقياس في المسائل الفرعية واعتمدوا على آرائهم القاصرة مع أنّه أمر باطل واعتمدوا على ظواهر النصوص في المسائل الأصوليّة (أصول الدين) تاركين العقل ومتمسّكين بالظاهر فحسب وهو أمر باطل، فاضطرّوا إلى القول بالتشبيه والتجسيم، فمثلاً قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1] ونظائر هذه الآية كالنظر إلى الله سبحانه وما شابه ذلك، كانوا يحملون هذه الألفاظ على

---

(١) طه: ٥.

معانيها الحقيقيّة ويقولون بتجسّم الله تعالى وتشبيهه، وهكذا فُتحت للأمّة الإسلامية أبواب الضلال من الحسن البصري وواصل بن عطاء الذين تركا أهل البيت عليهم السلام وأعدال القرآن واعتمدا على نظرهما القاصر وعقليهما الصغيرين، ولم يتوقّف الأمر إلى هذا الحدّ، بل من خلال عقائدهما الفاسدة وآرائهما الكاسدة تفرّعت مدارس واتجاهات أخرى كثيرة في أوساط أهل السنّة.

هذا كلّه ذكرته لكم لتعرفوا أنّ الاختلافات (في الأصول والفروع) بين فرق أهل السنّة أكثر من اختلاف السنّة مع الشيعة.

سؤال: نحن على ما سمعنا أنّ المسلمين عبارة عن أهل السنّة والشيعة بينما فهمنا من كلامك المتقدّم أنّ هناك فرقاً أخرى، فهل يمكن أن توضّحوا لنا ذلك؟

الجواب: لستُ أوّل من أشار إلى وجود الفرق الإسلامية وتعدّدها وإنّما حصل ذلك من الصدر الأوّل للإسلام كما مرّ عليكم في المجلّد الأوّل، وكما ذكرت لكم مصادر قول النبيّ صلى الله عليه وآله: ستفترق أُمّتي بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، وهو واضح وصريح بوجود التعدّد في الفرق الإسلامية وهكذا ذكر أصحاب الملل والنحل من أهل السنّة ـ مثل أبي منصور عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفِرق، وابن حزم في الفصل، والشهرستاني في الملل والنحل ـ أكثر من خمسين فرقة إسلامية كلّها من أهل السنّة يختلفون في الأصول والفروع.

وأذكر لكم مثلاً ما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل وأقرأه لكم:

١ ـ المعتزلة ٢ ـ الواصلية ٣ ـ الهذيلية ٤ ـ النظامية ٥ ـ الخابطية ٦ ـ البشرية ٧ـ المعمرية ٨ ـ المردارية ٩ ـ الثمامية ١٠ـ الهشامية ١١ـ الجاحظية ١٢ـ الخياطية ١٣ـ الجبائية ١٤ـ البهشمية ١٥ـ الجبرية ١٦ـ الجهمية ١٧ـ البخارية ١٨ـ الضرارية ١٩ـ الصفاتية ٢٠ـ الأشعرية ٢١ـ المشبهة ٢٢ـ الكرامية ٢٣ـ الخوارج ٢٤ـ الأزارقة ٢٥ـ النجدات العاذرية ٢٦ـ البيهسية ٢٧ـ العجادة ٢٨ ـ الصلتية ٢٩ـ الحمزية ٣٠ـ الخلفية ٣١ـ الشعيبية ٣٢ـ الميمونية ٣٣ـ الأطرافية ٣٤ـ الجازمية

٣٥ـ الثعالبة ٣٦ـ الرشيدية ٣٧ـ الأخنسية ٣٨ـ الشيبانية ٣٩ـ المكرمية ٤٠ـ المعلومية ٤١ـ المجهولية ٤٢ـ الأباضية ٤٣ـ الحفصية ٤٤ـ الحارثية ٤٥ـ اليزيدية ٤٦ـ الصفرية ٤٧ـ المرجئة ٤٨ـ اليونسية ٤٩ـ العبيدية ٥٠ـ الغسّانية ٥١ـ الثوبانية ٥٢ـ التومنية ٥٣ـ الصالحية[1].

سؤال: ما ذكرته هو فهرست لأسماء هذه الفرق، ولكن يا حبّذا لو شرحت لنا وبشكل مختصر عن كلّ واحدة من هذه الفرق وما هي أسباب افتراقها؟

الجواب: إنّ شرح حال كلّ فرقة يتطلّب منّا مجلّدات ويخرجنا عن صلب البحث، ولكن ما لا يُدرك كلّه لا يترك كلّه أُحاول أن أذكر لكم ولو مختصراً عن بعض هذه الفرق:

المعتزلة

المعتزلة: توجد آراء كثيرة لتسميتهم بهذا الاسم منها ما ذكره المسعودي: لأنّهم قالوا بالمنزلة بين المنزلتين فبين المؤمن والكافر توجد مرتبة ثالثة وهي الفاسق وبذلك خالفوا واعتزلوا كلّ آراء القدماء والأصحاب والتابعين وجميع أهل العلم فسمّوا بذلك، بينما ذكر المقريزي أنّ سبب التسمية هو اعتزال واصل بن عطاء عن حلقة الحسن البصري فسمّوا بالمعتزلة بعدما قال الحسن البصري: اعتزل عنّا واصل بن عطاء.

وبعض ذكر سبب آخر وهو بعدما عقد الإمام الحسن عليه السلام معاهدة الصلح المشروطة مع معاوية بن أبي سفيان اعتزل أصحاب واصل بن عطاء كلا الفريقان وقالوا: لا نقترب بعد اليوم من أيّ فرقة فالتزموا الاعتزال عن المسلمين

---

(١) أنظر الملل والنحل للشهرستاني ج١ الباب الأوّل ص ٤٠ دار المعرفة بيروت ١٩٧٥.

وركنوا إلى المساجد للعبادة والمدارسة فقط.

ثمّ إنّ للمعتزلة فرق داخلية تفرّعت من الأصل ولكلّ واحدة اسم خاصّ بها. يقول زهدي حسن جار الله في كتابه (المعتزلة): وأهمّ من الجميع: أهل العدل والتوحيد فهي أهمّ من: أهل الحقّ، القدرية، الثنوية، المجوسية، الجهمية، الخوارج، الوعيدية، المعطّلة.

ويقول الشهرستاني: ويسمّون أصحاب العدل والتوحيد ويلقّبون بالقدرية والعدلية وقالوا: لفظ القدرية يطلق على مَن يقول بالقدر خيره وشرّه من الله تعالىٰ[1].

إلّا أنّ جميع فرق المعتزلة يشتركون في أصول عامّة ذكرها الشهرستاني في كتابه وهي:

أ ـ القول: بأنّ الله تعالىٰ قديم، ونفوا الصفات القديمة أصلاً لكي لا يقعوا في محذور تعدّد القدماء فقالوا: هو عالم بذاته قادر بذاته حيّ بذاته لا بعلم ولا قدرة ولا حياة.

ب ـ القول: إنّ كلام الله تعالى محدَث مخلوق في محلّ وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه فإنّ ما وجد في المحل عرض قد فنىٰ في الحال.

جـ ـ القول: إنّ الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته سبحانه لكن اختلفوا في وجوه وجودها.

د ـ واتّفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار ونفي التشبيه عنه من كلّ وجه: جهة، ومكاناً وصورة وجسماً وتحيّزاً وانتقالاً وزوالاً وتغيّراً وتأثّراً وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها وسمّوا هذا النمط توحيداً.

---

(١) المصدر السابق ص٤٣.

هـ ـ واتّفقوا على أنّ العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرّها مستحقّ على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة والربّ تعالى منزّه أن يضاف إليه شرّ وظلم وفعل هو كفر ومعصية، لأنّه لو خلق الظلم كان ظالماً، كما لو خلق العدل كان عادلاً.

و ـ واتّفقوا على أنّ الله تعالى لا يفعل إلّا الصلاح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد، وأمّا الأصلح واللطف ففي وجوبه عندهم خلاف وسمّوا هذا النمط: عدلاً.

ز ـ واتّفقوا على أنّ المؤمن إذا خرج من الدُّنيا على طاعة وتوبة استحقّ الثواب والعوض والتفضّل معنى آخر وراء الثواب وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحقّ الخلود في النار، لكن يكون عقابه أخفّ من عقاب الكفّار وسمّوا هذا النمط: وعداً ووعيداً.

ح ـ واتّفقوا على أنّ أصول المعرفة وشكر النعمة واجبة قبل ورود السمع والحُسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك وورود التكاليف ألطاف للباري تعالى أرسلها إلى العباد بتوسّط الأنبياء عليهم السلام امتحاناً واختباراً ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[١].

واختلفوا في الإمامة والقول فيها نصّاً واختياراً[٢].

الواصلية

الواصلية: أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزّال البصري وهو من أكابر متكلّمي أواخر القرن الأوّل الهجري وكان فصيحاً بليغاً إلّا أنّه ألثغ، أي كان

---

(١) الأنفال: ٤٣.

(٢) المصدر السابق ص٤٣.

يلفظ حرف الراء غين وكان من ذكائه وفطنته عندما يتكلّم مع الناس يتجنّب الكلمات التي فيها حرف الراء لكي لا يُعاب عليه.

وقد حضر فترة من الزمن عند أبي هاشم عبدالله بن محمّد بن الحنفية والحسن البصري وله تصانيف كثيرة منها (أصناف المرجئة) و(المنزلة بين المنزلتين) و(معاني القرآن) و(طبقات أهل العلم والجهل) و(السبيل إلى معرفةالحقّ).

وكان في أيّام عبد الملك بن مروان المتوفّي عام ٨٦هـ وهشام بن عبدالملك المتوفّي عام ١٢٥هـ وتوفّي واصل في عام ١٣١هـ في البصرة وامتاز بأربع قواعد اختلف فيها عن كلّ المسلمين وهي:

أ ـ القول بنفي صفات الباري تعالى من العلم والقدرة والإرادة والحياة، وكان واصل يشرع في هذه المقالة على قول ظاهر وهو الاتّفاق على استحالة وجود إلٰهين قديمين أزليّين، ومَن أثبت معنىً صفة قديمة فقد أثبت إلٰهين[1].

ثمّ إنّ السبب الذي دفع واصل بن عطاء وكلّ من نهج نهجه بعده إلى الالتزام بهذه الفكرة الخاطئة هو الغور في الكتب الفلسفية اليونانية والأفكار النصرانية المتسرّبة إلى الواقع الإسلامي التي تقول بتعدّد القدماء الثلاثة (الأقانيم)، فاعتقد بعض المسلمين أنّ القول بقدم الصفات إلٰهية يشبه عقيدة النصارىٰ في تعدّد القدماء وفراراً من هذا المحذور. قال بعضهم: إنّ الصفات الإلهية كلّها تعود إلى صفتين فقط هما العلم والقدرة، وبعضهم أرجعها إلى صفة واحدة، وبعضهم قال ما قاله واصل بن عطاء وهكذا.

الجواب عن هذه العقيدة:

علينا أن ندرك أنّ بين عقيدة الأقانيم الثلاثة وبين الصفات الإلهية فرق كبير

---

(١) المصدر السابق ص٤٦.

وبون واسع، لأنّ النصارى يعتقدون أنّ الأقانيم الثلاثة (الأب والابن وروح القدس) لكلّ واحد منها وجود مستقلّ عن الآخر وله خصائصه الخاصّة به ولكن إن لم تجتمع هذه الأقانيم الثلاثة لن تصدر الأفعال الإلهية كالخالقية والرازقية..

بينما يقول الدين الإسلامي: إنّ الصفات الإلهية ليس لها وجود مستقلّ عن الذات المقدّسة، بل هي عين ذاته وهو ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام: وكمال توحيده نفي الصفات عنه، أي أنّها ليست زائدة عليه وقد أوضحنا هذا المطلب في كتابنا (مائة مقالة سلطانية) وسوف نتناوله هنا لاحقاً إن شاء الله.

ولكن كلّ مَن يعتقد بزيادة الصفات على الذات الإلهية فهو مشرك بلا شكّ، لاعتقاده بتعدّد القدماء وهو باطل، لأنّه تعالى واحد وصفاته عين ذاته غير زائدة عليه وهذه هي العقيدة الصحيحة التي طرحها آل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله.

ب ـ القول بالقدر فقال واصل: إنّ الباري تعالىٰ حكيم عادل لايجوز أن يُضاف إليه شرّ ولا ظلم ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر.

فالعبد هو الفاعل للخير والشرّ والايمان والكفر والطاعة والمعصية وهو المجازي علىٰ فعله والربّ تعالى أقدره على ذلك كلّه، وأفعال العباد محصورة في الحركات والسكنات والاعتمادات والنظر والعلم.

قال الشهرستاني: إنّ المعتزلة سلكوا ـ في هذه العقيدة ـ مسلك معبد الجهني[1] وغيلان الدمشقي[2] القدري[3].

---

(١) معبد الجهني هو أوّل من تكلّم في القدر وقتله عبدالملك بن مروان بسبب عقيدته هذه وقيل الحجّاج بن يوسف عام ٨٠هـ.

(٢) غيلان الدمشقي: صلبه هشام بن عبد الملك على باب دمشق.

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ٤٧.

وكان غيلان من القدرية ومن أصحاب الحرث الكذّاب وقد اعتقد غيلان بنبوّة الحرث، وقد جلس مكان الحرث بعد قتله وبعد محاججته ومناظرته مع الأوزاعي أفتى الأخير بقتل غيلان وتمّ قتله في زمن هشام بن عبد الملك.

ج ـ القول بالمنزلة بين المنزلتين والسبب فيه أنّه دخل واحد على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفّرون أصحاب الكبائر وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضرّ مع الايمان ولا يضرّ مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ فتفكّر الحسن في ذلك وقبل أن يُجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إنّ صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر.

د ـ قوله ـ واصل بن عطاء ـ في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفّين أحدهما مخطئ لا بعينه وكذلك قوله في عثمان وقاتليه وخاذليه، ولا تقبل شهادتهما فلا يجوز قبول شهادة علي عليه السلام وطلحة والزبير على باقة بقل.

الهذيلية

وهم أصحاب أبي الهذيل حمدان (محمّد) بن الهذيل العلّاف شيخ المعتزلة ومقدّم الطائفة ومقرّر الطريقة والمناظِر عليها، وافترق عن أصحابه بعشرة قواعد وانفصل بجماعته عن المعتزلة.

النظّامية

هم أصحاب إبراهيم بن يسارِ بن هاني النظّام البصري، وهو ابن أخت أبي الهذيل العلّاف، وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وتأثّر بهم كثيراً وحاول أن يخلط المسائل الإسلامية بالمسائل الفلسفية وانفرد عن المعتزلة بثلاثة عشر مسألة وعُرف مع جماعته بـ(النظامية).

الخابطية، الحديثيّة

الخابطية أصحاب أحمد بن خابط، والحديثيّة أصحاب الفضل الحدثي كانا من أصحاب النظّام وطالعا كتب الفلاسفة أيضاً وضمّا إلى مذهب النظّام ثلاث بدع.

البشرية

أصحاب بشر بن المعتمر، كان من أفضل علماء المعتزلة وهو الذي أحدث القول بالتولّد وأفرط به وانفرد عن أصحابه بمسائل ستّ ذكرها الشهرستاني.

المعمرية

أصحاب معمر بن عبّاد السلمي، وهو من أعظم القدرية فرية في تدقيق القول بنفي الصفات ونفي خيره وشرّه من الله تعالى والتكفير والتضليل على ذلك وانفرد عن أصحابه بمسائل عديدة أهمّها قوله: إنّ الله تعالى لم يخلق شيئاً غير الأجسام، فأمّا الأعراض فإنّها من اختراعات الأجسام!! بينما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢].

المردارية

أصحاب عيسى بن صبيح المكنّى بأبي موسى الملقّب بالمردار وقد تتلمذ

---

(١) الرعد: ١٧.

(٢) الحديد: ٢.

عند بشر بن المعتمر الآنف الذكر وأخذ العلم منه وتزهد حتّىٰ عرف براهب المعتزلة وقد انفرد عن أصحابه المعتزلة بمسائل منها: إنّ الناس قادرون على مثل القرآن فصاحةً ونظماً وبلاغةً!!

مع أنّ الله تعالى يصف عجز الإنس والجنّ عن ذلك في قوله: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[1]، ومن خلال ذلك يظهر أنّ المردار وأمثاله لا هدف لديهم سوى مخالفة القرآن الحكيم ورسالة سيّد الكائنات ﷺ.

الثُّمامية

أصحاب ثمامة بن أشرس النميري، كان جامعاً بين سخافة الدين (أي دينه هو واعتقاداته) وخلاعة النفس مع اعتقاده بأنّ الفاسق يخلّد في النار إذا مات على فسقه من غير توبة وهو في حال حياته في منزلة بين المنزلتين، وهو الآخر انفرد عن أصحابه بمسائل خاصّة ذكرها الشهرستاني.

الهشامية

أصحاب هشام بن عمرو الغوطي، وقد بالغ في مسائل القدر أشدّ وأكثر المبالغة من أصحابه وكان يمتنع من إطلاق إضافات أفعال إلى الباري تعالى وإن ورد بها التنزيل!! منها قوله: إنّ الله لا يؤلّف بين قلوب المؤمنين بل هم المؤتلفون باختيارهم.

وهذا كما تلاحظون خلاف صريح للقرآن المجيد[2].

---

(١) بني إسرائيل: ٩٠.

(٢) قال تعالى: ﴿مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ الأنفال: ٦٣.

الجاحظية

أصحاب عمرو بن بحر أبي عثمان الجاحظ البصري اللغوي النحوي المعروف، كان من فضلاء المعتزلة والمصنّفين لهم، وفي الاعتقادات كان يميل إلى الناصبية والعثمانية وقد كتب في هذا المجال كتاب العثمانية، الذي ردّه أبو جعفر الإسكافي شيخ المعتزلة في وقته، ومحمّد بن النعمان الشيخ المفيد من الشيعة وسيّد أحمد بن طاووس وقد دوّن ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة بعض آراء الجاحظ والردّ عليه في مواقع متعدّدة، وقد عاصر الجاحظ المعتصم والمتوكّل وكان كثير المطالعة للكتب الفلسفية التي أثّرت عليه وجعلته صاحب مسلك خاصّ مخالف لجميع المسلمين وكانت جماعته والمتأثّرون بأفكاره يميلون إلى الطبيعة أكثر من ميلهم إلى الخالق سبحانه وهذه عبارة الشهرستاني «ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة إلّا أنّ الميل منه ومن أصحابه إلى الطبيعيّين منهم أكثر منه إلى الإلهيّين»[(١)] وقد أُصيب الجاحظ في أواخر عمره بالفالج ومات فيه.

الخياطية

أصحاب أبي الحسين بن أبي عمرو الخيّاط، استاذ أبي القاسم بن محمّد الكعبي وهما من معتزلة بغداد على مذهب واحد إلّا أنّ الخياط غالى في إثبات المعدوم شيئاً، وهكذا كان تلميذه الكعبي إلّا أنّه امتاز عن الخيّاط بمسائل انفرد بها عنه، فسمّيت جماعته بـ(الكعبية).

---

(١) المصدر السابق ص٧٦.

الجبائية

أصحاب أبي علي محمّد بن عبد الوهاب الجبائي وهو من علماء معتزلة البصرة، وانفرد عن أصحابه بمسائل ذكرها الشهرستاني.

البهشمية

أصحاب أبي هاشم عبد السلام ابن أبي علي الجبائي، وافترق عن والده وعن أصحابه بعدّة مسائل ذكرها الشهرستاني.

الجبرية

وهم من المعتزلة الذين لا يثبتون للعبد فعلاً ولا قدرة بل ينسبون كلّ شيء إلى الله ويعتبرون الإنسان مجبوراً في جميع أفعاله، والجبرية أصناف فهناك الجبرية الخالصة وهناك الجبرية المتوسّطة، فالأولى تسلب القدرة عن العبد مطلقاً والثانية تثبت للعبد قدرة غير مؤثّرة.

الجهمية

وهم أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة وقد ظهرت بدعته بترمذ وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أُميّة ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم أشياء.

النجارية

أصحاب الحسين بن محمّد النجّار، وأكثر معتزلة الريّ وما حولها على مذهبه وقد اختلفوا عن أصحابهم المعتزلة بعده مسائل باطلة فاسدة ذكرها الشهرستاني.

الضرارية

أصحاب ضرار بن عمرو وحفص الفرد وكان لهما عقائد فاسدة منها إمكان رؤية الله تعالى على نحو الحقيقة في الجنّة، وقالوا: إنّ للإنسان حاسّة سادسة بها يرى الله تعالى!

تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً وسوف أوضّح بطلان هذه الآراء عندما أتحدّث عن الجبرية.

الصفاتية

وهم من المعتزلة أيضاً إلّا أنّهم أثبتوا الصفات الأزلية لله تعالى من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام.. ولا يفرّقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقاً واحداً، ولهم عقائد أُخرى لا يمكن شرحها هنا.

الأشعرية

أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري، فهو علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري، فنسب أبي الحسن الأشعري ينتهي إلى اثنين من المنافقين المخالفين للحقّ والمبغضين لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، الأوّل هو أبو موسى الأشعري وقد تقدّمت أدلّة نفاقه وبغضه لأمير المؤمنين عليه السلام في الجزء الأوّل.

أبو بردة عامر بن أبي موسى الأشعري

والثاني هو أبو بردة عامر بن أبي موسى الذي جلس في مجلس القضاء في الكوفة بعد شريح القاضي، قال عنه ابن أبي الحديد المعتزلي: ورث البغضة ـلعليّ عليه السلام ـ لا عن كلالة[1] ولم يكتفِ ببغض أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بل كان يبغض حتّى أصحابه وشيعته فقال أبو بردة يوماً لأبي العادية قاتل عمّار بن ياسر: أأنت قتلت عمّار بن ياسر؟ قال: نعم، قال: ناولني يدك فقبّلها، وقال: لاتمسّك النار أبداً!!، وقال ذات مرّة لزياد بن أبيه: أشهد أنّ حجر بن عدي قد كفر بالله كفرة أصلع، إنّما عنىٰ بذلك نسبة الكفر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأنّه كان يُلقّب بالأصلع[2].

وهو من جملة الذين شهدوا وكتبوا كتاباً إلى زياد بكفر حجر بن عدي وتقدّم ذلك منّا في الجزء الأوّل، وقد مات هذا المنافق اللعين عام ١٠٣هـ والتحق برفاقه في جهنّم وبئس المصير.

أبو الحسن الأشعري إمام الأشعرية

أبو الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري من أعاظم تلامذة أبي علي الجبائي، وهو من أكابر علماء المعتزلة في عصره وكان أبو علي زوج أُمّ أبي الحسن الأشعري فأشرف على تربيته وتعليمه، وبعد أن تكامل في درسه قرّر أن يسلك مسلكاً مخالفاً لاستاذه ووالده الروحي الجبائي فقرّر لنفسه طريقة خاصّة ومذهباً غير مذهب المعتزلة تماماً، فقد وضع مقابل كلّ أصل من أصول المعتزلة أصلاً

---

(١) يريد أنّه ورث البغض عن أبيه أبي موسى الأشعري.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٩ دار إحياء الكتب العربية.

جديداً مخالفاً له وشقّ لنفسه موقعاً جديداً في خضم التيارات العقائدية، وبمرور الزمن صار مذهب الأشعري هو صاحب الصيت الواسع والجماهير المتكثّرة حوله وذلك لدعم السياسة له ـ مثل آل أيّوب ـ إذ كانت قواعده ونظرياته تصبّ في مصلحتهم، فلذا أيّد خلفاء الجور مذهب الأشعري ووقفوا معه وفرضوه على قطاعات واسعة من الناس والعلماء حتّى صارت الأشاعرة مذهباً يقف مقابل المعتزلة في ثقله الجماهيري والعلمي وآل الأمر إلى تكفير بعضهم البعض.

وكان مذهب المعتزلة يعتمد القواعد العقلية غالباً إلّا أنّ أدلّتهم كانت جدلية وقياساتهم غير برهانية ولكنّها على كلّ حال قريبة من الإنصاف والعقل، وعُرف المعتزلة باعتمادهم على الآراء الفلسفية اليونانية التي أدخلها وروّج لها بعض خلفاء الجور مع أنّ المسلمين كانوا بعيدين كلّ البُعد عن هذه الآراء والنظريات وغرباء عن هذا المسلك، لأنّه لا ينسجم مع أغلب قواعد الدين الإسلامي، إلّا أنّ المعتزلة حاولوا التوفيق بين الأفكار الفلسفية والعقائد الدينية، ولكن كان من الصعب على عامّة المسلمين فهم ذلك ولهذا لم يجد المعتزلة شهرة كالأشاعرة.

وعلى خلاف المعتزلة كانت الأشاعرة الذين قالوا: كلّ ما لم يكن موجوداً في صدر الإسلام الأوّل فهو بدعة، وعليه فقد حرّموا قراءة الكتب الفلسفية والأفكار اليونانية، ممّا أدى إلى تعميق الخلاف بين الفريقين، حتّى ذكر ابن شحنة في روضة المناظر: لمّا توفّي أبو الحسن الأشعري عام (٣٢٩هـ) أو (٣٣٠هـ) في بغداد حمله أصحابه في الخفاء دون علم أحد ودفنوه في شرعة الزوايا وأخفوا قبره، لخوفهم من الحنابلة (الذين كفّرهم الأشعري فأباحوا دمه) أن يقوموا بنبش قبره وإهانة جثّته!!

المشبّهة

لقد ذكر الشهرستاني: أنّهم من الحشوية أصحاب مضر وكهمس (بن المنهال السدوسي أبو عثمان البصري اللؤلؤي) وأحمد بن عطا الهجيمي.

وذكر غير الشهرستاني من أصحاب الملل والنحل أنّ المشبّهة أصحاب يحيىٰ بن معين وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وإسحاق وداود بن علي الاصفهاني وغيرهم.

فروّجوا لعقيدة التشبيه وما يزال أتباعهم إلى اليوم يقولون بذلك، وقد انقسم مشبّهة أهل السنّة إلى فرقتين:

الأولىٰ: الذين قالوا بأنّ الله تعالى مثل خلقه فله مكان خاصّ، لأنّ كلّ مَن ليس له مكان فهو معدوم، وقالوا: إنّ الله يجلس على العرش وقدماه على الكرسي ويثبتون له من الأعضاء ما للإنسان إلّا الحلقوم والخرطوم!! وهذه بعض الخرافات والعقائد الفاسدة والنظريات الكافرة التي امتاز بها المشبّهة.

الثانية: التي لم تشبّهه بتلك الصفات البشرية وأنّه تعالى لا يشبه المخلوقات، وكانت لكلا الفرقتين آراء وعقائد بعيدة كلّ البُعد عن العقل والقرآن، لايسمح المجال هنا لذكرها.

الكرّامية

أصحاب أبي عبدالله محمّد بن كرّام وأصله من منطقة سجستان من نواحي (أيست) التي تبعد ثمانين فرسخاً جنوب هرات، وقد أُبعد من منطقته بسبب عقائده الفاسدة إلى منطقة غرشستان (الواقعة غرب هرات) ويقال عنها باللسان العامّي غرجستان كما ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان، وأنّه كان يتظاهر بالنسك والعبادة فقد انخدع به أهل (شومين) و(وافشين) واتّبعوه وعقدوا له

البيعة وتأثّروا بعقائده، وفي زمان محمّد بن طاهر بن عبدالله، تحرّك محمّد بن كرام مع جماعته إلى نيشابور وخدع الناس البسطاء الذين يقطنون الصحراء فقبلوا أفكاره على جهلهم واتّبعوه، وكانت له أفكار خطيرة جدّاً منها التجسيم والتشبيه للخالق تعالىٰ!!

الخوارج

أصحاب حرقوص بن زهير ومسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي الذين خرجوا وخالفوا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقد تقدّم تفصيل ذلك في الجزء الأوّل، فبايعوا عبدالله بن وهب الراسبي وأبدعوا البدع في الدِّين والتفّ حولهم عوامّ الناس الذين لا يفهمون أيّ شيء من الدين والحياة، وكانوا يلعنون عثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ويعلنون التبرّي منهم، ومع مرور الزمن فقد تفرّعت عنهم فرق ومذاهب مختلفة.

الأزارقة

وكبار الفرق منهم الأزارقة أصحاب أبي راشد نافع بن أزرق الذي خرج في البصرة عام ٦٥هـ واستولىٰ عليها ثمّ اتّجهوا إلى الأهواز فغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلاد فارس وكرمان في أيّام عبدالله بن الزبير وقتلوا عمّاله بهذه النواحي، وأبدعوا بدعاً كفّرهم جميع المسلمين[1].

---

(١) من بدعهم أنّهم قالوا: إنّ الله أنزل في شأن عليّ بن أبي طالب: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾!! وصوّبوا عمل ابن ملجم وأنّه نزل في شأنه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ ←

النجدات العاذرية

أصحاب نجدة بن عامر الحنفي الذي خرج مع أصحابه من اليمامة يـريد اللحوق بالأزارقة وفي الطريق استقبله أبو فديك وعطية بن الأسود الحنفي في الطائفة الذين خالفوا نافع بن الأزرق فأخبروه بما أحدثه نـافع مـن الخـلاف: بتكفير القعدة عنه ـ أي الذين لم يقوموا معه بل قعدوا عنه ـ وعدم جواز التقية وإباحته قتل أطفال المخالفين والنساء معهم وسائر البدع الأخرى، فبايعوا نجدة ابنَ عامر وسمّوه أمير المؤمنين!! ولأنّ بيعتهم له لم تكن على أساس متين أو قناعة تامّة ولهذا فإنّها لم تدم طويلاً حتّى اختلفوا عليه وكفّروه وقتلوه لأمـور عديدة، منها: إنّه بعث ابنه مع جيش إلى أهل القطيف فـقتلوا رجـالهم وسـبوا نساءهم وقوّموها على أنفسهم وقالوا: إن صارت قيمتهنّ في حصصنا فذاك وإلّا رددنا الفضل، ونكحوهن قبل القسمة وأكلوا من الغـنيمة قـبل القسـمة، فـلمّا رجعوا إلى نجدة وأخبروه بذلك، قال: لم يسعكم ما فعلتم؟ قالوا: لم نعلم أنّ ذلك لا يسعنا فعذرهم بجهالتهم وقال: الدين أمران:

الأوّل: معرفة الله تعالى ومعرفة رسـله وتـحريم دمـاء المسـلمين يـعنون موافقيهم (وإلّا فالمسلمون في نظرهم كفّار) والإقرار بما جاء من عند الله جملةً فهذا واجب على الجميع والجهل به لا يُعذر فيه.

الثاني: ما سوىٰ ذلك فالناس معذورون فيه إلى أن تقوم عليهم الحجّة في الحلال والحرام، ومن جوّز العذاب على المجتهد المخطئ في الأحكام قبل قيام

← مَرْضَاةِ اللهِ﴾.

ويتّضح أنّ هذه الروايات التي افتعلها سمرة بن جندب بأمر معاوية كما ذكرنا ذلك في الجزء الأوّل قد انطلت على أمثال هؤلاء البهائم / المترجم.

الحجّة عليه فهو كافر.

وبعد هذه الحادثة اختلف أصحاب نجدة عليه فمنهم مَن وافقه ومنهم مَن خالفه، فالذين وافقوه سمّوا بـ(العاذرية).

ولمّا كاتب نجدة عبد الملك بن مروان وأعطاه الرضا نقم عليه بعض أصحابه فاستتابوه فأظهر التوبة فتركوا النقمة عليه والتعرّض له وندمت طائفة على هذه الاستتابة وقالوا: أخطأنا وما كان لنا أن نستتيب الإمام، وفارقه أبو فديك وعطية ووثب عليه أبو فديك فقتله، ثمّ برئ أبو فديك من عطية، وعطية من أبي فديك وأنفذ عبد الملك بن مروان عمر بن عبيدالله بن معمر التميمي مع جيش إلى حرب أبي فديك فحاربه أيّاماً فقتله ولحق عطية بأرض سجستان، وبهذه الحرب الأخيرة ذهبت شوكة الأزارقة.

البيهسية

أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر، وهو أحد بني سعد بن ضبيعة، كان في العراق فجمع حوله بعض الخوارج وخدعهم ببدعه وضلالاته، فطلبه الحجّاج بن يوسف الثقفي فهرب إلى المدينة، فطلبه والي المدينة عثمان بن حيّان المزني فظفر به وحبسه وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بن عبد الملك بأن يقطع يديه ورجليه ثمّ يقتله ففعل به ذلك، ومن بعده افترقت البيهسية إلى العونية وهي فرقتان لكلّ واحدة منها مجموعة من البدع والضلالات.

العجاردة

أصحاب عبد الكريم بن عجرد وافق عطية بن أسود الحنفي كما صرّح أبو منصور البغدادي في الفَرق بين الفِرق، بينما صرّح الشهرستاني أنّ عبد الكريم هذا وافق النجدات وقيل إنّه كان من أصحاب أبي بيهس ثمّ خالفه وتفرّد بأقوال وبدع أخرى.

الصلتية

أصحاب عثمان بن أبي الصلت أو الصلت بن أبي الصلت، كان من العجاردة، إلّا أنّه تفرّد عنهم بعقائد خاصّة به وجماعته.

الحمزية

أصحاب حمزة بن أدرك الشامي الخارجي وافقوا الميمونية في القدر وفي سائر بدعها إلّا في أطفال مخالفيهم والمشركين، هكذا ذكر الشهرستاني، بينما ذكر المقريزي وأبو منصور البغدادي أنّ الحمزية كانوا مع العجاردة والجازمية ومن ثمّ انفردوا عنهم بمسائل القدر والاستطاعة، فغادر حمزة في عهد هارون العبّاسي (١٧٩هـ) إلى سجستان فتبعه أهلها وأهل خراسان ومكران وقهستان وكرمان وسمّوه بـ (أمير المؤمنين)، فأرسل إليه الرشيد جيشاً لمحاربته إلّا أنّه فشل في الإجهاز عليه وكسر شوكته إلى أن جاء المأمون العبّاسي فقتل أكثر الخوارج من البيهسية، ثمّ أرسل إلى حمزة رسالة ودعاه إلى نفسه، فلم يستجب له حمزة وخالف عليه، إلى زمان عبد الرحمن النيشابوري الذي حارب الحمزية فقتل منهم الآلاف وجُرِحَ زعيمهم حمزة في المعركة وفرَّ منها إلى أطراف القرى يبثّ سمومه وبدعه إلى أن مات فيها.

الخَلِفيَّة

أصحاب خلف الخارجي، الذي ضرب حمزة بن أدرك، وكان أوّل أمره منهم إلّا أنّه انفرد عنهم بالقضاء والقدر وأضاف إلى بدع الخوارج بدعاً أخرى وكانت أكثر عقائدهم من الأزارقة أو موافقة لهم.

الشعيبيّة

أصحاب شعيب بن محمّد الذي كان من العجاردة إلّا أنّه برئ منهم حين أظهروا القول بالقدر فانفرد عنهم بآراء خاصّة.

الميمونيّة

أصحاب ميمون بن خالد كان من جملة العجاردة، إلّا أنّه انفرد عنهم بإثبات القدر خيره وشرّه من العبد، وإثبات الفعل للعبد خلقاً وإبداعاً وله خرافات وبدع كثيرة منها أنّه أجاز نكاح بنات البنات وبنات أولاد الاخوة والأخوات وكان يقول للناس: إنّ الله تعالى حرّم البنات وبنات الاخوة والأخوات ولم يحرّم نكاح أولاد هؤلاء!! كما وأنكر بعض السور القرآنية مثل سورة يوسف!! وعلىٰ غرار هذه الأباطيل اجتمع حوله كلّ مريض في نفسه وقلبه.

الاطرافيّة

أصحاب غالب بن شاذان وهو من سجستان، وكان من تابعي حمزة بن ادرك في القول بالقدر إلّا أنّه عذر أصحاب الاطراف في ترك ما لم يعرفوه من الشريعة فعرفوا بالاطرافية وكانوا من أهل السنّة على غرار بقيّة الفرق المتقدّمة.

الحازمية

أصحاب حازم بن علي أو حازم بن عاصم، وكان أكثر عجاردة سجستان منهم، وأخذوا ـ الحازمية ـ بقول شعيب في أنّ الله تعالى خالق أعمال العباد أي أنّ الإنسان مجبور في أعماله وقالوا في باب القدر والاستطاعة ما قاله عامّة أهل السنّة، وفي ولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام توقّفوا وبنفس الوقت لم يصرّحوا بالبراءة منه ويصرّحون بالبراءة في حقّ غيره.

الثعالبة

أصحاب ثعلبة بن عامر(١)، كان مع عبد الكريم بن عجرد يداً واحدة إلى أن اختلفا في أمر الأطفال فقال ثعلبة: إنّ أطفال المسلمين تحت ولاية أوليائهم حتّى يكبروا فنرى منهم إنكاراً للحقّ، بينما قال عبد الكريم: تجب البراءة من الأطفال حتّى يكبروا ويدعى إلى الإسلام، وبهذا افترقوا عن العجاردة.

الرشيديّة

أصحاب رشيد الطوسي وأصلهم من الثعالبة ثمّ افترقوا عنهم.

الأخنسيّة

أصحاب أخنس بن قيس وكانوا من جملة الثعالبة وانفردوا عنهم بمسائل وهم عى أصول الخوارج في سائر المسائل.

الشيبانيّة

أصحاب شيبان بن سلمة الخارجي، كان في ابتداء أمره من الثعالبة ومن رؤساء الخوارج، وقد كان مع الثعالبة قد اتّحدوا مع أبي مسلم الخراساني داعية العبّاسيّين فأعانوه في قتاله ضدّ نصر بن سيّار وهو عامل بني أُميّة في خراسان، فلمّا تمّت الأمور لأبي مسلم الخراساني دعى الناس إلى بيعته ومن جملتهم دعى الشيباني إلى بيعته، فامتنع الأخير وقال: أنا أدعوك إلى بيعتي، فأرسل إليه أبو مسلم: إن لم تدخل في أمرنا فارتحل عن منزلك الذي أنت فيه، فسار شيبان

---

(١) وقال صاحب التبصير والفرق بين الفرق: إنّه ثعلبة بن مشكان /المؤلّف.

إلى سرخس واجتمع إليه جمعٌ كثير فبعث إليه أبو مسلم بسّام بن إبراهيم يأمره أن يسير إلى شيبان فيقاتله، ففعل فهزمه بسّام واتّبعه حتّى دخل المدينة فقُتل شيبان وعدّة من بكر بن وائل وكان ذلك عام ١٣٠هـ[١].

ومذهب شيبان هو مذهب المجبرة على غرار جهم بن صفوان الذي ينفي القدرة عن العبد، وبعدما قُتل شيبان قالت الثعالبة: لا تصحّ توبته لأنّه قتل الموافقين لنا في المذهب وأخذ أموالهم ولا تقبل توبة مَن قَتَلَ مسلماً وأخذ ماله، إلّا بأن يقتصّ من نفسه ويردّ الأموال أو يوهب له ذلك، ويُنقل عن زياد بن عبد الرحمن الشيباني وأتباعه أنّهم: تبرأوا من شيبان وكفّروه حين نصر أبا مسلم الخراساني.

المكرمية

أصحاب مكرم بن عبدالله العجلي كان من جملة الثعالبة وتفرّد عنهم بمسائل.

المعلوميّة والمجهوليّة

كانوا في الأصل حازمية، إلّا أنّ المعلومية قالت: من لم يعرف الله تعالىٰ بجميع أسمائه وصفاته فهو جاهل به وليس بمؤمن ومسائل أخرىٰ، وعلىٰ خلافهم تماماً كانت آراء المجهولية.

الأباضية

أصحاب عبدالله بن إباض الذي خرج في أيّام مروان بن محمّد المعروف

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص٣٢٣ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٨م.

بالحمار! فوجّه مروان إلى عبدالله بن إباض، عبدالله بن محمّد بن عطية فقاتله بتبالة وهي بلدة بأرض تهامة في الطريق إلى صنعاء فدارت بينهما حرباً قُتل فيها عبدالله بن إباض وحُزَّ رأسه وبُعث به إلى مروان الحمار كان ذلك عام ١٣٠هـ وكانت للاباضية بدعاً لا تختلف عن بدع زملائهم الخوارج.

الحفصية

أصحاب حفص بن أبي المقدام، وهم من الاباضية إلّا أنّهم انفردوا عنهم بعدّة مسائل عجيبة منها أنّ الشرك والإيمان خصلة واحدة!!

الحارثيّة

أصحاب الحارث بن مزيد الاباضي، خالف الاباضية في القدر والاستطاعة.

اليزيديّة

أصحاب يزيد بن أنيسة الخارجي كان من أهل البصرة ثمّ هاجر إلى تون[1] من بلاد فارس، وهو من الاباضية إلّا أنّه انفرد ببدع وخرافات عجيبة عنهم فادّعى أنّ الله سيبعث رسولاً من العجم وينزل عليه كتاباً ويكون على ملّة الصابئة!! وتولّى يزيد من شهد للنبيّ ﷺ من أهل الكتاب بالنبوّة وإن لم يدخل في دينه!!

الصفرية أو الزياديّة

أصحاب زياد بن الأصفر خالفوا الأزارقة والاباضية في عدّة أُمور.

---

(١) بالقرب من مدينة قائن.

المرجئة

مادّة (ر ج ء) بمعنى تأخير الأمر، أرجأ الأمر إرجاءً من باب إفعال يعني تأخير العمل[١].

وقد امتاز المرجئة عن الخوارج وعن الشيعة أيضاً وقدّموا خدمة عظيمة للأمويّين من خلال أفكارهم وعقائدهم الباطلة، وذلك لأنّ عقيدة الخوارج أنّ مرتكب الكبيرة كافر ومخلّد في النار، بينما ذهبت المرجئة إلى أنّ مرتكب الكبيرة ليس بكافر وإنّما هو فاسق وتأخير حكمه إلى يوم القيامة فلا يقضىٰ عليه بحكم في الدُّنيا من كونه من أهل الجنّة أو من أهل النار، وإرجائه إلى يوم الحساب.

والمرجئة على أربعة أصناف:

١ ـ مرجئة الخوارج ٢ ـ مرجئة القدرية ٣ ـ مرجئة الجبرية ٤ ـ مرجئة الخالصة.

اليونسيّة

أصحاب يونس بن عون النميري وهم من المرجئة إلّا أنّهم افترقوا عنهم بمسائل عديدة.

العبيديّة

أصحاب عبيد بن مهران المكتئب الكوفي، له عقائد فاسدة أشاعها في أوساط الجهلة والبسطاء من الناس مثل: أنّ الله تعالى ـ حسب قولهم ـ علىٰ

---

(١) راجع القاموس المحيط مادّة (ر ج ء) للفيروزآبادي.

صورة الإنسان انطلاقاً من الحديث: (إنّ الله خلق آدم على صورته) فيكون المعنى أنّ آدمعليه السلام والربّ سبحانه وتعالى مثلان تجمعهما صفات واحدة. وهذا كفر صريح لا يقرّ به العقل السليم أبداً.

الغسّانية

أصحاب غسّان الكوفي الذي كان من المرجئة في الكوفة ثمّ انفرد عنهم بمسائل ذكرها الشهرستاني.

الثوبانيّة

أصحاب أبي ثوبان المرجئي، ثمّ انفرد عن اليونسية والغسّانية بعدّة مسائل.

التومنية

أصحاب أبي معاذ التومني الذي انفرد بمسائل وعقائد خاصّة منها أنّه زعم أنّ الإيمان هو ما عصم من الكفر وهو اسم لخصال إذا تركها الإنسان كفر، وكذلك لو ترك خصلة واحدة منها!! وزعم أنّ كلّ معصية كبيرة أو صغيرة لم يجمع عليها المسلمون بأنّها كفر لا يقال لصاحبها فاسق ولكن يقال فَسَقَ وعصىٰ!!

الصالحيّة

أصحاب صالح بن عمر الصالحي، وهو من شيوخ المعتزلة جمع بين القدر والإرجاء وله عقائد ونظريات انفرد بها عن جماعته منها:

إنّ قول ثالث ثلاثة ليس بكفر لكنّه لا يظهر إلّا من كافر!! وزعم أنّ الصلاة ليست بعبادة الله تعالى وأنّه لا عبادة له إلّا الإيمان به وهو معرفته وهو خصلة

واحدة لا تزيد ولا تنقص.

وكان على عقيدته محمّد بن شبيب وأبو شمر وغيلان بن مروان وكلّهم من المرجئة.

توضيح عن كتب الملل والنحل

وينبغي أن أقول لكم: إنّ جميع ما تقدّم عن هذه الفرق إنّما ذكره أصحاب الملل والنحل من أهل السنّة وبشكل واسع ومفصّل، وكنتُ قد انطلقتُ معكم في اليوم الأوّل من المناظرات من كتاب الملل والنحل للشهرستاني يوم تحدّثنا ـ في المجلّد الأوّل ـ عن أسباب افتراق المسلمين الذي هو محور هذا الكتاب، وسوف أذكر لكم بعض كتب الملل والنحل من أهل السنّة والشيعة الذين تطرّقوا إلى ذكر هذه الفرق المارّة الذكر:

(فرق الشيعة) لأبي القاسم سعد بن عبدالله القمّي المتوفّي عام ٣٠٠هـ ويقال: إنّه لأبي محمّد حسن بن موسى النوبختي المتوفّي عام ٣٠٠هـ

(الفَرق بين الفِرق) لأبي منصور عبد القاهر البغدادي المتوفّي عام ٤٢٩هـ

(فرق المسلمين والمشركين) لفخر الدين الرازي المتوفّي عام ٦٠٦هـ

(الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم الأندلسي المتوفّي عام ٤٥٤هـ

(بيان الأديان) لأبي المعالي محمّد الحسيني العلوي، ألّفه عام ٦٨٥هـ

(تبصرة العوام في مقالات الأنام) لأبي تراب سيّد مرتضىٰ بن الداعي الحسيني الرازي[1].

---

(١) السيّد مرتضىٰ كان معاصراً لأبي محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي صاحب كتاب ←

(الأنوار النعمانية) للمحدّث السيّد نعمة الله الجزائري.

(المذاهب الإسلامية) لمحمّد أحمد أبو زهرة استاذ الشريعة الإسلامية بكلّية الحقوق في جامعة القاهرة.

وغيرهم من الأعلام الذين كتبوا في هذا المجال بطرق مختلفة حول تفرّق الأمّة الإسلامية.

سؤال: عفواً سيّدي: هل توجد اختلافات في المذهب الشيعي كالتي في المذهب السنّي؟ وإذا كانت فما هي؟ وما أسماء هذه الفرق؟

اختلافات باسم التشيّع

الجواب: أوّلاً: كما مرَّ عليكم أنّ الاختلافات ظهرت بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله مباشرة وقام كلّ شخص أو كلّ جماعة تدعو إلى نفسها بغية الحصول على المناصب العالية لرئاسة الأمّة الإسلامية باسم الدين، ولا يخفى أنّ بين هؤلاء من يدفعهم الشيطان إلى الانحراف ويغريهم بالإمارة والمال والجاه فكانوا يتنافسون لذلك تحت ذرائع متعدّدة وعقائد مختلفة، فمنهم من يطيع الشيطان في ذلك لعدم عصمته، بل الأكثر كانوا كذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1]، فكان أكثر الأمّة على هذا المستوى كما مرّت الإشارة إلى الفرق المنحرفة عن الحقّ، وكانت هذه سُنّة بقيّة الأمم المتقدّمة إذ كان الفسق والفجور والكفر والشرك هو الغالب عليها كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ

← إحياء العلوم وهو من أعلام أهل السنّة، والتقىٰ به في طريق مكّة ودارت بينهما مناظرات طويلة حول ولاية وإمامة أهل البيت عليهم السلام وقد قدّم السيّد مرتضى الأدلّة العقلية والنقلية التامّة للغزالي حول ذلك إلى أن خضع للحقّ وعرفه وترك مذهبه وتشيّع فكتب على أثر تشيّعه كتاب (سرّ العالمين) / المؤلف.

(١) سبأ: ١٣.

خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١).

حتّى انّنا عندما نستعرض حياة أصحاب الأنبياء نجد الانحراف قد وصل إليهم فكثير من الذين التفّوا حول الأنبياء عليهم السلام انحرفوا بمرور الزمن، أمثال الحواريّين، وقد قال لهم عيسىٰ في إحدى الليالي وهم مجتمعون حوله يأكلون معه الطعام: إنّ أحدكم يده مع يدي في ظرف واحد إلّا أنّه يسعىٰ ضدّنا لدى الأعداء، وفعلاً فقد قبض (يهودا الخريوطي الحواري) ثلاثين قطعة من الفضّة من اليهود ليدلّهم على مكان عيسىٰ بن مريم.

وهكذا الأمر بالنسبة لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أخبر القرآن عن ارتداد أكثرهم وقد تقدّم ذلك في المجلّد الأوّل.

وأوضح صورة لذلك حرب الجمل وصفّين، فقد ارتدّ طلحة والزبير مع أنّهما من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا أنّهما نكثا بيعتهما وخرجا مع عائشة لحرب الإمام الحقّ وأوجدا أكبر فتنة، وهكذا بالنسبة لمعاوية عليه الهاوية الذي انحرف عن الحقّ مع جماعة كثيرة منهم أبو هريرة وعبيدالله بن عمر بن الخطّاب وعمرو بن العاص وغيرهم من الذين خدعتهم الدُّنيا ببروقها فانزلقوا في مزالقها.

إذن فالانحراف في أوساط بعض أصحاب الأئمّة الهُداة أي الذين كانوا في عداد الشيعة أمرٌ لا يدعو إلى التعجّب بعدما عرفنا أنّ مثل هذا الانحراف موجود في أوساط صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله.

ثانياً: ثمّ إنّه لا يوجد أي اختلاف في المذهب الشيعي الذي أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ الشيعة بالمعنى الحقيقي هم الذين يعتقدون بإمامة الأئمّة الاثني عشر من آل الرسول صلى الله عليه وآله ولا يوجد في صميم هذه الطائفة أي اختلاف

---

(١) آل عمران: ١١٠.

وافتراق لا في الأصول ولا في الفروع.

ولكن في العصور الماضية كان يظهر إلى مسرح الحياة السياسية والعقائدية بعض الأفراد الذين يطلبون الدُّنيا من خلال الدين ويسعون إلى المناصب عبر العقائد فكان الدِّين أو العقيدة بالنسبة إلى هـؤلاء أداة جيّدة لتحقيق المآرب والمطامع الدنيوية، فتظاهر من هؤلاء بالتشيّع من تظاهر حتّى عُدَّ من الشيعة بينما حقيقتهم نفس حقيقة المنافقين الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فجمعوا قطاعات بشرية واسعة حولهم وجمعوا أموال طائلة لهم باسم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والحال أنّ عليّاً عليه السلام بريء من هؤلاء، والشيعة لا تقرّ لمثل هؤلاء المنحرفين بأنّهم منها.

بينما جاء المؤرِّخون الذين كتبوا عن الملل والنحل والفرق الإسلامية وأدرجوا أسماء بعض الفرق المنحرفة تحت اسم الشيعة إمّا سهواً وجهلاً منهم أو عمداً، مثل أبي منصور البغدادي والشهرستاني وابن حزم وغيرهم، ويتحتّم عَليَّ الآن أن أكشف لكم عن الحقّ وأُبيّن الحقيقة بشكل واضح، ولنا الحقّ الكامل في نقد بعض الأخطاء الموجودة في كتب الملل أو غيرها.

حقيقة عبدالله بن سبأ

قيل: إنّ أوّل من أوجد الغلوّ في أمير المؤمنين عليه السلام هو عبدالله بن سبأ اليهودي ومن خلاله ظهر الغلوّ في الشيعة، وهو أوّل من خدع الناس في هذا المجال والسبب هو أنّ بعض اليهود غالوا في وصيّ موسىٰ يوشع بن نون في الزمان السابق فكانت عقيدة الغلوّ تسري في أوساط اليهود إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وكان عبدالله بن سبأ معاصراً للنبيّ صلى الله عليه وآله فأوجد الغلوّ في الإمام عليّ عليه السلام متعمِّداً في ذلك أم ساهياً، ولاقت أفكار الغلوّ التي طرحها ابن سبأ رواجاً جيّداً عند البسطاء والقشريين من أهل الكوفة وبعض أهل افريقيا.

پولس اليهودي

وما ذكروه عن عبدالله بن سبأ اليهودي له حقيقة من الناحية السلوكية لا التأريخية، لأنّ اليهود لهم طريقان في الوصول إلى أهدافهم؛ الأوّل: هو الطريق الطبيعي والسلوك النظيف في تحقيق الأغراض ونيل الثمار ولكن لمّا يواجهون أو يُحاربون فإنّهم يعمدون إلى الطريقة الثانية وهي الحيلة والتزوير والكذب والنفاق، وهو السلوك المنحرف والملتوي الذي يصلون من خلاله إلى مآربهم، وهو ما حصل في زمان محاربة المسيحيّة لليهود، فلمّا رأى پولس اليهودي زعيم اليهود أنّهم ليسوا في مستوى الصراع والحرب عمد إلى الطريق الملتوي، فتظاهر يوماً بالإغماء وغيبوبة الوعي عنه وطالت حالته هذه ثلاثة أيّام وبعدها أفاق وزعم أنّ عيسى المسيح تجلّى فيه وأمره بالتمسّك بالمسيحيّة ولكن بعد تطهيرها من الانحرافات والخرافات، وبهذه الطريقة نفذ إلى صميم المسيحيّين وبثّ سمومه فيها بعنوان الإصلاح والتطهير وأدخل إسرائيليّاته وخرافاته إلى دين المسيح حتّى لم يبق اليوم من دين عيسى المسيح عليه السلام إلّا الاسم، وقد وجدت رسائل پولس اليهودي رواجاً فائقاً بين المسيحيّين الذين انخدعوا به وقد ذكرت تفصيل هذه الأمور في كتابي (مائة مقالة سلطانية) في ردّ التوراة والإنجيل الموجودين الآن وإثبات القرآن ككتاب سماوي.

وعلى غرار ما فعله پولس قديماً، فعله بعض اليهود في بدايات الإسلام في المدينة حيث دخلوا الإسلام بعدما عجزوا عن محاربته وكان هدفهم من ذلك هو إيجاد الأفكار اليهودية بلباس إسلامي ونشر الخرافات عن هذا الطريق، إلّا أنّ زعماء الدين الإسلامي وفي طليعتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ـ وحتّى أثناء خلافة الخلفاء الثلاثة ـ وقفوا بوجه هذا التيّار الخطير، ومن جملة هؤلاء اليهود هو عبدالله بن سبأ المغالي.

وعلى كلّ حال، فإنّ أهل الملل والنحل اعتمدوا على نقل الطبري في مصير هذا اليهودي، حيث ذكروا أنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أحرق أصحابه وأتباعه بالنار ونفىٰ عبدالله بن سبأ إلى المدائن!!

وأنا أعتقد أنّ هذه المعلومات التأريخية غير صحيحة، إذ كيف يتصرّف أمير المؤمنين عليه السلام وهو سيّد الحكماء بعد النبيّ صلى الله عليه وآله بهذا الشكل فكيف يحرق الأتباع ويدع صاحب الفتنة؟! فهذا ما لا يقبله العقل والشرع المقدّس لأنّ قتل عبدالله بن سبأ واجب مع عدم توبته، فكيف يأمر بقتل الأتباع مع أنّهم قد يكونون من المغرّر بهم، ويترك عبدالله بن سبأ؟!

إذن نحكم ونقطع بأنّ هذه الأقاويل مغرضة وكانت مقصودة ليتمّ بعد ذلك نسبة المذهب الشيعي إلى هذا الرجل اليهودي.

عقيدة الشيعة في عبدالله بن سبأ

ويعتقد الشيعة ـ أتباع أهل البيت عليهم السلام ـ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام استتاب عبدالله ابن سبأ فلم يتب من اعتقاداته ومغالاته فأمر بحبسه ثلاثة أيّام وكان خلالها يطلب منه التوبة والبراءة من الغلوّ، إلّا أنّ عبدالله بن سبأ كان يصرّ وفي نهاية الأمر أمر عليه السلام بحفر خندق وأحرقهم فيه مع زعيمهم ابن سبأ[1].

سؤال: من المعلوم أنّ تاريخ الطبري مصدر معتبر عند أهل العلم والتحقيق بينما فهمنا من كلامك المتقدّم عدم قبولك لما ذكره الطبري فنرجو توضيح ذلك؟

تعصّب أهل السنّة في نقل الأخبار

الجواب: إنّ بعض علماء أهل السنّة لهم حسن الظنّ بالمسلمين ولهذا

(١) ستمرّ عليك مصادر هذه الحادثة لاحقاً / المترجم.

كانوا يدوِّنون كلّ ما يسمعونه من أحداث وأخبار من المسلمين، بدون أن يرتّبوا أيّ أثر على ما يذكرونه، بينما يميل البعض الآخر إلى التعصّب وترتيب الآثار السلبية على بعض الأخبار ولا ينقلون إلّامن أشخاص معيّنين.

سؤال: ما هو دليلك على تعصّب هؤلاء؟

الجواب: الأدلّة كثيرة ولكن أدلّ دليل وأوضح برهان أنّ أهل السنّة في جميع كتبهم الحديثيّة والتأريخيّة يعتمدون في نقلهم للأخبار على الكذّابين والوضّاعين، بينما لا ينقلون شيئاً عن أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وهم معدن الحكمة وأصول العلم وأعدال القرآن، إلّا نادراً، وهذا النادر نلمس فيه الإهانة وتقليل القدر لهؤلاء العظام عليهم السلام، ثمّ يوردون ملاحظاتهم عن مرويّات أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله فيكتبون تحتها عبارة (ضعيف) (غير صحيح) (مجهول) بينما تكون الصحّة نصيب حديث الكذّابين والوضّاعين، ألا يكفي ذلك للحكم عليهم بالتعصّب؟!

سؤال: هل يوجد دليل على أنّ أهل السنّة والجماعة يروون عن الكذّابين والوضّاعين؟

الجواب: نعم، الأدلّة كثيرة، ويتمّ ذلك من خلال معرفة الرجال الرواة وهذا بدوره يتمّ من خلال مراجعة تراجم كتب الرجال أو تمحيص المرويّات، مثل كتاب ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب للذهبي واللئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطي وتذكرة الموضوعات وغيرها.

فمثلاً الحاكم النيشابوري يروي عن عمرو بن زياد وعمرو بن الحسن الراسبي وأحمد بن عبدالله بن يزيد الحراني وإسحاق بن بشر الكاهلي ونوح بن درّاج وعبّاس بن الوليد بن بكّار وفيض بن وثيق وآخرين.

وقد عدّهم الحافظ محمّد بن أحمد في تلخيص المستدرك من جملة الكذّابين والوضّاعين وقد ردّ أحاديثهم وأخبارهم، وعلى هذا الغرار توجد

نظائر كثيرة في كتب أهل السنّة، حتّىٰ ذكر العلماء الزهّاد من أهل السنّة أكثر من ألف راوي كذّاب ووضّاع، وضعوا الأحاديث المزيّفة تقرّباً للسلاطين من بني أُميّة وبني العبّاس وطمعاً في حطام الدُّنيا، وبعضهم وضع الأحاديث لدعم خلافة سلاطين الجور وتقوية جانبهم بهالة قدسية مزيّفة، وبعضهم وضع الحديث للتضخيم من مقام أئمّتهم فوضعوا أحاديث في أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والحسن البصري وغيرهم فقد كان الحديث أفضل وسيلة للإعلام فإنّه يكسب أكبر قطّاعات بشرية، وهكذا وضع البكريّون أحاديث في فضل أبي بكر حار أمامها علماء السنّة وصرّحوا بوضعها واختلافها ويمكن مراجعة كتب الجرح والتعديل لرؤية نماذج من هذه المجعولات.

ومن جملة الكذّابين الذي اشتهر بالوضع هو أبو هريرة الدوسي الذي ملأت أحاديثه كتب أهل السنّة وعدّوه من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله مع أنَّ الصحابي لو كذب مرّة واحدة لكفى ذلك لسقوط مرويّاته وعدم الاعتماد عليه.

سؤال أحد الحاضرين: وهل كان أبو هريرة الصحابي كذّاباً أيضاً؟

الجواب: نعم، هذا الموضوع من الوضوح على درجة، فقد اعترف به علماء السنّة أيضاً فضلاً عن الشيعة فمثلا قال ابن أبي الحديد المعتزلي «أبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضيّ الرواية، ضربه عمر بالدرّة وقال: قد أكثرت من الرواية أحرىٰ بك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

وذكر المتّقي الهندي أنّ عمر ضربه بالدرّة وزجره ومنعه من الحديث وقال له: أكثرت يا أبا هريرة وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وآله لتتركن الحديث أو لألحقك بأرض دوس أو بأرض القردة[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٦٧ ـ ٦٨ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢ ص ٤٣٣.

وأيضاً جاء في شرح نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال: «ألا أنّ أكذب الناس، أو قال أكذب الأحياء على رسول الله أبو هريرة الدوسي»[١].

وقالت عائشة يوماً لأبي هريرة: أكثرت يا أبا هريرة على رسول الله صلى الله عليه وآله[٢]، وقد أشار الحاكم النيشابوري في المستدرك والذهبي في تلخيصه وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ومسلم في صحيحه وآخرين إلى ذلك أيضاً.

إذن يتّضح لكم ما سألتم عنه، وهو أنّ أبا هريرة كان يلفّق الحديث ممّا دعىٰ عمر إلى ضربه مرّتين بدرّته.

سؤال أحد الحاضرين: لأي أمرٍ ضربه عمر مرّتين بدرّته؟

الجواب: المرّة الأولى في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله كما ذكره مسلم في صحيحه[٣].

والمرّة الثانية في زمان خلافته فإنّه ضربه حتّى أدماه، فقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي وابن الأثير في الكامل، أنّ عمر جعل أبا هريرة والياً على البحرين عام ٢١هـ ثمّ عزله عام ٢٣هـ بعدما جاءته الأخبار أنّ أبا هريرة جمع مالاً كثيراً واشترى خيلاً كثيرة، فأمر بإحضاره، فلمّا وصل عنده ومَثُل بين يديه قال له: يا عدوّ الله وعدوّ كتابه أَسَرقتَ مال الله؟ فقال أبو هريرة: بل عطايا الناس.

فقال عمر: هل علمت من حين أنّي استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين، ثمّ بلغني أنّك ابتعت أفراساً بألف دينار وستمائة دينار، قال: كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت، فقال عمر: قد حسبت لك رزقك ومؤونتك وهذا فضل فأده، قال: ليس لك ذلك، فقال له عمر: بلى والله وأوجع ظهرك ثمّ

---

(١) شرح نهج البلاغة ج٤ ص٦٨ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج٢ ص٤٣٥.

(٣) ج١٧، ص٩٣، ط دار الكتاب العربي، ١٩٨٧.

قام إليه بالدرّة فضربه حتّى أدماه..[١] ثمّ أمر عمر بأن يقبض منه عشرة آلاف وفي رواية اثنا عشر ألفاً[٢].

وأمّا شيوخ المعتزلة والحنفية فإنّهم يردّون الأحاديث التي ينتهي طريقها إلى أبي هريرة.

وجاء في شرح نهج البلاغة عن أبي يوسف أنّ أبا حنيفة قال: الصحابة كلّهم عدول ما عدا رجالاً ثمّ عدّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك[٣].

فطمع أبو هريرة في حطام الدُّنيا كان أمراً جليّاً غير خافٍ عن العلماء، فشايع بني أميّة لعنهم الله وأمدّهم بما يريدون من أحاديث مجعولة موضوعة دعماً لموقعهم السياسي.

أبو هريرة يضع الحديث بأمر معاوية

ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي عن شيخه أبي جعفر الاسكافي: أنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يُرَغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير[٤].

وهكذا كان يندفع أبو هريرة لذمّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام تارةً بدوافع سياسية أموية، وتارةً بدوافع خبث الطينة وانحراف الفطرة، فقد روى الأعمش قال: لمّا قدم أبو هريرة إلى العراق مع معاوية عام الجماعة، جاء إلى مسجد

---

(١) و (٢) ـ طبقات ابن سعد ج ٤ القسم ٢ ص ٥٩.

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٦٨ دار إحياء الكتب العربية.

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٦٣ دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٥.

الكوفة، فلمّا رأى كثرة مَن استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثمّ ضرب صلعته مراراً وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أنّي أكذب على الله وعلى رسوله، وأحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعتُ رسول اللهﷺ يقول: إنّ لكلّ نبي حرماً وإنّ حرمي بالمدينة، ما بين عسير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وأشهد بالله أنّ علياً أحدث فيها، فلمّا بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولّاه إمارة المدينة[1].

وروىٰ سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم عن عمر بن عبد الغفّار، أنّ أبا هريرة لمّا قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس إليه، فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه، فقال: يا أبا هريرة، أنشدك الله أسمعت رسول اللهﷺ يقول لعليّ بن أبي طالب: «اللّهمَّ والِ من والاه وعادِ من عاداه»؟ فقال: اللّهمَّ نعم، قال: فاشهد بالله، لقد واليتَ عدوّه وعاديت وليّه!![2]

ومَن أراد التفصيل عن فضائح وفجائع أبي هريرة ومخازيه فليراجع كتاب العلّامة المجاهد الحاج السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي أعلى الله مقامه[3] فقد كشف الحقيقة فيه عن أبي هريرة ومن مصادر أهل السنّة.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص٦٧ دار إحياء الكتب العربية.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص٦٨ دار إحياء الكتب العربية.

(٣) اسم كتابه (أبو هريرة) وعلىٰ غراره (أبو هريرة) لمحمود أبو رية وهو من العلماء المعاصرين المنصفين لأهل السنّة.

ولا بأس أن نذكر بعض ما ذكره أهل السنّة عن أبي هريرة: فقد ذكر ابن أبي الحديد: وروت الرواة أنّ أبا هريرة كان يؤاكل الصبيان في الطريق ويلعب معهم!! / شرح النهج ج ٤ ص٦٩.

←

أهل السنّة ينقلون الأحاديث عن الضعاف والمتروكين

وأيضاً ينقل أهل السنّة روايات الضعفاء والمتروكين مضافاً لروايتهم عن الكذّابين كما مرّ عليكم في أبي هريرة، فمن جملة الضعفاء الذين ذكرهم علماء الجرح والتعديل من أهل السنّة هو سيف بن عمر التميمي البرجمي الكوفي، وهو مؤلّف كتاب (الفتوح) و(الردّة)، وله أيضاً كتاب (الجمل ومسير عائشة وعليّ)[1].

فقد ذكر شمس الدين الذهبي في الميزان وتهذيب التهذيب وابن النديم في الفهرست القول عن جماعة كابن معين وأبي حاتم وأبي داود والنسائي والدارقطني وابن عدي وابن حيان وعبّاس بن يحيىٰ وغيرهم قالوا عنه: ضعيف الحديث وأنّه ليس بشيء يروي الموضوعات عن الاثبات، وقالوا: إنّه كان يضع الحديث، واتّهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط...[2].

وأيضاً وضع الحديث ونسبه إلى الثقات، وعليه فروايته ساقطة عند علماء الرجال وأهل التحقيق.

← وقد روى البخاري عن أبي هريرة هذا الحديث: «لقد رأيتني وإنّي لأخر ـ أي يتغوّط ـ فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشيّاً عليَّ فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أنّي مجنون وما بي من جنون ما بي إلّا الجوع»!! /أُنظر فتح الباري ج١٣ ص٢٥٩ /المترجم.

(١) الفهرست لابن النديم: ص١٠٦.

(٢) ميزان الاعتدال ٣ ص٣٥٣ رقم ٣٦٤٢ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥، وفيه: قال ابن عدي: عامّة حديثه منكر.

تهذيب التهذيب ج٤ ص٢٦٨ رقم ٢٨١٩ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤.

ومضافاً إلى وضعه الحديث وزندقته فقد صرّح في الإصابة والاستيعاب واللئالي المصنوعة أنّ سيف بن عمر ضعيف متروك الحال[1].

ومع هذه الشهادات الصريحة والبيانات الواضحة في ضعف الرجل وعدّه من الوضّاعين إلّا أنّ مؤرِّخي أهل السنّة ينقلون عنه الكثير من الروايات، فقد نقل عنه الطبري وابن كثير وابن الأثير وغيرهم أخباراً كثيرة وتلقّوا أخباره بالقبول والرِّضا، لاسيّما أكاذيبه ومزاعمه في عبدالله بن سبأ اليهودي ونسبة المذهب الشيعي إلى هذا الرجل، فقد نقل روايته في ابن سبأ كلّاً من ابن الأثير وأبي الفداء وابن كثير وغيرهم نقلاً عن تاريخ الطبري، وأقاموا الدُّنيا ولم يقعدوها حول هذا الموضوع الكاذب.

والآن عليكم أن تحكموا بإنصافكم على نهج علماء أهل السنّة الذين يتقبّلون روايات الوضّاع والجُعّال والكذّابين.

سؤال أحد الحاضرين: على ماذا يعتمد علماء الشيعة في قبولهم للأحاديث والروايات؟

الجواب: يعتمد الفطاحل من علماء الشيعة على الرواة الصادقين الموثّقين، فإنّهم يدقّقون في سلسلة الرواية بكاملها ويلاحظون حال رواتها إلى أن يحصل لديهم اليقين بوثاقتهم، فعند ذاك تُقبل الرواية، فالعدالة والوثاقة والصدق والإيمان من أهم صفات الراوي عندنا حتّى فيما يتّصل بالصحابة، فالمهمّ نقاء السيرة وطهارتها وإيمان الصحابي ووثاقته وعدالته.

ولا أريد هنا أن أخوض معكم حول علم الرجال أو الدراية، بل أُجيب على

---

(١) الإصابة ج٣، ص٢٧٣، ط، دار الجيل.
الاستيعاب ج٢، ص٢٤٩، ط دار الكتب العلمية.
اللئالي المصنوعة ج٢، ص ٢٥٠، دار الكتب العلمية.

قدر سؤالكم، فمثلاً حتّى الروايات التي تنتهي إلى الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام فإنّ علماء الشيعة يلاحظون أسانيد هذه الروايات بمنتهى الدقّة ومن ثمّ تُقبل الرواية إذا كان رجالها ثقاة عدول.

وأمّا عن عبدالله بن سبأ اليهودي الكافر المغالي، فقد أوضحت روايات الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ـ وهي على خلاف روايات أهل السنّة ـ أمره إذ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر بإحراقه بالنار مع سبعين شخصاً ممّن تابعه في زندقته ومغالاته.

سؤال أحد الحاضرين: كيف يمكن أن يخطأ علماء أهل السنّة الكبار حول هذا الموضوع؟ هلّا قدّمتَ دليلاً يمكن قبوله عن هذا الأمر مع جزيل الشكر؟

أخطاء علماء أهل السنّة ـ عمداً أو سهواً ـ في نقل الأخبار

الجواب: أوّلاً: أنّ علمائكم ليسوا بمعصومين وبالتالي فالخطأ والاشتباه في حقّهم جائز، غاية ما في الأمر قد يكون هذا الخطأ عمدي أو سهوي، فالمتعمّد منهم يدفعه الحقد والتعصّب وغير المتعمّد منهم يدفعه التساهل في قبول الأخبار وحسن الظنّ بكلّ راوي، فضلاً عن أهل الافتراءات والأكاذيب الذين يصطنعون الأخبار الكاذبة للنيل من الشيعة، وهذا أمرٌ لا يمكن إنكاره تبعاً لأسلافهم، فأوّل الأكاذيب والبدع والافتراءات أنّهم أشاعوا على طائفة كبيرة من المسلمين ومن أتباع رسول الله وأهل بيته الأطهار والمتمسّكين بسيرته وسنّته، أنّهم (روافض) دفعهم بنو أميّة إلى أمثال هذه الافتراءات، وهكذا استمرّ علماء أهل السنّة خلفاً عن سلف يستخدمون هذا الاسم (الروافض) في كتبهم أكثر من ألف عام مع اللعن والشتم والسب لإخوانهم الشيعة الذين اتّبعوا أهل بيت

النبيّ صلى الله عليه وآله، وقد تصدّى الفخر الرازي وهو من أكابر علماء أهل السنّة لهذا الأمر، فكلّما ذكر الشيعة في كتبه فإنّه يوصمهم بهذا الاسم ثمّ ينزل سيلاً من اللعن والشتم، فإنّكم تلاحظون هذا في تفسيره الكبير بكلّ وضوح، لاسيّما عند نزول آية إكمال الدين وغيرها، فإنّه يقول: وأمّا الرافضة لعنهم الله، هؤلاء الرفضة لعنهم الله، أمّا قول الروافض لعنهم الله!![1].

افتراءات وأكاذيب واتهامات أهل السنّة على الشيعة

بينما مال المتعصّبون من علماء أهل السنّة إلى التفنّن في ذكر أنواع وأقسام من التهم الموجّهة إلى الشيعة ـ مذهب أهل البيت عليهم السلام ـ

فقد ذكر شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه المالكي الأندلسي المتوفي عام ٣٢٨ هـ في العقد الفريد ـ بعد أن ذكر الأقوال في باب الروافض وأنّهم سمّوا بذلك لرفضهم خلافة أبي بكر وعمر وأنّهم يفضّلون عليّاً عليه السلام على عثمان ـ قال: أحذّرك الأهواء المضلّة، شرّها الرافضة، فإنّها يهود هذه الأمّة يبغضون الإسلام، كما يبغض اليهود النصرانية، ولم يدخلوا في الإسلام رغبةً ورهبةً من الله، ولكن مقتاً بأهل الإسلام وبغياً عليهم[2].

ثمّ شرع في ذكر الاتهامات على الشيعة والافتراءات التي لايجدها أي إنسان في أي كتاب شيعي.

ونظير هذا عبد القاهر البغدادي المتوفّي عام ٤٢٩هـ صاحب كتاب الملل والنحل، وكذا ابن حزم الأندلسي المتوفي عام ٤٥٦هـ في الفصل في الملل

(١) مفاتيح الغيب ج ١١، ص٣١٦، ط. الثالثة (مصر).

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٤١١ دار الكتاب العربي.

والأهواء والنحل، ومثله الشهرستاني المتوفّي عام ٥٤٨ في الملل والنحل وآخرين غيرهم ممّن ينقلون الأخبار والأكاذيب بلا تحقيق وتدقيق فيُصعب عدّهم ضمن قائمة العلماء، لأنّ العلماء يعتمدون على الدليل والإنصاف والتحقيق والمتابعة والتثبّت في نقل أيّ شيء، بينما أضاف هؤلاء كلاماً مكذوباً ونسبوه إلى الشيعة، وسوف أُشير إلى بطلانه لاحقاً فمثلاً أضافوا بعض أسماء الفرق كالهشامية والمفضليّة والزرارية واليونسيّة والمختاريّة وغيرها، على أساس أنّ هذه فرق شيعيّة وكلّ واحدة منها تنتهي إلى أحد أصحاب الأئمّة عليهم السلام، والحال أنّ هذه الفرق لا وجود لها أبداً، إلّا أنّهم اعتادوا الكذب والفرية علينا، فمثلاً قال ابن حزم: الروافض ليسوا مسلمين وإنّما ظهروا بعد ٢٥ سنة بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله على أثر دعوة عبدالله بن سبأ اليهودي وهم كاليهود والنصارى في الكذب، واشتهروا بالكذب والكفر[١].

ويقول عبد القاهر البغدادي في الفصل الأوّل من الباب الرابع من كتابه الفرق بين الفرق، بعد نقله للخرافات والأكاذيب: عبدالله بن السوداء وابن سبأ كانا على عقيدة واحدة وقد أُبعدا إلى المدائن[٢]، وهذان خبران يدعوان إلى الضحك نقلهما ابن حزم وعبد القاهر بلا تثبّت، لأنّ عبدالله بن السوداء وابن سبأ هي شخصية واحدة، لأنّ السوداء لقب أُطلق على أُمّه وسبأ اسم أبيه، فتارةً يُنسب إلى أُمّه وتارةً إلى أبيه، بينما صرّح عبد القاهر أنّهما اثنان... أفلا يدعو ذلك إلى الضحك؟ أفلا يدلّ ذلك على عدم التحقيق والتثبّت؟ هذا وقد صرّح الطبري في تاريخه والمقريزي في الخطط ضمن المجلّد الثاني وبقيّة كتب التاريخ

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٢، ص٧٨، ط مكتبة المثنى بغداد، سنة ١٣٢١هـ.

(٢) الفرق بين الفرق: ص٢٢٥، ط دار الآفاق، بيروت، ١٩٧٣م.

وحتى أحمد أمين المصري في فجر الإسلام كلّهم اتّفقوا على أنّ السوداء لقب أُمّه، وقد لقّب به عبدالله بن سبأ.

فيظهر لكم الخطأ (العمدي أو السهوي) الذي وقع فيه بعض العلماء كابن حزم وغيره بحيث صيّرا الواحد اثنين!! وفضلاً عن كلّ ذلك فإنّكم تجدون في كتابه الكثير من الأخطاء والأكاذيب والخرافات التي دوّنها بدافع التعصّب والحقد، فمثلاً عندما يذكر العقائد الباطلة للمجسّمة والمشبّهة لعنهم الله نراه ينسب هذه الأباطيل إلى الشيعة!! وأيضاً يذكر جملة من كبار المؤمنين أمثال هشام بن الحكم وهشام بن سالم ومؤمن الطاق والمفضّل بن عمر وزرارة بن أعين ويونس بن عبد الرحمن وغيرهم من أصحاب أئمّة أهل البيت عليهم السلام ويعدّهم من الفسقة والمقدوحين في عقائدهم وايمانهم!! وسوف نجيب عن كلّ ذلك في المكان المناسب إن شاء الله.

ثمّ إنّ الإنسان عندما يلاحظ ويكتشف مثل هذه الأكاذيب الظاهرة في مثل هذه الكتب فإنّ الكتاب والمؤلّف يسقطان عن نظر الاعتبار ولا يُعتنىٰ كثيراً ببقيّة مطالب هذه الكتب بغضّ النظر عن نوع هذه الأخطاء والأكاذيب هل هي بدافع الجهل وقلّة الباع؟ أم بدافع العمد والتعصّب؟

وللردّ على هذه الأكاذيب مجال واسع يسع لتصنيف كتاب مستقلّ إلّا إنّنا سنجيب بما يتناسب مع حجم هذا الكتاب كما قلنا إن شاء الله تعالى.

خبر كاذب من الشهرستاني حول قبر الإمام الهادي عليه السلام

من المطالب المضحكة والمدعاة للتعجّب من هذا المؤرِّخ ما ذكره في كتابه الملل والنحل حول قبر الإمام الهادي (عليّ بن محمّد) إذ قال: الإمام عليّ الرِّضا ومشهده بطوس ثمّ بعده محمّد التقي الجواد أيضاً وهو في مقابر قريش ببغداد

ثمّ بعده: عليّ بن محمّد التقي ومشهده بقم!![1].

فيظهر من خطأه هذا أنّه لم يكن لديه أدنىٰ تحصيل حول القضايا التأريخية فضلاً عن خوضه في المطالب العقائدية والعلمية الدقيقة!

لقد عاش الشهرستاني في مناطق نائية عن مراكز العلم ولم يكلّف نفسه عناء السفر لتحصيل العلم ورؤية الحقائق عن كثب بل اكتفى بكتب أسلافه أصحاب المشارب الأموية والناصبية من أهل السنّة أمثال عبد القاهر البغدادي وغيره وصاغ كتاباته من كتب هؤلاء دون أن يميّز أو يعرف الخطأ منها فكان ما أتىٰ به حذو النعل بالنعل واكتفى بالظنّ دون اليقين وبالسماع دون الاطلاع، بدليل أنّ قبر الإمام عليّ بن محمّد النقيّ عليه السلام في مدينة سامراء في العراق علىٰ ضفاف نهر دجلة وأمره كالشمس في رابعة النهار لا يشكّ فيه أحد.

فقد كتب المؤرّخون أنّ الإمام عليه السلام دفن في محلّ سكناه فقد كان هذا المكان منزل الإمام وبالتدريج تحوّل إلى قبر كبير له صحن وأروقة وإلى جانبه دفن ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام والسيّدة حكيمة ابنة الإمام الجواد عليه السلام وجنبها قبر السيّدة الماجدة نرجس والدة الإمام الحجّة (عجّل الله فرجه) أرواحنا له الفداء، وقد بنيت في مطلع القرن الرابع عشر الهجري قبّته الذهبية الكبيرة الزاهية حتّىٰ يستطيع أن يراها من كان على شاكلة الشهرستاني.

وأمّا مدينة قم المقدّسة فهي في إيران تبعد عن العاصمة طهران ١٣٠ كيلومتر وليس فيها قبر الإمام الهادي عليه السلام كما زعم الشهرستاني بل فيها قبر السيّدة فاطمة المعصومة ابنة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام.

فعندما يكتشف الإنسان مثل هذه الأخطاء ـ وهي من الأمور الواضحة ـ عندئذ لا يبقى للكتاب أدنى اعتبار في نظره لأنّه لا يطمئن ببقيّة موارده ومطالبه.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ الفصل ٦ ص ١٦٩ في كلامه عن الاثنى عشرية.

خرافات وأكاذيب واتّهامات ابن تيمية الحراني

ومن جملة العلماء المتعصّبين من أهل السنّة أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني الحنبلي، وهو صاحب عقائد فاسدة وفتاوىٰ عجيبة حتّىٰ حكم عليه فقهاء أهل السنّة بالضلال وأنّه فاسد العقيدة إلى أوائل القرن الثامن الهجري، وعلى إثر ضلالاته سُجن بأمر والي مصر إلى سنة ٧٢٨هـ حتّى مات في سجنه، وقد صنّف هذا الرجل العديد من الكتب الحاوية على المفاسد الأخلاقية والعقائدية ومن جملة كتبه كتاب منهاج السنّة النبويّة كتبه ردّاً على كتاب منهاج الكرامة للعلّامة الحلّي‏ؒ وهو من أكابر علماء الشيعة في أواخر القرن السادس الهجري، ويُعدّ منهاج السنّة من أكبر الوثائق والأدلّة الواضحة على ضلالة ابن تيمية وسخافة عقله ومحاربته ونصبه لأهل بيت النبوّة‏عليهم‌السلام لأنّه ينكر الكثير من فضائلهم الثابتة في كتابه هذا، فضلاً عن الخرافات والأكاذيب والافتراءات التي يتّهم بها أهل البيت وشيعتهم، وإذا أردنا أن نردّ على كلّ واحدة من اتّهاماته فإنّا سنصل إلى مجلّدات ولكن تكفي الإشارة إلى واحدة منها:

لقد ذكر في المجلّد الثاني من منهاجه، قال: «ومن حماقاتهم: أنّهم يجعلون للمنتظر عدّة مشاهد ينتظرونه فيها كالسرداب الذي بسامراء الذي يزعمون أنّه غائب فيه ومشاهد أُخر وقد يُقيمون هناك دابّة إمّا بغلة وإمّا فرساً وإمّا غير ذلك ليركبها إذا خرج ويُقيمون هناك إمّا في طرفي النهار وإمّا في أوقات أُخر مَن يُنادي عليه بالخروج يا مولانا اخرج، ويشهرون السلاح ولا أحد هناك يقاتلهم وفيهم مَن يقوم في أوقات دائماً لا يُصلّي خشيةً أنْ يخرج وهو في الصلاة فيشتغل بها عن خروجه وخدمته»[1].

---

(١) راجع منهاج السنّة لابن تيمية ج١، ص١٠، ط مصر عام ١٣٢١ هـ.

وأحمق مِنْ ابن تيمية مَنْ يصدّقه ويأخذ بكلامه هذا ويؤسّس عليه ويطمئنّ به بلا تفحّص ولا سؤال، وممّا يدلّ على كذب هذا الرجل وتعمّده الافتراءات أنّ سكّان مدينة سامراء أكثرهم من أهل السُنّة بل حتّىٰ مفاتيح الروضة الطاهرة كانت بيد علماء أهل السنّة، ولم نسمع منهم يوماً مثل هذا الادّعاء والافتراء مع زيارة الشيعة للسرداب وغيره على مرأى ومسمع منهم، وممّا يفضح أكاذيب ابن تيميّة أنّ الشيعة والسنّة منذ حوالي ألف عام صنّفوا الكتب حول الإمام المهدي عليه السلام وصفاته وعلامات ظهوره وما إلى ذلك ولم يذكر ولا واحد من المسلمين أنّ المهدي عليه السلام سيظهر من سرداب سامراء.

توضيح حول سرداب سامراء

غاية ما يمكن قوله عن السرداب أنّه مكان عبادة ثلاثة من الأئمّة ـ الهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام[(١)] ـ ولمّا داهمت جلاوزة بني العبّاس منزل الإمام عليه السلام للقبض أو القضاء عليه غاب واختفىٰ من السرداب بقدرة الله تعالىٰ فعُرف فيما بعد بـ(سرداب الغيبة) ولم يدّع أحد من علماء الشيعة أنّ الإمام اختبأ في السرداب منذ ذلك الوقت وأنّه سيظهر منه ممّا يدعوهم ـ كما زعم ابن تيميّة ـ للوقوف على بابه ومناداة الإمام عليه السلام.

بل الموجود في كتب علمائنا من الأخبار المرويّة عن رسول الله والأئمّة الأطهار عليهم السلام قبل ميلاد الإمام المهدي عليه السلام أنّه سيظهر من مكّة المعظّمة لا من سامراء وهذه عقيدة الشيعة اليوم.

وأمّا زيارة الشيعة لسرداب الغيبة فهو من باب التبرّك لكونه مكان عبادة

---

(١) وسبب عبادتهم عليهم السلام في السرداب لكونه أبرد من سطح الأرض وقد اعتاد الناس في العراق على النزول في السراديب أيّام الصيف الحارّ للنوم والعبادة / المترجم.

بعض الأئمّة من أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله والتقرّب إلى الله بذلك وفي ذلك السرداب يقرأ الزائر بعض الأدعية طالباً من الله تعجيل الفرج للإمام المهدي عليه السلام.

نعم توجد حفرة في آخر هذا السرداب كان السدنة ـ وهم من أهل السُنّة ـ قد عملوها يخرجون منها التراب ويبيعونه إلى عوامّ الشيعة بعنوان التبرّك واستمرّوا على ذلك إلى عام ١٣٣٦هـ عندما هُزمت الامبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى وخرجت من العراق ضعفت شوكة ـ أهل السنّة ـ فتدخّل المرحوم والدي وطلب من الحكومة في سامراء أن تتدخّل في موضوع حفرة السرداب التي ازداد عمقها يوماً بعد يوم وأخبرهم أنّ هذا العمل بدعة اخترعها سدنة الحرم من أهل السُنّة لخداع البسطاء من العوامّ، وفعلاً فقد أمرت الحكومة بردم الحفرة بالاسمنت وكنتُ حاضراً آنذاك ومع ذلك فقد عمل هؤلاء السدنة على حفر مقدار صغير من الأرض بمقدار اصبعين وكانوا يأتون بالتراب من خارج السرداب ويضعونه في هذا الموقع موهمين للبسطاء أنّه تراب السرداب فعادوا لما نُهوا عنه أوّلاً، فكتب علماء الشيعة في كتبهم عن سلبية هذه الظاهرة وأنّها بدعة ابتدعها السدنة طمعاً في المال، وأنا بدوري كنتُ كلّما تشرّفت بالزيارة أنصح بعض الزائرين كالإيرانيّين والهنود من هذه البدعة وأقول لهم: بأنّ هذه الحفرة والتراب كلّه كذب ودجل اخترعه سدنة أهل السنّة لأخذ أموالكم، وأمّا الإمام المهدي عليه السلام فهو ليس هنا وأحياناً كنت آخذ منهم التراب وأرميه في الأرض.

وأكبر الأدلّة على ابتداعهم لهذه الحفرة: أنّ كتب الزيارة المتعارفة عند الشيعة منذ ألف عام وإلى هذا اليوم لم تتعرّض إلى ذكر الحفرة أو التراب في أعمال وأذكار سرداب الغيبة.

وإنّي لأعجب من أمر ابن تيميّة الذي أطلق على نفسه لقب شيخ الإسلام وهو يجهل هذه الأمور، بل يتّهم ويفتري على الشيعة.

فمن جملة مفترياته أيضاً أنّه ذكر في المجلّد الأوّل من منهاجه: إنّ الشيعة لديهم كلاب في بيوتهم يطلقون عليها اسم أبي بكر وعمر ويلعنونها[١].

وفي الواقع أنا أخجل من نقل هذه المزاعم والأكاذيب ولا أدري لماذا لا يخاف هذا الشيخ من الله ورسوله صلى الله عليه وآله؟ ويحاول بهذه الافتراءات أن يوجد الشقاق والافتراق بين المسلمين ويولّد الحقد والبغضاء بينهم، ومن الأدلّة على بطلان هذا الكلام وأنّه مجموعة أكاذيب اخترعها ابن تيميّة، إنّك لو سافرت إلى أيّ بلد شيعي وأيّ قرية يسكنها الشيعة لما وجدت هذا الوصف الذي ذكره ابن تيميّة بل حتّىٰ في أقاصي القرى والبلدان، ونسأل الله تعالى أن يجازي شيخ الإسلام على أكاذيبه هذه بما هو أهله بعد أن أضلّ الناس بكلماته وافتراءاته وصارت سبباً للخلاف والشقاق والانحراف عن الحقّ.

ومن جملة أكاذيبه أيضاً ما ذكره في المجلّد الثاني من منهاجه:

إنّ الشيعة يعبدون يزدان وإنّهم يرتكبون جميع المحرّمات والفواحش ويرونها حلالاً!!

ولا يكتفي بذلك بل تراه يردّ جميع فضائل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والعترة الطاهرة المتواترة عند الفريقين والمرويّة عن طريق أكابر العلماء، ينكرها ويردّها بكلّ وقاحة ودون أيّ رعاية للإيمان والعلم بحيث لو أردنا أن نجيبه ونردّ عليه أباطيله لاتسع بنا المجال إلى مجلّدات ضخمة، ولكنّي أكتفي بما ذكرته ليتّضح لكم الموقف العدائي الذي يتّخذه بعض علماء أهل السنّة ضدّ الشيعة بحيث يصل بهم الأمر إلى الافتراء والتلفيق والاتّهام والتشنيع، ولذا نحن لا نعجب كثيراً من هؤلاء المتعسّفين أمثال ابن حجر وروزبهان وابن تيميّة ومؤلّفي الملل والنحل وغيرهم، لأنّهم كانوا في سباق دائم في إشاعة الفُرقة وبثّ

(١) منهاج السُنّة النبويّة ج١، ص١٠ و ١١،ط مصر عام ١٣٢١هـ.

الإشاعات الرخيصة والاتّهامات الباطلة في العصور الماضية، ولكنّا نتعجّب من بعض علماء هذا العصر الذين يزعمون التجدّد والتمدّن من علماء مصر وسوريا، فبعد مرور ألف عام أو أكثر على أكاذيب أولئك الأمويّين في مشاربهم وعقائدهم جاء من يدّعي التجدّد ليحمل تلك الأكاذيب والاتّهامات ويصوغها بلغة العصر الجديد ويدسّها في الكتب أمثال أحمد أمين المصري وموسىٰ جار الله ومحمّد ثابت وعبدالله القصيمي وغيرهم فقد ذكروا في كتبهم (فجر الإسلام) و(المهدي والمهدوية) و(الوشيعة في نقد عقائد الشيعة) و(الجولة في ربوع الشرق الأدنىٰ) و(الصراع بين الإسلام والوثنية)، ذكروا ما سطّره أسلافهم من أباطيل واتّهامات ضدّ الشيعة دون أدنىٰ تفحّص وتحقيق وتدقيق، مع أنّ العصر الذي نعيش فيه عصر العلم وتقارب الأفكار وسهولة الاتصال فيما بيننا أو الحصول على المصادر الشيعيّة، فإنّ المنصف من العلماء إذا أراد أن يكتب عن عقائد أو تأريخ فرقة من الفرق عليه أن يطالع كتب تلك الفرقة لا أنّه يعتمد على ما كتبه أعدائهم، بل يُعدّ ذلك تعسّفاً وظلماً في القرار للتأريخ والأجيال.

فأنا شخصيّاً يوجد في مكتبتي الشخصية أكثر من (٥٠٠) مجلّد من تفاسير وكتب الحديث والفقه والعقائد وعلم الرجال والدراية والتاريخ و... من مؤلّفات علماء أهل السنّة وكذلك من كتب اليهود والنصارى والمجوس والهنود والبوذيين والطبيعيّين وغيرهم، مضافاً إلى الكتب الشيعيّة وقد طالعتها كلّها بدقّة حتّى اخترت المذهب الحقّ وهكذا أطالعها عندما أفكّر أن أرد على بعض المطالب فيها أو انتقد الباطل منها، وهذا الاتجاه هو الذي يرتضيه العقل والإنصاف، إذ ليس من الصحيح أن يعتمد العالم على غير كتب ومصادر الفرقة التي يريد أن يكتب عنها، بل ومن الخطأ أن يركن إلى ما كتبه أصحابه وأهل مسلكه عنها.

ردّ مفتريات محمّد رشيد رضا في كتابه السنّة والشيعة

وأكثر ما يثير دهشتي وتعجّبي هو انسياق محمّد رشيد صاحب تفسير ومجلّة المنار وهو عالم فاهم وراء التقليد الأعمىٰ واستغراقه في نهج أسلافه الذين أثاروا التفرقة بأقلامهم وروّجوا الأباطيل ورخّصوا لأهل الفتن أن يطعنوا في المذهب الشيعي بلا دليل وبرهان، وقد ساير محمّد رشيد أسلافه في هذا الاتجاه الجاهلي، ولقد نقلوا لي بعض كلماته إلّا أنّني كنتُ أستبعد ذلك من هذا الرجل الذي جعل من نفسه مفسِّراً للقرآن الكريم حتّىٰ وقع بين يدي كتابه (السنّة والشيعة) وهو ردّ على سيّد الفقهاء والمجتهدين مفخرة الشيعة آية الله العظمى المرحوم السيّد محسن أمين العاملي‌ؒ وانتابتني الدهشة وأنا أقرأ كلماته النابية وألفاظهُ الحادّة واسلوبه الوقح واتّهاماته الرخيصة وتعدّيه الصارخ كأنّه ليس من العلماء، بل من الأفراد العاديّين وكأنّه لم يطالع كتب الشيعة الإمامية الاثنىٰ عشرية.

فقد ملئ كتابه بالأكاذيب والافتراءات التي ابتكرها أسلافه كما أشرنا سابقاً واكتفىٰ محمّد رشيد بالركون إليها دون أن يطالع الحقيقة في كتب الشيعة.

فإن كان لا يعلم فتلك مصيبة عظيمة أن يكرّر أخطاء وأكاذيب لا يدري صحّتها من سقمها، وإن كان يعلم بكذبها فالمصيبة أعظم كما يقول الشاعر:

فإن كان لا يدري فتلك مصيبة   وإن كان يدري فالمصيبة أعظم

فقد ذكر في كتابه أنّ الشيعة (وهم أتباع مذهب أهل بيت النبيّ ﷺ) يهود لأنّهم أتباع عبدالله بن سبأ!! وأنّهم مغالون لاعتقادهم بربوبية أئمّتهم ـ معاذ الله ـ وأنّهم يعتقدون بتحريف القرآن... الخ.

وكان عليه أن يطالع أو يلاحظ ما كتبه علماؤنا الأعلام قبل ألف عام أمثال

الشيخ الكليني والشيخ المفيد والشيخ الطوسي والسيّد المرتضى والشيخ الصدوق والعلّامة الحلّي والعلّامة المجلسي وإلى هذا العصر في تفاسيرهم أو كتبهم العقائدية أو حتّى كتبهم المتفرّقة بأنّهم يعدّون الغُلات من الكفّار، ولم يدّع أيّ أحد من علماء الشيعة الإمامية الاثنى عشرية بربوبية الأئمّة، فما له لم يطالع كتبنا؟ ألم يلاحظ الرسائل العملية إلى هذا العصر. إنّ فقهاؤنا يعتبرون الغلات من الكفّار والنجاسات؟!

أين هو عن هذا الكمّ الهائل من مصنّفات الشيعة الإمامية؟ وهو يعدّ نفسه من أهل العلم؟ فإذا كان قليل الاطّلاع أو ممّن لا يرغب أن يطالع الحقيقة في مظانّها كان عليه أن لا يورّط نفسه بأشياء لا علم له بها، وبالتالي عليه أن يستعدّ للحساب الإلهي يوم القيامة.

نعم، إذا كان قد سمع أو قرأ في كتب أسلافه أنّ في الشيعة غلوّ فهم ليسوا من الشيعة الإمامية الاثنىٰ عشرية، وإنّما هم ممّن نسبوا أنفسهم إلى الشيعة كما يحصل ذلك في صفوف الفرق الإسلامية الأخرى كالمتصوّفة والحلولية والقائلين بوحدة الوجود وما إلى ذلك من العقائد الباطلة التي تفوح منها رائحة الغلوّ. وأمّا الشيعة الإمامية الاثنى عشرية فكتبهم مليئة بكلمات التوحيد منذ أقدم العصور.

نقل أقوال علماء الشيعة على عدم تحريف القرآن

وأمّا عن قولنا في تحريف القرآن كما زعمه محمّد رشيد تباعاً لأسلافه فهو محض الكذب والافتراء ومن جملة الحملات الدعائية التي شنّها الحاقدون علينا، والحقّ أنّ إجماع الشيعة قد انعقد علىٰ عدم تحريف القرآن لو كان يعلم ذلك محمّد رشيد ويترك التقليد الأعمى للسلف، ويظهر ذلك في جميع تفاسير علماء الشيعة وكان حريٌّ به (محمّد رشيد) أن يراجعها أو يطالع بعضها بعد أن

عدَّ نفسه من مفسِّري القرآن.

فمثلاً قال الشيخ الطوسي في تفسيره (التبيان):

(وأمّا الكلام في زيادته ونقصانه فمّما لا يليق به (القرآن) أيضاً لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانه والنقصان منه أيضاً، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى رحمة الله عليه. ورويت روايات كثيرة من جهة الخاصّة والعامّة بنقصان كثير من آي القرآن ونقل شيء منه من موضع إلى موضع طريقها الآحاد التي لاتوجب علماً ولا عملاً والأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها، لأنّه يمكن تأويلها ولو صحّت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفّتين فإنّ ذلك معلوم صحّته لا يعترضه أحد من الأمّة ولا يدفعه، ورواياتنا متناصرة بالحثّ على قرائته والتمسّك بما فيه وردّ ما يردّ من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه فما وافقه عمل عليه وما خالفه تُجنّب ولم يُلتفت إليه)[١].

وهكذا أمين الإسلام الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي{{رحمه الله}} وهو من أكابر علماء ومفسِّري الشيعة في القرن السادس الهجري وقد توفّي عام ٥٤٨هـ في سبزوار ودفن بمدينة مشهد يقول في مقدّمة تفسيره: فأمّا الزيادة فيه ـ القرآن ـ فمجمع على بطلانه وأمّا النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من الحشوية العامّة أنّ في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا ـ الإماميّة ـ خلافه[٢] وعلى غرارهما الفيض الكاشاني في تفسير الصافي والمولىٰ فتح الله الكاشاني في منهج الصادقين والعلّامة البلاغي في تفسير آلاء الرحمٰن والمحقّق النهاوندي في نفحات الرحمٰن وآخرون غيرهم إذ

---

(١) التبيان، ج ١، الطبعة الحجرية الرحلي، ص ٢، ضمن مقدّمة التفسير.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ١٥ مقدّمة الكتاب، الفنّ الخامس، ط دار إحياء التراث العربي ١٣٧٩هـ

لا يسع المجال لسرد أسمائهم هنا كلّهم يصرِّحون بعدم تحريف القرآن في تفاسير، بل حتّى الكتب الكلامية للشيعة تذكر ذلك مثل الاعتقادات للشيخ الصدوق﵀ وأوائل المقالات للشيخ المفيد، والشافي وأجوبة المسائل الطرابلسيات للسيّد المرتضىٰ علم الهدىٰ، وحقيقة الإيقان في عدم تحريف القرآن للمحقّق الكركي، والمجلّد التاسع عشر من بحار الأنوار للعلّامة المجلسي، وكشف الغطاء للشيخ جعفر الكبير النجفي، ومصائب النواصب للقاضي الشهيد نور الله المرعشي، ومعالم الأصول للشيخ حسن بن زين الدين الشهيد الثاني، والمجلّد الأوّل من قوانين الأصول للميرزا أبي القاسم الجيلاني، وشرح تجريد الأصول لمحمّد مهدي النراقي[1] وغيرهم من أكابر علماء الشيعة من المفسِّرين والفقهاء والنوابغ ومن المتقدِّمين والمتأخِّرين أجمعوا على عدم تحريف القرآن وبألفاظ متعدّدة وبأساليب متفاوتة في التفصيل والإجمال، ودافعوا عن هذه العقيدة من جانب الزيادة أو النقيصة.

وقد ذكرتُ تفصيل ذلك كلّه في كتابي (مائة مقالة سلطانية) وأوردتُ الأدلّة القاطعة بعدم تحريف القرآن مع كلمات علماء الشيعة.

وأمّا ما نُقل من بعض الأخبار من طرق السُنّة أو الشيعة حول نقيصة القرآن الكريم، فهي أخبار آحاد لا يُعمل بها ولا يُركن إليها، لأنّها لا توجب علماً وعملاً.

---

(١) الشيخ الصدوق توفّي عام ٣٨١هـ ـ والشيخ المفيد توفّي عام ٤١٣هـ ـ والسيّد المرتضى توفّي عام ٤٣٦هـ ـ والمحقّق الكركي توفّي عام ٩٤٠هـ ـ والمجلسي توفّي عام ١١١١هـ ـ وكاشف الغطاء توفّي عام ١٢٢٨هـ ـ والمرعشي توفّي عام ١٠١٩هـ ـ وصاحب المعالم توفّي عام ١٠١١ ـ وصاحب القوانين توفّي عام ١٢٣١هـ ـ والنراقي توفّي عام ١٢٠٩هـ / المؤلِّف.

أقول: كان هذا المقطع في المتن ورأيت من المناسب درجه في الهامش / المترجم.

وحتّى لو كتب أحدهم عن نقصان آيات القرآن من الشيعة فإنّ كلامه غير مسموع لأنّه يمثّل رأي شخصي مقابل الإجماع والاتّفاق.

نعم لايُقال إنّ هذا من خصائص الشيعة بل هو مرويّ عن أكابر علماء السنّة أيضاً ـ ويااليت محمّد رشيد طالع ذلك ـ مثل المجلّد الرابع من صحيح البخاري في كتاب المحاربين من أهل الكفر والردّة ضمن باب رجم الحبلى من الزنا إذا أُحصنت، وكذلك المجلّد الخامس من مسند أحمد بن حنبل وتفسير الدرّ المنثور نقلاً عن الطبراني والبيهقي وابن ضريس، وكذلك في تفسير الطبري، وكذا المجلّد الأوّل من كتاب الإحكام في أُصول الأحكام للآمُدي الشافعي وغيرهم، يذكرون عدّة أخبار حول نقصان القرآن الكريم!! فليس من الإنصاف غضّ الطرف عن ذلك كلّه والطعن على الشيعة[1] فإنّ أكابر علماء الشيعة لا يعيرون اهتماماً لهذه الأخبار، لكونها أخبار آحاد كما صرّح السيّد المرتضى علم الهدى في جواب المسائل الطرابلسيات والشيخ الطوسي في التبيان والطبرسي في مجمع البيان وغيرهم، بينما استند لهذه الأخبار الضعيفة بعض علماء الشيعة والحشوية من أهل السنّة.

أمّا جلّ علماء الشيعة الإماميّة فهم متّفقون على نحو القطع واليقين بصحّة القرآن وعدم تحريفه بأيّ نحوٍ كان، ومع ذلك كلّه ترى الاتّهامات الباطلة

---

(١) قال عمر بن الخطّاب: ... فكان ممّا أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها.

وقال أيضاً: ثمّ إنّا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو إنّ كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم... / انظر صحيح البخاري ج٢٣ ص٢١٤ رقم الحديث ٦٤٢٤ بشرح الكرماني كتاب المحاربين ط٢ دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨١م.

أقول: وهذا تصريح واضح من الخليفة عمر بنقصان القرآن، لأنّه تلا آية لا توجد اليوم في القرآن الكريم!! / المترجم.

والشائعات الرخيصة التي يروّجها علماء أهل السنّة ضدّ الشيعة بأنّهم يقولون بتحريف القرآن، بل لم يكتفوا بذلك وإنّما تطوّر الأمر عندهم أن يعتدوا بألفاظهم النابية وكلماتهم القاسية على مفخرة العلم والأدب وحليف الورع والزهد الشيخ المفيد وكذا الشيخ الصدوق رحمة الله عليهما، وهذا ليس من أدب العلماء ولا من صفات المؤمنين المتّقين.

وأيضاً من جملة الأمور المضحكة التي ذكرها محمّد رشيد في كتابه السالف والتي يهزأ بها كلّ من رآها وطالعها حيث يزعم أنّ سبب اختلال وضع العراق يعود إلى أمر وهو: فرح شيعة العراق وشيعة إيران بكلّ نكبة وذلّة يتعرّض لها المسلمون حتّى أنّهم اتّخذوا من يوم انتصار روسيا على المسلمين عيداً لهم فكانوا يتعايدون في ذكرى ذلك اليوم وكان الإيرانيّون يزيّنون مدنهم ويظهرون الفرح والسرور في مثل ذلك اليوم!!!

ياله من كلام مضحك بل أنّه يقلّل من قدر وقيمة كاتبه لأنّه يدلّل على عدم اطّلاعه بأبسط الأمور التاريخية وجهله بواقع البلدان المجاورة له، فأين هذا العيد وما اسمه؟! لماذا لا نجد مثل هذا العيد إلّا في كتاب السنّة والشيعة؟! وما شاكله كالقصيمي والآلوسي؟

وكان الأليق به ـ محمّد رشيد ـ أن لا يركن إلى الأكاذيب المضحكة بل يسأل أهل السنّة في العراق في البصرة والموصل وتكريت وبغداد... عن وجود مثل هذا العيد، فكانوا يجيبونه بالنفي القاطع، أو يرسمون على وجوههم ابتسامة الهزأ من هذا السؤال.

فعندما يركن علماء أهل السنّة إلى مثل هذه الأباطيل والأكاذيب دون أيّ اطّلاع أو استفسار بل يجرّهم التعصّب والحقد، عندها لا تبقى عندنا أيّ ثقة بمثل هؤلاء ولا بكلامهم ولا بمرويّاتهم وهذا سبب عزوفنا عنهم وعمّا يروونه من أحاديث وأخبار.

نعم نحن ننقل ونقبل روايات الثقات العدول الذين وثّقهم علماء الرجال فقط ولا نقبل روايات المعاندين والمتعصّبين الذين أُشربوا حبّ الأمويّين واعتادوا على التلفيق والكذب والعناد واللجاج، فمثلاً تراهم يصرّون في نسبة التشيّع إلى عبدالله بن سبأ الملعون والحال أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام وعلماء الشيعة منذ أكثر من ألف عام يصرّحون ويعلنون في النوادي والكتب والحوارات.. براءتهم من عبدالله بن سبأ وأنّه مغالٍ، ومع ذلك ترى الشريف والوضيع من أهل السنّة ـ ومنهم محمّد رشيد ـ يصرّ في نسبة الشيعة إلى هذا الرجل الكافر!!

فحال بعض علماء أهل السنّة كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[١] وقد ذكرت سابقاً أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد أجرى القصاص على ابن سبأ.

سؤال أحد الحاضرين: هل لديكم أخبار عن قتل عبدالله بن سبأ؟

الجواب: الأخبار في ذلك كثيرة ولكن أذكر لكم نموذجين منها رعايةً للاختصار، فقد نقل المرحوم آية الله الشيخ عبدالله المامقاني في تنقيح المقال عن رجال الكشي عن محمّد بن قولويه القمّي مسنداً عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: إنّ عبدالله بن سبأ كان يدّعي النبوّة وزعم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الله!! تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله فأقرّ بذلك وقال: نعم أنت هو وقد كان أُلقيَ في روعي أنّك أنت الله وإنّي نبيّ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أُمّك وتب، فأبىٰ فحبسه واستتابه ثلاثة أيّام فلم يتب فأحرقه بالنار، وقال عليه السلام: إنّ الشيطان استهواه فكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك[٢].

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) تنقيح المقال ج ٢ ص ١٨٤ ط النجف ١٣٥٢هـ

وأيضاً روي عن الإمام الصادقعليه السلام وهو يحدِّث أصحابه عن عبدالله بن سبأ، قالعليه السلام: إنّه لمّا ادّعى ذلك استتابه أمير المؤمنينعليه السلام فأبى أن يتوب وأحرقه بالنار[١].

وبعد أن أحرقه مع سبعين من أصحابه الذين قالوا بمقالته بقيت منهم بقيّة لم تكشف عن رأيها في الغلوّ بل ظلّت متستّرة واستطاعوا بمرور الأيّام والسنين أن يكسبوا بعض البسطاء ـ أضلّ من الأنعام ـ ويقنعوهم بأفكارهم الفاسدة في حقّ أمير المؤمنينعليه السلام وعبدالله بن سبأ وتحوّلوا إلى فرقة (السبئية).

من عقائد السبئية الفاسدة

وقد ظلّ تيّار السبئية متستّراً إلى سنة ٤٠هـ بعدما اُستشهد أمير المؤمنينعليه السلام فقالوا: إنّه لم يمت، وأنّ الذي قُتل إنّما هو الشيطان بعدما ألقي عليه شبه من أمير المؤمنينعليه السلام لأنّه الله ـ تعالىٰ عن ذلك ـ ولا يجوز لأحد أن يتمكّن منه، كما حصل مثل هذا مع عيسىٰ بن مريم ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾[٢]، وهكذا حصل مع أمير المؤمنينعليه السلام فإنّه قد صعد إلى السماء وسوف ينزل منها عندما تمتلئ الأرض بالفساد والظلم لينشر العدل فيها!!

وقال بعض السبئية: إنّ عليّاًعليه السلام في السحاب وأنّ الرعد صوته والبرق تبسّمه، وكلّما سمع السحاب صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين.

وكما تعلمون فإنّ الشيعة لا تعتقد بهذه الأمور أبداً، وقلت سابقاً: إنّ عقائد الشيعة متمثِّلة بالتوحيد الخالص لله تعالى شأنه، وأنّ السبئية ليست من الشيعة، ولكن مع ذلك يصرّ أصحاب الملل والنحل علىٰ درجها ضمن فرق الشيعة مع

---

(١) المصدر السابق.

(٢) النساء: ١٥٧.

أنّ الشيعة الإمامية الاثني عشرية فرقة واحدة ولا توجد أيّ اختلافات في عقائدهم ومبانيهم.

إلّا أنّ الشهرستاني (جرياً على ما ذكره عبد القاهر البغدادي في ملله) ذكر بعض فرق السبئية على أنّهم من فرق الشيعة، وسأنقل لكم كلامه وأُشير إلى مواقع الخطأ فيه مصحّحاً لتلك المعلومات.

قال الشهرستاني وهو في معرض ذكر الفرق الغالية:

«**الكاملية**»: أصحاب أبي كامل أكفر جميع الصحابة بتركهم بيعة عليّ عليه السلام، وطعن في عليّ عليه السلام أيضاً بتركه طلب حقّه ولم يعذره في القعود قال: وكان عليه أن يخرج ويظهر الحقّ على أنّه غلا في حقّه وكان يقول: الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص وذلك النور في شخص يكون نبوّة وفي شخص يكون إمامة، والغُلاة على أصنافها كلّهم متّفقون على التناسخ والحلول ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كلّ ملّة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة ومذهبهم أنّ الله تعالىٰ قائم بكلّ مكان ناطق بكلّ لسان ظاهر في كلّ شخص من أشخاص البشر وذلك بمعنى الحلول، وقد يكون الحلول بجزء وقد يكون بكلّ، أمّا الحلول بجزء فهو كإشراق الشمس في كوّة أو كإشراقها على البلور، وأمّا الحلول بكلٍّ فهو كظهور ملك بشخص أو شيطان بحيوان، ومراتب التناسخ أربع: النسخ، والمسخ، والفسخ، والرسخ. انتهى[1].

---

(١) يقول أهل النسخ: إنّ الإنسان إذا مات انتقلت روحه إلى بدن إنسان آخر فإن كان صالحاً صارت روحه في بدن صالح وإن كان طالحاً انتقلت روحه إلى بدن إنسان طالح وهكذا.

٢) ويقول أهل المسخ: إنّ الإنسان إذا مات انتقلت روحه إلى أبدان الحيوان فإن كان ←

أقول: وقد عدّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام جميع طوائف أهل التناسخ من الكفّار.

«**العلبائية**»: أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي أو الأسدي وكان يفضّل عليّاً على النبيّ صلى الله عليه وآله، وزعم أنّ عليّاً عليه السلام بعث محمّداً ليدعو إليه فدعا إلى نفسه ويسمّون هذه الفرقة الذميمة.

ومنهم من قال بإلهيّتهما جميعاً ويقدّمون عليّاً في أحكام الإلهية ويسمّونهم العينيّة، ومنهم من يفضّلون محمّداً في الإلهية ويسمّونهم الميمية، ومنهم من قال بالالهية لجملة أشخاص أصحاب الكساء: محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، وقالوا: خمستهم شيء واحد والروح حالّة فيهم بالسوية لا فضل لواحد منهم على الآخر، وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالتأنيث بل قالوا فاطم بلا هاء وفي ذلك يقول بعض شعرائهم:

تولّيت بعد الله في الدين خمسة نبيّاً وسبطيه وشيخاً وفاطما[1]

← صالحاً انتقلت روحه إلى أبدان الحيوانات الجيّدة واللطيفة كحصان السلطان أو أسد السلطان، وإن كان طالحاً صارت روحه إلى أبدان الحيوانات الرديئة كالكلب والحمار والخنزير والبغل..

٣) ويقول أهل الفسخ: إذا مات الإنسان انتقلت روحه إلى النباتات، فأرواح الصالحين تصير في الورود وأشجار الفاكهة، وأرواح الطالحين تصير في أشجار الفاكهة المرّة أو تتحوّل إلى نباتات.

٤) وهم أحمق جميع الأصناف فهم يعتقدون أنّ الأرواح تنتقل إلى الأحجار والجماد، فالصالحين تحلّ روحهم في الجواهر الثمينة، وأرواح الطالحين تحلّ روحهم في الأحجار العادية التي تكون في معرض سحق الإنسان والحيوان لها / المؤلّف قدس سره.

(١) راجع الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١٧٤ ـ ١٧٥، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٥.

«**المغيرية**»: أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي (البجلي) الكوفي الكذّاب، ادّعى أنّ الإمامة بعد محمّد بن علي بن الحسين عليهما السلام في محمّد النفس الزكية بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهما السلام الخارج بالمدينة وزعم أنّه حيّ لم يمت*، وادّعى الإمامة لنفسه وبعد ذلك ادّعى النبوّة لنفسه واستحلّ المحارم وغلا في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام غلوّاً لا يعتقده عاقل وزاد على ذلك قوله بالتشبيه، وقال: إنّ الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على مثال حروف الهجاء وصورته صورة رجل من نور علىٰ رأسه تاج من نور وله قلب تنبع منه الحكمة، وزعم أنّ الله تعالى لمّا أراد خلق العالم تكلّم بالاسم الأعظم فطار فوقع على رأسه تاجاً وذلك قوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى﴾[1].

ثمّ اطّلع على أعمال العباد وقد كتبها على كفّه فغضب من المعاصي فعرق فاجتمع من عرقه بحران: أحدهما مالح والآخر عذب والمالح مظلم والعذب ينير ثمّ اطلع في البحر النير فأبصر ظلّه فانتزع عين ظلّه فخلق منها الشمس والقمر وأفنى باقي ظلّه وقال: لا ينبغي أن يكون معي إله غيري، قال: ثمّ خلق الخلق كلّه من البحرين فخلق المؤمنين من البحر النيّر وخلق الكفّار من البحر المظلم وخلق ظلال الناس أوّل ما خلق، وأوّل ما خلق هو ظلّ محمّد صلى الله عليه وآله وظلّ عليّ قبل خلق ظلال الكلّ ثمّ عرض على السماوات والأرض والجبال أن يحملن الأمانة وهي أن يمنعن علي بن أبي طالب من الإمامة فأبين ذلك ثمّ عرض ذلك على الناس فأمر عمر بن الخطّاب أبا بكر أن يتحمّل منعه من ذلك، وضمن له أن يعينه على الغدر به علىٰ شرط أن يجعل الخلافة له من بعده فقبل

(*) خرج ضدّ المنصور الدوانيقي عام ٢٥٠هـ فأرسل إليه المنصور عيسى بن موسى فقتله بعد حرب دامية.

(١) الأعلى: ١ و ٢.

منه وأقدما على المنع متظاهرين فذلك قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[(١)] وزعم أنّه نزل في حقّ عمر قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾[(٢)].

ولمّا قتل المغيرة اختلف أصحابه فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ومنهم من قال بانتظار إمامة محمّد كما كان يقول هو بانتظاره.. وتبرّأ منه الإمام الباقر عليه السلام ولعنه وقال المغيرة لأصحابه: انتظروه فإنّه يرجع وجبرئيل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام[(٣)].

«**المنصورية**»: أصحاب أبي منصور العجلي ـ وهو من قبيلة عبد القيس من أهل الكوفة، كان من أهل البادية لكنّه سكن الكوفة وهو رجل أُمّي يجهل القراءة والكتابة!! ـ وقد عزا نفسه إلى أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليهما السلام في الأوّل فلمّا تبرّأ منه الباقر عليه السلام وطرده زعم أنّه هو الإمام ودعا الناس إلى نفسه، ولمّا توفّي الباقر عليه السلام قال: انتقلت الإمامة إليَّ وتظاهر بذلك وزعم حين ادّعى الإمامة أنّه عُرّج به إلى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال: يا بني انزل فبلّغ عنّي ثمّ أهبطه إلى الأرض فهو الكسف الساقط من السماء، وزعم أيضاً أنّ الرُّسل لا تنقطع أبداً والرسالة لا تنقطع وزعم أنّ الجنّة رجل أمرنا بموالاته وهو إمام الوقت وأنّ النار رجل أُمرنا بمعاداته وهو خصم الإمام وتأوّل المحرّمات كلّها على أسماء رجال أمرنا الله تعالى بمعاداتهم وتأوّل الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم، واستحلّ أصحابه قتل مخالفيهم وأخذ أموالهم واستحلال نسائهم وهم صنف من الخُرمية، وإنّما مقصودهم من حمل الفرائض

---

(١) الأحزاب: ٧٢.

(٢) الحشر: ١٦.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص١٧٦ ط دار المعرفة، بيروت.

والمحرّمات على أسماء رجال: هو أنّ من ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه التكليف وارتفع الخطاب إذ قد وصل إلى الجنّة وبلغ الكمال!!

وممّا أبدعه العجلي أنّه قال: إنّ أوّل ما خلق الله تعالى هو عيسىٰ بن مريم عليه السلام ثمّ عليّ بن أبي طالب، وزعم أنّ عليّاً هو الكسف الساقط من السماء، وخرجت جماعة أصحابه ومريديه بالكوفة من بني كندة حتّىٰ وقف يوسف بن عمر الثقفي ـ ابن عمّ الحجّاج ـ والي العراق في أيّام هشام بن عبد الملك على قصّته وخبث دعوته فأخذه وصلبه[١].

«**الخطابية**»: أصحاب أبي الخطّاب محمّد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد واسمه محمّد بن مقلاص الزراد البزّاز، عزا نفسه إلى أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فلمّا وقف الصادق عليه السلام علىٰ غلوّه الباطل في حقّه تبرّأ منه ولعنه وأمر أصحابه بالبراءة منه وشدّد القول في ذلك وبالغ في التبرّي منه واللعن عليه[٢] فلمّا اعتزل عنه ادّعى الإمامة لنفسه، وقد زعم أنّ الأئمّة أنبياء ثمّ آلهة وقال بإلهية جعفر بن محمّد عليهما السلام وإلهية آبائه عليهم السلام وهم أبناء الله وأحبّاؤه والإلهية نور في النبوّة، والنبوّة نور في الإمامة، ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار، وزعم أنّ جعفراً هو الإله في زمانه وليس هو المحسوس الذي يرونه

---

(١) المصدر السابق ص١٧٨.

(٢) روى الكليني عن إسحاق بن يعقوب قال: ورد التوقيع علىٰ يد محمّد بن عثمان العمري: وأمّا أبو الخطّاب محمّد بن أبي زينبة الأجدع ملعون وأصحابه ملعونون فلا تجالس أهل مقالتهم فإنّي منهم بريئ وآبائي منهم براء. (البحار ج٤٧ ص٣٣٤ ح٣ ط طهران).

أقول: فيظهر من التوقيع الشريف أنّ الأئمّة من بعد الإمام الصادق عليه السلام إلى الإمام المهدي (عجّل الله فرجه الشريف) كلّهم لعنوا هذا المغالي وأصحابه وتبرّءوا منهم، وأمروا الشيعة بالابتعاد عن الغُلاة / المترجم.

ولكن لمّا نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها، ولمّا وقف عيسىٰ بن موسىٰ صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة وافترقت الخطابية بعده فرقاً، فزعمت فرقة أنّ الإمام بعد أبي الخطّاب رجل يُقال له معمر ودانوا به كما دانوا بأبي الخطّاب، وزعموا أنّ الدُّنيا لا تفنى وأنّ الجنّة هي التي تصيب الناس من شرّ ومشقّة وبليّة واستحلّوا الخمر والزنا وسائر المحرّمات ودانوا بترك الصلاة والفرائض.

وزعمت طائفة أُخرى أنّ الإمام بعد أبي الخطّاب بزيغ وكان يزعم أنّ جعفراً هو الإله، وزعم أنّ كلّ مؤمن يوحى إليه من الله وتأوّل قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾[1] أي يوحى إليه من الله، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[2]، وزعم أنّ من أصحابه من هو أفضل من جبريل وميكائيل وأنّ الإنسان إذا بلغ الكمال لا يُقال له أنّه قد مات ولكنّ الواحد منهم إذا بلغ النهاية قيل رجع إلى الملكوت وادّعوا كلّهم معاينة أمواتهم وزعموا أنّهم يرونهم بكرةً وعشية وتسمّى هذه الطائفة البزيغيّة[3].

وزعمت طائفة أنّ الإمام بعد أبي الخطّاب عمير بن بيان العجلي وقالوا كما قالت الطائفة الأولىٰ، إلّا أنّهم اعترفوا بأنّهم يموتون وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها علىٰ عبادة الصادق عليه السلام فرفع خبرهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فأخذ عميراً فصلبه في كناسة الكوفة، وتسمّىٰ هذه الطائفة العجلية والعميريّة.

وزعمت طائفة أنّ الإمام بعد أبي الخطّاب مفضل الصيرفي وكانوا يقولون

---

(١) يونس: ١٠٠.

(٢) النحل: ٦٧.

(٣) وقد سمّاه في الفرق بين الفرق بزيغ بن يونس أو بن موسى الحائك.

بربوبيّة جعفر دون نبوّته ورسالته وتسمّىٰ هذه الفرقة المفضلية وتبرّأ من هؤلاء كلّهم جعفر بن محمّد الصادقعليه‌السلام وطردهم ولعنهم فإنّ القوم كلّهم حيارىٰ ضالّون جاهلون بحال الأئمّة تائهون[١].

دراسة عن الفرقة المفضليّة

ولا بأس أن أُشير إلى نقطة مهمّة حول هذه الفرقة التي ذكرها الشهرستاني وعبد القاهر وهي:

إنّنا لم نجد في كتب الحديث والتراجم والرجال ـ الشيعيّة ـ إشارة إلى هذه الفرقة وإنّما هي من صناعة أهل الأخبار والقضية بجملتها مجعولة ومنسوبة إلى الخطابية.

والسبب في اختراع مثل هذه الفرقة وبهذا الاسم بالذات يعود إلى محاولة الطعن في شخصية شيعيّة متألّقة في العلم والزهد وهو المفضّل بن عمر الذي كان من المقرّبين لدى الصادقعليه‌السلام ومن أصحابه الموثّقين المخلصين وكان على درجة عالية من العلم والزلفى لدى الإمام الكاظمعليه‌السلام والصادقعليه‌السلام، فحاول الشهرستاني وعبد القاهر وأضرابهما الإساءة إلى أمثال هؤلاء الرجال العلماء عبر هذا الطريق ـ التهمة والجعل ـ ويعد سبب اتّهام المفضّل بذلك أيضاً لكونه لم يرجّح أحداً من الأمويّين والنواصب على العترة الطاهرة من أهل البيتعليهم‌السلام فهذا مثال واحد يجعلك في شكّ ممّا يكتبه هؤلاء إذ كيف نطمئنّ أنّ الشهرستاني وأمثاله لم يتّهموا غير المفضّل من الأناس المخلصين المؤمنين؟!

سؤال أحد الحاضرين: إذا كان الأمر كما تقول فما هو سبب اشتهار المفضّل بذلك؟

---

(١) الملل والنحل ج١ ص١٨١.

الجواب: إنّ علّة تشهيرهم بالمفضّل واتّهامه بالغلوّ تعود إلى عدّة أُمور، منها:

أوّلاً: الحسد، وهو من الصفات الذميمة التي يُصاب بها بعض الناس الذين يحاولون بكلّ جهدهم التخلّص منها إلّا أنّهم لا يضبطون أنفسهم أمام تقدّم ونجاح الآخرين بالعلم أو التقوى أو... فيحسدونهم ويحاولون إسقاطهم اجتماعيّاً وإلصاق التهم بهم وإشاعة الافتراءات ضدّهم..

وهذا السبب كان يدفع أولئك الذين يحسدون المفضّل أمثال حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة وغيرهما، إلى نسبة الغلوّ للمفضّل واتّهامه بأنواع التّهم، ولم يتوانوا من اتّهامه في محضر الإمام الصادقعليه السلام أيضاً! فقد نقل العلّامة الثاني المرحوم الشيخ عبدالله المامقاني في تنقيح المقال مسنداً عن محمّد بن سنان عن بشير الدهّان أنّه قال: قال الإمام الصادقعليه السلام لمحمّد بن كثير الثقفي: ما تقول في المفضّل ابن عمر؟ قال: ما عسيت أن أقول فيه لو رأيت في عنقه صليباً وفي وسطه كسيحاً (كشحاً، كسطيحا) لعلمت أنّه على الحقّ بعدما سمعتك تقول فيه ما تقول، قالعليه السلام: رحمه الله، لكن حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة أتياني فشتماه عندي!! فقلت لهما: لا تفعلا فإنّي أهواه فلم يقبلا فسألتهما وأخبرتهما أنّ الكفّ عنه حاجتي فلم يفعلا فلا غفر الله عنهما، أمّا إنّي لو كرمت عليهما لكرم عليهما من يكرم عَليّ، ولقد كان كثير عزّة في مودّته لها أصدق منهما في مودّتهما لي حيث يقول:

لقد علمت بالغيب أنّي أحبّها إذاً هو لم يكرم على كريمها

أمّا أنّي لو كرمت عليهما لكرم عليهما من يكرم عَليّ وقريب منه إلى قوله فلا غفر الله لهما(١).

---

(١) تنقيح المقال ج٣ باب المفضّل من أبواب الميم ص٢٣٩ ط النجف ١٣٥٢هـ

ثمّ قال بعد إيراده الخبر: فإنّه يكشف عن أنّه سمع منهعليه السلام في حقّ المفضّل مدحاً عظيماً وعلوّ مرتبة تلزم محمّداً على حمل كلّ ما يراه منه على الصحّة مثل رؤية الصليب في عنقه وقد قرّره الإمامعليه السلام على قوله ذلك فيكشف عن غاية جلالة المفضل عند مولانا الصادقعليه السلام.

ثمّ إنّ نقلهعليه السلام لفعل حجر وعامر واسفاده عليهما يكشف عن أنّ الذمّ المروي فيه قد نشأ من حجر وعامر ونحوهما من أعداء المفضل، أو منهعليه السلام حفظاً لدم المفضل كما لا يخفى على من وعى وتدبّر(١).

وكذلك أورد المامقاني رواية عن روضة الكافي وأصوله في كتاب الحجّة عن ابن أبي عمير عن الحسين بن أحمد المنقري عن يونس بن ظبيان قال: قلت للإمام الصادقعليه السلام: ألم تمنع حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة عن المفضل بن عمر؟ قالعليه السلام: يايونس قد سألتهما أن يكفّا عنه فلم يفعلا فدعوتهما وسألتهما وكتبت إليهما وجعلته حاجتي إليهما فلم يكفّا عنه فلا غفر الله لهما فوالله لكثير عزّة أصدق في مودّته منهما فيما ينتحلان من مودّتي حيث يقول:

ألا زعمت بالغيب أن لا أحبّها إذا أنا لم أكرم على كريمها(٢)

وأيضاً ذكر العلاّمة المامقاني عن رجال الكشي حديثاً مسنداً عن يونس بن ظبيان قال: قلت لأبي عبدالله الصادقعليه السلام: جعلت فداك لو كتبت إلى هذين الرجلين بالكفّ عن هذا الرجل فإنّهما مؤذيان؟ فقالعليه السلام: إذا أغريهما به كان كثير عزّة في مودّتها أصدق منهما في مودّتهما حيث يقول...(٣).

فيظهر من مجموع ذلك أنّ الإمام الصادقعليه السلام كان كثير العناية واللطف

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ج١ ص٢٥٦.

(٣) المصدر نفسه ج٣ ص٢٣٩.

بالمفضّل بن عمر حتّى عدَّ عدم إكرام واحترام المفضل بمثابة عدم إكرامه وهذا أدلّ دليل على منزلة المفضّل وقربه من أهل البيتعليهم‌السلام.

ثانياً: وعاداه أرباب الأباطيل ـ دعماً لباطلهم ـ فإنّهم يلصقون الأسماء الكبيرة وينسبون الشخصيات المتألّقة ـ في العلم ـ إلى أنفسهم ومذهبهم، ويشيعون في الأوساط أنّ فلاناً منّا أو أنّنا ننتمي إلى فلان أو أنّ طريقتنا تنتهي إليه أو هي مستوحاة منه، أو إنّه يتبنّى أفكارنا وما إلى ذلك.

فمثلاً نلاحظ الصوفية يُرجِعون طرقهم إلى أمير المؤمنين عليعليه‌السلام وتراهم يفتتحون حلقات ذكرهم باسمه المبارك وهكذا ينسبون طريقتهم إلى الإمام علي بن موسى الرضاعليه‌السلام، مع أنّ جميع طبقات الصوفية من أهل السُنّة الذين لا يعتقدون بإمامة الأئمّةعليهم‌السلام!!

وهكذا البهائية ـ الفرقة الضالّة ـ خذلهم الله فإنّهم يحاولون إلصاق أسماء الزعماء الدينيّين الكبار من الإمامية الاثنا عشرية إلى فرقتهم الضالّة دعماً لمذهبهم وخداعاً للبسطاء الذين يصدِّقون مثل هذه الألاعيب، وأذكر ذات مرّة قبل أكثر من عشرة سنين ذهبت إلى منزل أحدهم في شارع «انتظام السلطنة» في طهران بعد طلب مجموعة من الأصدقاء فرأيت في منزل هذا الرجل البهائي صورة العلّامة الكبير الشيخ مرتضى الأنصاريقدس‌سره وصورة آية الله العظمى السيّد محمّد حسن الشيرازيقدس‌سره وهما من أكبر فحول الشيعة فنظرت إلى الصورتين وتعجّبت من وجودها في بيت هذا الرجل، وعندما سألت الرجل عن سبب وجود هذه الصور؟ قال: هذين العالمين من الفرقة البهائية، فلمّا سمعته ضحكت وقلت له: ما الدليل على ما تزعم؟ قال: لأنّه عندما ظهر (علي محمد) الباب أفتى أغلب العلماء ضدّه ما عدا هذين العالمين. فضحكت كثيراً من هذا الدليل ثمّ قلت له: لو أنّ مجنوناً من المجانين ادّعى الإلوهية لنفسه وسكت كبار

العلماء والمراجع عنه ولم يعلنوا الحرب ضدّه، فهل يصلح ذلك لأن يكون دليلاً على أنّهم يعتقدون بمزاعم هذا المجنون؟

وعلى هذا الأساس لا نتعجّب كثيراً من نسبة الغلوّ للمفضّل بن عمر وذلك طلباً للفضائل والكمالات التي يتحلّىٰ بها هذا الرجل الجليل ليكون هذا الرصيد العلمي والأخلاقي لصالح الخطابية الغُلاة ممّا يساعدهم على كسب القطاعات الساذجة التي تنطلي عليهم هذه الخزعبلات.

وأقوى الأدلّة على صحّة ما قلناه هو أنّ المفضّل نفسه روى أحاديث في ذمّ الغُلاة وبالخصوص في ذمّ أبي الخطّاب المغالي، فقد روى العلّامة المامقاني في التنقيح عن رجال الكشي مسنداً عن المفضل بن عمر أنّه قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: اتّق السفلة واحذر السفلة فإنّي نهيت أبا الخطّاب فلم يقبل منّي[١].

فيظهر لكم أنّ المفضّل أعلى وأنزه ممّا نُسبُ إليه وأُتّهم به من متابعة الغُلاة إلّا أنّ المخالفين يصرّون على نسبة المفضّل إلى الغُلاة حسداً وحقداً منهم وهي تهمة وافتراء لا غير، كما فعله الطبري في تأريخه وهكذا أحمد أمين المصري وأمثالهما ممّن يظهر ميلهم إلى معاوية بالنسبة إلى أبي ذرّ الغفاريّ الصحابيّ الجليل حينما نسبوه إلى ابن سبأ، وقد تناولت ذلك مفصلاً في «ليالي بيشاور».

هذا وقد رويت عدّة روايات تشيد بالمفضل عن الإمام الصادق عليه السلام والإمام الكاظم عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام منها ما ذكره المجلسي عن عبدالله بن الفضل الهاشمي قال: كنت عند الصادق عليه السلام إذ دخل المفضّل بن عمر فلمّا بصر به ضحك إليه ثمّ قال: إليَّ يا مفضل فوربّي إنّي لأحبّك وأُحبّ من يحبّك يا مفضّل لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان، فقال له المفضّل: ياابن رسول

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص ١٩٠.

الله لقد حسبت أن أكون قد أُنزلت فوق منزلتي؟ فقال عليه السلام: بل أُنزلت المنزلة التي أنزلك الله بها[١].

وأيضاً ذكر العلّامة المامقاني مسنداً عن رجال الكشّي عن هشام بن الأحمر، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن المفضّل بن عمر وهو في ضيعة في يوم شديد الحرّ والعرق يسيل علىٰ صدره فابتدأني فقال: نِعم العبد والله الذي لا إله إلّا هو المفضّل بن عمر الجعفي حتّى أحصيت بضعاً وثلاثين مرّة يقولها ويكرّرها ويقول إنّما هو والد بعد والد[٢].

وروىٰ عن نصر بن الصباح عن ابن أبي عمير بإسناده لما أحدث أبو الخطّاب فتنته ذهب جماعة من الشيعة إلى الإمام الصادق عليه السلام فقالوا: أقم لنا رجلاً نفزع إليه من أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام، قال عليه السلام: لا تحتاجون إلى ذلك متى ما احتاج أحدكم خرج إليَّ وسمع منّي وينصرف فقالوا: لابد، فقال: قد أقمت عليكم المفضّل اسمعوا منه واقبلوا عنه فإنّه لا يقول على الله وعَليَّ إلّا الحقّ فلم يأت عليه كثير شيء حتّى شنّعوا عليه وعلى أصحابه[٣].

وجاء في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي قدس سره مسنداً عن هشام بن أحمر أنّه قال: حملت إلى أبي إبراهيم ـ الكاظم ـ عليه السلام إلى المدينة أموالاً، فقال عليه السلام: ردّها وادفعها إلى المفضّل بن عمر فرددتها إلى الجعفي فحططها على باب المفضّل[٤].

وروي أيضاً عن موسى بن بكر أنّه قال: كنتُ في خدمة أبي الحسن عليه السلام فلم

---

(١) البحار ج٤٧ ص٣٩٥ ح ١٢٠ ط طهران.

(٢) تنقيح المقال ج٣ ص٢٣٩ وتجده في البحار ج٤٧ ص ٣٤٠ ح ٢٤ ط طهران، والغيبة ص ٢١٠.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٤٠.

(٤) الغيبة للطوسي ص ٢١٠ في ذكر الممدوحين من وكلاء الأئمّة، وتجده في البحار ج٤٧ ص٣٤٢ ح٢٩ و ح ٣٠.

أكن أرى شيئاً يصل إليه إلّا من ناحية المفضل وربما رأيت الرجل بالشيء فلا يقبله منه ويقول: أوصله إلى المفضّل.[١]

وعلى غرار هذه الأخبار الدالّة على وثاقة وعدالة المفضّل ومنزلته العظيمة عند الأئمّة عليهم السلام حتّى فاز بشرف الوكالة منهم في أخذ الأموال والحقوق الشرعية وبيان أحكام الدين، توجد أخبار وروايات كثيرة.

وقد روى العلّامة المامقاني عن أصول الكافي عن محمّد بن سنان وهو من ثقات الشيعة عن أبي حنيفة وأمير الحاج قال: مرّ المفضّل علينا ونحن نتشاجر في الميراث فوقف عندنا ثمّ قال لنا: تعالوا إلى المنزل فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم فدفعها إلينا من عنده حتّى إذا انتهى الشجار وتراضينا بالميراث وبما دفعه إلينا المفضّل قال: أما إنّها ليست من مالي ولكن أبو عبدالله عليه السلام أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما بالمال فهذا من مال أبي عبدالله عليه السلام[٢].

فهذا الخبر يدلّ على وثاقة المفضّل وأنّه رجل أمين ممّا يدعو الإمام الصادق عليه السلام أن يجعل بعض الأموال بيده ليحلّ بها المشاجرات، والأمر أعلى من هذا عندما نرى في بعض الأخبار أنّ وجود المفضّل سبب لأُنس الإمام المعصوم واستراحته، فقد روى العلّامة المامقاني عن عيون أخبار الرضا عليه السلام ـ وبين يديَّ الآن كتاب العيون ـ في باب النصّ على إمامة الرضا عليه السلام بإسناده عن محمّد بن سنان أنّه سمع الإمام الكاظم عليه السلام قال: يا محمّد أنّ المفضّل كان أُنسي ومستراحي[٣].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) تنقيح المقال ج٣ ص٢٣٨.

(٣) تنقيح المقال ج٣ ص٢٣٨.

وأيضاً في نفس الباب عن محمّد بن سنان أنّه سمع الإمام الكاظمعليه السلام قال له: يا محمّد يمدّ الله في عمرك وتدعو إلى إمامته وإمامة من يقوم مقامه من بعده فقلت: من ذاك جعلت فداك؟ قال: محمّد ابنه قال: قلت فالرضا والتسليم؟ قال: نعم ثمّ قال: يا محمّد أنّ المفضّل كان أُنسي وأنت أُنسهما (أي الرضا والجوادعليهما السلام) ومستراحهما حرام على النار أن تمسك[1].

وأيضاً روىٰ عن رجال الكشي عن نصر بن الصباح مسنداً عن عيسىٰ بن سليمان أنّه قال: قلت للإمام موسى الكاظمعليه السلام: جعلتُ فداك خلّفت مولاك المفضّل عليلاً فلو دعوت الله له؟ فقالعليه السلام: رحم الله المفضّل قد استراح.

فعدت إلى أصحابي وقلت لهم: والله لقد مات المفضّل، فلمّا دخلنا الكوفة كان المفضّل قد توفّي قبل ثلاثة أيّام.

وأيضاً روي عن محمّد بن مسعود مسنداً عن موسىٰ بن بكر قال: لمّا وصل خبر وفاة المفضّل للإمام موسى الكاظمعليه السلام قال: رحمه الله كان الوالد بعد الوالد أما أنّه قد استراح[2].

وهذا المقدار من الأخبار يكفي لإثبات وثاقة وأمانة وعدالة وجلالة الرجل العظيم المفضّل بن عمر، وإلّا فالأخبار في هذا الصدد كثيرة جدّاً، ولكن لو أحبّ أهل الفضل والتحقيق في أكثر من ذلك فعليهم بمراجعة خاتمة المستدرك للمحدّث النوري رحمة الله عليه، وما أشرنا إليه من تنقيح المقال للمامقاني فإنّهما قد بسطا الكلام حول المفضّل بن عمر.

هذا وقد اعتبره فقهاء الشيعة من الرواة الثقاة فقد وصفه فخر الشيعة الشيخ المفيد رضوان الله عليه بهذه الكلمات: من شيوخ أبي عبداللهعليه السلام وخاصّته

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق ج٣ ص٢٣٩.

وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين رحمهم الله المفضّل بن عمر الجعفي ومعاذ بن كثير..[١].

وهكذا بقيّة عظماء وفقهاء الطائفة الإمامية كالطوسي في كتاب الغيبة والوحيد البهبهاني في رجاله وبقيّة المتأخّرين اعتبروا المفضّل بن عمر من الرجال الثقاة والمعتمدين وصاحب منزلة عالية جدّاً.

ويكفي في إثبات وثاقة المفضّل والإشارة إلى جلالة قدره رسالته المسمّاة بـ(توحيد المفضّل) والتي تُعدّ من أكبر الأدلّة الدامغة للبغدادي والشهرستاني وابن حزم وأمثالهم ممّن اتّهم هذا الرجل العظيم بالغلوّ، لأنّها دالّة على لياقته لحمل مثل هذه العلوم الشريفة، وإيمانه المستقرّ، وهي دالّة أيضاً على كذب ما زعمه هؤلاء من نسبة الغلوّ للمفضّل وأنّ ما ذكروه محض الجعل والافتراء.

ولو فرضنا جدلاً أنّ المفضّل كان من الغُلاة كما زعمه البغدادي والشهرستاني و... لتبرّأ منه الإمام الصادقعليه السلام والكاظمعليه السلام كما تبرّءوا من أبي الخطّاب وأمثاله، بينما نجد العكس تماماً إذ لم يصرِّح الأئمّةعليهم السلام بغير الترحّم والمدح والفضل لهذا الرجل الشريف ممّا يشير إلى كمالاته المعنوية وإيمانه.

فبعد كلّ هذه الأدلّة يتّضح زيف الأقاويل التي أشاعها الأعداء ضدّ المفضّل.

ويمكن لنا أن نقول أيضاً ـ على فرض صدور الذمّ للمفضّل من قِبل الأئمّة ـ أنّ الذمّ فيما لو صدر إنّما يُراد منه الدفاع عن المفضّل كما حصل مع زرارة بن أعين وذلك لدفع الخطر عنه وإبعاد الأشرار عنه وتفويت الفرصة على السلطة الغاشمة، ولكن عندما نريد أن ندوّن شيئاً عن زرارة أو المفضّل علينا أن ننظر إلى كلا الطائفتين من الروايات المادحة والروايات الذامّة ونعادل بينهما مع ملاحظة الظروف الخارجية والملابسات السياسية ثمّ نخرج بنتيجة مرضية، هذا

---

(١) رجال الشيخ الطوسي ص٣٠٧ رقم (٤٥٣٠).

ما يفرضه العقل والإنصاف بينما تمسّك البغدادي والشهرستاني وغيرهما بما يحلو لهم من الأخبار ـ على فرض صدورها ـ واتّهموا المفضل بالغلوّ خلافاً للعقل والإنصاف، وبعيداً عن اسلوب التحقيق والتحليل والتدبّر.

وخلاصة الأمر أنّ القضية قضية منهج واختلاف في الأُسس والمباني، فالشيعة تعتقد بالأئمّة الاثني عشر من آل الرسولﷺ وأنّهم أوصياؤه وخلفائه من بعده وأنّهم معصومون يتلقّون العلم اللدني بإذن الله تعالى وهم في عصرهم أفضل الناس وأشجعهم وأورعهم وأتقاهم و... وهذه العقيدة تعتبر غلوّ في نظر أهل السُنّة وبالتالي لم يكن المفضّل بن عمر لوحده مغالياً في نظرهم بل كلّ الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وذلك لاختلاف المنهج الفكري والعقائدي بيننا وبين أهل السنّة.

الكيالية: أتباع أحمد بن الكيال وكان من الملحدين الضالّين وكتب كتاباً كلّه خرافات وموهومات، وأبدع مقالة في كلّ باب علمي على قاعدة غير مسموعة ولا معقولة وربّما عاند الحُسن في بعض المواضع، ولمّا وقف الأئمّةعليهم السلام على بدعته تبرّءوا منه ولعنوه وأمروا شيعتهم بمنابذته وترك مخالطته ولمّا عرف الكيال ذلك منهم صرف الدعوة إلى نفسه وادّعى الإمامة أوّلاً، ثمّ ادّعى أنّه القائم ثانياً[1]، وأقام مجموعة أقاويل ومزخرفات غير علمية وغير مفهومة دلائلاً لمذهبه الفاسد فاتّبعه جماعة من البسطاء الذين ينعدم التدبّر في عقولهم.

الهشامية: وقد ذكر الشهرستاني في الملل والنحل والبغدادي في الفَرق بين الفِرق وآخرين من كتّاب أهل السنّة هذه الفرقة وعدّوها ضمن الفرق الشيعيّة ونسبوها إلى هشام بن الحكم الكوفي وهشام بن سالم الجواليقي الجعفي، ونسبوا إليهما القول بالتجسيم والتشبيه!![2]

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١٨١.

(٢) المصدر نفسه ص١٨٤.

وهذه المزاعم لا تختلف عن التي لصقوها بالمفضّل بن عمر كما مرَّ، لأنّ الهشامين كانا من الرجال الكبار في العلم والإيمان وما نُسب إليهما محض الكذب والافتراء، فقد كان هذان الرجلان من الفضلاء والعلماء الموثّقين في رواياتهم والمقرّبين جدّاً من الأئمّة عليهم السلام لاسيّما هشام بن الحكم، وقد جرت بينهم وبين المخالفين مناظرات في التوحيد والإمامة وغيرهما ممّا يدلّل على مقامهما الشامخ في الدفاع عن الحقّ.

إشارة إلى هشام بن الحكم الكوفي

لقد ذكر السيّد الجليل المجاهد القاضي السيّد نور الله المرعشي الشهيد في كتاب (مجالس المؤمنين) نقلاً عن كتاب (الفصول المنتقاة) لفخر الشيعة السيّد علم الهدىٰ نقلاً عن استاذه الكبير الشيخ المفيد قدس سره، ومثله ذكر العلّامة المامقاني في التنقيح عن خط العلّامة المجلسي قدس سره عن السيّد الشريف علم الهدى المرتضىٰ عن استاذه الشيخ المفيد أنّه قال: «هشام بن الحكم من أكبر أصحاب أبي عبدالله عليه السلام وكان تقيّاً وروى حديثاً كثيراً، وصحب أبا عبدالله وبعده أبا الحسن موسىٰ عليهما السلام وكان يُكنّى أبا محمّد وأبا الحكم وكان مولى بني شيبان وكان مقيماً بالكوفة، وبلغ من مرتبته وعلوّه عند أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام (١).

وأنّه دخل على الإمام الصادق عليه السلام وهو غلام أوّل ما اختط عارضاه وفي مجلسه عليه السلام شيوخ الشيعة كحمران بن أعين وقيس الماصر ويونس بن يعقوب وأبي جعفر الأحول وغيرهم فرفعه على جماعتهم وليس فيه إلّا من هو أكبر منه سنّاً، فلمّا رأى أبو عبدالله عليه السلام أنّ ذلك الفعل كبر على أصحابه قال: هذا ناصرنا

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص٢٩٤.

بقلبه ولسانه ويده وقال له أبو عبدالله عليه السلام وقد سأله عن أسماء الله واشتقاقها فأجابه ثمّ قال له: أفهمت يا هشام فهماً تدفع به أعدائنا الملحدين مع الله تعالىٰ؟ قال هشام: نعم، قال أبو عبدالله عليه السلام: نفعك الله به وثبّتك، قال هشام: فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتّىٰ قمت مقامي[1].

فهل يعقل بعد كلّ هذه الجلالة والمنزلة والكمالات الرائعة أن يكفر هذا الرجل؟ أو يتّهم بالكفر؟

سؤال أحد الحاضرين: كيف يمكن أن يُتّهم هذا الرجل بالكفر والتجسيم بدون أيّ دليل؟ يا حبّذا لو قدّمت لنا الأدلّة المتوافرة التي يقبلها العقل السليم؟

الجواب: لقد نفى أكابر علماء الشيعة كالشيخ الطوسي والشيخ الكشي والشيخ النجاشي والشيخ المفيد والسيّد المرتضى والشيخ الكراجكي وابن نديم والعلامة الحلّي والقاضي نور الله والعلّامة المجلسي والعلّامة المامقاني وغيرهم من علماء الرجال والحديث كلّ هذه التّهم التي أوردها علماء أهل السنّة علىٰ هشام وقدّموا الأدلّة الكافية والمسكتة عن ذلك، ونحن نذكر موجز ما كتبوه:

أوّلاً: على فرض صدور بعض الكلمات الملحدة كعقيدة التجسيم أو التشبيه من هشام، فإنّ ذلك ـ على فرض الصدور ـ كان منه في أوائل شبابه وصبابته عندما كان جهمي المذهب تابعاً لجهم بن صفوان[2]، ولكنّه عندما التقى بالإمام الصادق عليه السلام ودخل نوره في قلبه وأبطل له عقيدة جهم بن صفوان وأنكر عليه بالأدلّة عقيدة التجسيم والتشبيه أذعن هشام بالحقّ وندم على ما فرّط.

سؤال أحد الحاضرين: هل ثبت فعلاً أنّه رجع من الجهمية وتاب من أفكارهم وعقائدهم، فإن كان لديك في هذا الصدد رواية أو خبر نرجو أن تذكره لنا ليثبت أصل الموضوع؟

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سفينة البحار ج ٢ ص ٧٢٠ / المترجم.

لقاء هشام بالإمام الصادق ورجوعه عن الجهمية

الجواب: نعم، لقد ذكر العلّامة المامقاني في تنقيح المقال عن الكشي، روي عن عمر بن يزيد أنّه قال: وكان ابن أخي هشام يذهب في الدين مذهب الجهمية خبيثاً فيهم فسألني أن أدخله على أبي عبدالله عليه السلام ليناظره فأعلمته أنّي لا أفعل ما لم أستأذنه فيه فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فاستأذنته في إدخال هشام عليه، فأذِن لي فيه، فقمت من عنده وخطيت خطوات فذكرت رداءته وخبثه فانصرفت إلى أبي عبدالله عليه السلام فحدّثته رداءته وخبثه، فقال عليه السلام: يا عمر لا تتخوّف عَليَّ، فخجلت من قولي وعلمت أنّي قد عثرت فخرجت مستحياً فدخلت معه، فلمّا تمكّن من مجلسه، سأله أبو عبدالله عليه السلام عن مسألة فحار فيها هشام وبقي، فسأله هشام أن يؤجّله فيها فأجّله أبو عبدالله عليه السلام فذهب هشام واضطرب في طلب الجواب أيّاماً فلم يقف عليه فرجع إلى أبي عبدالله عليه السلام فأخبره عليه السلام بها، وسأله عن مسألة أُخرى فيها فساد أصله وعقد مذهبه فخرج هشام من عنده مغتّماً متحيّراً قال: فبقيت أيّاماً لا أفيق من حيرتي، قال عمر بن يزيد: فسألني هشام أن أستأذن له على أبي عبدالله عليه السلام ثانياً، فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فاستأذنت له، فقال عليه السلام: لينتظرني في موضع سمّاه بالحيرة لألتقي معه فيه غداً إن شاء الله إذا راح النهار.

وقال عمر: فجئت إلى هشام فأخبرته بمقالته وأمره فسرَّ بذلك واستبشر وسبقه إلى الموضع الذي سمّاه، ثمّ رأيت هشاماً بعد ذلك فسألته عمّا كان بينهما فأخبرني أنّه سبق أبا عبدالله عليه السلام إلى الموضع الذي كان سمّاه فبينا هو إذا بأبي عبدالله عليه السلام قد أقبل على بغلة فلمّا بصرت به وقرب منّي هالني منظره وأرعبني حتّى بقيت لا أجد شيئاً أتفوّه به ولا انطلق لساني لما أردت من مناطقته ووقف عَليَّ أبو عبدالله عليه السلام ملياً ينتظر ما أُكلّمه وكان وقوفه عَليَّ لا يزيدني إلّا تهيّباً

وتحيّراً فلمّا رأى ذلك منّي ضرب بغلته وسار حتّىٰ دخل بعض السكك في الحيرة وتيقّنت أنّ ما أصابني من هيبة لم يكن إلّا من قبل الله عزّوجلّ ومن عظم موقفه ومكانه من الربّ الجليل، قال عمر: فانصرف هشام إلى أبي عبدالله عليه السلام وترك مذهبه ودان بدين الحقّ وفاق أصحاب أبي عبدالله عليه السلام كلّهم والحمد لله[1].

ولذا فقد وصف علماء الشيعة الكبار هشاماً بالعظمة والجلالة، فمثلاً قال عنه أبو الفرج محمّد بن إسحاق النديم المعروف بابن أبي يعقوب الورّاق النديم البغدادي الكاتب الفاضل الخبير المتبحِّر الماهر الشيعي الإمامي المولود في جمادى الآخرة عام ٢٩٧هـ والمتوفي في شعبان عام ٣٨٥هـ في فهرسته ضمن المقالة الخامسة قال: أبو محمّد هشام بن الحكم مولى بني شيبان كوفي تحوّل إلى بغداد من الكوفة وهو من أصحاب أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام ومن متكلِّمي الشيعة ممّن فتق الكلام في الإمامة، وهذّب المذهب بالنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب، سُئل هشام عن معاوية أشهِدَ بدراً؟ فقال: نعم، من ذاك الجانب، وكان منقطعاً إلى يحيىٰ بن خالد البرمكي، وكان القيّم بمجالس كلامه ونظره، وكان ينزل الكرخ من مدينة السلام، وتوفّي بعد نكبة البرامكة بمديدة مستتراً، وقيل في خلافة المأمون وله من الكتب: كتاب الإمامة، كتاب الدلالات على حدوث الأشياء، كتاب الردّ على الزنادقة، كتاب الردّ على أصحاب الاثنين، كتاب التوحيد، كتاب الردّ على هشام الجواليقي، كتاب الردّ على أصحاب الطبائع، كتاب الشيخ والغلام، كتاب التدبير، كتاب الميزان، كتاب الميدان، كتاب الردّ على من قال بإمامة المفضول، كتاب اختلاف الناس في

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص٢٩٥ من الأخبار المادحة ح١، وتجده في رجال الكشي ص٢٥٦ رقم ٤٧٦ ط مشهد، وسفينة البحار ج٢ ص ٧٢٠ / المترجم.

الإمامة، كتاب الوصية والردّ على مَن أنكرها، كتاب في الجبر والقدر، كتاب الحكمين، كتاب الردّ على المعتزلة في طلحة والزبير، كتاب القدر، كتاب الألفاظ، كتاب المعرفة، كتاب الاستطاعة، كتاب الثمانية الأبواب، كتاب علىٰ شيطان الطاق، كتاب الأخبار وكيف تصحّ، كتاب على ارسطاليس في التوحيد، كتاب المعتزلة[١].

وقد عدّه الكشي في رجاله والنجاشي ـ المتوفى عام ٤٥٠هـ في مطير من نواحي سامراء وهو من أعلم علماء الشيعة في علم الرجال ـ في رجاله أيضاً من الثقات وهو ـ هشام ـ عندهما من أهل التوحيد الكامل والتقوى[٢].

وهكذا وثّقه شيخ الطائفة وفخر الشيعة ومحي الشريعة الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان البغدادي (رحمه الله)[٣] وقد دافع وردّ كلّ الاتّهامات الباطلة

---

(١) الفهرست لابن النديم ص٢٢٣، الفن الثاني: من المقالة الخامسة، ط طهران، ١٩٧١م.

(٢) قال العلّامة الكبير النجاشي: وروى هشام عن أبي عبدالله وأبي الحسن موسى عليهما السلام، وكان ثقة في الروايات، حسن التحقيق بهذا الأمر.
أُنظر رجال النجاشي ج٢ ص٣٩٨، ط بيروت، دار الأضواء ١٩٨٨م / المترجم.

(٣) انتهت إليه رئاسة المذهب الشيعي في القرن الرابع الهجري وكان علىٰ درجة عالية من العلم والفضل والعدالة والوثاقة، وكان يتغلّب في مناظراته على كلّ من ناظره، وقد جرت بينه وبين علماء أهل السنّة مناظرات كثيرة منها مناظراته مع أبي بكر الباقلاني وعليّ بن عيسى الرماني والقاضي عبد الجبّار المعتزلي وفاضل كتبي وغيرهم، وكان يلزمهم الحجّة في جميع محاوراته ومحاججاته، حتّى قال القاضي عبد الجبّار لمّا عجز عن جواب الشيخ: أنت المفيد حقّاً، ومنذ ذلك الحين عرف في الأوساط بالشيخ المفيد، وفي ليلة الثالث من شهر رمضان المبارك من عام ٤١٣هـ ارتحل الشيخ المفيد (رحمه الله) إلى الرفيق الأعلى بعد ٧٦ عاماً من الجهاد في ميدان العلم
←

عن هشام في أكثر من كتاب، وعلىٰ غراره السيّد المرتضىٰ علم الهدى[1] في

← والفضائل، ودفن في مقابر قريش إلى جانب قبري الإمام الكاظم والجواد عليهما السلام في بغداد وقد اشترك في تشييعه ثمانون ألف إنسان من الشيعة والسنّة وذلك لجلالة قدره وعلوّ منزلته عند الخاصّ والعام، وانفرد الشيخ المفيد بأمور منها: حصوله وتشرّفه بالتوقيع المبارك الذي خرج من الإمام المهدي (عجّل الله فرجه الشريف) وقد خاطبه بـ(للأخ السديد السعيد الشيخ المفيد).

ومنها: ما ذكره المحدّث القمّي في الكنى والألقاب، عن جماعة من العلماء الأعلام منهم الميرزا محمّد مهدي الشهرستاني أنّه قال: شوهدت على قبر الشيخ المفيد مرثيّة من وليّ العصر صاحب الأمر عجّل الله فرجه وهي:

لا صوّت الناعي بفقدك أنّه ... يومٌ على آل الرسول عظيمُ

إن كنت قد غيّبت في جدث الثرىٰ ... فالعدل والتوحيد فيك مقيمُ

والقائم المهدي يفرح كلّما ... تُليت عليك من الدروس علومُ

وقد قال عنه علماء أهل السنّة: هو شيخ مشايخ الإمامية، رئيس الكلام والفقه والجدل، وكان يناظر أهل كلّ عقيدة وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس، وكان شيخاً ربعة نحيفاً أسمر، عاش ستّاً وسبعين سنة وله أكثر من مائتي مصنّف، كانت جنازته مشهورة، شيّعه ثمانون ألفاً من الرافضة والشيعة وأراح الله منه أهل السنّة، وكان كثير التقشّف والتخشّع والإكباب على العلم وكان يقال له علىٰ كلّ إمامي منة.

وقد ذكر أسماء كتبه الشيخ الطوسي في الفهرست / المؤلّف.

أقول: كان هذا الكلام في المتن ورأيت من المناسب وضعه في الهامش للمحافظة على سياق الموضوع / المترجم.

وأمّا التوقيع المبارك له تجده في البحار ج٥٣ باب التوقيعات.

(١) السيّد المرتضىٰ: جامع العلوم من الفقه والأصول والحديث والكلام والأدب والشعر واللغة وغيرها، وفاق في زمانه كلّ أهل العلم والفضل حتّى أذعن لرئاسته ←

← المخالف والمؤالف، ومن خصائصه كماذكرها العلّامة المامقاني في تنقيح المقال ج٢ ص٢٨٥ والمحدّث القمّي نقلاً عن خطّ السيد صفيّ الدين محمّد بن معد الموسوي في الكاظمية وآخرين أنّ وزير القادر بالله العبّاسي وهو أبو سعيد محمّد بن الحسين بن عبد الرحيم قد مرض في سنة ٤٢٠هـ فرأى في منامه أمير المؤمنين عليه السلام يقول: قل لعَلَم الهدىٰ يقرأ عليك حتّى تبرأ فقال: يا أمير المؤمنين ومَن علم الهدى؟ قال عليه السلام: عليّ بن الحسين الموسوي، فكتب الوزير إليه بذلك فقال المرتضى: الله الله في أمري فإن قبولي لهذا اللقب شناعة عليَّ، فقال الوزير: ما كتبت إليك إلّا بما لقّبك به جدّك أمير المؤمنين عليه السلام، فعلم القادر الخليفة بذلك فكتب إلى المرتضى تقبل يا علي بن الحسين ما لقّبك به جدّك فقبل وأُسمع الناس. أقول: تجد هذه القصّة في الكنى والألقاب ج٢ ص٤٨١ ط طهران، وتنقيح المقال ج٢ ص٢٨٥ / المترجم.

ومن كراماته أيضاً ما ذكره العلّامة المامقاني في التنقيح عن فخار بن معد العلوي الحسني عن الشيخ المفيد رحمه الله أنّه رأى في منامه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله دخلتْ إليه وهو في مسجده بالكرخ ومعها الحسن والحسين عليهما السلام صغيرين فسلّمتهما له وقالت: علّمهما الفقه، فانتبه متعجِّباً من ذلك، فلمّا تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة دخلتْ عليه فاطمة بنت الناصر وحولها جواريها وبين يديها ابناها محمّد الرضيّ وعلي المرتضىٰ رحمهما الله صغيرين فقام إليها وسلّم عليها، فقالت: أيّها الشيخ هذان ولداي قد أحضرتهما إليك لتعلّمهما الفقه، فبكى الشيخ المفيد وقصَّ عليها المنام وتولّىٰ تعليمهما وأنعم الله عليهما وفتح لهما أبواب العلم والفضائل ما اشتهر في آفاق الدُّنيا / تنقيح المقال ج٢ ص٢٨٥ / لاسيّما السيّد المرتضى الذي وصلت إليه زعامة المذهب بعد الشيخ المفيد، وقد حضر يوماً الشيخ درس تلميذه المرتضىٰ فقام الأخير احتراماً للشيخ إلّا أنّ الشيخ أمره بإكمال الدرس فأكمله ولمّا سمعه الشيخ تعجّب من بيان السيّد وإحاطته وقدرته على الكلام، والسيّد المرتضى ←

كتابه الشافي وغيره، ووثّقه أيضاً العلّامة الجليل والمتكلّم الفقيه محمّد بن علي ابن عثمان الكراجكي وهو من تلامذة الشيخ المفيد والسيّد المرتضىٰ علم الهدىٰ وسلّار بن عبد العزيز الديلمي وحسين بن عبيد الله الواسطي، وأبي الحسن بن شاذان القمّي.

وقد ذكره العلّامة المجلسي وعدّه من أجلّة العلماء والفقهاء ومتكلّمي

← هو الذي صلّىٰ على جنازة الشيخ المفيد، وعدّ مجدّداً للمذهب على رأس المائة، فقد قال ابن الأثير في جامع الأصول: إنّه مروّج مذهب الإمامية في رأس المائة الرابعة. وقال في موضع آخر: إنّه مجدّد مذهب الإمامية، إذ كان ميلاده في رجب عام ٣٥٥ ووفاته في ربيع الأوّل عام ٤٣٦هـ

ومن خصائصه أيضاً: أنّه لقّب بالثمانين، لأنّه كان له من كلّ شيء ثمانون فكانت له ثمانون قرية تُجبى إليه بين بغداد ومكّة من إرث آبائه كما ذكره المحقّق الثاني رحمه الله في رسالته الخراجية / لاحظ تنقيح المقال ج ٢ ص ٢٨٤ / المترجم.

وكانت مدّة عمره ثمانين سنة وثمانية أشهر، ووجد في مكتبته ثمانين ألف مجلّد، وله عدّة مصنّفات في مختلف العلوم منها «الغرر والدرر» الذي ذكره ابن خلكان في الوفيات.

وقال عنه: وهي مجالس أملاها تشتمل على فنون من معاني الأدب تكلّم فيها على النحو واللغة وغير ذلك وهو كتاب ممتع يدلّ علىٰ فضل كبير وتوسّع في الاطّلاع على العلوم / لاحظ وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣١٣ رقم ٤٤٣ ط الشريف الرضي / المترجم.

وأهمّ مصنّفاته هو كتاب الشافي وهو ردّ على كتاب المغني للقاضي عبد الجبّار من علماء أهل السنّة المتعصّبين، وتدور مباحثه حول الإمامة، وفيه أيضاً بعض الردود على من اتّهم هشام بن الحكم، ودافع عنه دفاعاً علمياً وأبطل كلّ الترهات والخزعبلات / المؤلّف.

أقول: كان هذا الكلام في المتن ورأيت من المناسب وضعه في الهامش / المترجم.

الإمامية في القرن الخامس الهجري وله تصانيف كثيرة أهمّها كنز الفوائد وهو من نفائس الكتب وعلى جميع أهل العلم والفضل مطالعته بدقّة، وقد ذكر تحقيقاً رشيقاً في كتابه هذا في الدفاع عن هشام بن الحكم وردّ جميع التّهم عنه[١].

وأيضاً وثّقه شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي‎ﷺ وهو من أكبر علماء الإمامية وانتهت إليه رئاسة المذهب في القرن الخامس الهجري، وكان على درجة عالية من العلم بشتّى أصنافه كالفقه والكلام والأصول والأدب والرجال... وقد جمع الفضائل النفسانية والأخلاقية إلى جانب علمه، وقد ولد‎ﷺ[٢] وقد تتلمذ لمدّة خمس سنوات عند الشيخ المفيد‎ﷺ وعند السيّد المرتضى لمدّة ٢٨ عاماً، وبعد رحيل السيّد تصدّى الشيخ الطوسي لزعامة المذهب لمدّة ٢٤ عاماً قضاها في الدفاع عن حرم هذه الطائفة الحقّة وقد نُصِبَ له كرسي التدريس في علم الكلام من قِبل خلفاء بني العبّاس، وكان يحضر درسه أكثر من ثلاثمائة شخص من أكابر علماء ومجتهدي الشيعة والسنّة وكان الجميع ينهل من فيضه المبارك.

إلى عام ٤٤٣هـ عندما تحرّك أهل العناد واللجاج، والتعصّب والأحقاد، أولئك الحسّاد الذين أرادوا إشعال نار الفتنة وتمزيق الوحدة وإثارة النعرات الطائفية، فقاموا ـ بعض أهل السُنّة ـ بإحراق الكرسي الذي يجلس عليه الشيخ الطوسي في تدريسه والذي أهداه إليه الخليفة العبّاسي كما وأشعلوا النار في مكتبة الشيخ في داره، إلّا أنّ الشيخ الطوسي تصرّف بحنكة وصبر وحكمة، فلم يردّ على القوم ولم يتّهم أحداً بل ترك بغداد مهاجراً إلى النجف الأشرف وبقي

---

(١) كنز الفوائد ج٢ ص٤١ ط دار الأضواء بيروت ١٩٨٥م / المترجم.

(٢) ولد الشيخ الطوسي في شهر رمضان عام ٣٨٥هـ بعد وفاة الشيخ الصدوق بأربعة سنين في مدينة طوس، وفي عام ٤٠٨هـ أي بعد وفاة السيّد الرضيّ بسنتين، هاجر إلى العراق وكان عمره آنذاك ٢٣ عاماً واستقرّ في بغداد / المؤلّف.

فيها إلى عام وفاته ٤٦٠هـ ودفن في المسجد الموسوم باسمه بالقرب من الصحن الشريف، وطيلة ٩٠٠ عاماً كان أكابر مراجع الشيعة والعلماء يجعلون من مسجد الطوسي محلاًّ لدرسهم.

سؤال أحد الحاضرين: أرجو أن تبيِّن لنا سبب مخالفة أهل بغداد للشيخ الطوسي صاحب المقام الشامخ والمنصوب من قبل الخليفة للتدريس؟

سبب الفتنة بين الشيعة والسنّة في عام ٤٤٣هـ في بغداد

الجواب: أوّلاً: أنّ السبب الرئيسي في مثل هذه الأحداث والفتن التي تهدّد كرامة المسلم وتريق دمه، هو الحسد، لاسيّما من العلماء غير العاملين كما ورد في الحديث «آفة العلم الحسد»[1]، فالحسد يأكل العلم والإيمان كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب»[2].

فلمّا ذاع صيت الشيخ وانتشرت أخباره وعلميّته الفائقة وافتخار تلامذته ـ من الشيعة والسنّة ـ به واتّساع حلقة درسه، وصلت أنباءه إلى الخليفة العبّاسي ممّا دفع الأخير أن يبعث للشيخ هدية تدلّل على اهتمامه به وكانت عبارة عن كرسي عظيم فكان الشيخ يجلس عليه للتدريس، ممّا أثار هذا العمل حفيظة بعض حُسّاد أهل السنّة فقاموا بإشاعة الكلام غير اللائق عن الشيخ في السرّ والعلن.

ثانياً: ولم يكتفِ هؤلاء بهذا المستوى من الذنوب بل دفعتهم الرواسب الأموية التي ورثوها من أسلافهم، إلى التعصّب وإغراء بعض العوام وخداعهم

---

(١) أصول الكافي ج٢، ص٢٣٢ ح٤، ط المكتبة الإسلامية.

(٢) نفس المصدر ص١٣١.

والكذب والتمويه عليهم ودفعهم إلى قتل الشيعة تحت مزاعم وأكاذيب منها: إنّ الشيعة مشركون كفّار، لأنّهم يخالفون الصحابة...

ممّا أدّى إلى حصول حرب داخلية بين الشيعة والسنّة عام ٤٤٣هـ في بغداد راح ضحيّتها الأبرياء، ثمّ هجم بعض الهمج الرعاع على منزل الشيخ الطوسي وأشعلوا النار فيه، فاحترقت مكتبته الثمينة وذهب ذلك التراث الإسلامي بعمل الجهّال.

ولم يقف علماء السوء إلى هذا الحدّ بل ذهبوا للسعاية فقد قدموا على الخليفة العبّاسي وقالوا له: إنّ الشيخ الطوسي قد كفر، لأنّه يُجوِّز لعن الصحابة في كتابه «مصباح المتهجّد» في دعاء يوم عاشوراء المروي عن الإمام الباقر عليه السلام: اللّهمّ خصَّ أنت أوّل ظالم باللعن منّي وابدأ به أوّلاً ثمّ العن الثاني والثالث والرابع اللّهمّ العن يزيد خامساً.

فأمر الخليفة العبّاسي بإحضار الشيخ، فلمّا جاءه ودخل عليه كان أولئك الحسّاد جالسون عند الخليفة العبّاسي أيضاً، فلمّا سأله الأخير عن موضوع الدُّعاء ولعن الصحابة، قال الشيخ: إنّ هؤلاء القوم أرادوا السعاية بي حسداً من عند أنفسهم ولم أُصرّح بلعن الصحابة، فقال الخليفة: فما معنىٰ هذه العبارات في الدُّعاء؟ فقال الشيخ:

أمّا الظالم الأوّل: فهو قابيل بن آدم عندما قتل هابيل ظلماً.

وأمّا الظالم الثاني: فهو قيدار (أو قدّار) عاقر ناقة صالح عليه السلام.

وأمّا الظالم الثالث: فهو قاتل النبيّ يحيى عليه السلام وقد ذبحه ووضع رأسه في طشت.

وأمّا الظالم الرابع: فهو عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

وأمّا الخامس: فهو يزيد بن معاوية الذي أمر بقتل سيّد شباب أهل الجنّة وابن رسول الله صلى الله عليه وآله الحسين بن عليّ عليهما السلام فقتلوه وذبحوه وسبوا عياله وأهل بيته

كما يسبى الكفّار وأدخلوهم إلى الشام بعد أن أعلنوا الفرح والسرور بذلك[1].

فلمّا سمع الخليفة جواب الشيخ ورأى أنّه كلام منطقي مطابق لما هو معهود عند المسلمين، أكرمه واحترمه وأهان علماء السوء ـ من أهل السنّة ـ الذين أرادوا الإضرار بالشيخ، من خلال هذه السعاية وعاقبهم على فعلهم وفتنتهم التي أوقدوها.

إلّا أنّ الشيخ منذ ذلك الوقت ارتحل من بغداد إلى النجف إخماداً للفتنة، وبقي في النجف ١٧ عاماً مجاوراً أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وهناك أسّس الحوزة العلمية التي تنهل الأجيال منذ عصر الشيخ وإلى هذا اليوم من علومها وفنونها، وقد تخرّج فحول الشيعة منها أيضاً.

هذا وقد أصرّ الخليفة العبّاسي وبعض أهل العلم في بغداد على الشيخ بالعودة إليها، إلّا أنّه رفض وظلّ في النجف إلى أن توفّي في ليلة الاثنين ٢٢ محرّم عام ٤٦٠هـ والتحق بالرفيق الأعلى، بعد أن ترك تراثاً هائلاً في كتبه ومصنّفاته في مختلف العلوم والمعارف[2] وقد ذكر في عدّة مواضع من كتبه ما

---

(١) أيضاً نقل هذه القصّة الشيخ حبيب الله الكاشاني المتوفّي في (١٣٤٠هـ) في شرحه على زيارة عاشوراء المطبوعة أخيراً ص١٠٥، ط قم، دار الأنصار.

(٢) لقد ذكر الشيخ الطوسي رحمه الله في آخر باب الميم من كتابه (الفهرست) بعض أسماء كتبه منها: التبيان، الجامع لعلوم القرآن، وهو تفسير للقرآن الكريم وقد نهل منه الشيخ الطبرسي الشيء الكثير كما ذكر ذلك في مقدّمة تفسيره، وكتاب تهذيب الأحكام الذي جمع فيه روايات الأحكام من الطهارة إلى الديات، والاستبصار، والنهاية في أُصول الفقه، والمفصح في الإمامة، وتلخيص الشافي في الإمامة أيضاً، والعدّة في أُصول الفقه، ومسائل الخلاف بين فرقة الإمامية وسائر المخالفين (وقد طبع مؤخّراً بأمر آية الله العظمى المرحوم السيّد البروجردي)، والمبسوط الحاوي ←

يتّصل بوثاقة هشام بن الحكم أو الدفاع عنه وردّ تلك الأكاذيب، لاسيّما في كتابه (الفهرست) الذي ذكر فيه: هشام بن الحكم كان من خواصّ سيّدنا ومولانا موسىٰ بن جعفر عليه السلام وكانت له مباحثات كثيرة مع المخالفين في الأصول وغيرها وكان له أصل... وله من المصنّفات كتب كثيرة ... (حتّى عدَّ منها ٢٨ كتاباً) ثمّ

← على ٨١ فصلاً في جميع فروع الفقه الذي قال عنه بعض المحقّقين: (لا يوجد مثله لا في الشيعة ولا عند أهل السنّة)، والجمل والعقود في العبادات، والإيجاز في الفرائض، وشرح جمل العلم والعمل، والنقض على ابن شاذان في مسألة الغار، ومناسك الحجّ، ومصباح المتهجّد، والاقتصاد فيما يجب على العباد، ومختصر المصباح، والغيبة، وهداية المسترشد، والمجالس، ومقتل الحسين عليه السلام، وكتاب في الأصول، وبعض الرسائل الصغيرة في: العمل بخبر الواحد، ومسائل الحنابلية (أو الجيلانية) في ١٤ مسألة، ومسائل الرحبية، والمسائل الدمشقية ١٢ مسألة، والمسألة الرازية في الوعيد، ومسائل في الفرق بين النبوّة والإمامة، والمسائل الحلّية، والمسائل الالياسية في ١٠٠ مسألة في فنون مختلفة، والمسائل الحائرية في ٣٠٠ مسألة.

وقال العلّامة المامقاني: أوّل كتاب صنّفه الشيخ هو كتاب النهاية في الفقه والفتوى وآخر مصنّفاته هو المبسوط.

وكتب أكثر مؤلّفاته في زمان خلفاء بني العبّاس، إذ كانوا يظهرون ودّهم وحبّهم وتعظيمهم للعلماء من الخاصّة أو العامّة، فلم يكن ذلك المقطع الزماني مدعاة للتقية بل كان نفس بعض الخلفاء يحضر حلقة المناظرات في الأصول والفقه والإمامة، كما يروى عن الرشيد والمأمون.

وأيضاً من المصنّفات المهمّة للشيخ كتابه في الرجال، والفهرست الذي ذكر فيه أسماء علماء الشيعة وكتبهم إلى زمانه / المؤلّف.

أقول: كان هذا الكلام في المتن أدرجته في الهامش حفاظاً على تسلسل الموضوع / المترجم.

قال: وكان ممّن فتق الكلام في الإمامة وهذا المذهب في النظر وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب[١].

وأيضاً ممّن وثّقه المولى رشيد الدين محمّد بن علي بن شهرآشوب السروي (أعلى الله مقامه) الذي أقرّ بعظمته وجلالة قدره الشيعة والسنّة[٢]، قال هذا العالم الكبير في كتابه (معالم العلماء) عن هشام ما لفظه:

إنّه ـ هشام ـ كان ممّن فتق الكلام في الإمامة وتهذّب المذهب بالنظر، ورفعه الصادق عليه السلام على الشيوخ وهو غلام، وقال: هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده، وقال عليه السلام: هشام بن الحكم رائد حقّنا وسائق قولنا، المؤيّد لصدقنا والدافع لباطل أعدائنا، مَن تبعه وتبع أثره تبعنا، ومَن خالفه وألحد فقد عادانا وألحد فينا[٣].

وأيضاً ممّن ذكر وثاقة هشام العلّامة الحلّي رحمه الله[٤] في كتاب الخلاصة حيث

---

(١) الفهرست للطوسي ص٢٠٣ رقم ٧٨٢ ط٢ النجف ١٩٦٠م.

(٢) عاش هذا العالم الكبير في القرن السادس الهجري وحمل لواء العلم والفقاهة، وتوفّي في حلب عام ٥٨٨هـ ودفن بها، وقبره اليوم مزاراً للخاصّ والعامّ وقد تشرّفت بزيارة قبره عام ١٣٧٤هـ عند عودتي من الحجّ، ولهذا العالم الكبير عدّة كتب في الفقه والتفسير والأخبار والأحاديث وأصول الاعتقاد والفروع وهي كتب ثريّة مليئة بالفائدة / المؤلّف.
أقول: كان هذا الكلام في المتن أدرجته في الهامش حفاظاً على سياق الموضوع / المترجم.

(٣) معالم العلماء ص١١٥ حرف الهاء، ط إيران ١٣٥٣هـ.

(٤) هو الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلّي، عاش في القرن السابع وكان كالشمس بين علماء الشيعة والسنّة، وقد نبغ في كافّة العلوم في عصره فبرع في ←

ذكر فيه:

هشام بن الحكم أبو محمّد مولى كندة وكان ينزل ببني شيبان بالكوفة وانتقل إلى بغداد سنة ١٩٩هـ، ويُقال: إنّ في هذه السنة مات، ومولده كان بالكوفة ومنشأه واسط وتجارته بغداد، ثمّ انتقل إليها في آخر عمره ونزل قصر وضّاح، روي عن أبي عبدالله وأبي الحسنعليهما السلام، وكان ثقة في الروايات حسن التحقيق بهذا الأمر، ورويت مدائح له جليلة عن الإمامين الصادق والكاظمعليهما السلام وكان ممّن فتق الكلام في الإمامة وهذّب المذهب بالنظر وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب، وقال الكشي: ... ترحّم عليه الرضاعليه السلام، ثمّ قال العلّامة: وهذا الرجل عندي عظيم الشأن رفيع المنزلة[1].

وممّن وثّقه أيضاً العلّامة المامقانيقدس سره وهو من أعاظم الشيعة ورموزها الكبار في القرن الرابع عشر، وله عدّة مصنّفات أهمّها ثلاث مجلّدات؛ تنقيح المقال في علم الرجال، الذي امتاز بالتحقيق والتدقيق مع اسلوبه الظريف وقد

← الفقه والأصول والكلام والحكمة والمنطق والهندسة والرياضيات. وبالجملة: حمل علم المعقول والمنقول، وترك تراثاً هائلاً في مختلف العلوم والفنون كان بعضها سبباً لتشيّع بعض أهل السنّة، فله أكثر من مائة مصنّف منها كتاب الألفين وكتاب نهج الحقّ وكشف الصدق؛ فقد كان كلّ واحد من هذين الكتابين مشعلاً يُستنار به.

ومن جملة كتبه أيضاً: كتاب في علم الرجال وآخر باسم خلاصة الأقوال في معرفة الرجال وثالث باسم الكتاب الكبير في شرح حالات الرجال من الصحابة إلى أصحاب الأئمّة / المؤلّف.

أقول: كان هذا الكلام في المتن أدرجته في الهامش حفاظاً على وحدة الموضوع / المترجم.

(١) خلاصة الأقوال ص٢٨٨ رقم ١٠٦١ ط قم.

قال فيه عن هشام: هذا الرجل ممّن اتّفق الأصحاب على وثاقته وجلالته وعظم قدره ورفعة منزلته عند الأئمّة الأطهار سلام الله عليهم(١).

ثمّ يذكر إشادات الأعلام في حقّ هشام كالعلّامة المجلسي والكراجكي والمرتضى والشيخ المفيد، وقد أورد ١٨ رواية عن رجال الكشي عن الأئمّة عليهم السلام كلّها في وثاقة هشام والإشادة به ودعاء بعض الأئمّة له.

وأيضاً ذكر مقابل هذه الأخبار، خبر واحد في ذمّ هشام إلّا أنّ العلّامة ـ المامقاني ـ يردّ هذا الذمّ بأسلوب علمي قائم على الأدلّة والبراهين المقنعة، ثمّ يقول: وبالجملة لا ريب في كونه ـ هشام ـ من شيعتهم عليهم السلام والمتديّنين بقولهم والمؤتمرين بأمرهم وأنّه في أكثر الأوقات يصل إلى خدمتهم ويواجههم للأخذ عنهم وأنّه أخذ ما أخذ ممّا لا يخفىٰ فكيف ما منعوه ومن عندهم ما طردوه بل في خواصّهم نظّموه ومن أجلّة أصحابهم اتّخذوه، بل لا يخفى على المتتبّع المتأمّل أنّه لا يكاد يتحقّق نظيره في الجلالة والاختصاص بهم فما ورد في ذمّه، شبهةٌ في مقابل العلم القابلة لتوجيهٍ ظاهرٍ(٢).

وبعد أن ينتهي من ردّ هذا الذمّ وتوجيهه بأسلوب منطقي معقول يقول:

فتخلّص من ذلك كلّه براءة ساحة الرجل عمّا يشينها وأنّه بلغ في الجلالة حدّاً لا يؤثّر فيه تهمة التاهمين ولا يزري به عناد المعاندين ولا انتقاد الحاسدين والحمد لله ربّ العالمين(٣).

وهذا الذي نقلته لكم من أقوال العلماء نزر يسير جدّاً من باب «ما لا يُدرك كلّه لا يُترك كلّه» في وثاقة هشام وكونه من أعلام الشيعة ولا يُعتنى بما قاله

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص٢٩٤، ط حجري.

(٢) المصدر السابق ص٢٩٨.

(٣) المصدر السابق ص٣٠٠.

البغدادي والشهرستاني وابن حزم وأمثالهم من أهل السنّة الذين اتّسموا بالعناد والتعصّب.

وكلّ من يطالع أخبار هشام ومناظراته مع أهل السنّة يدرك جيّداً أنّه من مصاديق قوله تعالىٰ: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾(١) لأنّه كان يجاهدهم بسيف المنطق وحربة الدليل والإقناع ممّا لا يجدون بدّاً من قبوله، ولذا لمّا عجزوا عن التغلّب عليه ذهبوا إلى طرق ملتوية في تلطيخ الرجل بالافتراءات والأكاذيب كما قال الإمام الرضاعليه السلام عنه: رحمه الله كان ـ هشام ـ عبداً ناصحاً أوذي من قِبَل أصحابه حسداً منهم له(٢).

وأرى من المناسب أن أذكر لكم نموذجاً من مناظراته واسلوبه وقدرته العلمية.

مناظرة هشام بن الحكم مع عبدالله بن زيد الخارجي

يُنقل أنّ هارون العبّاسي أحبّ أن يسمع مناظرة هشام فأمر وزيره يحيى البرمكي أن يعقد مجلساً لهذا الغرض، فدعى يحيى زعماء الخوارج مثل عبدالله بن زيد الخارجي وكان من أصدق الناس لهشام بن الحكم وكان يشاركه في التجارة، فلمّا دخل هشام سلّم على عبدالله بن زيد من بينهم، فقال يحيىٰ بن خالد لعبدالله: يا عبدالله كلّم هشاماً فيما اختلفتم فيه من الإمامة فقال هشام: أيّها الوزير ليس لهم علينا جواب ولا مسألة، فقال عبدالله بن زيد: وكيف ذلك؟ فقال هشام: لأنّكم قوم قد اجتمعتم معنا علىٰ ولاية رجل وتعديله والإقرار بإمامته

(١) الفرقان: ٥٢.

(٢) رجال الكشي ج٣ ص٥٤٧ رقم ٤٨٦ ط مؤسسة آل البيت، قم.

وفضله، ثمّ فارقتمونا في عداوته والبراءة منه، فنحن على إجماعنا وشهادتكم لنا، وخلافكم علينا غير قادح في مذهبنا، ودعواكم غير مقبولة علينا، الاختلاف لا يقابل الاتّفاق، وشهادة الخصم لخصمه مقبولة وشهادته عليه مردودة.

قال يحيى بن خالد: لقد قرّبت قطعه يا أبا محمّد، ولكن جاره شيئاً فإنّ أمير المؤمنين ـ هارون ـ يحبّ ذلك، قال: فقال هشام: أنا أفعل ذلك غير أنّ الكلام ربّما انتهى إلى حدّ يغمض ويدقّ على الأفهام، فيعاند أحد الخصمين أو يشتبه عليه فإن أحبّ الإنصاف فليجعل بيني وبينه واسطة عدلاً إن خرجت عن الطريق ردّني إليه وإن جار في حكمه شهد عليه، فقال عبدالله بن زيد: لقد دعا أبو محمّد إلى الإنصاف، فقال هشام: فمن يكون هذه الواسطة؟ وما يكون مذهبه؟ أيكون من أصحابي أو من أصحابك أو مخالفاً للملّة لنا جميعاً؟ قال عبدالله: اختر من شئت فقد رضيت به، قال هشام: أمّا أنا فأرى أنّه إن كان من أصحابي لم يؤمن عليه العصبية لي، وإن كان من أصحابك لم آمنه في الحكم عليّ، وإن كان مخالفاً لنا جميعاً لم يكن مأموناً عليّ ولا عليك، ولكن يكون رجلاً من أصحابي ورجلاً من أصحابك فينظران فيما بيننا ويحكمان علينا بموجب الحقّ ومحض الحكم بالعدل، فقال عبدالله: فقد أنصفت يا أبا محمّد وكنت أنتظر هذا منك.

فأقبل هشام على يحيى بن خالد فقال له: قد قطعته أيّها الوزير ودمّرت على مذاهبه كلّها بأهون سعي، ولم يبق معه شيء، واستغنيت عن مناظراته، قال: فحرّك الستر الرشيد، وأصغى يحيى فقال: هذا متكلّم الشيعة واقف الرجل موافقة لم يتضمّن مناظرة، ثمّ ادّعى عليه أنّه قد قطعه وأفسد مذهبه، فمره أن يبيّن عن صحّة ما ادّعاه على الرجل، فقال يحيى بن خالد، قال: فقال هشام رحمه الله: إنّ هؤلاء القوم لم يزالوا معنا على ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حتّى كان من أمر الحكمين ما كان، فأكفروه بالتحكيم وضلّلوه بذلك وهم الذين

اضطرّوه إليه والآن فقد حكّم هذا الشيخ وهو عماد أحصابه مختاراً غير مضطرّ رجلين مختلفين في مذهبهما: أحدهما يكفّره، والآخر يعدّله، فإن كان مصيباً في ذلك فأمير المؤمنين أولى بالصواب، وإن كان مخطئاً كافراً فقد أراحنا من نفسه بشهادته بالكفر عليها والنظر في كفره وإيمانه أولى من النظر في إكفاره عليّاً عليه السلام قال: فاستحسن ذلك الرشيد وأمر بصلته وجائزته[1].

مناظرته مع عمرو بن عبيد

ومن جملة مناظراته المهمّة ما جرى بينه وبين فقيه وعالم المعتزلة في البصرة. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد، وجلوسه في مسجد البصرة وعظم ذلك عَليَّ فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة وأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة وإذا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء مؤتزر بها من صوف وسملة مرتد بها، والناس يسألونه فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثمّ قعدت في آخر القوم علىٰ ركبتي ثمّ قلت: أيّها العالم أنا رجلٌ غريب، أتأذن لي فأسألك عن مسألة؟

قال: اسأل.

قلت له: ألك عين؟

قال: يا بني أي شيء هذا من السؤال، إذاً كيف تسأل عنه؟

فقلت: هذه مسألتي.

قال: يابني، سل وإن كانت مسألتك حمقىٰ.

قلت: أجبني فيها.

قال: سل.

---

(١) البحار ج ١٠ ص ٢٩٤ ح ٣ ط ايران.

قلت: ألك عين؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بها؟

قال: أرى بها الألوان والأشخاص.

قلت: ألكَ أنف؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أشمّ به الرائحة.

قلت: ألك لسان؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أتكلّم به.

قلت: ألك أُذن؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بها؟

قال: أسمع بها الأصوات.

قلت: ألك يدان؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بهما؟

قال: أبطش بهما وأعرف بهما الليّن من الخشن.

قلت: ألك رجلان؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بهما؟

قال: أنتقل بهما من مكان إلى مكان.

قلت: ألك فم؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أعرف به المطاعم والمشارب على اختلافها.

قلت: ألك قلب؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أميّز به كلّما ورد على هذه الجوارح.

قلت: أفليس في هذه الجوارح غنىً عن القلب؟

قال: لا.

قلت: وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة؟

قال: يابُني إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته ردّته إلى القلب فتيقّن بها اليقين وأبطل الشكّ.

قلت: فإنّما أقام الله عزّوجلّ القلب لشكّ الجوارح؟

قال: نعم.

قلت: لا لابدّ من القلب وإلّا لم تستيقن الجوارح؟

قال: نعم.

قلت: يا أبا مروان، إنّ الله تبارك وتعالى لم يترك جوارحكم حتّى جعل لها إماماً، يصحّح لها الصحيح وينفي ما شكّت فيه ويترك هذا الخلق كلّه في حيرتهم وشكّهم واختلافهم لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكّك؟

قال: فسكت، ولم يقل لي شيئاً، ثمّ التفت إليّ وقال: أنت هشام؟ قلت: لا.

قال: أجالسته؟

قلت: لا.

قال: فمن أين؟

قلت: من أهل الكوفة.

قال: فأنت إذاً هو، ثمّ ضمّني إليه، وأقعدني في مجلسه وما نطق حتّى قمت، فلمّا سمع الإمام الصادق عليه السلام ذلك ضحك ثمّ قال: يا هشام مَن علّمك هذا؟ قلت: يابن رسول الله جرى على لساني. قال: يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى(١).

حواره مع يحيى البرمكي أمام هارون

وذكر القاضي السيّد نور الله الشهيد في مجالس المؤمنين نقلاً عن منتقاة السيّد علم الهدى رحمه الله أنّه سأل يحيى البرمكي من هشام بحضور هارون الرشيد: أيمكن أن يكون الحقّ في جهتين مختلفتين؟ فقال: لا يمكن ذلك، فقال يحيى: فإذا اختلف اثنان أيمكن أن يكون كلاهما على حقّ أم كلاهما على باطل أم أحدهما محقّ والآخر على باطل؟

فقال هشام: هذا يُعلم من كلامك السابق، إذ لا يمكن أن يكونا على حقّ معاً، فقال يحيى: إذن فاخبرنا عن مخاصمة عليّ عليه السلام والعبّاس في ميراث رسول الله عندما ذهبا إلى أبي بكر كي يحكم بينهما؟

فقال هشام: قلت في نفسي: إن قلت: الحقّ مع عليّ كنتُ قد أغضبت هارون الرشيد، وإن قلت: الحقّ مع العبّاس كنت قد حكمتُ على نفسي

---

(١) الاحتجاج ج٢ ص١٢٦، ط النجف ١٩٦٦م، ورجال الكشي ٣: ٥٤٩ رقم ٤٩٠، ط مؤسسة آل البيت قم.

وديني، فبقيت في حيرتي وتذكّرت قول الصادقعليه السلام لي: لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك، عندها خطر في ذهني هذا الجواب، فقلت له: كلاهما كانا على الحقّ ولم يكن أحدهما مبطلاً، ولم يختلافا، ونظير هذه القضية ما حصل مع النبي داودعليه السلام والملكين الذين حضرا عنده ليحكم بينهما كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ۝إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾[1] فأنا أسألك أي الملكين الذين جاءا للمخاصمة والمحاكمة عند داودعليه السلام أيّهما كان محقّاً وأيّهما مبطلاً؟

قال يحيى: لم يكن أيّ أحد منهما على باطل بل كلاهما محقّان وإنّما جاءا عندهعليه السلام لتنبيه داودعليه السلام في مورد الحكم كي لا يتسرّع.

فقال هشام: وكذا جاء عليّعليه السلام والعبّاس عند أبي بكر لم يكن عن مخاصمة حقيقة حول الإرث وإنّما حضرا لتنبيه الخليفة عندما تسرّع في غصب الخلافة ومنع إرث رسول اللهصلى الله عليه وآله عن أهل بيته، فاصطنعا المخاصمة ولم تكن حقيقيّة لإبلاغ الخليفة هذه الرسالة، فسكت يحيى لمّا سمع هذا الجواب، واستحسن هارون هذا الجواب[2].

مناظرته مع سليمان بن جرير حول الإمامة

ذكر أبو عمرو الكشي قال: أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمّد الخالدي قال: أخبرني محمّد بن همام البغدادي أبو علي... قال: كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجد على هشام بن الحكم شيئاً من طعنه على الفلاسفة وأحبّ أن

---

(١) سورة ص: ٢٢.

(٢) مجالس المؤمنين ج١ في ترجمة هشام بن الحكم، فارسي.

يُغري به هارون ويضربه على القتل، قال: وكان هارون لما بلغه عن هشام مالَ إليه وذلك أنّ هشاماً تكلّم يوماً بكلام عند يحيى بن خالد في إرث النبيّ ﷺ فنقل إلى هارون فأعجبه وقد كان قبل ذلك يحيى يشرّف أمره عند هارون ويردّه عن أشياء كان يعزم عليها من إيذائه فكان ميل هارون إلى هشام أحد الأسباب التي غيّرت يحيى على هشام فسبّه عنده وقال له: إنّي قد استنبطت أمر هشام فإذا هو يزعم أنّ لله في أرضه إماماً غيرك مفروض الطاعة، قال سبحان الله؟ قال: نعم، ويزعم أنّه لو أمره بالخروج لخرج وإنّما كنّا نرى أنّه ممّن يرى الالباد بالأرض، فقال هارون ليحيىٰ: فاجمع عندك المتكلّمين وأكون أنا من وراء الستر بيني وبينهم لا يفطنون بي ولا يمتنع كلّ واحد منهم أن يأتي بأصله لهيبتي.

قال: فوجّه يحيى فأشحن المجلس من المتكلّمين وكان منهم ضرار بن عمرو وسليمان بن جرير وعبدالله بن زيد الاباضي وموبذان موبذ ورأس الجالوت، قال: فسألوا وتكافوا وتناظروا وتناهوا إلى شاذ من مقال الكلام كلٌّ يقول لصاحبه لم تجب ويقول قد أجبت، وكان ذلك من يحيى حيلة على هشام، إذ لم يعلم بذلك المجلس واغتنم ذلك لعلّة كان أصابها هشام بن الحكم، فلمّا أن تناهوا إلى هذا الموضع قال لهم يحيى: ترضون فيما بينكم هشاماً حكماً؟ قالوا: قد رضينا أيّها الوزير، وأنّى لنا به وهو عليل، قال يحيى: فأنا أوجّه إليه فأسأله أن يتجشّم المجيء، فوجّه إليه فأخبره بحضورهم، فدخل هشام المجلس فمضىٰ نحو يحيىٰ فسلّم عليه وسلّم على القوم وجلس قريباً منه.

فقال يحيى: إنّ القوم حضروا وكنّا مع حضورهم نحبّ أن تحضر، لا لتناظر بل لأن نأنس بحضورك إذ كانت العلّة تقطعك عن المناظرة.. وهؤلاء القوم قد تراضوا بك حكماً بينهم، فقال هشام للقوم: ما الموضع الذي تناهت به المناظرة إليه؟ فأخبره كلّ فريق بموضع مقطعه فكان من ذلك أن حكم لبعض على بعض فكان من المحكومين عليه سليمان بن جرير فحقدها على هشام.

قال: ثمّ إنّ يحيى بن خالد قال لهشام: إنّ غرضنا المناظرة منذ اليوم ولكن إن رأيت أن تبيِّن عن فساد اختيار الناس لإمام وأنّ الإمامة في آل الرسول صلى الله عليه وآله دون غيرهم؟ فلمّا فرغ ممّا قد ابتدأ فيه من الكلام في إفساد اختيار الناس للإمام. قال يحيى لسليمان بن جرير: سلْ أبا محمّد عن شيء من هذا الباب، فقال سليمان: أخبرني عن عليّ بن أبي طالب مفروض الطاعة؟ قال: نعم، قال: فإن أمَرَكَ الذي بعده بالخروج بالسيف معه تفعل وتطيعه؟ قال: لا يأمرني، قال: ولِمَ؟ إذا كانت طاعته مفروضة عليك؟ قال: عن هذا فقد تبيّن فيه الجواب، قال سليمان: فلِمَ يأمرك في حال تطيعه وفي حال لا تطيعه؟ قال هشام: ويحك لم أقل لك إنّي لا أطيعه فتقول إنّ طاعته مفروضة، إنّما قلت لك لا يأمرني.

قال سليمان: ليس أسألك إلّا على سبيل سلطان الجدل ليس على الواجب أنه لا يأمرك، فقال هشام: كم تحول حول الحمّى هل هو إلّا أن أقول لك إن أمرني فعلت فينقطع أقبح الانقطاع ولا يكون عندك زيادة، وأنا أعلم ما تحت قولي وما إليه يؤول جوابي. قال: فتمعر هارون، وقال هارون: قد أفصح وقام الناس واغتنمها هشام فخرج على وجهه إلى المدائن، قال: فبلغنا أنّ هارون قال ليحيى شديدك بهذا وأصحابه وبعث إلى أبي الحسن عليه السلام فحبسه[1] بعدها هرب هشام واختبئ في منزل بشير النبّال (وهو من أصحاب الصادق عليه السلام) وقال المرحوم عبّاس القمّي: ونزل على بشير وكان من أصحاب الصادق فأخبر الخبر ثمّ اعتلّ علّة شديدة فقال له بشير: آتيك بطبيب؟ قال: لا أنا ميّت، فلمّا حضره الموت قال لبشير: إذا فرغت من جهازي فاحملني في جوف الليل وضعني بالكناسة واكتب رقعة وقل هذا هشام بن الحكم الذي طلبه الأمير فمات حتف أنفه، وكان هارون قد بعث إلى إخوانه وأصحابه فأخذ الخلق به، فلمّا أصبح أهل الكوفة

---

(١) رجال الكشي ج٣ ص٥٣٠ رقم ٤٧٧ ط مؤسسة آل البيت، قم.

رأوه وحضر القاضي وصاحب المعونة والعامل والمعدلون بالكوفة وكتب إلى الرشيد بذلك فقال: الحمد لله الذي كفانا أمره فخلىٰ عمن كان أُخذ به[١].

وفعلاً فقد فعل بشير كلّ ذلك، فلمّا حضر الناس وشاهدوا جنازته أخبروا الوالي إلى أن وصل النبأ إلى هارون فقال: لقد أراحنا الله منه.

وكان هدف هشام من ذلك هو أن يتأكّد هارون الرشيد من موته فيطلق سراح أقربائه الذين سجنهم بسببه، واعتقد بعضٌ أنّ هذا الأمر حصل بعد نكبة البرامكة.

خلاصة الكلام في هشام

نستطيع أن نلخّص ما تقدّم حول هشام بن الحكم فنقول:

١ ـ كان هشام في أوائل شبابه من الجهمية.

٢ ـ وبعد لقائه مع الإمام الصادقعليه‌السلام تنوّر بالحقّ فالتزم المذهب الشيعي.

٣ ـ وبمرور الزمان تحوّل إلى عالم كبير وراوي ثقة وصحابي جليل للإمام الصادق والكاظمعليهما‌السلام.

٤ ـ وكلّ ما نُسب إليه من اتّهامات وافتراءات من غلوّ وكفر و... كلّه باطل لا أساس له، جاء على أثر الحسد والحقد.

٥ ـ وقد ترحّم عليه بعض الأئمّةعليهم‌السلام وهذا دليل آخر على علوّ منزلته وجلالة قدره وبراءته.

---

(١) سفينة البحار ج٢ ص٧٢٠، وروي أنّ الطبيب إذا دخل عليه وأمره بشيء سأله فقال: يا هذا هل وقفت على علّتي؟ فإذا أخبره كذّبه ويقول: علّتي غير هذه، إنّما علّتي فزع القلب ممّا أصابني من الخوف، وقد كان قُدِّم ليضرب عنقه ففزع قلبه لذلك حتّى مات رحمه الله.

راجع البحار ج٤٨ ص١٩٥ ط ايران.

ورجال الكشي ج٣ ص٥٣٠، ط مؤسسة آل البيت قم / المترجم.

الإنصاف مطلوب

علينا أن نعرف أنّ الأحاديث والروايات قد مرَّ عليها أكثر من ألف عام، وبطبيعة الحال ففيها الصحيح والسقيم والقويّ والضعيف، وقد اتّفق الفريقان على وجود آلاف من الأحاديث المجعولة التي أُقحمت بين الأحاديث الصحيحة بدوافع متعدّدة، كمدح أشخاص أو ذمّهم.

حالها حال الذهب المغشوش عندما يُدسّ بين الذهب الأصيل والحقيقي، وعليه فلابدّ من تمييز هذه الأحاديث والعمل وفق الصحيح منها، وهذه العملية تحتاج إلى قوّة فكرية عالية، وإلى ورع وتقوى والابتعاد عن منطلقات التعصّب والحقد، إذن فقوّة التمييز لهذه الأخبار تتقوّم وتتوقّف على نقاء الباطن ومجانبة مظاهر القومية والعصبية مع درجة فائقة في العلم والفكر. فمثلاً لا يمكن الركون إلى الخبر الواحد في مقابل الأخبار الكثيرة والصحيحة بداعٍ أو بآخر، وأيضاً يلزم لمن يريد أن يميِّز هذه الأحاديث أن تتوفّر لديه مَلَكةً علمية يستطيع من خلالها ومن خلال التجربة العملية أن يعرف الأجواء التي انطلقت فيها هذه الأحاديث ويقارن بينها، إذن هناك أصول وقواعد علمية وإيمانية ينطلق منها العالم لتمحيص وتمييز الأخبار، ومن الشقاء والبؤس أن ينطلق من رواسب جاهلية ونظرة ضيّقة فارغاً من العلم والإنصاف.

فمثلاً عندما نريد أن نعرف منزلة أحد الصحابة علينا أن نذكر الروايات الذامّة له والمادحة، وهكذا مواقفه وتأريخه السلبي والإيجابي ونقوم بعملية غربلة وتحقيق لهذه الأخبار ونخرج بنتيجة مرضية قائمة على أساس علمي. وهذا الاسلوب اتّبعه ولا يزال يتّبعه علماء الشيعة قاطبةً لأنّه ممّا يفرضه العقل والوجدان والإنصاف، كما هو الحال في هشام بن الحكم، فالعلماء ذكروا أنّه كان جهمي المذهب في بداية حياته العلمية وهي مرحلة سلبية في حياته، وبعد

أن تنوّر بالحقّ ذكروا الأخبار المادحة له وهي مرحلة إيجابية، وقاموا بتتبّع أخباره ومواقفه إلى أن خرجوا بقناعات قائمة على الأدلّة العلمية أنّه من الأجلّاء والثقات و... كما تقدّم.

بينما نرى البغدادي وابن حزم والشهرستاني وكلّ مَن كان على شاكلتهم بيعدين كلّ البُعد عن هذا الاسلوب في معرفة الحقائق، فهم يكتفون بإلقاء نظرة ـ عابرة ـ على بعض الأخبار التي تلقّوها من آبائهم أو أساتذتهم، وبما أنّ أسلافهم ذكروا الفرقة المفضلية والهشامية و... تراهم لم يزيدوا شيئاً غير التكرار، وهذا اسلوب العاجز والأعمى ومن ليس أهلاً للتحقيق والنظر.

إذن لا يحقّ لمن سمع أو قرأ شيئاً من أسلافه أن يقرّ بدون أن يصل إلى مستوى القطع واليقين وذلك بملاحظة الأخبار المتعارضة ودراستها على ضوء قواعد أصولية ثابتة، وإلّا لتحوّل الإنسان إلى ببغاء يكرّر ما يسمع بلا فهم ودراية.

إشارة عن هشام بن سالم*

وما تقدّم عن اتّهاماتهم لهشام بن الحكم جرىٰ علىٰ هشام بن سالم الجواليقي مولىٰ بشر بن مروان، وهو من المؤمنين الثقات عندنا، إلّا أنّهم اتّهموه بالتجسيم وأنّه مختلّ العقيدة فاسد الفكر!!

فقد ذكر علماؤنا الأعلام كالنجاشي والكشي والحلّي والطاووسي والمفيد والمرتضى وغيرهم أنّ هشام بن سالم من الثقات، بل عبّر بعضهم عنه بأنّه (ثقة ثقة) وذكروا أنّه كان من المقرّبين لدى الإمام الصادق عليه السلام وأنّه عليه السلام كان يحيل عليه أحياناً مَن يسأله عن التوحيد ممّا يعني أنّ هشاماً كان من الموحِّدين بل المتقدِّمين في إيمانهم والبارزين في علومهم الإسلامية النقيّة المستقاة من أهل

(*) هشام بن سالم كان فطحي أوّل أمره، أُنظر سفينة البحار ج ٢ ص ٧٢٠ / المترجم.

البيتعليهم السلام، فمثلاً من جملة ما روي في هذا المجال ما ذكره العلّامة المجلسي في البحار والعلّامة المامقاني في التنقيح مسنداً عن يونس بن يعقوب(١) عن هشام بن سالم قال: كنت مع جماعة من الأصحاب عند الإمام الصادقعليه السلام إذ دخل رجل من أهل الشام فسلّم علينا ثمّ قال له الإمامعليه السلام: ألكَ حاجة؟ فقال: نعم، بلغني أنّك عالم بكلّ ما تُسئل عنه، فجئت إليك لأُناظرك، فقالعليه السلام: في ماذا؟ فقال: في القرآن وقطعه وإسكانه وخفضه ونصبه ورفعه، فقالعليه السلام لحمران ابن أعين: دونك الرجل، فقال: إنّما أريدك أنت لا حمران، فقالعليه السلام: إن غلبت حمران فقد غلبتني فأقبل الشامي فسأل حمران حتّى ضجر وملّ وعرض وحمران يجيبه، فقال أبو عبداللهعليه السلام: كيف رأيته يا شامي؟ قال: رأيته حاذقاً ما سألته عن شيء إلّا أجابني فيه، فقال أبو عبدالله: يا حمران سلْ الشامي فما تركه يكثر فقال الشامي: أُريد أن أُناظرك في العربية، فقالعليه السلام: يا أبان بن تغلب ناظره، فناظره فما ترك الشامي يكثر، فقال: أُريد أن أُناظرك في الفقه، فقال أبو عبداللهعليه السلام: يا زرارة، فناظره فما ترك الشامي يكثر، قال: أُريد أن أُناظرك في الكلام، قال: يا مؤمن الطاق ناظره، فسجّل الكلام بينهما ثمّ تكلّم مؤمن الطاق بكلام فغلبه فقال: أُريد أن أُناظرك في الاستطاعة فقالعليه السلام للطيّار كلّمه فيها، فكلّمه، فما تركه يكثر، ثمّ قال: أُريد أن أُكلّمك في التوحيد فقالعليه السلام لهشام بن سالم: كلّمه، فسجل الكلام بينهما ثمّ خصمه هشام، فقال: أُريد أن أتكلّم في الإمامة، فقالعليه السلام لهشام بن الحكم: كلّمه يا أبا الحكم، فكلّمه، فما تركه يريم ولا يحلي ولا يمري، قال: فبقي يضحك أبو عبداللهعليه السلام حتّى بدت نواجذه،

---

(١) يونس بن يعقوب بن قيس أبو علي الجلاب الكوفي من أكابر رواة الشيعة ومن أصحاب الإمام الصادق والكاظم والرضاعليهم السلام وعدّه علماء الرجال من الثقاة وله روايات كثيرة /المؤلّف.

فقال الشامي: كأنّك أردت أن تخبرني أنّ في شيعتك مثل هؤلاء الرجال؟

فقال عليه السلام: هو ذاك.

فقال الشامي: اجعلني من شيعتك وعلّمني؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: يا هشام علّمه فإنّي أحبّ أن يكون تلميذاً لك، قال عليّ بن منصور وأبو مالك الحضرمي: رأينا الشامي عند هشام بعد موت أبي عبدالله عليه السلام ويأتي الشامي بهدايا أهل الشام وهشام يرده بهدايا أهل العراق وكان الشامي ذكيّ القلب[1].

فهذا الخبر يكفي لوحده لردّ جميع الأكاذيب والافتراءات التي سجّلها البغدادي والشهرستاني وابن حزم وغيرهم على هشام بن الحكم وهشام بن سالم والمفضل وغيرهم من أكابر رجال الشيعة الأعلام.

وهذا الخبر وأمثاله يكشف الزيف الذي مارسه هؤلاء الناس ويفضح جميع المحاولات التي عملوها لتلويث سمعة رجال أكابر لهم قصب السبق في الإيمان والعلم، لأنّهم كانوا ملازمين للأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وكانت جميع حركاتهم مدروسة وهم على دراية تامّة بمجريات الأحداث، فلذا لم ينزلقوا في مزالق السياسة ولم يخرجوا عن الصراط المستقيم.

وهذا هو الفرق بيننا وبين أهل السنّة، فإنّهمْ يتّبعون رموزهم إلى حدّ الغلوّ في بعضهم، ومع ذلك يعترفون بعدم عصمتهم، بل ويحاولون جاهدين أن يغضّوا الطرف عن جميع أعمالهم المنحرفة وحتّى عبادة بعضهم للأصنام قبل الإسلام، ثمّ يرجعون عظمة الإسلام كلّه إلى مثل هؤلاء.

وعندما نتصفّح التاريخ لا نجد مبرّرات هذا الحبّ ولا دوافع هذا الاتّباع الأعمى، بل نجد ملفّات رموز أهل السنّة خالية من أيّ موقف بطولي يدلّ على

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص٢٩٨ ورجال الكشي ج٤ ص٥٥٤ رقم ٤٩٤، ط مؤسسة آل البيت، قم /المترجم.

شجاعتهم، أو أيّ حدث علمي يدلّ على علميّتهم، وكلّ ما قيل عنهم إنّما هو نسج الرواة بدوافع الغلوّ والتعصّب.

بينما نحن نقول ـ وفقاً للأدلّة ـ إنّ بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعض أصحاب الأئمّة كانوا منحرفين وبعضهم كافر ومشرك ومرتكب للكبائر باستثناء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إذ باتّفاق المسلمين أنّه لم يعبد صنماً ولم يشرب خمراً، وما حصل من الإيمان لبعضهم هو من بركات الإسلام، فالإسلام له المنّة عليهم وإليه يعود الفضل لا أنّ الفضل في ازدهار الإسلام يعود إليهم.

وأيضاً نحن نقول: إنّ أصحاب الأئمّة عليهم السلام لم يكونوا معصومين ولا ندّعي أنّهم كانوا على الصراط المستقيم منذ ولادتهم، بل نقول: إنّ الخطأ والانحراف ممكن في حقّهم وقد كان بعضهم منحرفاً في بداياته ثمّ اهتدى بنور الأئمّة عليهم السلام بعدما جرت مناظرات وحوارات في هذا الصدد كما مرّ عليكم في هشام بن الحكم أو المفضّل بن عمر، إلّا أنّهم استقاموا إلى نهاية الخطّ ولم ينحرفوا بعد ذلك أبداً تبعاً واستناداً لما في أيدينا من وثائق تأريخية تثبت ذلك[١].

فمثلاً ما حصل بعد رحيل الإمام الصادق عليه السلام، يقول هشام بن سالم: كنّا بالمدينة بعد وفاة أبي عبدالله عليه السلام أنا ومؤمن الطاق أبو جعفر والناس مجتمعون على أنّ عبدالله صاحب الأمر بعد أبيه فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق والناس مجتمعون عند عبدالله وذلك أنّهم رووا عن أبي عبدالله عليه السلام: إنّ الأمر في الكبير ما لم تكن به عاهة، فدخلنا نسأله عمّا كنّا نسأل عنه أباه عليهما السلام فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ قال: في مأتين خمسة، قلنا: ففي مائة؟ قال: درهمان ونصف درهم، فقلنا له: والله ما تقول المرجئة هذا، فرفع يديه إلى السماء فقال: والله لا

---

(١) أنظر على سبيل المثال تنقيح المقال ج٣ ص٢٩٥ ـ ٣٠٠ في ترجمة هشام بن الحكم إذ تجد الأخبار المادحة والأخبار الذامّة / المترجم.

أدري ما تقول المرجئة، قال: فخرجنا من عنده ضُلالاً لا ندري إلى أين نتوجّه أنا وأبو جعفر الأحول فقعدنا في بعض أزقّة المدينة باكين حيارى لا ندري إلى من نقصد وإلى مَن نتوجّه، نقول إلى المرجئة إلى القدرية إلى الزيدية إلى المعتزلة إلى الخوارج، قال: فبينما نحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومئ إليَّ بيده فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر (المنصور) وذلك أنّه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتّفق شيعة جعفر عليه السلام فيضربون عنقه فخفت أن يكون منهم، فقلت لأبي جعفر: تنح فإنّي أخاف على نفسي وعليك وإنّما يريدني ليس يريدك فتنح عنّي لا تهلك وتعين على نفسك، فتنحّىٰ غير بعيد وتبعت الشيخ وذلك أنّي ظننت أنّي لا أقدر على التخلّص منه فما زلت أتبعه حتّى ورد بي باب أبي الحسن موسى عليه السلام ثمّ خلّاني ومضىٰ فإذا خادم بالباب فقال لي: ادخل رحمك الله، فدخلت فإذا أبو الحسن عليه السلام فقال لي ابتداءً: لا إلى المرجئة ولا إلى القدرية ولا إلى الزيدية ولا إلى المعتزلة ولا إلى الخوارج، إليَّ إليَّ إليَّ، فقلت: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال: نعم، قلت: مضى في موت؟ قال: نعم، قلت: جعلت فداك فمن لنا بعده؟ فقال: إن شاء الله يهدك هداك، قلت: جعلت فداك أنّ عبدالله يزعم أنّه فُتن بعد أبيه فقال: يريد عبدالله أن لا يُعبد الله، قلت: جعلت فداك فمن لنا بعده؟ فقال: إن شاء الله يهدك هداك، قلت: جعلت فداك أنت هو؟ قال: ما أقول ذلك، قلت في نفسي: لم أصب طريق المسألة، فقلت جعلت فداك: عليك إمام؟ قال: لا، فدخلني شيء لا يعلمه إلّا الله إعظاماً وهيبةً أكثر ما كان يحلّ بي من أبيه إذا دخلت عليه، قلت: جعلتُ فداك أسألك عمّا كان يسأله أبوك؟ قال: سلْ تُخبر ولا تذع فإن أذعت فهو الذبح[1].

(١) إلى هنا تجد الرواية ضمن معجزاته عليه السلام في إثبات الهداة ج٥ ص٤٩٨ ح٩

فسألته فإذا هو بحر قال: قلت: جعلت فداك شيعتك وشيعة أبيك ضُلّال فألقي إليهم وادعوهم إليك فقد أخذت عَليّ بالكتمان؟ فقال: من أنست منهم رشداً فألق عليهم وخذ عليهم بالكتمان فإذا أذاعوا فهو الذبح وأشار بيده إلى حلقه، قال: فخرجت من عنده فلقيت أبا جعفر فقال لي: ما وراءك؟ قال: قلت: فحدّثته بالقصّة ثمّ لقيت المفضّل بن عمر وأبا بصير قال: فدخلوا عليه وسلّموا وسمعوا كلامه وسألوا ثمّ قطعوا عليه ثمّ لقينا الناس أفواجاً وكان كلّ من دخل عليه قطع إلّا طائفة عمّار وأصحابه فبقي عبدالله لا يدخل عليه أحد إلّا قليلاً من الناس، فلمّا رأى ذلك وسأل عن حال الناس قيل له: إنّ هشام بن سالم صدّ الناس عنه، قال هشام: فأقعد ـ عبدالله ـ لي في المدينة غير واحد ليضربوني[1].

← وص٥٢٣ ح٤٤ /المترجم.

(١) تنقيح المقال ج٣ ص٣٠١.

أقول: أوصى الإمام الصادق عليه السلام في مرض موته إلى المنصور العبّاسي وعبدالله ابنه الكبير ومحمّد ابن سليمان والي المدينة وابنه موسى الكاظم عليه السلام وحميدة زوجته، وسبب هذه الوصية أنّ الإمام أراد أن يفوّت الفرصة على المنصور العبّاسي الذي عزم على قتل وصي الإمام الصادق عليه السلام بعد أن عرف أنّ وصيّه هو إمام الشيعة فصمّم على تصفيته بمجرّد معرفته، وقد ذكر ذلك بعض المؤرّخين والعلماء الأعلام كالشيخ الكليني والطوسي وابن شهرآشوب أنّ المنصور أوعز إلى واليه في المدينة أن ينظر إلى مَن يوصي الصادق فيضرب عنقه، ولمّا خرجت الوصيّة بهذا الشكل فشلت الخطّة وضاعت الفرصة على المنصور الدوانيقي.

إلّا أنّ الإنسان العاقل والواعي يعرف من هذه الوصية الإمام الذي يلي الصادق عليه السلام كأبي حمزة الثمالي لمّا سمع بأمر الوصية قال: الحمد لله الذي هدانا إلى الهدى وبيّن لنا عن الكبير ودلّ على الصغير وأخفى عن أمر عظيم، فسئل عن سرّ قوله ومعناه: فقال: بيّن عيوب الكبير (وهو عبدالله الكبير) ودلّ على الصغير (الكاظم) لإضافته

←

وبالجملة يظهر لكم الحقّ في هذين الرجلين هشام بن الحكم وهشام بن سالم وأنّهما من المؤمنين المخلصين في ولائهما ومتابعتهما للأئمّة الهُداة من ولد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام وكلّ ما قاله عنه أهل السنّة محض الافتراء والبُهتان.

«النعمانية»: وهذه الفرقة لا وجود لها في الواقع كما مرّ الكلام حول الهشامية والمفضلية، وقلت لكم: إنّ أهل السنّة لمّا يأسوا من الطعن على الأئمّة الهُداة حاولوا الطعن في أصحابهم واختلاف الأكاذيب ونسبتها إليهم كما بيّنا ذلك فيما تقدّم.

ومن جملة الذين طعن فيهم علماء السنّة هو أبو جعفر محمّد بن علي بن النعمان الأحول المعروف بـ (مؤمن الطاق) فكما اختلقوا فرقة باسم الهشامية ونسبوها إلى هشام كذلك اختلقوا فرقة المفضلية ونسبوها إلى المفضل في محاولة للحطّ من شأنهما وكذلك اختلقوا فرقة النعمانية (التي لا واقع ولا أساس لها) ونسبوها إلى مؤمن الطاق للحطّ من منزلته وتلويث سمعته.

مَن هو مؤمن الطاق ؟

هو محمّد بن علي بن النعمان الأحول المعروف بـ (مؤمن الطاق) وهو من أكابر الشيعة وثّقه كلّ من الشيخ الطوسي والكشي والنجاشي والمفيد والمرتضى وابن داود وابن طاووس والعلّامة الحلّي وابن النديم والوحيد البهبهاني والمامقاني.. وغيرهم، كان ثقة متكلّماً حاذقاً حاضر الجواب، له كتب منها:

← إيّاه وكتم الوصية للمنصور لأنّه لو سأل المنصور عن الوصي لقيل: أنت / المؤلّف.

أقول: راجع مناقب ابن شهرآشوب ج٣ ص٤٣٤ للاطّلاع على وصيّة الإمام الصادقعليه السلام / المترجم.

كتاب الإمامة والمعرفة والردّ على المعتزلة في إمامة المفضول على الفاضل، وكتاب الجمل في أمر طلحة والزبير وعائشة، وكتاب إثبات الوصية وكتاب افعل ولا تفعل[١]، وكتاب كلامه على الخوارج وكتاب مجالسة مع أبي حنيفة والمرجئة وقد عُرف عند الشيعة بمؤمن الطاق ويلقّبه المخالفون بشيطان الطاق وهو من أصحاب أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام والكاظم عليه السلام، وسبب لقبه هذا أنّه كان له دكّان نقد تحت طاق المحامل في الكوفة.

والعجيب من أهل السنّة أنّهم أطلقوا اسم الشيطان على هذا الرجل المؤمن[٢]، وأعجب منهم العلماء المعاصرون من أهل السنّة إذ بعد مرور مئات السنين لا يزالون يسمّونه شيطان الطاق جرياً على عادة أسلافهم وتقليداً أعمىٰ بلا تحقيق ومطالعة، ويمكن أن يكون سبب إطلاقهم عليه هذا الاسم يرجع إلى أحد الأسباب التالية:

١ ـ لأنّه كان خبيراً بالنقد فيعرف الدراهم والدنانير المغشوشة من غيرها بمجرّد أن يراها أو يلمسها، فكان الناس يرجعون إليه في ذلك، ولخبرته الفائقة في هذا المجال أطلقوا عليه شيطان الطاق[٣].

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص ١٦٠.

(٢) أقول: قال الشهرستاني: النعمانية أصحاب محمّد بن النعمان أبو جعفر الأحول الملقّب بشيطان الطاق وهم الشيطانية أيضاً. الملل والنحل ج١ ص١٨٦/المترجم.

(٣) ذكره ابن النديم في الفهرست والنجاشي، أُنظر تنقيح المقال ج٣ ص ١٦١. وجاء في البحار نقلاً عن الاختصاص ورجال الكشي: أبو جعفر الأحول محمّد بن النعمان، مؤمن الطاق، مولى لبجيلة وكان صيرفياً ولقّبه الناس شيطان الطاق، وذلك أنّهم إذا شكّوا في درهم فعرضوه عليه فقال لهم: ستّوق (أي مزيّف ومغشوش) فقالوا: ما هو إلّا شيطان الطاق وأصحابنا يلقّبونه مؤمن الطاق.. البحار ج٤٧ ص٣٩٤ ح١١٧ / المترجم.

٢ ـ أو لأنّه كان حاضر الجواب سريع البديهة، فكان يردّ الخصوم ويدفع شبهاتهم حول الإمامة وينكفأون مغلوبين خاسرين من عنده، فكان الحقد والحسد يغلي في صدورهم فيقلبون لقبه من مؤمن إلى شيطان، وله في هذا المجال مناظرات وحوارات كثيرة جدّاً مع أبي حنيفة وغيره.

سؤال أحد الحاضرين: هل بإمكانكم أن تذكروا لنا بعض هذه المناظرات؟

الجواب: نعم، سأنقل لكم نموذجاً من مناظراته مع أبي حنيفة، فقد ذكر شيخ الطائفة الطوسي في الفهرست وابن النديم في تكملة الفهرست والقاضي سيّد نور الله المرعشي في مجالس المؤمنين والعلّامة المامقاني في التنقيح والكشي في المختار وصفحة ١٠٨ ج٥ من لسان الميزان و...

ذكروا أنّ أبا حنيفة سأل أبا جعفر: أتقول بالرجعة؟ فقال له: نعم، فقال أبو حنيفة: أقرضني من كيسك هذا خمسمائة دينار فإذا عدت أنا وأنت رددتها إليك، فقال أبو جعفر في الحال: أُريد ضميناً يضمن لي أنّك تعود إنساناً فإنّي أخاف أن تعود قرداً فلا أتمكّن من استرجاع ما أخذت منّي[1].

وذكر في فهرست الشيخ ص ١٣١ وفي التكملة لابن النديم ص٨ ومجالس المؤمنين وج٥ ص ٣٠٠ من لسان الميزان أنّ أبا حنيفة بعد رحيل الإمام الصادق عليه السلام التقى بأبي جعفر مؤمن الطاق فقال له من باب الشماتة: مات إمامك، فأجابه في الحال: نعم، ولكن إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم[2].

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص ١٦١.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
←

وذكر القاضي الشهيد في مجالس المؤمنين أنّ أبا حنيفة كان جالساً بين أصحابه يوماً فأقبل نحوهم مؤمن الطاق، فقال أبو حنيفة: قد جاءكم الشيطان فقرأ أبو جعفر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾(١).

وذكر العلّامة المامقاني في التنقيح: ومن جملة قضاياه مع أبي حنيفة ما رواه في باب المتعة من الكافي قال: سأل أبو حنيفة أبا جعفر محمّد بن النعمان صاحب الطاق، فقال: ما تقول في المتعة أتزعم أنّها حلال؟ قال: نعم، قال: فما يمنعك أن تأمر نسائك أن يستمتعن ويكتسبن عليك؟ فقال له أبو جعفر: ليس كلّ الصناعات يُرغب فيها وإن كانت حلالاً وللناس مراتب يرفعون أقدارهم، ولكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ أتزعم أنّه حلال؟ قال: نعم، قال: فما يمنعك أن تقعد نسائك في الحوانيت نباذات فيكتسبن عليك؟ فقال أبو حنيفة: واحدة بواحدة وسهمك أنفذ(٢).

← الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾، وتجده في اختيار معرفة الرجال ج٣ ص٤٢٦ ط مؤسسة آل البيت قم.

وقد ذكر أبو الفرج الاصفهاني في أغانيه هذه القصّة بين السيّد الحميري وأبي حنيفة حيث قال: وكان السيّد يدين بالرجعة فجاء رجل إليه فقال: بلغني أنّك تقول بالرجعة؟ ـ علماً أنّه لا أحد يقول بها إلّا الشيعة ـ فقال: صدق الذي أخبرك وهذا ديني.

قال: فتعطيني ديناراً بمائة دينار إلى الرجعة؟ قال السيّد: نعم، وأكثر من ذلك إن وثقت لي بأنّك ترجع إنساناً، قال: وأيّ شيء أرجع؟ قال: أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً فيذهب مالي، فأفحمه.

أنظر تجريد الأغاني ج ٢ ص٨٧٦ / المترجم.

(١) مريم: ٨٣.

(٢) تنقيح المقال ج٣ ص ١٦١.

ونظير هذه الحوارات ما ذكره الشيخ البهائي ﷺ في الكشكول والمامقاني في التنقيح أنّ أبا حنيفة قال لمؤمن الطاق في محضر المهدي العبّاسي: بلغني عنكم معشر الشيعة شيء، فقال: وما هو؟ قال: بلغني أنّ الميّت منكم إذا مات كسرتم يده اليسرى لكي يعطى كتابه بيمينه، فقال: مكذوب علينا يا نعمان، ولكن بلغني عنكم معشر المرجئة أنّ الميّت منكم إذا مات قمعتم في دبره قمعاً فصببتم فيه جرّة من ماء لكي لا يعطش يوم القيامة، فقال أبو حنيفة علينا وعليكم، وضحك الخليفة العبّاسي ووهب لمؤمن الطاق عشرة آلاف درهم[1].*

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص١٦٢ وكشكول البهائي، وتجده في اختيار معرفة الرجال ج٣ ص٤٣٣ ط مؤسسة آل البيت، قم /المترجم.

(*) إنّ سرعة البديهية التي تحلّى بها مؤمن الطاق والكثير من علمائنا إنّما هي عناية إلٰهية لا يحصل عليها المرء بالتجربة، وممّن عُرف بذلك الشيخ كاظم الأزري المتوفىٰ في جمادى الأولى عام ١٢١١هـ والمدفون ببغداد في الكاظمية جنب المقبرة المنسوبة للسيّد المرتضى وهو من الأُدباء والشعراء المشهورين في مدحهم ورثائهم لأهل البيت عليهم السلام فله قصيدة أكثر من ألف بيت في مدح أهل البيت عليهم السلام، ومن قصص بداهته وسرعة جوابه ما روي أنّه التقى الشاعر الناصبي ابن الراوي فقال ابن الراوي للشيخ الأزري: سمعت أنّك رافضي؟ فقال: سمعت أنّك مصاب بمرض الأُبنة فإن صدق الراوي فيما قال عنّي وعنك، فقوله حقّ فينا، وإن كذب الراوي فيما قال عنّا فلعنة الله على الراوي (وهو يقصد والده لأنّه كان معروف بابن الراوي) فلمّا سمع ابن الراوي ذلك عرف مراد الشيخ فسكت وهو خجل.

وذات مرّة دخل الشيخ الأزري إلى مجلس والي بغداد في زمانه، وكان ممّن حضر المجلس الشاعر الناصبي ابن الراوي، وكان الشيخ في لباس فاخرة وطلعة بهيّة، ←

٣ ـ وقد يكون سبب إطلاقهم «الشيطان» على مؤمن الطاق، هو حبّه وتمسّكه واعتقاده بأهل البيت عليهم السلام وهذا هو السبب الرئيسي لذلك، لأنّنا قلنا إنّهم لا يجرأون على القدح أو الانتقاص من أئمّة أهل البيت أنفسهم ولذا يعمدون إلى تشويه سمعة أتباعهم وإلصاق التهم بهم ونسبة بعض الألقاب والقبائح إليهم، وهي محاولة للانتقاص من أهل البيت بصورة غير مباشرة، ولكن جميع هذه المحاولات الفاضحة لم تنجح ولم تعمل فعلها أبداً، ولم تؤثّر على شخصية مؤمن الطاق بل كانت تزيده حبّاً وتمسّكاً بالأئمّة حتّى قال عنه

← فلمّا رآه ابن الراوي قال: فلو، فأجابه الشيخ فوراً: لو، فتغيّر وجه ابن الراوي لمّا سمع ذلك من الشيخ.

فتعجّب الوالي من هذه الألغاز وطلب منهما البيان، فقال الشيخ الأزري لمّا رآني ابن الراوي في ملابسي الفاخرة قال: فلو، إشارة إلى قول الشاعر:

فلو لبس الحمار ثياب خزٍّ فما اسم الحمار إلّا حمار

فأجبته أنا بـ: لو، إشارة إلى قول الشاعر:

لو كلُّ كلبٍ عوى ألقمته حجراً لصار قيمة قيراط بقنطار

هذا وقد عُرف الأزري بحبّه لأهل البيت عليهم السلام، وأكبر دليل هو إنشاده الأشعار في مدحهم وذمّ ظالميهم وغاصبي حقوقهم.

ومن أشعاره قصيدته الهائية، فقد سأل أحد أهل السنّة من أحد الشيعة: أتعرف أنّ لعائشة فضائل كثيرة؟ فقال الرجل: بلى إنّها حفظت أربعين ألف حديث، فقال الرجل السنّي: وكيف عرفت ذلك؟ قال لقول الأزري:

حفظت أربعين ألف حديث ومن الذكر آية تنسيها

فلمّا سمع السنّي ذلك قال: قبّح الله وجه الأزريّ.

وكان مراده من الآية قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ فإنّها نستها وخرجت من مكّة إلى المدينة ثمّ إلى البصرة لحرب أمير المؤمنين عليه السلام / المؤلّف.

الإمام الصادقعليه السلام: أربعة أحبّ الناس إليَّ أحياءً وأمواتاً، بريد بن معاوية العجلي وزرارة بن أعين ومحمّد بن مسلم وأبو جعفر الأحول، أحبّ الناس إليَّ أحياءً وأمواتاً[١].

وهل يتصوّر أحد أنّ الإمام الصادقعليه السلام يحبّ رجلاً فاسد العقيدة؟! بالطبع كلّا، لأنّ آل محمّدصلى الله عليه وآله لم يكونوا ينظرون إلى ظاهر الرجال بل كانوا يحبّون الرجال في الله ويبغضون في الله وذلك بالتوسّم.

إذن فمن جميع ما تقدّم يظهر زيف محاولات علماء أهل السنّة في تشويه سمعة مؤمن الطاق وهشام والمفضّل ويونس و... وكلّ ما قيل فيهم كذب وافتراء بدوافع الهوى والعصبية.

«اليونسية»: وزعم الشهرستاني وابن حزم وعبد القاهر البغدادي أنّ فرقة اليونسية واحدة من فرق الشيعة، وهم أتباع الراوي العظيم يونس بن عبد الرحمن الذي زعم ـ في زعمهم ـ أنّ الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الربّ تعالى، إذ قد ورد في الخبر أنّ الملائكة تئط أحياناً من وطأة عظمة الله تعالى على العرش، وهو من مشبّهة الشيعة...[٢].

والحقيقة أنّ هذا مجرّد كلام نسجه هؤلاء ونسبوه إلى يونس ظلماً وعدواناً ومحاولة ـ لا تختلف عن سابقتها ـ للحطّ من شأنه باعتباره من أصحاب الأئمّةعليهم السلام وأحد كبار علماء ورواة الحديث عند الشيعة، وكلّ ما قلنا من الأسباب والدوافع التي دفعت علماء السنّة لمثل هذه الافتراءات سابقاً يأتي هنا أيضاً فلا نكرّر، ولكن علينا أن نبيّن شخصية هذا الرجل.

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص١٦١.

(٢) الملل والنحل ج١ ص١٨٨ ط دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥.

مَن هو يونس بن عبد الرحمن القمّي؟

لقد ذكر علماؤنا الأعلام كالنجاشي والكشي والطوسي وابن النديم وابن داود والمفيد والمرتضىٰ والصدوق والعلّامة وابن طاووس والقاضي سيّد نور الله والأردبيلي والعلّامة المامقاني وغيرهم من أهل الحديث والرجال، كلّهم ذكروا ـ استناداً على مرويّات الأئمّة عليهم السلام ـ أنّ يونس بن عبد الرحمن مولى علي ابن يقطين كان من الثقاة ومن أصحاب أبي الحسن الثاني موسى بن جعفر عليه السلام وأبي الحسن الثالث عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، وكان عالماً جليلاً مؤمناً كاملاً موحِّداً، عظيم القدر والمنزلة.

فمثلاً ذكر العلّامة المامقاني في تنقيح المقال في الجزء الثالث نقلاً عن رجال النجاشي والكشي: روي عن الفضل بن شاذان أنّه قال: حدّثني عبد العزيز بن المهتدي (وكان خير فقيه رأيته وكان وكيل الرضا عليه السلام وخاصّته) قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت: إنّي لا ألقاك في كلّ وقت فعن مَن آخذ معالم ديني؟ قال: خذ من يونس بن عبد الرحمن[١]، وليس فوق هذا الكلام مرتبة ومنزلة، إذ أرجع الإمام الرضا عليه السلام الناس إلى يونس لأخذ معالم الدين الحنيف، فإن لم يكن مستقيماً في دينه لما أمر بالرجوع إليه.

وأيضاً روي مسنداً عن الكشي عن الحسن بن علي بن يقطين أنّه قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت: جعلت فداك إنّي لا أكاد أصل إليك أسألك عن كلّ ما أحتاج إليه من معالم ديني أفيونس بن عبد الرحمن ثقة، آخذ عنه ما أحتاج إليه من معالم ديني؟ فقال عليه السلام: نعم[٢].

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص٣٣٩ واختيار معرفة الرجال ج٢ ص٧٧٩ رقم ٩١٠.

(٢) تنقيح المقال: ج٣ ص٣٤٠.

وهذا بيان فيه توثيق صريح منهعليه السلام ليونس، لأنّ كلمة نعم تعيد كلمة ثقة فكأنّهعليه السلام قال: نعم هو ثقة خُذ منه ما تحتاج إليه من معالم الدين.

وقد أدرك يونس كلّ من الإمام الباقر والصادق والكاظم والرضاعليهم السلام، إلّا أنّه لم يرو إلّا عن الكاظم والرضاعليهما السلام.

وقال الفضل بن شاذان: سمعت من رجل ثقة يقول: سمعت الرضاعليه السلام يقول: أبو حمزة الثمالي في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه وذلك أنّه خدم أربعة منّا عليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد وبرهة من عصر موسىعليهم السلام، ويونس في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه[١].

وقد ذكر العلّامة المجلسي في البحار والعلّامة المامقاني في التنقيح أنّ الإمام الرضاعليه السلام ضمن ليونس الجنّة ثلاث مرّات[٢]؛ لأنّه أدرك عن علم ويقين منزلة أهل البيتعليهم السلام وحمل علومهم الربّانية وعمل جاهداً لنشرها، ومعلوم أنّ كلّ من يدخل الجنّة لابدّ أنّه قد وصل إلى مرتبة الإيمان الكامل لأنّ الأخير هو علّة دخول الجنّة، فيكون يونس من جملة الكاملين في إيمانهم وفي علومهم لأنّ العلم يؤثر في كمال الإيمان وازدياده، وفي هذا المجال توجد روايات تدلّ على المقام العلمي ليونس، منها ما ذكره العلّامة المجلسي في البحار والعلّامة المامقاني في التنقيح، فعن مختار الكشي ينقل أنّه:

انتهى علم الأئمّة إلى أربعة نفر أوّلهم سلمان الفارسي، والثاني جابر (الجعفي) والثالث السيّد (الحميري) والرابع يونس بن عبد الرحمن[٣].

ولذا كان كلّما ذُكر اسم يونس عند الأئمّةعليهم السلام كانواعليهم السلام يذكرونه بالتجليل

---

(١) المصدر السابق ص٣٣٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر السابق.

والتقدير ويترحّمون عليه ويعظّمون شأنه وفي ذلك دلالة قوية على علوّ منزلة الرجل وشموخ مقامه، فمثلاً يذكر العلّامة المامقاني مثل هذه الأخبار بألفاظ متعدّدة، منها خبر داود بن القاسم قال: قلت لأبي جعفرعليه السلام: ما تقول في يونس؟ فقال: رحمهُ الله فإنّه كان على ما نحبّ[١]، وعن أبي هاشم الجعفري قال: سألت أبا جعفرعليه السلام عن يونس؟ قال: رحمه الله[٢].

وعنه أيضاً قال: سألت أبا جعفر (الجوادعليه السلام) عن يونس؟ فقال: رحم الله يونس رحم الله يونس نِعْمَ العبد كان لله جلّ وعلا[٣].

وعن عبد العزيز المهتدي قال: كتبت إلى أبي جعفرعليه السلام: ما تقول في يونس بن عبد الرحمن؟ فكتب إليّ بخطّه: أحبّه وأترحّم عليه وإن كان يخالف أهل بلدك[٤].

وعن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري عن أبي جعفرعليه السلام ـ الجواد ـ قال: سألته عن يونس؟ فقال: رحمه الله كان عبداً صالحاً[٥].

ونظير هذه الأخبار كثيرة، وهي تدفع جميع تخرّصات علماء أهل السنّة الذين طعنوا في يونس.

سؤال أحد الحاضرين: إنّ جميع ما نقلته من الأخبار تدلّ على جلالة ومنزلة يونس، ولكن إلى جانبها لكم أخبار تذمّ يونس هذا، فعلى ماذا تحملونها؟ ولماذا لا تدقّق في الاتّهامات ـ كما تقول ـ التي وُجّهت إلى يونس ما دام هناك أخبار في ذمّه؟ بل الأمر لم يقتصر على بعض علماء أهل السنّة بل

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٤٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

هوجم يونس من قبل الشيعة أيضاً، فماذا تقول؟ نتمنّى أن تجيبنا عن ذلك كي تتّضح لنا الصورة.

الجواب:

الأسباب لورود بعض الأخبار الذامّة كثيرة منها:

١ ـ ما أشرتُ إليه سابقاً من أنّ الذامّين لم يستطيعوا أن يذمّوا أو يعيبوا على أئمّة أهل البيت عليهم السلام فحاولوا ذمّ أتباعهم والمقرّبين منهم، وهو تعريض واضح كما لايخفى على أهل العلم والعقل.

ويُضاف إلى ذلك أنّ ذمّ ـ بعض ـ علماء أهل السنّة لرجال الشيعة لاسيّما المقرّبين من الأئمّة عليهم السلام كان يوفّر لهم ـ للمخالفين ـ فرصة كبيرة للتقرّب إلى الخلفاء والملوك.

٢ ـ وأنّ عدم الفهم الصحيح والإدراك التامّ لدى المخالفين كان أحد أسباب اتّهام يونس وأمثاله، فإنّ المرء عدوّ ما جهل، فجهلهم بما يقوله يونس كان سبباً لاتّهامه.

٣ ـ ووقوف يونس ضدّ الواقفية ومخالفته إيّاهم هو السبب الآخر الذي دفع الواقفية للهجوم عليه وتسقيطه والحطّ من شأنه وذلك عبر الاتّهامات والافتراءات.

سؤال أحد الحاضرين: من هم الواقفية ولماذا خالفهم يونس بن عبد الرحمن؟

أسباب ظهور الواقفية

الجواب: في البدء أحاول أن أذكر لكم مقدّمة مختصرة عن الأحوال والأوضاع السائدة آنذاك، ففي عهد الإمام الكاظم عليه السلام الذي عاصر الخليفة العبّاسي الظالم هارون الرشيد، كانت الأجواء السياسية بالنسبة إليه عليه السلام متوتّرة

جدّاً وصعبة للغاية لما يكنّه هارون من الحقد والعداوة له عليه السلام ولبني هاشم والعلويّين، ممّا فرض على الإمام الكاظم عليه السلام أن يعمل بالتقيّة بشكل مكثّف وملحوظ، بل أمر شيعته وأتباعه العمل بالتقية دفعاً للمحاولات السياسية التي تريد الإطاحة بهم عبر الجواسيس والعملاء السريّين الذين كانوا يراقبون الإمام الكاظم عليه السلام في تحرّكاته وتنقّلاته وحواراته ممّا فرض عليه أن يمارس التقية والتورية حتّى في رسائله.

فهذا الوضع القلق تسبّب في تجمّع الأموال عند وكلاء الإمام الكاظم عليه السلام وهي أموال الخمس ـ حقّ النبيّ وأهل بيته ـ، فظلّت في أيديهم خوفاً من بطش هارون بهم[١] بعدما طرق سمعه أنّ الأموال تجبى لأبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام فكانت السعاية لا تتوقّف ضدّ الكاظم عليه السلام، ممّا عسّر عملية توزيع الأموال في المدينة أو غيرها للفقراء من بني هاشم والمساكين وأبناء السبيل... بسبب الرقابة المشدّدة التي فرضتها السلطة العبّاسية على الإمام وأتباعه فكان الجواسيس على اتّصال دائم مع يحيى البرمي وهو وزير هارون والعدوّ اللدود للإمام الكاظم عليه السلام[٢].

---

(١) قال الشيخ الصدوق: لم يكن موسى بن جعفر عليه السلام ممّن يجمع المال ولكنّه قد حصل في وقت الرشيد وكثر أعداؤه ولم يقدر على تفريق ما كان يجتمع إلّا على القليل ممّن يثق بهم في كتمان السرّ، فاجتمعت هذه الأموال لأجل ذلك وأراد أن لا يحقّق على نفسه قول مَن كان يسعىٰ به إلى الرشيد ويقول: إنّه تحمل إليه الأموال وتُعتقد له الإمامة، ويحمل على الخروج عليه ولولا ذلك لفرَّق ما اجتمع من هذه الأموال، على أنّها لم تكن أموال الفقراء وإنّما كانت أمواله يصل بها مواليه لتكون له إكراماً منهم له وبرّاً منهم به عليه السلام.

البحار ج٤٨ ص٢٥٣ ح٦ نقلاً عن العيون ج١ ص١١٤ / المترجم.

(٢) قال المحدّث عبّاس القمّي: ولقد كانت البرامكة مبغضين لآل رسول الله صلى الله عليه وآله

سؤال أحد الحاضرين: لقد تعلّمنا في المدارس أنّ عائلة البرامكة كانت تميل إلى التشيّع لاسيّما يحيى البرمكي، بل بسبب تشيّعه ـ وهو الرجل الإيراني الوحيد ـ الذي تسبّب في غضب الخليفة وبالتالي أمر بقتلهم والتنكيل بهم، فكيف تقول إنّ يحيى كان العدوّ اللدود للإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام؟ فيرجىٰ منكم إيضاح هذا الموضوع لنا؟

حقيقة البرامكة

الجواب: موضوع تشيّع عائلة البرامكة وبالخصوص يحيىٰ بن خالد البرمكي من الأخطاء الشائعة، التي لا أصل لها، وكما يُقال: ربّ مشهور لا أصل له، لكنّه جرى على أقلام بعض الكتّاب بدون تحقيق وتدقيق.

لأنّنا عندما نراجع تاريخ هذه العائلة نجدها تمتاز بالتلوّن والتقلّب حسب ما تقتضيه المصلحة والمكاسب الشخصية، لأنّ أصل عائلة البرامكة من أهل بلخ وكانوا من أعاظم الزرادشتيين المتصدّين لواحد من معابد النار في بلخ واسمه (نوبهار) أي المعبد الجديد، ولأنّ المتصدّين لمعابد النار والمسؤولين عنها كانوا يسمّون عند الناس بـ(برمك) فعرفت هذه العائلة بـ(البرامكة)[1].

← مظهرين العداوة لهم، سفينة البحار ج ١ ص٧٣ / المترجم.

(١) ذكر المسعودي: بيت البرامكة ببلخ، فقال: والبيت الرابع هو النوبهار الذي بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر، وكان من يلي سدانته تعظّمه الملوك في ذلك الصقع وتنقاد إلى أمره وترجع إلى حكمه وتحمل إليه الأموال وكانت عليه وقوف وكان الموكل بسدانته يدعى البرمك، وهو سمة عامّة لكلّ من يلي سدانته، ومن أجل ذلك سمّيت البرامكة، لأنّ خالد بن برمك كان من ولد مَن كان على هذا البيت، وكان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييداً /أُنظر مروج

←

وظلّ هذا المعبد إلى زمن إمارة الفضل بن يحيى البرمكي على خراسان، فلمّا دخل بلخ أمر بهدم المعبد وبنىٰ محلّه مسجداً كبيراً، وكان الجدّ الأعلى لهذه الأسرة أسلم في زمن عثمان بن عفّان عندما فتحت تلك البلدة، ولكن ارتدّ مع أولاده فيما بعد ورجع إلى عبادة النار مرّة أُخرى، إلى أن برز نجم أبي مسلم الخراساني وهو يدعو ويحرِّض الناس للثورة ضدّ بني أميّة والدعوة لآل محمّد صلى الله عليه وآله فكانت عامّة الناس ناقمة على سياسة بني أميّة فوجدت في دعوة وحركة أبي مسلم فرصة مناسبة للخلاص فالتفتّ حوله وكان خالد بن يحيى من ضمنهم ورأى أنّ الواقع السياسي والاجتماعي يميل بجملته إلى التشيّع وإعلان حبّ آل محمّد صلى الله عليه وآله فأظهر تشيّعه وميله إلى أهل البيت طمعاً في الحصول على المناصب السياسيّة الخطيرة، فعُرِفَ بذلك بمرور الأيّام، ولكن لمّا لم يؤيّد الإمام الصادق ثورة الخراساني فمال الأخير إلى بني العبّاس ومن ثمّ قُتل على أيديهم وأظهروا العداء لآل رسول الله صلى الله عليه وآله، فكشف خالد بن يحيى عن حقيقته وبغضه لآل الرسول صلى الله عليه وآله ووضع يده بيد بني العبّاس لاسيّما في عهد هارون الرشيد، عندما اشتدّ الاضطهاد والظلم على آل علي وشيعتهم، فأظهر البرامكة عن مكنون حقدهم لآل البيت حتّى كانوا السبب الرئيسي في استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام على يد هارون الرشيد.

فقد ذكر أكابر علماء الفريقين ومنهم ابن عبد ربّه في العقد الفريد.

عن عليّ بن جعفر في حديث أنّ محمّد بن إسماعيل دخل على موسى بن

← الذهب ج ٢ ص٢٢٨ ط دار الأندلس، بيروت ١٩٦٥.

وذكر المحدّث عبّاس القمّي: وبرمك جدّ يحيى بن خالد البرمكي كان مجوسياً قدم إلى الرصافة مع ابنه خالد وكان قد تعلّم العلم في جبال كشمير وهو برمك الأصغر /أُنظر سفينة البحار ج ١ ص٧٣ مادة برك / المترجم.

جعفر عليه السلام وهو يريد بغداد فودّعه فقال له: أوصني يا عمّ، فقال: أوصيك أن تتّقي الله في دمي، ثمّ أرسل إليه مع علي بن جعفر ثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم فقال له: إذا كنت تخاف منه مثل الذي ذكرت فلِمَ تعينه على نفسك؟ فقال: إذا وصلته وقطعني قطع الله أجله، قال: فمضىٰ علىٰ وجهه حتّى دخل على هارون فسلّم عليه بالخلافة، وقال: ما ظننت أنّ في الأرض خليفتين حتّى رأيت عمّي موسىٰ بن جعفر يُسلِّم عليه بالخلافة، فأرسل إليه هارون بمائة ألف درهم، فرماه الله بالذبحة فما نظر منها إلى درهم ولا مسّه[١].

وفي حديث آخر أنّه عليه السلام قال لعليّ بن إسماعيل بن جعفر وقد أراد الخروج إلى بغداد: انظر ياابن أخي أن لا تؤتم أولادي، وأمر له بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم، فلمّا قام من بين يديه، قال أبو الحسن عليه السلام لمن حضره: والله ليسعين في دمي ويؤتمن أولادي[٢].

امتحان وكلاء الإمام الكاظم عليه السلام

ونظراً لطول فترة السجن التي قضاها الإمام الكاظم عليه السلام إذ أنّها استغرقت عدّة سنين، تجمّعت الأموال عند وكلائه في الولايات وعندما وصل خبر استشهاد الإمام عليه السلام تحرّكت الرغبات الخبيثة عند بعض الوكلاء وطمعوا في الأموال التي بأيديهم وراوغهم الشيطان فتغلّب عليهم وجذبهم إليه، وكان في طليعة هؤلاء زياد بن مروان القندي الذي استحوذ علىٰ سبعين ألف دينار، وعلي بن أبي حمزة البطائني الذي استولى على ثلاثين ألف دينار، وعثمان بن عيسى الرواسي الذي اغتصب ثلاثين ألف دينار وخمس جواري «على أنّها لم

(١) إثبات الهداة ج٥ ص٥٠٤ ح١٧.

(٢) إثبات الهداة ج٥ ص٥٢٠ ح٣٧ / المترجم.

تكن أموال الفقراء وإنّما كانت أمواله عليه السلام يصل بها مواليه لتكون له إكراماً منهم له وبرّاً منهم به عليه السلام»(١).

ولكن كان هذا امتحانهم في الحياة، كما أنّ لكلّ مكلّف امتحان وابتلاء إلّا أنّهم فشلوا وخابوا باختيار الشيء ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾(٢).

فالابتلاء والامتحان سُنّة إلٰهية قائمة في بني البشر فبعضهم يصبر ويستقيم وبعضهم يفشل ويشقىٰ، ولم ينحصر الأمر في وكلاء الإمام الكاظم بل ابتلي أصحاب الأنبياء أيضاً وفشل الكثير منهم كبعض اليهود الذين آمنوا واتّبعوا عيسىٰ بن مريم ثمّ انقلبوا على أعقابهم من أجل ثلاثين قطعة من الفضّة وصاروا يطاردونه ويحرّضون الناس لقتله.

ولمّا كان لهؤلاء الوكلاء وجاهة اجتماعية مرموقة وموقع متميّز عند الشيعة كان من الصعب عليهم أن يعترفوا بانحرافهم أو فشلهم ولذلك حاولوا توجيه هذا الانحراف وتأطير ـ استغلال المال ـ بإطار عقائدي فزعموا أنّ الإمام الكاظم لم يمت وإنّما غاب وسيعود بعد حين لينتقم الله به من الظالمين، فهو القائم من آل محمّد صلى الله عليه وآله ولم يصلنا أي توجيه منه عليه السلام في شأن الأموال وبالتالي فهي تبقى في أيدينا إلى أن يرجع إلينا ويأمرنا بها.

وبهذه الفكرة الساذجة خدعوا العوام فتبعوهم وأصبح هؤلاء الوكلاء ـ المنحرفون ـ يشدّ بعضهم بعضاً لكسب قطاعات واسعة من البسطاء والمغفّلين أو الانتفاعيين إلى أن شكّلوا بمرور الزمن تيّار الواقفية، أي أنّهم توقّفوا على

---

(١) نصّ كلام الشيخ الصدوق، أنظر العيون ج ١ ص ١١٤.

(٢) العنكبوت: ٢ ـ ٣.

إمامة الكاظم عليه السلام وأنكروا إمامة الرضا عليه السلام وأولاده من بعده.

وقد راسلهم الإمام الرضا عليه السلام وطالبهم بأموال أبيه باعتباره الوريث الشرعي، إلّا أنّهم اعتذروا إليه بأنّ الكاظم عليه السلام غائب وسيعود ولم يدفعوا الأموال إليه.

وبعد أن تشكّلت هذه الفرقة المنحرفة ـ عن التشيّع والتي لا تُعدّ ولا تُحسب على الشيعة ـ على أساس الكذب والاحتيال ندم بعض الناشطين فيها في أواخر عمره وأعلن الحقيقة لأتباعه فقد ذكر العلّامة المجلسي في البحار عن علي بن حبشي بن قوني عن الحسين بن أحمد بن الحسن بن علي بن فضّال قال: كنت أرىٰ عند عمّي علي بن الحسين بن فضّال شيخاً من أهل بغداد وكان يهازل عمّي، فقال له يوماً: ... أنا زوج بنت أحمد بن أبي السراج قال لي لمّا حضرته الوفاة: إنّه كان عندي عشرة آلاف دينار وديعة لموسى بن جعفر فدفعت ابنه عنها بعد موته، وشهدت أنّه لم يمت فالله الله خلّصوني من النار وسلّموها إلى الرضا عليه السلام، فوالله ما أخرجنا حبّة ولقد تركناه يصلى في نار جهنّم[1].

---

(١) البحار ج٤٨ ص٢٥٥ ط ايران ح٩.

أقول: روي في البحار أنّ الإمام الرضا عليه السلام بعث إلى زياد القندي وعثمان الرواسي: أن احملوا ما قِبلكم من المال وما كان اجتمع لأبي عندكم من أثاث وجوار فإنّي وارثه، وقائم مقامه وقد اقتسمنا ميراثه ولا عذر لكم في حبس ما قد اجتمع لي ولورّاثه قِبلكم، أو كلام يشبه هذا، فأمّا ابن أبي حمزة فإنّه أنكره ولم يعترف بما عنده، وكذلك زياد القندي، وأمّا عثمان بن عيسىٰ فإنّه كتب إليه: إنّ أباك صلوات الله عليه لم يمت وهو حي قائم، ومن ذكر أنّه مات فهو مبطل واعمل على أنّه قد مضىٰ كما تقول، فلم يأمرني بدفع شيء إليك، وأمّا الجواري فقد أعتقتهنّ وتزوّجت بهن. (البحار ج٤٨ ص٢٥٥).

←

وهنا نأتي إلى أصل موضوعنا عن يونس بن عبد الرحمن فهو الذي تصدّى لفضح الواقفية وكان حجر عثرة بالنسبة إليهم وآلىٰ على نفسه أن لا يسكت أمام هذا الانحراف الخطير، ولذا فكّر رموز الواقفية كعلي بن أبي حمزة وزياد بن مروان أن يستميلوا يونس إليهم وذلك عبر الإغراءات المادّية، إلّا أنّه كان أكبر من هذه المحاولة وأجلّ من هذا المستوى الوضيع فامتنع وردّ عليهم تلك العروض المغرية وواصل طريقه وجهاده بكل إصرار وصمود وتمسّك بإمامة الرضا عليه السلام بعد أبيه الكاظم عليه السلام.

ينقل العلّامة المجلسي وكذا المامقاني في التنقيح مسنداً عن يونس بن عبد الرحمن قال: مات أبو الحسن عليه السلام وليس من قوامه - يعني وكلائه - أحد إلّا وعنده المال الكثير وكانت سبب وقفهم وجحودهم وكان عند زياد العبدي سبعون ألف دينار وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار قال: فلمّا رأيت ذلك وتبيّن الحقّ وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ما علمت تكلّمت ودعوت الناس إليه قال: فبعثا إليّ وقالا: ما يدعوك إلى هذا إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف وقالا لي كف، فأبيت وقلت لهم: إنّا روينا عن الصادقين عليهما السلام أنّهما قالا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سلب نور الإيمان وما كنتُ لأدع الجهاد في أمر على كلّ حال فناصباني

← وروى ربيع بن عبد الرحمن قال: كان والله موسى بن جعفر عليهما السلام من المتوسّمين يعلم من يقف عليه بعد موته ويجحد الإمام بعده إمامته فكان يكظم غيظه عليهم ولا يبدي لهم ما يعرفه منهم فسمّي الكاظم لذلك.

البحار ج٤٨ ص٢٥٥ ط ايران، وللاطّلاع على أسماء الوكلاء الذين وقفوا على إمامة الكاظم عليه السلام راجع رجال الكشي ج٦ من المجلّد ٣ ص٧٦٨ ط مؤسسة آل البيت قم / المترجم.

وأضمرا لي العداوة[١].

وأمام هذا الامتناع عمل زعماء الواقفية على الطريقة الثانية لإسقاط يونس ألا وهي تلويث سمعته ونسبة الأكاذيب والكفر والاعتقادات الباطلة إليه وهي أفضل طريق لابتعاد الناس عنه وعدم سماعهم من يونس، كما صنع ذلك قارون عندما أراد التخلّص من موسىٰ عليه السلام إذ اتّهمه بالزنا بعدما اتّفق مع إحدى العواهر وأعطاها مبلغاً من المال مقابل شهادتها أمام الناس أنّ موسى زنا بها، وهكذا جرياً على هذه الطريقة اتّهم اليهود السيّدة العذراء مريم عليها السلام بالزنا، وقد برّأ الله تعالى ساحة موسىٰ ومريم من هذه الافتراءات والأكاذيب والمحاولات اليائسة التي يؤسّسها أهل الدنيا، ولعلّنا اليوم نشهد مثل هذه الأكاذيب ضدّ أهل التوحيد أو ضدّ العلماء والمفكّرين والأنبياء والأوصياء من قِبل وعّاظ السلاطين.

فعلينا إذن أن نتفحّص وندقّق في الكلام قبل البتّ والحكم به كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٢].

ولو عمل المسلمون بهذه الآية الكريمة لما حصل النفاق والشقاق في الأمّة، ولما استطاع الأعداء من نشر الأكاذيب والإشاعات ولكن ـ مع الأسف ـ لم يعمل المسلمون بالقرآن الكريم فكانت الفرص للأعداء كثيرة، لأنّ الضعف كان يدبّ في الصفّ الإسلامي والإيماني ممّا أدّى إلى إضعافه، فكانت الهجمات والاتّهامات لاتتوقّف عن المخلصين والمؤمنين الذين يجاهدون الانحراف والفساد، ومنهم كان يونس بن عبد الرحمن المؤمن الخالص في حبّه

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص٣٣٩ والبحار ج٤٨ ص٢٥٢، ورجال الكشي ج٦ ص٧٨٦ رقم ٩٤٦ ط مؤسسة آل البيت قم / المترجم.

(٢) الحجرات: ٦.

واعتقاده لآل الرسول صلى الله عليه وآله.

ولمّا كانت الوكالة لهؤلاء الرجال تمثّل امتيازاً وتعطيهم مكانة خاصّة في المجتمع وبالتالي تكون الأذان صاغية لهم، وهم بدورهم كانوا يستغلّون هذه المكانة في إسقاط يونس بن عبد الرحمن فكان عامّة الناس يصدّقون كلامهم وبمرور الزمن صارت الأكاذيب حقائق لكثرتها وكثرة ترديدها على الألسن فتحوّل يونس بمرور الأيّام إلى إنسان زنديق ومنحرف، وصار المنحرفون أناساً صالحين ومستقيمين، وهذه نتيجة طبيعيّة للمجتمع البعيد عن القرآن الكريم، وبهذه الطريقة وقفت هذه الفرقة المنحرفة صفاً واحداً لإسقاط يونس وتحقّق ما قاموا به.

ونذكر هذه الرواية على سبيل المثال، روي عن جعفر بن عيسى قال: كنّا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام وعنده يونس بن عبد الرحمن إذ استأذن عليه قوم من أهل البصرة فأومئ أبو الحسن عليه السلام إلى يونس أدخل البيت فإذا بيت (غرفة) مسبل عليه ستر وإيّاك أن تحرّك حتّى يؤذن لك، فدخل البصريون وأكثروا من الوقيعة والقول في يونس، وأبو الحسن عليه السلام مطرق حتّى لمّا أكثروا وقاموا فودّعوا وخرجوا وأذن ليونس بالخروج فخرج باكياً فقال: جعلني الله فداك إنّي أحامي عن هذه المقالة وهذه حالي عند أصحابي، فقال له أبو الحسن عليه السلام: يا يونس وما عليك ممّا يقولون إذا كان إمامك عنك راضياً، يايونس حدّث الناس ممّا يعرفون واتركهم ممّا لا يعرفون كأنّك تريد أن تكذب على الله في عرشه، يايونس ما عليك أن لو كان في يدك اليمنىٰ درّة ثمّ قال الناس بعرة أو بعرة ثمّ قال الناس درّة هل ينفعك ذلك شيئاً؟ فقلت: لا، فقال: هكذا أنت يايونس إذ كنت على الصواب وكان إمامك عنك راضياً لم يضرّك ما قال الناس[1].

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص ٣٤٠ ورجال الكشي ج٦ من المجلّد٣ ص ٧٨١ رقم ٩٢٤/ المترجم.

وعن يونس قال: قال العبد الصالح عليه السلام: يا يونس ارفق بهم فإنّ كلامك يدق عليهم، قال: قلت: إنّهم يقولون لي زنديق! قال: وما يضرّك أن يكون في يدك لؤلؤة فيقول الناس هي حصاة وما كان ينفعك أن يكون في يدك حصاة فيقول الناس هي لؤلؤة[1].

خلاصة الكلام في يونس

فيظهر ممّا تقدّم أنّ جميع ما قيل عن يونس من اتّهامات باطلة وافتراءات سخيفة كلّها من صنع أعدائه والحاسدين له، ثمّ جاء بعد ذلك علماء أهل السنّة وتلقّفوا هذه الكلمات ودوّنوها في كتبهم بدون أدنى تحقيق مع قدرتهم على مثل هذا التحقيق والبحث والتحليل، إلّا أنّهم رضوا بهذا المقدار من المعرفة لغايات أخرى، ثمّ أضافوا إليها شيئاً من عندهم مثل ادّعائهم أنّ للمفضّل فرقة باسم المفضلية ولهشام فرقة الهشامية وليونس اليونسية وهكذا، لتكتمل حلقات الأكذوبة وليحوّلوها إلى حقيقة وواقع عند بسطاء الناس، ومن ثمّ جاء الكتّاب المعاصرون ليرددوا صدى الأكذوبة بكلّ ثقة دون تحقيق وتدقيق ودراسة مع أنّ الإسلام يدعو المؤمن والمسلم إلى التثبّت في الأقوال والتأكّد من الأخبار قبل ترتيب الأثر عليها ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾[2] وسيندم أمثال هؤلاء عندما يقرأون الحقيقة أوّلاً، ومع كشف الواقع يوم القيامة ثانياً، عندما يطالبهم الحقّ جلّ وعلا بما كتبوا وعندما يسألهم عن إعراضهم عن القرآن والعمل به ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[3].

---

(١) المصدر نفسه، وفي رجال الكشي رقم ٩٢٨.

(٢) الحجرات: ٦.

(٣) الفرقان: ٢٧.

وبخلاف هؤلاء تجدون علماء الشيعة فإنّهم يذكرون الأخبار المادحة للرجل والأخبار الذامّة له أيضاً ثمّ يجرون دراسة وتحليل على ضوء المجريات والملابسات والأجواء التي انطلقت فيها هذه النصوص ليصلوا في خاتمة المطاف إلى نتيجة مقنعة على أساس الدليل والعقل.

فحقيقة الأمر في يونس أنّه رجل ذمّه الأعداء ومدحه الأئمّة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام مع أنّه كان رجلاً من أصحاب التأليف والتصنيف فقد صنّف عدّة كتب منها: كتاب السهو وكتاب الأدب وكتاب الدلالة على الخير وكتاب الزكاة وكتاب جوامع الآثار وكتاب الشرائع وكتاب الصلاة وكتاب العلل الكبير وكتاب اختلاف الحج وكتاب الاحتجاج في الطلاق وكتاب علل الحديث، وكتاب الفرائض الصغير، وكتاب الفرائض، وكتاب الجامع الكبير في الفقه، وكتاب التجارات، وكتاب تفسير القرآن، وكتاب الحدود، وكتاب الآداب، وكتاب المثالب، وكتاب علل النكاح، وكتاب تحليل المتعة، وكتاب البداء، وكتاب نوادر البيوع، وكتاب الردّ على الغلاة، وكتاب ثواب الحجّ، وكتاب النكاح، وكتاب المتعة، وكتاب الطلاق، وكتاب المكاسب، وكتاب الوضوء، وكتاب البيوع والمزارعات، وكتاب اللؤلؤ في الزهد، وكتاب الإمامة، وكتاب فضل القرآن وكتاب يوم وليلة[1].

وكانت بعض كتبه قد عُرضت على بعض الأئمّة عليهم السلام فكانوا يترحّمون عليه، فقد ذكر المامقاني في التنقيح عن مختار الكشي مسنداً عن أحمد بن أبي خلف ظئر أبي جعفر عليه السلام ـ الجواد ـ قال: كنت مريضاً فدخل عَليَّ أبو جعفر عليه السلام يعودني في مرضي، فإذا عند رأسي كتاب يوم وليلة، فجعل يتصفّحه ورقة ورقة حتّى أتى عليه من أوّله إلى آخره، وجعل يقول: رحم الله يونس رحم الله يونس

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص٣٣٩.

رحم الله يونس[١].

وأيضاً روي عن داود بن القاسم أنّ أبا جعفر الجعفري قال: أدخلت كتاب يوم وليلة الذي ألّفه يونس بن عبد الرحمن على أبي الحسن العسكري عليه السلام فنظر فيه وتصفّحه كلّه، ثمّ قال: هذا ديني ودين آبائي وهو الحقّ كلّه[٢].

وقيل: إنّ مصنّفاته وصلت إلى ألف كتاب فقد جاء في مختار الكشّي مسنداً عن الفضل بن شاذان أنّه قال: حجّ يونس بن عبد الرحمن أربعاً وخمسين حجّة واعتمر أربعاً وخمسين عمرة وألّف ألف جلد ردّاً على المخالفين[٣].

فيونس كان من العلماء الكبار ومؤمن شيعي، اثنى عشري، إمامي، وقد وثّقه علماء الشيعة ومدحه الأئمّة الهُداة عليهم السلام.

فهذا ذنبه الوحيد لا غير، فحاربته الواقفية لأنّه اثنى عشري وحاربه بعض علماء أهل السنّة لأنّه شيعي إمامي وهذا أوضح دليل على الاستبداد والاضطهاد الفكري في الوعاء الإسلامي ـ مع شديد الأسف ـ.

عود على بدء

«**النُصيرية والإسحاقية**»: وقد ذكرهما الشهرستاني في الملل والنحل وعدّهما من غلات الشيعة وقال: من جملة غلاة الشيعة ولهم جماعة ينصرون مذهبهم ويذبّون عن أصحاب مقالاتهم وبينهم خلاف في كيفيّة إطلاق اسم الإلهية على الأئمّة من أهل البيت، قالوا: ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل، أمّا في جانب الخير فكظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص والتصوّر بصورة أعرابي والتمثّل بصورة البشر، وأمّا في جانب الشرّ فكظهور

---

(١) رجال الكشي ج٦ ص٧٧٩ رقم ٩١٣، ط مؤسسة آل البيت، قم.

(٢) رجال الكشي ج٦ من المجلّد ٣ ص ٧٨٠ رقم ٩١٥.

(٣) المصدر نفسه، رقم ٩١٧.

الشيطان بصورة إنسان حتّى يعمل الشرّ بصورته وظهور الجنّ بصورة بشر حتّى يتكلّم بلسانه فكذلك نقول: إنّ الله تعالى ظهر بصورة أشخاص، ولمّا لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله شخص أفضل من عليّ عليه السلام وبعده أولاده المخصوصون وهم خير البرية فظهر الحقّ بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم فعن هذا أطلقنا اسم الالهية عليهم وإنّما أثبتنا هذا الاختصاص لعليّ عليه السلام دون غيره، لأنّه كان مخصوصاً بتأييد إلهي من الله تعالىٰ فيما يتعلّق بباطن الأسرار، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا أحكم بالظاهر والله يتولّى السرائر.

وعن هذا كان قتال المشركين إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وقتال المنافقين إلى عليّ عليه السلام، وعن هذا شبّهه بعيسى بن مريم عليهما السلام فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالاً...

وربّما أثبتوا له شركة في الرسالة إذ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: فيكم من يُقاتل على تأويله كما قاتلتُ على تنزيله، ألا وهو خاصف النعل.

فعلم التأويل وقتال المنافقين ومكالمة الجنّ وقلع باب خيبر لا بقوّة جسدانية من أوّل الدليل على أنّ فيه جزءاً إلٰهياً وقوّة ربّانية ويكون هو الذي ظهر الإله بصورته وخلق بيديه وأمر بلسانه وعن هذا قالوا: كان موجوداً قبل خلق السماوات والأرض، قال: كنّا أظلّة عن يمين العرش فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا فتلك الظلال وتلك الصورة التي تنبئ عن الظلال: هي حقيقته وهي مشرقة بنور الربّ تعالى إشراقاً لا ينفصل عنها سواء كانت في هذا العالم أو في ذلك العالم، وعن هذا قال عليّ عليه السلام: أنا من أحمد كالضوء من الضوء، يعني لا فرق بين النورين إلّا أنّ أحدهما سابق، والثاني لاحق به، تالٍ له، قال: وهذا يدلّ على نوع من الشركة فالنصيرية أميل إلى تقرير الجزء الإلهي، والإسحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوّة[1].

---

(١) نص كلام الشهرستاني في الملل والنحل ج ١ ص ١٨٨.

توضيح عن النصيرية

أمّا النصيرية فهم أتباع محمّد بن نصير النميري وقد ذكره الشيخ الطوسي في الغيبة والعلّامةالحلّي في الخلاصة والكشي وابن الغضائري وابن داود والمجلسي والمامقاني وآخرين بألفاظ متفاوتة إلّا أنّهم أجمعوا على أنّه كان ملعوناً وزنديقاً وقد روي في كتاب الغيبة عن ابن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمّد أنّه قال: كان محمّد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمّد الحسن ـ العسكري عليه السلام ـ فلمّا توفّي أبو محمّد عليه السلام ادّعى مقام أبي جعفر محمّد بن عثمان ـ النائب الأوّل ـ وأنّه صاحب الزمان وادّعى البابية وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل ولعن أبي جعفر محمّد بن عثمان له وتبرّيه منه واحتجابه عنه[1].

سؤال أحد الحاضرين: إذا ظهر منه الإلحاد والجهل فكيف تبعه بعض الناس وقبلوا نيابته؟

الجواب: لا يخفى عليكم أنّ كلّ مجتمع لا يخلو من البسطاء والعوام الذين يتّبعون كلّ ناعق بلا دليل، وهكذا حصل مع النميري، ولكن إلى جانب ذلك فهناك المؤمنون الواعون الذين حاربوا مثل هذا الانحراف، ولكي يتّضح لكم الأمر أُحاول أن أعود بكم إلى الوراء قليلاً.

لقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهكذا الأئمّة الأطهار أنّ الجور والفساد يزداد يوماً بعد يوم حتّى يخرج المهدي عليه السلام ابن الإمام الحسن العسكري وهو آخر الأئمّة الاثنى عشر ليحارب كلّ ألوان الكفر والظلم وليملئ الأرض قسطاً وعدلاً،

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص١٩٥، والغيبة للشيخ الطوسي ص٢٤٤ في ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية.

وكان خلفاء بني العبّاس في انتظار هذا المولود لأجل تصفيته والتخلّص منه باعتبارهم من الظلمة الذين يخشون منه، ولهذا فقد أخفى والده العسكري عليه السلام أمر ولادته الذي صادف في ليلة الجمعة ١٥ شعبان عام ٢٥٥هـ، إلّا عن بعض الخواص من أجلّاء وأكابر الشيعة، وظلّ أمره مخفيّاً بسبب الإرهاب السياسي إلى عام ٢٦٠هـ عندما استشهد[1] والده العسكري عليه السلام في سامراء فقام مقامه ابنه أبو القاسم (م‌ح‌م‌د) الحجّة بن الحسن العسكري وقد كان عمره آنذاك خمسة سنين، وعلى الظاهر تولّى الشيخ عثمان بن سعيد العمري ـ وهو أقرب وأخصّ أصحاب العسكري والهادي عليهما السلام ـ أمر تهيئة الحنوط والماء للإمام عليه السلام، ثمّ وضعت جنازته للصلاة عليه فتقدّم جعفر (الكذّاب) وهو أخو الإمام العسكري وقيل: إنّه كان منحرفاً ـ للصلاة عليه بأمر من الخليفة المعتمد العبّاسي فلمّا وقف للصلاة خرج إليه طفل أشبه الناس بالحسن العسكري عليه السلام فجرّه من ردائه وقال له: تأخّر يا عمّ، ووقف مكانه وصلّى على جنازة أبيه (إذ لا يجوز الصلاة على المعصوم إلّا من قِبل المعصوم) فاجتمع الحاضرون إلى جعفر وسألوه: مَن هذا الصبي؟ أهو ابن أخيك؟ فقال: لا أعرفه فإنّ أخي ليس له ولد!! فلمّا وصل الخبر إلى الخليفة العبّاسي أمر بالقبض عليه فوراً، فهرع الشرطة إلى منزل الإمام العسكري وحاصروه ثمّ قاموا بتفتيشه إلى أن وصلوا إلى السرداب فلمّا أرادوا دخوله شاهدوه مملوءاً بالماء، وفي مكان آخر منعزل عن الماء شاهدوا ذلك الصبي (وهو الإمام المهدي عليه السلام) جالس يصلّي في المكان الذي كان يصلّي فيه الإمام الهادي والحسن العسكري عليهما السلام فتقدّم رجلان إلى الماء فجرّهم الماء إلى الأسفل فخرجا منه ومضوا إلى الخليفة ونقلوا له القصّة فأمر بهدم سقف

---

(١) لقد سقاه المعتمد العبّاسي سمّاً قاتلاً دسّه إليه، انظر البحار ج ٥٠ ص ٣٣٥ ح ١٢ ط بيروت / المترجم.

السرداب عليه، فمضوا إلى ذلك ولمّا وصلوا إلى السرداب لم يجدوا ذلك الصبي (المهدي عليه السلام) واختفى أثره عنهم.

سؤال أحد الحاضرين: كيف غاب عنهم هل بقي في السرداب إلّا أنّهم لم يستطيعوا مشاهدته؟ أم أنّه خرج منه؟

الجواب: على ما لدينا من الأخبار أنّ وليّ الله الحجّة بن الحسن العسكري عليه السلام خرج من السرداب دون أن يشاهده أحد.

سؤال أحد الحاضرين: لقد سمعنا أنّه في السرداب وأنّ الشيعة يذهبون كلّ جمعة إلى هناك وينادونه أخرج يا مولانا؟

الجواب: لقد ذكرتُ سابقاً أنّ هذه اتّهامات وافتراءات بعض أهل السنّة ضدّ الشيعة وهي محض الكذب والخرافة، حتّى أنّكم لو ذهبتم إلى مدينة سامراء التي يسكنها أهل السنّة بنسبة عالية جدّاً بالقياس إلى الشيعة وسألتم منهم هذا السؤال لضحكوا وسخروا منه.

ومثل هذه الأكاذيب دليل قطعي على عدم إيمان أولئك الذين نسجوا هذه الخرافات ونسبوها إلينا، وعدم تورّعهم وتقواهم، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صُنعاً.

وغاية ما في الأمر أنّ السرداب أُعدّ في ذلك الزمان كموقعٍ باردٍ ينزل إليه الناس في أيّام الصيف الحارّ، وهو أمر مألوف جدّاً، فالسردابُ الذي كان في منزل الإمام عبارة عن مكان بارد ينزل إليه الإمام الهادي والحسن العسكري عليهما السلام للعبادة في أوقات الحرّ وقد خرج منه الإمام المهدي عليه السلام وغاب عن أنظار الناس إلى وقت الظهور من مكّة المكرّمة كما ذكرتُ هذا سابقاً.

سؤال أحد الحاضرين: إنّك قلت قبل قليل أنّ منزل الإمام كان محاصراً فكيف خرج الإمام المهدي دون أن يراه أحد؟

الجواب: ألم تقرأ في القرآن الكريم وهو يستعرض أحداث هجرة النبيّ

الأكرمﷺ في الليلة الأولى من ربيع الأوّل عام ١٣ للبعثة عندما حاصر المشركون منزل رسول اللهﷺ لقتله، فهبط عليه جبرئيل وأمره بالهجرة من مكّة، فخرج من بينهم دون أن يراه أحد وذهب إلى غار ثور، فكيف خرج من وسطهم دون أن يراه أحد من الكفّار والمشركين؟

جواب السائل: نُقل أنّهﷺ خرج سالماً من بينهم بعدما ألقى الله تعالى على أعينهم حجاباً فلم يشاهدوه.

جواب السيّد: والأمر نفسه فيما نحن فيه فكما تعلّقت مشيئته تعالى بحفظ رسوله الكريمﷺ بالإعجاز، كذلك تعلّقت مشيئته بحفظ وليّه من شرّ الأعداء وكان ذلك أوّل يوم من الغيبة الصغرى.

سؤال: ما معنى الغيبة الصغرىٰ، نرجو أن توضّحها لنا؟

الجواب: لقد كان للإمام المهدي غيبتان صغرى وكبرىٰ، وامتدّت الغيبة الصغرى إلى سبعين عاماً، وأمّا الكبرى فهي نهاية الغيبة الصغرى وإلى وقت ظهوره الذي لايعلمه إلّا الله سبحانه وتعالى وقد أُخبر عن رسول اللهﷺ والأئمّة الهُداة عن هاتين الغيبتين، فمثلاً ذكر ثقة الإسلام الكليني في الكافي عن إسحاق بن عمّار عن الصادق عليه السلام قال: للقائم عليه السلام غيبتان إحداهما قصيرة والأُخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة شيعته والأُخرى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة مواليه[1].

سؤال: هل الفرق بين الغيبة الصغرى والكبرى هو طولها وقصرها أم أنّ هناك أمرٌ آخر؟

الجواب: نعم هناك عدّة أمور أُخرى منها أنّه عليه السلام في الغيبة الصغرى كان له منزلاً أو موقعاً معيّناً يعرفه خواصّ شيعته الذين امتازوا بالعلم والتقوى والورع

(١) أصول الكافي ج١ باب الغيبة ح١٩ ص٣٨٢ ـ ط إيران دار الأُسوة.

والشجاعة أيضاً بأن كانت لهم القدرة على حفظ السرّ وعدم البوح به، وكانوا يوصلون رسائل الشيعة إلى الإمام عليه السلام ومنه يحملون الأجوبة إلى الناس.

ومنها أنّه عليه السلام كان له أربعة وكلاء خاصّين يتّصلون بما يقارب سبعين شخصاً من الشيعة ـ كما ذكره المجلسي في البحار ـ وقد صرّح أكابر علماؤنا كالطوسي والكليني والصدوق والمفيد والمرتضى والعلّامة وغيرهم من المتقدّمين والمتأخّرين، بل حتّى بعض أهل السنّة أيضاً، ذكروا وثاقة هؤلاء الوكلاء الأربعة الذين كانوا الملاذ والملجأ للشيعة طيلة الغيبة الصغرى، وقد ظهرت الكرامات الخارقة للعادة على أيدي بعضهم ممّا يكون دليلاً قطعياً على صدقهم ومقامهم القريب عند الله تعالى.

سؤال: هل ذُكرت أسماء هؤلاء السبعين في الكتب؟

الجواب: نعم، فلقد ذكرهم الشيخ الصدوق والعلّامة المجلسي[1] وغيرهما ولكن رعاية للاختصار لن أذكر لكم أسمائهم بل يمكنكم مراجعة المصدر.

سؤال: نرجو أن تذكر لنا أسماء الوكلاء الأربعة؟

النائب الأوّل عثمان بن سعيد

الجواب: نعم أوّلهم هو أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري الأسدي وكان اسم جدّه جعفر العمري الأسدي فعرف به، وقد تشرّف هذا الرجل الصالح بصحبة الإمام الهادي ومن بعده الإمام الحسن العسكري عليهما السلام وكان محلّ وثوقهما واعتمادهما حتّى صار وكيلاً عنهما في قبض الاخماس وتقسيمها سرّاً

---

(١) البحار ج٥٣ باب ٣١ ص ١٥٠ وانظر جامع الرواة ج١ وج٢ والغيبة للطوسي والوسائل ج٢٠ وفهرست الشيخ وغيرها / المترجم.

وخفية نظراً للوضع الإرهابي الذي فرضته الخلافة العبّاسية على الواقع الشيعي فكان هذا الرجل يجبي الأموال في السمن وينقلها إلى الإمام عليه السلام وكانت مهنته الظاهرية بيع السمن (الدهن) وذلك لدفع الشكوك عن نفسه[١]، فكان في غاية الوثاقة والعدالة لدى الأئمّة عليهم السلام حتّى ذكر العلّامة المجلسي عن الشيخ الصدوق رحمه الله مسنداً عن أحمد بن إسحاق القمّي - وهو من أجلّاء علماء الشيعة - قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمّد صلوات الله عليه في يوم من الأيّام فقلت: ياسيّدي أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيّأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كلّ وقت فقول مَن نقبل؟ وأمر من نمتثل؟ فقال عليه السلام: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعنّي يقوله وما أدّاه إليكم فعنّي يؤدّيه، فلمّا مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمّد ابنه الحسن صاحب العسكر عليه السلام ذات يوم، فقلت له مثل قولي لأبيه عليهما السلام فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في الحياة والممات، فما قاله لكم فعنّي يقوله وما أدّى إليكم فعنّي يؤدّيه[٢].

وروي عن علي بن عبدالله قال: دخلنا على أبي محمّد الحسن عليه السلام بسامراء وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته حتّى دخل عليه بدر خادمه فقال: يا مولاي بالباب قوم شعث غبر، فقال لهم: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن في حديث طويل إلى أن قال عليه السلام لبدر: فامض فائتنا بعثمان بن سعيد العمري، فما لبثنا إلّا يسيراً حتّى دخل عثمان، فقال له سيّدنا أبو محمّد عليه السلام: امض يا عثمان فإنّك الوكيل والثقة المأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال، ثمّ ساق الحديث إلى أن قال: ثمّ قلنا بأجمعنا: ياسيّدنا والله إنّ عثمان لمن خيار شيعتك ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وأنّه وكيلك

---

(١) البحار ج ٥١ ص ٣٤٤ باب ١٦ أحوال السفراء.

(٢) المصدر نفسه.

وثقتك على مال الله، قال: نعم واشهدوا على أنّ عثمان بن سعيد العمري وكيلي وأنّ ابنه محمّداً وكيل ابني مهديّكم[١].

وقد ذكر الكليني خبراً يدلّ على عظمة عثمان بن سعيد في كتابه الكافي، وذكر العلّامة المجلسي أيضاً عن الشيخ الصدوق عن جعفر بن محمّد بن مالك الفزاري البزّاز عن جماعة من الشيعة منهم علي بن بلال وأحمد بن هلال ومحمّد بن معاوية بن حكيم والحسن بن أيّوب بن نوح في خبر طويل مشهور قالوا: اجتمعنا إلى أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام نسأله عن الحجّة من بعده، وفي مجلسه أربعون رجلاً فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يابن رسول الله أُريد أن أسألك عن أمرٍ أنت أعلم به منّي، فقال له: اجلس يا عثمان فقام مغضباً ليخرج، فقال: لايخرجنّ أحد فلم يخرج منّا أحد إلى بعد ساعة فصاح عليه السلام بعثمان فقام على قدميه فقال: أخبركم بما جئتم؟ قالوا: نعم يابن رسول الله، قال: جئتم تسألوني عن الحجّة من بعدي، قالوا: نعم، فإذا غلام كأنّه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمّد عليه السلام فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم ألا وإنّكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتّى يتمّ له عمر فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه[٢].

ولذا تكفّل عثمان بن سعيد بهذا الأمر وتصدّى له بكلّ ورع وتقوى وهو الذي تكفّل بتهيئة وتجهيز الكفن والحنوط لغسل جسد الإمام العسكري عليه السلام بعد موته (علماً أنّه لا يغسل المعصوم إلّا المعصوم ونعتقد أنّ الذي غسل الإمام العسكري هو الإمام المهدي)، واستلم منصب الوكالة للإمام المهدي عليه السلام وقام

---

(١) المصدر السابق ص٣٤٧.

(٢) المصدر نفسه ص٣٤٦.

بالأمر على أحسن ما يكون في الغيبة الصغرى، وكان يستلم رسائل الناس ويعرضها على الإمام عليه السلام ثمّ يرجع الأجوبة إليهم.

النائب الثاني أبوجعفر محمّد بن عثمان العمري

وهو ابن النائب الأوّل وقد عيّنه للنيابة الإمام المهدي عليه السلام، فلمّا مضى أبو عمرو قام ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان مقامه بنصّ أبي محمّد عليه السلام ونصّ أبيه عثمان عليه بأمر القائم عليه السلام، وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد أشار إليه فقال: العمري وابنه ثقتان فما أدّيا إليك فعنّي يؤدّيان وما قالا لك فعنّي يقولان فاسمع...[١].

وقد ذكر العلّامة المجلسي في البحار عن محمّد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي أنّه خرج إليه التوقيع التالي بعد وفاة أبي عمرو: والابن وقاه الله لم يزل ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه ونضّر وجهه، يجري عندنا مجراه ويسدّ مسدّهُ وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل تولّاه الله فانته إلى قوله وعرِّف معاملتنا ذلك[٢].

ولم تزل الشيعة مقيمة على عدالته ووثاقته والرجوع إليه في المهمّات طول حياته وقد نقلت عنه دلائل كثيرة ومعجزات الإمام التي ظهرت على يده وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرة، وكان يلتقي بالإمام المهدي عليه السلام مراراً حتّى أنّه قال: والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه[٣].

---

(١) المصدر نفسه ص٣٤٨.

(٢) المصدر نفسه ص٣٤٩.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٥٠.

وسُئل ذات مرّة: رأيت صاحب هذا الأمر؟ قال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: اللّهمّ انجز لي ما وعدتني.

وقال: رأيته صلوات الله عليه متعلّقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: اللّهمّ انتقم بي من أعدائك[1].

النائب الثالث أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي

وهو النائب الثالث وقد عيّنه الإمام عليه السلام وأخبر بذلك محمّد بن عثمان وأمر الشيعة بالرجوع إليه في المهمّات، وكان أبو القاسم ثقة ومحل اعتماد الإمام عليه السلام وقد ذكر العلّامة المجلسي عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي أنّ جعفر بن أحمد ابن متيل القمي كان من خواص ووكلاء النائب الثاني وكان الشيعة لا يشكّون في كونه هو النائب بعد العمري الثاني، وقد روي عن علي بن محمّد بن متيل عن عمّه جعفر بن أحمد بن متيل قال: لمّا حضرت أبا جعفر محمّد بن عثمان العمري الوفاة كنتُ جالساً عند رأسه أسائله وأُحدّثه وأبو القاسم بن روح عند رجليه فالتفت إليَّ ثمّ قال: أُمرت أن أُوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح قال: فقمت من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحوّلت إلى عند رجليه[2] وهذا يدلّ على ورع وتقوى هذا الرجل وشدّة تسليمه لإمامه مع أنّ الناس كانوا أقرب إليه من الحسين بن روح، ولكن مع ذلك امتثل للأمر وأطاع بكلّ تواضع.

وبذلك استلم مهام النيابة الحسين بن روح النوبختي وهو من عائلة عرفت بالعلم والفضل والإخلاص لأهل البيت عليهم السلام وخرج منهم المنصفون وأهل العلم

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٥١.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٥٤ ح ٥.

والكلام، واستمرّت نيابة الحسين بن روح أكثر من ٢١ عاماً كان خلالها المرجع للشيعة إلى عام ٣٢٦هـ عندما التحق بربّه وودّع هذه الدُّنيا ودفن في بغداد ويقع قبره الآن داخل سوق (الشورجة) إلى جانب مسجد وهو مزار الخواص والعوام.

النائب الرابع أبو الحسن علي بن محمّد السمري

وقبل وفاة الحسين بن روح أوصى إلى عليّ بن محمّد السمري بأمر النيابة، كما أمره الإمام المهدي عليه السلام بذلك، وأبلغ الحسين بن روح ذلك الأمر إلى كبار الشيعة عنده، فقام السمري بما كان يقوم به النوّاب قبله من العمل والاتّصال بين الإمام عليه السلام وشيعته ومواليه إلى أن التحق بربّه.

فكانت فترة الغيبة الصغرى (٧٠) عاماً كلّها مليئة بالتوتّر والحسّاسية وذلك لمراقبة جواسيس بني العبّاس لكبار الشيعة ودخولهم في مجالسهم وطرح المواضيع الحسّاسة أيضاً ممّا فرض على الوكلاء الأربعة العمل بالتقيّة والحيطة والحذر والسرية التامّة، بينما كان خلفاء بني العبّاس يعتقدون أنّ المهدي موجود وأنّ نهايتهم ونهاية كلّ ظالم ستكون على يديه ممّا دعاهم ذلك إلى دسّ الجواسيس في الوسط الشيعي، فعلىٰ سبيل المثال ذكر الكليني في الكافي عن الحسين بن الحسن العلوي قال: كان رجل من ندماء روز حسني وآخر معه فقال له: هو ذا ـ يقصد الإمام المهدي ـ يجبي الأموال وله وكلاء وسمّوا جميع الوكلاء في النواحي وأنهى ذلك إلى عبيدالله بن سليمان الوزير فهمَّ الوزير بالقبض عليهم فقال السلطان: اطلبو أين هذا الرجل فإنّ هذا أمر غليظ، فقال عبيدالله: نقبض على الوكلاء، فقال السلطان: لا، ولكن دسّوا لهم قوماً لا يعرفون بالأموال، فمن قبض منهم شيئاً قبض عليه، قال: فخرج ـ توقيع من الإمام المهدي ـ بأن يتقدّم إلى جميع الوكلاء أن لا يأخذوا من أحد شيئاً وأن يمتنعوا من ذلك ويتجاهلوا الأمر، فاندس لمحمّد بن أحمد رجل لا يعرفه

وخلا به فقال: معي مال أُريد أن أوصله، فقال له محمّد: غلطت أنا لا أعرف من هذا شيئاً، فلم يزل يتلطّفه ومحمّد يتجاهل عليه وبثّوا الجواسيس وامتنع الوكلاء كلّهم لما كان تقدّم إليهم(١).

ولشدّة الأوضاع السياسية الضاغطة خرجت الأوامر بحرمة تداول اسم الإمام، فقد ذكر الكليني أنّ عبدالله بن جعفر الحميري سأل عثمان بن سعيد العمري: أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمّد عليه السلام؟ فقال: إي والله... فقلت: فالاسم؟ قال: محرَّم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي فليس لي أن أحلّل ولا أُحرّم ولكن عنه عليه السلام فإنّ الأمر عند السلطان أنّ أبا محمّد مضىٰ ولم يخلف ولداً وقسّم ميراثه وأخذه مَن لا حقّ له فيه وهو ذا، عياله عليه السلام يجولون ليس أحدٌ يجسر أن يتعرّف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب فاتّقوا الله وأمسكوا عن ذلك(٢)، حتّى أنّ وكلائه عليه السلام ما كان يتلفّظون باسمه الصريح بل كانوا يقولون «صاحب الزمان» أو «بقيّة الله» أو «حجّة آل محمّد» أو غير ذلك.

فقد ذكر الكليني عن أبي عبدالله الصالحي قال: سألني أصحابنا بعد مضيّ أبي محمّد عليه السلام أن أسأل عن الاسم والمكان، فخرج الجواب: إن دللتهم على الاسم أذاعوه وإن عرفوا المكان دلّوا عليه(٣). وحرمة التلفّظ باسمه الشريف

---

(١) أصول الكافي ج ١ كتاب الحجّة، باب مولد الصاحب عليه السلام ح ٣٠ ص ٥٢٥.

(٢) المصدر، باب في تسمية من رآه، ذيل حديث ١.

(٣) المصدر السابق، باب النهي عن الاسم ح ٢.

أقول؛ وروي أنّه خرج توقيع منه عليه الصلاة والسلام في غيبته الصغرى: ملعون ملعون من سمّاني في محفل من الناس.

وعنه عليه السلام أيضاً: من سمّاني في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله. راجع بحار ←

خاصّة بالغيبة الصغرى فقط.

فهذه الروايات تعطي الانطباع الواضح عن مستوى الإرهاب والظلم والاضطهاد الذي مارسه الخلفاء العبّاسيون ضدّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ومع موت النائب الرابع دخل الإمام عليه السلام في غيبته الكبرى وانتهى موضوع النيابة الخاصّة، فلا أحد يتّصل بالإمام بعد ذلك على أساس الوكالة الخاصّة ولا يمكن لأحد أن يدّعي هذا وكلّ من زعم ذلك فهو كاذب قطعاً، كما حصل هذا لكثير من المفترين منهم (علي محمد ابن الميرزا رضائي البزاز الشيرازي وأُمّه خديجة) الذي ادّعى أنّه نائب الإمام المهدي وبابه الخاصّ فأعلن دعوته هذه في شيراز واصفهان ثمّ قُبض عليه وأُعدم في عهد ناصر الدين شاه، وسُمّي أتباعه بـ (البابية) ثمّ انشقّوا على أنفسهم إلى (البابية) و(البهائية) علماً أنّه لم يتبعه إلّا البسطاء والمغفّلون وأصحاب الأطماع الذين غرّتهم الأموال، وقد فات عليهم أنّ الإمام المهدي اسمه (محمد) وهذا المدّعي الكذّاب اسمه(علي) واسم أُمّ الإمام (السيّدة نرجس) بينما اسم أُمّ المدّعي (خديجة) ووالد الإمام عليه السلام هو الإمام الحسن العسكري وليس الميرزا رضائي، ثمّ إنّ الإمام عليه السلام ولد في سامراء والمدّعي مولود في شيراز في زقاق (شمشيرگرها) والإمام يظهر من مكّة، وقد أعلن المدّعي الكذّاب دعوته من بوشهر ثمّ شيراز وأخيراً في اصفهان، والإمام لا يزال على قيد الحياة إلى وقت ظهوره بينما سُجن علي محمد في شيراز واصفهان وتبريز ثمّ أُعدم ومات.

وهكذا فإنّك لا تجد أي نقطة يشترك بها هذا المفتري مع الإمام المهدي عليه السلام

← الأنوار ج٥٣ ص١٨٤ ح١٣ و ١٤.

وهذا المنع واللعن مختصّ بالغيبة الصغرى وذلك لخصوصية النيابة الخاصّة. / المترجم.

ومع ذلك تبعه أصحاب المطامع والأهواء(١).

على أنّ الإمام سلام الله عليه كان قد أغلق الطريق أمام هؤلاء المفترين من خلال رسالته التي حملها النائب الرابع إلى الشيعة، وقد ذكرها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة وغيره من أكابر العلماء، وجاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمّد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك؛ فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالىٰ ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم(٢).

ومن هذه الرسالة المباركة تتّضح لنا عدّة أمور منها:

أوّلاً: أنّه عليه السلام ذكر بعض العلامات الحتمية قبل ظهوره منها السفياني والصيحة، فكلّ من ادّعى المهدوية قبل ظهور وحصول هذه العلامات فهو كاذب.

ثانياً: وذكر عليه السلام العلامة الأخرى وهي عمومية الفساد في الأرض، ومن الفساد أيضاً هو ظهور السفياني نفسه(٣).

---

(١) لزيادة التفصيل حول كيفيّة ظهور وصناعة تيّار البابية يراجع كتاب مذكّرات الجاسوس الروسي كينياز دالگوركي ففيه القصّة الكاملة والكتاب باللغة الفارسية / المترجم.

(٢) كتاب الغيبة للطوسي ص٢٥٧.

(٣) السفياني: هو عثمان بن عنبسة يظهر في الشام ثمّ يحتل العراق فيبيح القتل فيه لثلاثة أيّام ويملكه لمدّة ٩ أشهر ثمّ يرسل ثلاثمائة ألف جندي لاحتلال الحجاز ←

ثالثاً: والعلامة الأخرى التي ذكرها الإمام عليه السلام هي الصيحة، وتكون في وقت السحر عندما يظهر الإمام عليه السلام مع جيشه في مكّة، والظاهر أنّ كلّ قوم يسمعون النداء بلغتهم والعبارة هذه «قد جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً»[١].

فهذه الرسالة الشريفة التي ذكرت هذه العلامات سدّت الطريق أمام المفترين الذين يدّعون المهدوية، فلا نيابة خاصّة في الغيبة الكبرى، نعم لقد أرجع الإمام المهدي عليه السلام شيعته إلى نوّابه غير الخاصّين وهم الفقهاء والمراجع وكلّ واحد منهم يمارس النيابة العامّة لا الخاصّة، وفي الأمور الشرعية.

سؤال: ما هو الفرق بين النائب الخاص والنائب العام؟

الجواب: النائب الخاص هو المعيّن من قبل الإمام نفسه عليه السلام ولهم اطّلاع وعلم عن مكان الإمام ومحلّ سكناه ويجالسونه ويحاورونه ويجلبون إليه رسائل شيعته ثمّ يأخذون منه الأجوبة ويردّوها إليهم.

أمّا النائب العام فكلّ واحد من الفقهاء والمجتهدين الكبار هو نائب عام فليس هناك تحديد لاسمه بل هناك تحديد لبعض الصفات التي ذكرها الإمام عليه السلام وكلّ من تحلّى بها فهو بمنزلة النائب العام، إلّا أنّه غير عالم بمكان الإمام ولا يلتقيه، أمّا صفاته فهي قوله عليه السلام: «فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلّا في بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم»[٢].

← فيُخسف بهم في الصحراء عندها يظهر الإمام عليه السلام في مكّة ويقاتل جيش السفياني في بيت المقدس، فيفرّ السفياني إلى الكوفة فيلحقه الإمام عليه السلام ثمّ يهرب إلى الشام وهكذا إلى أن يقتله ويقيم دولة الحقّ. / المؤلّف

(١) أُنظر علامات الظهور في غيبة الطوسي ص٢٦٥ / المترجم.

(٢) تفسير البرهان ج١ ص١١٨، ط الرحلي القديم.

وورد أيضاً عن الإمام المهدي عليه السلام توقيع عن طريق نائبه محمّد بن عثمان عندما سُئل عليه السلام عمّن تؤخذ الأحكام فكتب عليه السلام: أمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم[١].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: انظروا إلى مَن كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنّما بحكم الله استخفّ وعلينا ردّ والرادّ علينا رادّ على الله وهو في حدّ الشرك بالله[٢].

وفي رواية أخرى قال: مجاري الأمور بيد العلماء بالله الأُمناء على حلاله وحرامه[٣].

فيُستفاد من هذه المرويات أنّ كلّ من حصلت له القدرة على استنباط الحكم الشرعي من الكتاب والسنّة مع بقيّة الصفات المذكورة يكون نائباً عامّاً، ومعنى نيابته هو وجوب رجوع العوام إليه وأخذ الأحكام عنه، لأنّ حكمه حكم الأئمّة عليهم السلام.

سؤال: كم هي مدّة الغيبة للإمام ومتىٰ تنتهي؟

الجواب: قلت سابقاً إنّ الغيبة الصغرى امتدّت إلى أربعة وسبعين عاماً وكان اللقاء يتمّ بالنوّاب الأربعة، ومع موت الرابع حصلت الغيبة الكبرى ولا يعلم أمدها إلّا الله تعالى.

نعم، هناك علامات ذُكرت في الروايات (وعند الفريقين) تحصل قبل ظهوره ف+تكون دليلاً على قرب الظهور المبارك، ومنها الحتمية وغير الحتمية.

---

(١) البحار ج٥٣ ص١٨١ ح١٠.

(٢) البحار ج٢، ص٢٢١ الرواية الأولى، الباب التاسع والعشرون.

(٣) البحار ج١٠٠، ص٨٠ الرواية (٣٧) الباب الأوّل.

سؤال: لقد قلت إنّ طيلة الغيبة الصغرى كان فيها نوّاب أربعة وكانت الشيعة تلتقي وتتعامل معهم، فمن أين يحصل الوثوق بهم وبما يدّعونه، إذ من الممكن أن يدّعي ذلك الكثير من الناس وفي مناطق متعدّدة ونائية ويخدعون الناس بذلك؟

الجواب: أوّلاً: الشيعة لا يتّبعون كلّ مَن يدّعي شيئاً بل هم يتّبعون الدليل المقنع والبرهان الواضح.

وثانياً: فقد نصّ الإمام الهادي والحسن العسكري عليهما السلام على نيابة عثمان بن سعيد العمري وابنه محمّد بن عثمان (النائب الأوّل والثاني للإمام المهدي) وقد سمع الشيعة هذه النصوص واشتهرت بينهم في حياة هذين الإمامين عليهما السلام.

وثالثاً: ومضافاً لذلك فقد حصلت بعض الأمور الخارقة للعادة التي تدلّ على صدق الدعوى[1] أو من خلال بعض الاختبارات التي تعرّض لها النوّاب فحصل الوثوق بهم من مجموع ذلك، ولكي يتّضح المطلب أذكر لكم ثلاثة وقائع كلّ واحدة منها تدلّ على صحّة مدّعى الوكلاء.

خبر أبي العبّاس ومعجزة الإمام في تعيين النائب
الحكاية الأولى

في البحار عن أحمد الدينوري السرّاج المكنّى بأبي العبّاس الملقّب باستارة قال: انصرفت من أردبيل ـ مدينة إيرانية ـ إلى دينور وأريد أن أحجّ

---

(١) عُرفت المعجزة: إنّها العمل الخارق للعادة غير قابل للنقض في معرض التحدّي أو غيره وتدلّ على صدق الدعوى، فعندما تظهر المعجزة على يد النبيّ تكون دليلاً لا يمكن ردّه على صدق دعوته ونبوّته وهكذا بالنسبة للإمام، وهكذا بالنسبة للسفراء الأربعة، وهذا ما قصده المؤلّف قدس سره / المترجم.

وذلك بعد مضيّ أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام بسنة أو سنتين وكان الناس في حيرة فاستبشر أهل دينور بموافاتي واجتمع الشيعة عندي فقالوا: اجتمع عندنا ستّة عشر ألف دينار من مال الموالي ونحتاج إلى أن نحملها معك ونسلّمها بحيث يجب تسليمها قال: قلت ياقوم هذه حيرة ولا نعرف الباب في هذا الوقت، فقالوا: إنّما اخترناك لحمل هذا المال لما نعرف من ثقتك وكرمك فاعمل على أن لا تخرجه من يديك إلّا بحجّة، قال: فحمل إليّ ذلك المال في صرر باسم رجل رجل فحملت ذلك المال وخرجت فلمّا وافيت قرميسين كان أحمد بن الحسن بن الحسن مقيماً بها فصرت إليه مسلّماً فلمّا لقيني استبشر بي ثمّ قال لي: احمل هذا معك ولا تخرجه عن يدك إلّا بحجّة، قال: فقبضت المال والتخوت بما فيها من الثياب فلمّا وردتُ بغداد لم يكن لي همّة غير البحث عمّن أشير إليه بالنيابة فقيل لي إنّ هاهنا رجلاً يُعرف بالباقطاني يدّعي النيابة وآخر يعرف بإسحاق الأحمر يدّعي النيابة وآخر يُعرف بأبي جعفر العمري يدّعي النيابة، قال: فبدأت بالباقطاني وصرت إليه فوجدته شيخاً مهيباً له مروة ظاهرة وفرس عربي وغلمان كثير ويجتمع إليه الناس يتناظرون قال: فدخلت إليه وسلمت عليه فرحّب وسُرّ وقرّب قال: فأطلت القعود إلى أن خرج أكثر الناس قال: فسألني عن ديني فعرّفته أنّي رجل من أهل دينور وافيت ومعي شيء من المال أحتاج أن أُسلّمه فقال لي: احمله، قلت: أُريد حجّة؟ قال: تعود إليّ في غد، قال: فعدت إليه من الغد فلم يأت بحجّة وعدت إليه في اليوم الثالث فلم يأت بحجّة قال: فصرت إلى إسحاق الأحمر فوجدته شابّاً نظيفاً منزله أكبر من منزل الباقطاني وفرسه ولباسه ومروته أسرى وغلمانه أكثر من غلمانه ويجتمع عنده من الناس أكثر ممّا يجتمع عند الباقطاني، قال: فدخلت وسلّمت فرحّب وقرّب قال: فصبرت إلى أن خفّ الناس، قال: فسألني عن حاجتي؟ فقلت له كما قلت للباقطاني وعدت إليه ثلاثة أيّام فلم يأت بحجّة، فصرت إلى

أبي جعفر العمري فوجدته شيخاً متواضعاً عليه مبطنة بيضاء قاعد على لبد في بيت صغير ليس له غلمان ولا له من المروة والفرس ما وجدت لغيره قال: فسلّمت فردّ الجواب وأدناني وبسط منّي ثمّ سألني عن حالي فعرّفته أنّي وافيت من الجبل وحملت مالاً، قال: فقال: إن أحببت أن يصل هذا الشيء إلى من يجب أن يصل إليه تخرج إلى سرّ من رأى وتسأل دار ابن الرضا وعن فلان بن فلان الوكيل، وكانت دار ابن الرضا عامرة بأهلها فإنّك تجد هناك ما تريد، قال: فخرجت من عنده ومضيت نحو سر من رأى وصرت إلى دار ابن الرضا وسألت عن الوكيل فذكر البوّاب أنّه مشتغل في الدار وأنّه يخرج آنفاً فقعدت على الباب أنتظر خروجه فخرج بعد ساعة فقمت وسلّمت عليه وأخذ بيدي إلى بيت كان له وسألني عن حالي وما وردت له، فعرّفته أنّي حملت شيئاً من المال من ناحية الجبل وأحتاج أن أسلّمه بحجّة، فقال: نعم، ثمّ قدّم إليّ طعاماً وقال لي تغد بهذا واسترح فإنّك تعبت فإنّ بيننا وبين الصلاة الأولى ساعة فإنّي أحمل إليك ما تريد. قال: فأكلت ونمت فلمّا كان وقت الصلاة نهضت وصلّيت وذهبت إلى المشرعة واغتسلت وانصرفت إلى بيت الرجل وسكنت إلى أن مضى الليل ربعه فجائني بعد أن مضى من الليل ربعه ومعه درج فيه: بسم الله الرحمن الرحيم وافى أحمد بن محمد الدينوري وحمل ستّة عشر ألف دينار في كذا وكذا صرّة فيها صرّة فلان بن فلان كذا وكذا دينار إلى أن عدّد الصرر كلّها وصرّة فلان ابن فلان الزرّاع ستّة عشر ديناراً قال فوسوس لي الشيطان فقلت إنّ سيّدي أعلم بهذا منّي فما زلت أقرأ ذكره صرّة صرّة وذكر صاحبها حتّى أتيت عليها عند آخرها ثمّ ذكر قد حمل من قرميسين من عند أحمد بن الحسن المادوائي أخي الصوان كيس ألف دينار وكذا وكذا تختاً من الثياب منها ثوب فلان وثوب لونه كذا حتّى نسب الثياب إلى آخرها بأنسابها وألوانها، قال: فحمدت الله وشكرته على ما منّ به عليّ من إزالة الشكّ عن قلبي فأمر بتسليم جميع ما حملت إلى حيث يأمرك

أبو جعفر العمري، قال: فانصرفت إلى بغداد وصرت إلى أبي جعفر العمري قال: وكان خروجي وانصرافي في ثلاثة أيّام قال: فلمّا بصر بي أبو جعفر قال: لِمَ لمْ تخرج؟ فقلت: ياسيّدي من سامراء انصرفت، قال: فأنا أحدّث أبا جعفر بهذا إذ وردت رقعة على أبي جعفر العمري من مولانا صاحب الأمر عليه السلام ومعها درج مثل الدرج الذي كان معي فيه ذكر المال والثياب وأمر أن يسلّم جميع ذلك إلى أبي جعفر محمّد بن أحمد بن جعفر القطان القمّي فلبس أبو جعفر العمري ثيابه وقال لي: احمل ما معك إلى منزل محمّد بن أحمد، قال: فحملت المال والثياب إلى محمّد بن أحمد بن القطّان وسلّمتها إليه وخرجت إلى الحجّ فلمّا رجعت إلى دينور اجتمع عندي الناس فأخرجت الدرج الذي أخرجه وكيل مولانا عليه السلام إليَّ وقرأته على القوم فلمّا سمع بذكر الصرّة باسم الزرّاع سقط مغشيّاً عليه وما زلنا نعلّله حتّى أفاق فلمّا أفاق سجد شكراً لله عزّوجلّ وقال: الحمد لله الذي منَّ علينا بالهداية الآن علمت أنّ الأرض لا تخلو من حجّة، هذه الصرة دفعها إلى هذا الزراع لم يقف على ذلك إلّا الله عزّوجلّ...[1].

حكاية أحمد بن أبي روح

روي عن أحمد بن أبي روح قال: وجّهت إليَّ امرأة من دينور فأتيتها فقالت: يابن أبي روح أنت أوثق من في ناحيتنا ديناً وورعاً وانّي أُريد أن أودعك أمانة أجعلها في رقبتك تؤدّيها وتقوم بها، فقلت: أفعل إن شاء الله، فقالت: هذه دراهم في هذا الكيس المختوم لا تحلّه ولا تنظر فيه حتّى تؤدّيه إلى مَن يخبرك بما فيه وهذا قرطي يساوي عشرة دنانير وفيه ثلاث حبّات تساوي عشرة دنانير وليَّ إلى صاحب الزمان حاجة أريد أن يخبرني بها قبل أن أسأله

---

(١) إلزام الناصب ج١ ص٤٠٥ الغصن الخامس من المعجزة الخامسة.

عنها فقلت: وما الحاجة؟ قالت: عشرة دنانير استقرضتها أُمّي في عرس ولا أدري عمّن استقرضتها ولا أدري إلى مَن أدفعها، قالت: إن أخبرك بها فأدفعها إلى مَن يأمرك بها، قال: وكيف أقول لجعفر بن علي، فقلت: هذه المحنة بيني وبين جعفر بن علي، فحملت المال وخرجت حتّى دخلت بغداد فأتيت حاجز ابن يزيد الوشا فسلّمت عليه وجلست قال: ألك حاجة؟ قلت: هذا مال دُفع إليَّ لا أدفعه إليك حتّى تخبرني كم هو ومَن دفعه إليَّ فإن أخبرتني دفعته إليك، قال: يا أحمد بن أبي روح توجّه به إلى سُرّ من رأى، فقلت: لا إله إلّا الله لهذا أجل شيء أردته فخرجت ووافيت سرّ من رأى فقلت: أبدأ بجعفر ثمّ تنكّرت فقلت: أبدأ بهم فإن كانت المحنة من عندهم وإلّا مضيت إلى جعفر ـ الكذّاب ـ فدنوت من دار أبي محمّد فخرج إليَّ خادم فقال: أنت أحمد بن أبي روح؟ قلت: نعم، قال: هذه الرقعة اقرأها فإذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم يابن أبي روح أودعتك عاتكة بنت الدنياري كيساً فيه ألف درهم بزعمك وهو خلاف ما تظنّ وقد أدّيت فيه الأمانة ولم تفتح الكيسة ولم تدر ما فيه، وفيه ألف درهم وخمسون ديناراً ومعك قرط زعمت المرأة أنّه يساوي عشرة دنانير صدقت مع الفصين الذين فيه وفيه ثلاث حبّات لؤلؤاً شراؤها عشرة دنانير ويساوي أكثر فادفع ذلك إلى خادمتنا فلانة فإنّا قد وهبناه لها، وصر إلى بغداد وادفع المال إلى الحاجز وخذ منه ما يعطيك لنفقتك إلى منزلك، وأمّا عشرة الدنانير التي زعمت أنّ أمّها استقرضتها في عرسها وهي لا تدري مَن صاحبها بل هي تعلم لمن هي، لكلثوم بنت أحمد وهي ناصبية فتحرّجت أن تعطيها وأحبّت أن تقسّمها في أخواتها فاستأذنتنا في ذلك، فلتفرّقها في ضعفاء أخواتها ولا تعودنّ يابن أبي روح إلى القول بجعفر والمحنة له وارجع إلى منزلك، فإنّ عدوّك قد مات وقد رزقك الله أهله وماله، فرجعت إلى بغداد وناولت الكيس حاجزاً فوزنه فإذا فيه ألف درهم وخمسون دينار فناولني ثلاثون ديناراً وقال: أُمرت بدفعها إليك

لنفقتك فأخذتها وانصرفت إلى الموضع الذي نزلت فيه وقد جاءني مَن يخبرني أنّ عمّي قد مات وأهلي يأمرون بالانصراف إليهم فرجعت فإذا هو قد مات وورثت منه ثلاثة آلاف دينار ومائة ألف درهم[1].

حكاية محمّد بن الحسن الصيرفي

روي عن محمّد بن الحسن الصيرفي المقيم بأرض بلخ: أردتُ الخروج إلى الحجّ وكان معي مال بعضه ذهب وبعضه فضّة فجعلت ما كان معي من الذهب سبائك وما كان معي من فضّة نقراً وكان قد دُفعَ ذلك المال إليّ لأسلّمه إلى الشيخ الحسين بن روح، قال: فلمّا نزلت سرخس ـ مدينة إيرانية ـ ضربت خيمتي على موضع فيه رمل وجعلت أميّز تلك السبائك والنقر فسقطت سبيكة من تلك السبائك منّي وغاصت في الرمل وأنا لا أعلم فلمّا دخلت همدان ـ مدينة إيرانية ـ ميّزت تلك السبائك والنقر مرّة أخرى اهتماماً منّي بحفظها ففقدتُ منها سبيكة وزنها مائة مثقال وثلاثة مثاقيل أو ثلاثة وتسعون مثقالاً، فسبكت مكانها من مالي بوزنها سبيكة وجعلتها بين السبائك فلمّا وردت مدينة السلام قصدت الشيخ الحسين بن روح وسلّمت إليه ما كان معي من السبائك والنقر فمدّ يده من بين السبائك إلى السبيكة التي كنت سبكتها من مالي وقال: ليست هذه السبيكة لنا سبيكتنا ضيعتها بسرخس حيث ضربتَ خيمتك في الرمل فارجع إلى مكانك وانزل حيث نزلت واطلب السبيكة هناك تحت الرمل فإنّك ستجدها وتعود إليّ هاهنا فلا تراني فرجعت إلى سرخس ونزلت حيث كنت ووجدت السبيكة وانصرفت إلى بلدي فلمّا كان بعد ذلك حججت ومعي السبيكة فدخلت مدينة السلام وقد كان الشيخ الحسين بن روح مضىٰ ولقيت أبا

(١) المصدر السابق ص٣٩٢ المعجزة ١٥.

الحسن السمري فسلّمت إليه السبيكة(١).

سبب انحراف بعض أصحاب الأئمّة

إنّ انحراف بعض أصحاب الأئمّة لا يختلف عن انحراف بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إذ يعود السبب الحقيقي إلى نفسيتهم التي لم تنهل شيئاً من نورانية النبوّة أو الإمامة، كالأحجار السوداء التي تعكس كلّ أشعة الشمس الساقطة عليها، فهؤلاء كانت قلوبهم كما وصف الله تبارك وتعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(٢) فالحجاب النفسي منعهم باختيارهم من الإحساس بالرحمة الإلهية وفيض النبوّة، وهكذا بالنسبة لبعض أصحاب الأئمّة، وسبب هذا الحجاب هو حبّ الدُّنيا وما يتعلّق بها كالمال والجاه والسمعة والشهرة.

فمثلاً بعد أن مضى الإمام العسكري عليه السلام وتصدّى عثمان بن سعيد للنيابة الخاصّة ومن بعده محمّد بن عثمان، تحرّكت الأهواء في نفس أبي محمّد حسن الشريعي وطمع في متاع الدُّنيا الزائل وخدعه شيطانه وأغراه بقليل من حطام هذه الدُّنيا، مع أنّه كان من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام والإمام العسكري عليه السلام وهو أوّل من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه ولم يكن أهلاً له وكذب على الله وعلى حججه عليهم السلام ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء، فلعنته الشيعة وتبرّأت منه وخرج توقيع الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه، ثمّ ظهر منه القول بالكفر والإلحاد. فافتضح أمره وخاب سعيه وانكشفت لعبته وخرج عن

(١) المصدر السابق ص٤١٣ المعجزة ٧.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٩.

المذهب الحقّ(١).

وبعد الشريعي كان محمّد بن نصير النميري وقد تقدّم الكلام عنه سابقاً وهو من جملة المنحرفين عن المذهب، لأنّه ادّعى النبوّة والتناسخ وأباح السفاح وإتيان الرجال وكان يزعم أنّ ذلك من التواضع والإخبات والتذلّل في المفعول به وأنّه من الفاعل إحدى الشهوات والطيّبات وأنّ الله عزّوجلّ لا يحرم شيئاً من ذلك على لذّة، وقد ذكر الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة:

أخبرني أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان أنّه رآه عياناً وغلام له على ظهره قال: فلقيته ـ أي للنميري ـ فعاتبته على ذلك ـ اللواط ـ فقال: إنّ هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبّر!!(٢).

مع أنّ الله تعالى قد ذكر في قصّة لوط أنّ هلاكهم كان بسبب هذه الفاحشة المقيتة القذرة، وأنّ الحكم الشرعي لمثل هؤلاء اللواطين هو القتل مع العذاب إمّا بالإحراق أو الرجم أو رميه من شاهق، ولهذا فإنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام لعنه مع الحسن بن محمد المعروف بابن (بابا) وفارس بن حاتم(٣).

---

(١) أُنظر كتاب الغيبة للطوسي ص٢٤٤ /المترجم.

(٢) الغيبة للطوسي ص٢٤٥ ورجال الكشي ج٢ ص٨٠٥ رقم ١٠٠٠، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام قم.

(٣) المصدر نفسه ص٢١٣.

قال سعد: حدّثني العبيدي (محمّد) قال: كتب إليّ العسكري عليه السلام ابتداءً منه: أبرء إلى الله من الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي فأبرء منهما فإنّي محذّرك وجميع مواليّ وأنّي ألعنهما عليهما لعنة الله، مستأكلين يأكلان بنا الناس فتّانين مؤذيين آذاهما الله وأركسهما في الفتنة ركساً، يزعم ابن بابا أنّي بعثته نبيّاً وأنّه باب عليه لعنة الله سخر منه الشيطان فأغواه فلعن الله من قبل منه ذلك... /اختيار معرفة الرجال المجلّد ٢، ج٦ ص٨٠٥ رقم ٩٩٩ ط مؤسسة آل البيت /المترجم.

وهكذا لعنه النائب الثاني أيضاً، ولم يبق معه إلّا الفاسق الفاسد وهم الذين يقصدهم الشهرستاني وأصحاب الملل والنحل.

وبعدهما ظهر انحراف إسحاق بن زيد بن الحرث، ومذهبه على غرار النصيري في الإباحة والحلول والغلو وأنّ عليّاً شريك رسول الله ﷺ!!

وأتباعه كأتباع النصيري المتقدّم ذكره.

«**الكيسانية**»: قال الشهرستاني: أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه وقيل تلميذ للسيّد محمّد بن الحنفية رضي الله عنه، يعتقدون فيه اعتقاداً فوق حدّه ودرجته، من إحاطته بالعلوم كلّها، واقتباسه من السيّدين الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس... وحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت، فمن مقتصر على واحد ـ إمام واحد ـ معتقد أنّه لا يموت، ومن معتقد حقيقة الإمامة إلى غيره...[١].

«**المختارية**»: أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان خارجيّاً ثمّ صار زبيرياً ثمّ صار شيعياً وكيسانيّاً، وكان يظهر أنّه من رجال محمّد بن الحنفية.. وإنّما انتظم له ما انتظم بأمرين: أحدهما: انتسابه إلى محمّد بن الحنفية علماً ودعوةً، والثاني: قيامه بثأر الحسين بن عليّ رضي الله عنهما واشتغاله ليلاً ونهاراً بقتال الظلمة الذين اجتمعوا على قتل الحسين، وكان يدّعي علم ما يحدث من الأحوال إمّا بوحي يوحى إليه، وإمّا برسالة من قِبل الإمام، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال: قد بدا لربّكم[٢].

---

(١) الملل والنحل ج ١ ص١١٨ الفصل السادس.

(٢) المصدر السابق.

دراسة حول الكيسانية
ومحمّد بن الحنفية

هذه المعلومات التي أوردها الشهرستاني لا تختلف عن ترهاته فيما تقدّم. نعم، يمكن أن نقول هنا إنّ كيسان فعلاً هو مولى أمير المؤمنين عليه السلام وكان تلميذاً لمحمّد بن الحنفية، وقد زعم أنّ الإمام بعد الحسين هو ابن الحنفية واستدلّ بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام أعطاه الراية في حرب الجمل وقال له: أنت إبني حقّاً[1]. ومع أنّ هذه الفرقة قد انقرضت ولم يبق منها إلّا الاسم وفي الكتب فقط[2] ولكن مع ذلك سوف نذكر ما يتّصل منها بشخصية محمّد بن الحنفية ونكشف المغالطات في كلام الشهرستاني لأنّها مسؤوليتنا للحيلولة دون الانخداع بها من قِبل الشباب أو الناس غير المطّلعين فنقول:

محمّد بن الحنفية هو الابن الثالث لأمير المؤمنين علي عليه السلام وقد عُرف بالعلم والزهد والشجاعة في زمانه، كما له بعض الخصائص التي انفرد بها منها اسمه كما ذكر العلّامة المجلسي عن تفسير الثعلبي ورسالة السمعاني وأصول الحديث لابن البيّع وفضائل العشرة لأبي السعادات وتاريخ بغداد وتاريخ البلاذري وخصائص النطنزي بأسانيدهم عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) الغيبة للطوسي ص١٦ / المترجم.

(٢) والعجيب أنّ الشيخ الطوسي المتوفىٰ سنة ٥٤٠هـ ذكر في كتابه الغيبة عن الفرقة الكيسانية فقال: انقرضت هذه الفرقة فإنّه لم يبق في الدنيا في وقتنا ـ القرن الرابع ـ ولا قبله بزمان طويل قائل يقول به، ولو كان ذلك حقّاً لما جاز انقراضه / الغيبة ص١٧.

علماً أنّ المؤلّف تطرّق إلى ذكر الكيسانية بشكل موجز جدّاً في ليالي بيشاور ص ١٣١ / المترجم.

إنّ ولدك غلام نحلته اسمي وكنيتي[١]، وبرواية السمعاني وأحمد بن حنبل أنّه صلى الله عليه وآله قال: فسمه بإسمي وكنه بكنيتي وهو له رخصة دون الناس[٢] لأنّه صلى الله عليه وآله قال في حديث آخر: لاتجمعوا بين اسمي وكنيتي، أنا أبو القاسم، الله يعطي وأنا القاسم[٣]، وقال صلى الله عليه وآله في حديث آخر: سمّوا باسمي وكنّوا بكنيتي ولا تجمعوا بينهما[٤].

ولكن مع ذلك أُعطيت الرخصة لمحمّد بن الحنفية فهو أبو القاسم محمّد، وبلاشك فإنّ إعطاء مثل هذه الميزة والرخصة له دليل على امتيازه وشرفه.

سؤال: هل هذا المنع مختصّ ومحدّد يزمن معيّن أم غير محدّد؟

الجواب: هذا المنع غير مقيّد بزمان دون زمان بل هو عام باتّفاق المسلمين وقد خرج من هذا العموم اثنان بالنصوص الخاصّة بهما، الأوّل هو محمّد بن الحنفية كما تقدّمت النصوص عليه، والآخر هو الإمام المهدي عليه السلام فقد روى الشيعة والسنّة قول رسول الله صلى الله عليه وآله عن الإمام المهدي أنّ اسمه اسمي وكنيته كنيتي، فقد ذكر الشيخ المفيد والصدوق في كمال الدين والأربلي في كشف الغمّة والمجلسي في البحار وابن طاووس في الملاحم والفتن، وهكذا أبو نعيم الاصفهاني في نعت المهدي والأحاديث الأربعين والمتقي الهندي في البرهان في علامات مهدي آخر الزمان وسبط ابن الجوزي في حالات المهدي عليه السلام والحنفي في ينابيع المودّة والكنجي في البيان وغيرهم بألفاظ مختلفة وتعابير متعدّدة مع اتحادها في المعنى، وكذلك في فرائد السمطين ومناقب الخوارزمي

---

(١) البحار ج٣٨ ص٣٠٤ ط طهران.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) البحار ج١٦ ص١١٣ ح٤٢.

(٤) المصدر نفسه ج٣٨ ص٣٠٤ ح٥.

وأبو داود والزهري عن عدّة من الصحابة عن أمير المؤمنين عليه السلام وجابر بن عبدالله الأنصاري وأبو سعيد الخدري وعبدالله بن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبه الناس بي خلقاً وخُلقاً يكون له غيبة وحيرة يضلّ فيها الأمم، يقبل كالشهاب الثاقب، يملأها عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً[1]، فيظهر أنّ هذا من خصائص المهديّ عليه السلام ومحمّد بن الحنفية فقط.

سؤال: عفواً ياسيّدي أنا أسأل للاستيضاح، لماذا نُسب محمّد إلى أُمّه الحنفية مع أنّه ابن أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه؟ فإنّ نسبته إليه أفضل وأشرف من نسبته إليها؟

الجواب: هذا صحيح وكان في عهده يُنسب إلى عليّ عليه السلام أيضاً ولكن غلبت نسبته إلى أُمّه نظراً إلى أنّ أُمّه السيّدة خولة (بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيدالله بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن عليبن بكر بن وائل) عُرفت بالعفّة والصلاح وقوّة القلب وكمال الفصاحة والبلاغة في قبيلة بني يربوع واليمامة واليمن حتّى اشتهر أمرها بذلك، فهو يُنسب إليها لشهرتها بتلك الخصال الجميلة، فهو قد جمع الشرف من جهتين الأب والأمّ.

---

(١) البحار ج ٥١ ص ٧١ باب ما ورد من الأخبار في القائم عليه السلام ح ١٣ و ١٦ و ١٧ ط بيروت.
وكشف الغمّة ج ٢ ص ١٠١٦ ط الشريف الرضي قم.
والملاحم والفتن لابن طاووس.
وينابيع المودّة فصل فضائل المنتظر عليه السلام ص ٣٠٩.
وفرائد السمطين ج ٢ ص ٣٣٤ رقم ٥٨٦ ـ ٥٨٩ ط بيروت بتحقيق المحمودي.
غاية المرام ص ٦٩٥ ح ٢٩.

سؤال: لقد قلتَ إنّ السيّدة خولة من قبيلة بني يربوع في اليمامة واليمن، وأمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه كان في المدينة فكيف اتّصل بها، مع أنّ موضوع شهرتها ومنزلتها لم تكن معروفة في المدينة؟

الجواب: على أشهر الآراء أنّ الاتصال بين أمير المؤمنين عليه السلام والسيّدة خولة حصل في المدينة المنوّرة أيّام خلافة الخليفة الأوّل، لأنّها كانت من قبيلة مالك بن نويرة وهو من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت، ولأجل ذلك قتله خالد بن الوليد ظلماً وعدواناً وزنا بإمرأته واعتدى على ماله وأسر أفراد قبيلته وكانت السيّدة خولة من جملة الأسرى الذين أتى بهم خالد إلى المدينة، وقد أخذها أمير المؤمنين عليه السلام.

سؤال: هل يوجد دليل على أنّ خالد قتلهم وسباهم بسبب حبّهم لأهل البيت عليهم السلام؟

الجواب: لقد تقدّم الكلام مفصّلاً حول هذه الحادثة فلا نكرّره[1]. ولكن أكتفي هنا بذكر خبر واحد وهو موجود في عدّة مصادر من كتب الفريقين وأنا أنقله لك من البحار وهو كافٍ في جواب ما سألت عنه؛ ذكر العلّامة المجلسي عن الخرائج والجرائح للشيخ قطب الدين الراوندي خبراً مفصّلاً منه أنّه لمّا أُدخل أُسارى بني حنيفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله توجّهت خولة بنت جعفر إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وبكت ثمّ قالت: يارسول الله صلى الله عليه وآله أشكو إليك أفعال هؤلاء القوم سبونا من غير ذنب ونحن مسلمون[2].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّها قالت: السلام عليك يارسول الله وعلى أهل

---

(١) تجده في الجزء الأوّل ص١١٨ الاختلاف السابع /المترجم.

(٢) البحار ج٤١ ص٣٠٣ ح٣٥، الخرائج والجرائح ج٢ ص٥٦٣ ح٢١ ط مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام قم ١٤٠٩هـ.

بيتك من بعدك، هؤلاء أُمّتك سُبينا سبي النوب والديلم، والله ما كان لنا إليهم من ذنب إلّا الميل إلى أهل بيتك فجُعلتْ الحسنة سيئة والسيّئة حسنة فسُبينا!![1].

وروي أنّ الإمام الباقر عليه السلام كان جالساً في مجلسه إذ جاءه رجلان فقالا له: يا أبا جعفر أليس ذكرتَ لنا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ما رضي بإمامة مَن تقدّم عليه؟ فقال عليه السلام: وما الحجّة لكما في ذلك؟ قالا: هذه خولة الحنفية من سبيهم وقَبِلَ هديتهم ولم يخالف على أمر أحد منهم في أيّام حياته؟ فقال عليه السلام: من فيكم يأتيني بجابر بن خزام؟ فأتي به إليه فسلّم وجلس فقال عليه السلام: أتدري عمّا أريد أسألك بـه؟ فـقال: لا يـامولاي، فـقال عليه السلام: عـندي رجـلان ذكـرا أنّ أمـير المؤمنين عليه السلام رضي بإمامة مَن تقدّم عليه، فسألتهما عن الحجّة في ذلك فذكر لي خولة الحنفية فبكىٰ جابر حتّى اخضلّت لحيته من دموعه، ثمّ قال: والله يا باقر لوددت أنّي أموت ولا أُسئل عن هذه المسألة، فقال: أنا والله كنت جالساً من جانب أبي بكر وقد عرض عليه سبي من سبي بني حنيفة بعد قتل مالك بـن نويرة وكانت فيهم خولة الحنفية وهي جابرية مراهقة، فلمّا دخـلت المسـجد قالت: ياأيّها الناس ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: قُبض، فقالت: ألهُ بنية تُقصد؟ فقالوا: نعم وهذه حجرته التي فيها قبره فدخلت عليه فنادت: السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمّد السلام عليك يـارسول الله: أشـهد أنّك تسمع كلامي وتقدر على جوابي وتعلم أنّا سُبينا بعدك وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك محمّد رسول الله، وجلستْ فوثب طلحة بن عبدالله والزبير بن العوّام فطرحـا ثوبيهما غليها فقالت: ما لكم معاشر العرب تصونون حلائلكم وتهتكون حلائل الغير؟ فقالا لها: لمخالفتكم الله ورسوله حتّى قلتم إنّنا نزكّي ولا نصلّي أو نصلّي ولا نزكّي، فقالت لهما: والله ما قالها أحد من بني حنيفة إنّا لنضرب صبياننا على

---

(١) البحار ج ٤٢ ص ٨٥ ح ١٤.

الصلاة من التسع وعلى الصيام من السبع وإنّا لنخرج الزكاة من حيث أن يبقى في جمادى الآخرة عشرة أيّام ويوصي مريضنا بها لوصيه والله يا قوم ما نكثنا ولا غيّرنا ولا بدّلنا حتّى تقتلوا رجالنا وتسبوا حريمنا فإن كنتَ يا أبا بكر وليت بحقّ فما بال علي لم يكن سبقك علينا وإن كان راضياً بكتابك فلِمَ لا ترسله إلينا يقبض الزكاة منّا ويسلّمها إليك؟ والله ما رضي ولا يرضىٰ، قتلتَ الرجال ونهبت الأموال وقطعت الأرحام فلا نجتمع معك في الدُّنيا ولا في الآخرة إفعل ما أنت فاعله، فضجّ الناس وقال الرجلان اللذان طرحا ثوبيهما عليها: لتغالين في ثمنك، فقالت: أقسمت بالله ربّي وبمحمّد نبيّي أن لا يملكني إلّا من يخبرني بما رأت أُمّي في منامها وهي حاملة بي وما قالت لي عند الولادة وما العلامة التي بيني وبينها؟ وإلّا إن ملكني أحد منكم بقرت بطني بيدي فتذهب نفسي وما له ويكون مطالباً بذلك في يوم القيامة، فقالوا: يا بنيّة أبدي رؤياك التي رأت أُمّك وهي حاملة بك حتّى نبدي لك العبارة، فأخذ الرجلان ثوبيهما وعادا إلى المسجد، ودخل المسجد عقيب ذلك أمير المؤمنين عليه السلام وقال: ما هذا الرجف في مسجد رسول الله؟

فقالوا: امرأة من بني حنيفة حرّمت نفسها على المسلمين وقالت... فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أخبروها تملكوها ما دعت إلى باطل، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما فينا مَن يعلم الغيب على أنّ ابن عمّك قُبض وأخبار السماوات والأرض كان يخبره بها جبرئيل ساعة فساعة، فقال أبو بكر: أخبرها يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: أخبرها وأملكها بلا اعتداء على أحد منكم؟ فقال أبو بكر والمسلمون: نعم، فقال عليه السلام: يا حنفية أخبرك وأملكك؟ فقالت: نعم، مَن أنت الجريء دون أصحابك؟ فقال لها: أنا عليّ بن أبي طالب، فقالت: لعلّك الرجل الذي نَصَبه رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة يوم الجمعة بغدير خمّ عَلماً للناس؟ فقال: أنا ذلك، فقالت: إنّا من سبيلك أصبنا ومن نحوك أوتينا لأنّ رجالنا قالت: لا نسلّم

الصدقات من أموالنا ولا طاعة أنفسنا إلّا إلى الذي نصّبه محمّد صلى الله عليه وآله فينا وفيكم عَلماً، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: إن أجركم لغير ضائع وأنّ الله تعالى يؤتى كلّ نفس ما اقترنت ثمّ قال عليه السلام: يا حنفية ألم تحملك أمّك في زمان قحط منعت السماء فيه قطرها والأرض نباتها وحتّى أنّ البهائم ترعىٰ فلا تجد رعياً وكانت أمّك تقول لك إنّك حملٌ شؤوم في زمان غير مبارك فلمّا كان بعد سبع شهور رأت أُمّك في منامها كأنّها قد وضعتك وهي تقول لك: إنّك لولد شؤوم في زمان غير مبارك وكأنّك أنت تقولين لها: يا أمّاه لا تتشاءمي بي فإنّي ولد مبارك أنشأ نشؤاً حسناً أملكني [سيملكني] سيّد يولدني وليّاً مباركاً يكون لبني حنيفة عزّاً، فقالت: صدقت يا أمير المؤمنين إنّه كذلك، قال عليه السلام: إنّه من إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله لي، فقالت: وما العلامة يا أمير المؤمنين بيني وبين أُمّي؟ فقال: لمّا وضعتك أُمّك كتبت كلامك للرؤية في لوح من النحاس وأودعته يمنة الباب فلمّا كان بعد حولين عرضته عليك فأقررتي به فلمّا كان بعد ثمان سنين عرضته عليك فأقررتِ به فلمّا كان بعد ثمان سنين جمعت بينك وبينه وقالت لك: يا بنية إذا نزل بساحتكم سافك دماءكم وناهب أموالكم وسابي ذراريكم وسُبيتِ فمن يُسبىٰ فخذي هذا اللوح معك واجهدي أن لا يملككِ من الجماعة إلّا من يخبرك بالرؤية واللوح، فقال: صدقت يا أمير المؤمنين وأين اللوح؟ فقال: في عنقك فدفعت اللوح إليه فملكها والله يا أبا جعفر، ثمّ قالت: يا معاشر الناس اشهدوا إنّي قد جعلت نفسي عبدة، فقال عليه السلام: لا بل قولي زوجة فقالت: اشهدوا أنّي قد زوّجته نفسي كما أمرني أهلي، فقال عليه السلام: قد قبلتك زوجة[1].

---

(١) أُنظر مدينة المعاجز للبحراني ج ١ ص ٣٥٣ رقم ٣٦١ ط مؤسسة النعمان، بيروت ١٩٩١م، وإثبات الهداة ج ٤ ص ٤٥٧ رقم ٣٧ ط طهران، وانظر البحار ج ٤١ ص ٣٠٣ ح ٣٥ ط طهران، والخرائج ج ٢ ص ٥٦٣ ح ٢١.

ومن قبيل هذه الأخبار تعطينا تصوّراً واضحاً عن فضائل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومقامه الشامخ ومنزلته الرفيعة وإحاطته ببواطن الأمور بإذن الله تعالى، وأمور أخرى منها:

١ ـ إحاطته عليه السلام ببواطن الأمور وخفايا الأشياء وعلمه بالمغيبات بإذن الله.

٢ ـ ومثل هذه الأخبار تنسف قول البعض ـ لاسيّما الكردستاني من أهل السنّة ـ في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام رضي بخلافة الخلفاء الثلاثة المتقدّمين عليه، بدليل أنّه قبل تقسيم الخليفة في الأسارى وأخذ خولة إليه وهي جزء من أسارى بني يربوع.

٣ ـ ويتّضح أيضاً المستوى الرفيع الذي تمتّعت به السيّدة خولة والجلالة الظاهرة عليها بلا خلاف وإيمانها الواضح وتسليمها أمرها لله تعالى.

٤ ـ وفيها ـ الرواية ـ دلالة على منزلة محمّد بأن انتخب الله تعالى له مثل هذه الأمّ الطاهرة المؤمنة العالمة، ومثل هذا الأب الطاهر عليه السلام.

لهذا وذاك عُرف محمّد ونُسب إلى أمّه نظراً لهذه الحادثة.

سؤال: إذا صحّت مثل هذه الأخبار، وظهر خرق العادة من علي كرّم الله وجهه فكيف تركه الناس وتابعوا غيره من الخلفاء؟

الجواب: إنّ ظهور الكرامات والأمور الخارقة للعادة كالإخبار عن المغيبات من أمير المؤمنين لم ينحصر بما ذكرته لكم، بل حصل منه ذلك مراراً وتكراراً في الخفاء والعلن وقد دوّنها جمهور المسلمين في كتبهم ومصنّفاتهم، فيمكنكم مراجعة نهج البلاغة ففيه بعض الخطب والكلمات التي قالها الإمام عليه السلام وهي تحكي عن المغيبات من قبيل الملاحم وأحوال بعض الملوك وخروج الزنج وغلبة المغول وأوصاف خلفاء الجور واضطهادهم لشيعته... لاسيّما إذا راجعتم شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي وينابيع المودّة للشيخ

سليمان الحنفي[1] ثمّ إنّ المنصفين من علماء السنّة أقرّوا وأذعنوا بفضل أمير

---

(١) وسأذكر للقارئ مقاطع قصيرة من هذه الاخبارات العجيبة في نهج البلاغة، منها قوله عليه السلام وهو يخبر عن حكم بني أُميّة لعنهم الله: والله لا يزالون حتّى لا يدعوا لله محرّماً إلّا استحلّوه ولا عقد إلّا حلّوه وحتّى لا يبقىٰ بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلّا دخله ظلمهم وبنا به سوء رعيتهم... نهج البلاغة خطبة ٩٨.

وقال عليه السلام وهو يصف الملاحم: .. وعُقدت رايات الفتن المعضلة وأقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف ويمرّ عليها من عاصف وعن قليل تلتف القرون بالقرون ويُحصد القائم ويُحطم المحصود. نهج البلاغة خطبة ١٠١.

وقال عليه السلام: ... ألا وإن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أميّة فإنّها فتنة عمياء مظلمة عمّتْ خطتها وخصّت بليتها.. والله لتجدُنّ بني أميّة لكم أرباب سوء بعدي كالناب الضروس تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها وتمنع درّها.. نهج البلاغة خطبة ٩٣.

ومن كلامه عليه السلام يخبر به عن زوال دولة بني أمية: فأُقسم بالله يا بني أميّة عمّا قليل لتعرفنها في أيدي غيركم وفي دار عدوّكم.. نهج البلاغة خطبة ١٠٥.

وجاء في ينابيع المودّة الباب ١٤ قال: وفي نهج البلاغة من كلامه عليه السلام لأصحابه: أمّا أنّه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه ألا وأنّه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي ـ وكان يقصد عليه السلام معاوية ـ.

ولمّا عزم على الخوارج قيل له إنّ القوم قد عبروا جسر النهروان، قال عليه السلام: مصارعهم دون النطفة والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة، فهرب منهم تسعة وقتل من أصحابه عليه السلام ثمانية وسمّى ماء الفرات بالنطفة فقتل من الخوارج أربعة آلاف دون الفرات.

ومن كلامه يومئ إلى وصف الأتراك: كأنّي أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجان

←

المؤمنين وتقدّمه بالفضل على الخلفاء، إلّا أنّ السياسة هي التي فرضت نفسها أو بالأحرى فرضوها على الدين ومبادئه فقالوا بجواز تقديم المفضول على الفاضل، وهذا آخر تبرير تمسّك به علماء السُنّة لتصحيح خلافة الأوّل وأوردوا عدّة طرق ملتوية ودلائل غير تامّة لإثبات هذه الدعوى، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أُموية المنهج وقد تكلّمتُ حول هذا الموضوع في كتاب ليالي بيشاور.

سؤال: إذن ما هي الحصيلة من موضوع الكيسانية الذين قالوا بإمامة محمّد ابن علي، وإذا كان محمّد صاحب مقامات عالية كيف تسنّى له أن يدّعي الإمامة ويضلّ الناس؟

الجواب: كما قلت لكم سابقاً أنّ الحياة لا تخلو من المكّارين والمفسدين والكذّابين وأهل الفتن والأهواء الذين يرغبون في خلق الانحراف وإيجاد التفرقة فبعد أن اُستشهد الإمام الحسين عليه السلام زعم بعض الناس أنّ الإمامة تنتقل إلى محمّد بن الحنفية باعتباره أخ الحسن والحسين عليهما السلام من جهة، وأنّه صاحب منزلة رفيعة وكمالات ظاهرة ومواقف مشهودة من جهة ثانية، فلهذا وذاك يكون هو الإمام بعد أخيه الإمام الحسين عليه السلام وأشاعوا في الناس ذلك، إلّا أنّ محمّداً لم يرض بهذا، بل أبدى عدم رضاه.

سؤال أحد الحاضرين: ما هو الدليل على أنّ محمّداً لم يدع الإمامة، ولم

← المطرقة يلبسون السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق ويكون هناك استمرار قتل حتّى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلت أقلّ من المأسور...

أُنظر ينابيع المودّة ج ١ باب ١٤ ص ٦٤ ط مؤسسة الأعلمي على طبعة نظارة المعارف في استانبول / المترجم.

يرض بما أُشيع عنه؟

الجواب: إنّ محمّداً كان من المؤمنين الكاملين وإيمانه يمنعه من أن يدّعي مقاماً ليس له، إذ الإيمان هو سبب سعادة الإنسان في العالَمين وهو عبارة عن (التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد).

سؤال أحد الحاضرين: عفواً إنّنا منذ طفولتنا كنّا نسمع من آبائنا أنّ أصول الدين ثلاثة (التوحيد والنبوّة والمعاد) وهكذا درسنا في المدارس والآن أنت تقول أنّها خمسة، فما هو الفرق بين القولين وأيّهما هو الصحيح؟

الجواب: كلا القولين صحيح إلّا أنّ أحدهما مجمل والآخر مفصّل فالقول الأوّل تفصيل لأصول الدين، والقول الثاني مجمل أصول الدين.

سؤال أحد الحاضرين: لم نفهم شيء ممّا تفضّلت به نرجو أن تتكلّم معنا بلغة بسيطة وتشرح لنا هذه الأمور؟

بيان مختصر عن أصول الدين

الجواب: نحن نعتقد أوّلاً بالأصول الثلاثة التي أجمع عليها كلّ المسلمين أوّلها التوحيد لله تعالى بأنّه إلٰهاً واحداً وله صفات ثبوتية كالحياة والعلم والقدرة.. وهي عين ذاته المقدّسة غير منفكّة عنها وغير إضافية، وأستطيع أن أقرّب هذا الموضوع بدهونة السمن وحلاوة السكّر إذ لا يمكن التفكيك بين السكّر وحلاوته ولا الدهونة والسمن في الواقع الخارجي، كذلك الصفات الإلهية لا يمكن تفكيكها عن الذات المقدّسة لله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[1].

ونعتقد أنّه إلٰهاً واحداً لا شريك له، وقد كفر من زعم أنّ له شريكاً كالبراهمة

---

(١) سورة العنكبوت: ٤٣.

والبوذيّين والمجوس والصابئة والنصارى وغيرهم..

وأنّه تعالى لا مثل له وأنّ صفاته خاصّة به تعالى ولا توجد في غيره وهي غير زائدة عليه كما قلت.

سؤال أحد الحاضرين: إذا كانت هذه عقيدتكم في أنّ صفاته عين ذاته فلماذا تجعلون صفة العدل ضمن أصول الدين مع أنّها كبقيّة الصفات الإلهية؟

الجواب: هناك سرّ معنوي، وهو لأنّ الأشاعرة ـ وهم أغلب أهل السنّة ـ عندما كانوا يتعرّضون في كتبهم إلى مباحث الصفات الإلهية فإنّهم يفردون القول في العدل، ويجعلونه بمعزل عن بقيّة بحث الصفات، أمّا نحن ـ الشيعة ـ فنعتقد أنّ صفة العدالة كبقيّة الصفات وذِكْرنا لها في أصول الدين هو إقرار منّا بذلك، وهي طريقة لإعلان اختلافنا عن الأشاعرة وأنّنا لا نقول بمقالتهم.

وأمّا النبوّة: فعقيدتنا بها هي أنّ الله تعالى ليس جسماً وبالتالي لا يمكن أن تتمّ المشافهة بينه (سبحانه) وبين خلقه ولذلك اختار عباداً انتجبهم للرسالة والنبوّة وامتازوا بكلّ صفات الخير التي تجسّدت فيهم فكانوا مظاهر لصفات الله وأسمائه الحسنىٰ، واقتضت الحكمة أن يبعث الله تعالى في كلّ أمّة رسولاً هادياً ومرشداً وعلماً واضحاً يهدي الناس إلى الربّ سبحانه وتعالى عبر الأخلاق الحميدة والعلم والحكمة، فبعث الله من كلّ أُمّةٍ رسولاً منهم ليكون أقرب إلى اتباعه وإطاعته قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1] فأنبياء الله حججه على خلقه، وكانت هذه الحجج الإلهية على طائفتين، الأولى هم الأنبياء والمرسلين الذين يتّصلون بالوحي أو الملك بشكل مباشر، والثانية هم الأوصياء الذين يتلقّون التعاليم والأوامر الإلهية من

---

(١) آل عمران: ٦٤.

الأنبياء فطريقهم واتّصالهم بالوحي غير مباشر، واقتضت الحكمة أن يكون لكلّ نبيّ وصيّ إمّا نبيّاً يأتي من بعده أو إماماً هادياً.

«بيان الإمامة»: وأمّا عقيدتنا في الإمام فهي أنّنا نعتقد أنّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي دور وصيّه وهو الإمام، وليس المراد من الإمام هو المعنى اللغوي كإمام الجماعة أو الجمعة، وإنّما الإمام الذي يتلو النبيّ صلى الله عليه وآله أي له مقام السلطة الدينية والسياسية والروحية وهذا هو المعنى الاصطلاحي فقد عرَّف المولى علي القوشجي الإمامة ـ في شرحه على كتاب التجريد ـ بأنّها الرئاسة العامّة الإلهية في أمور الدين والدُّنيا خلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

ولذلك كان كلّ نبي من أنبياء الله ينصّ على وصيّه أمام الناس وينصبه للناس إماماً وحاكماً وحجّةً لله تعالى ويأمر الأمّة بالرجوع إليه من بعده ويحمل هذا الوصي كلّ صفات الخير التي تتجلّى في سلوكه ونفسيّته وكلامه وطريقة تعامله باعتباره حافظاً للشرع، ولا يمكن أن يرحل النبيّ عليه السلام دون أن ينصّب وصيّه ويعيّنه للناس بشكل واضح، وبعبارة أخرى لا يمكن للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يدع دينه وشريعته سدىً دون أن يجعل مَن يقوم مقامه، وعلى ضوء هذه القاعدة العقلية عيَّن رسول الله صلى الله عليه وآله وصيّه من اليوم الأوّل وحتّى قبل وفاته وفي كلّ موطن وقف فيه، وأشار إلى خصائص وفضائل وصيّه، فكانت حادثة الدار الوقعة الأولى التي أعلن فيها رسول الله صلى الله عليه وآله عن وصيّه طبقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[2] فأعلن في حديث الدار عن وصيّه علي بن أبي طالب عليه السلام.

وآخر مرّة كرّر فيها التأكيد على موضوع الوصي في السنة العاشرة للهجرة

(١) شرح القوشجي الطبعة الحجرية عام ١٣٠١، ص٣٩٩.

(٢) سورة الشعراء: ٢١٥.

عندما رجع مع المسلمين من حجّة الوداع وهي حجّته الأخيرة فنزل عليه الوحي بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ﴾[١] فأمر ﷺ المسلمين بالتوقّف في منطقة غدير خمّ وكانوا سبعين ألف إنسان، وقالوا أكثر من ذلك كما صرّح الثعلبي في تفسير كشف البيان وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة ويوسف سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص بأنّ المسلمين في غدير خمّ كانوا مائة وعشرين ألف، فارتقى رسول الله ﷺ المنبر الذي صُنع له من الأمتعة وخطب خطبة طويلة فقال فيها: أيّها الناس ألستُ أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلىٰ، قال ﷺ: مَن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ثمّ دعا له بالنصر والحفظ ولكلّ من والاه، ودعا بالخزي والخذلان لكلّ من عاداه[٢]، وأعلن للجميع إمامة

---

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) تذكرة الخواص ص٢٨ الباب الثاني، وأسنى المطالب ص٤٨، ونظم درر السمطين القسم الثاني من السمط الأوّل ص١٠٦ وفضائل الصحابة للنسائي وجواهر العقدين والصحيح المسند من فضائل الصحابة «فضائل عليّ عليه السلام»، والسنن الكبرى للنسائي ج٥ قسم فضائل علي بن أبي طالب ط ١٩٩١م، وفضائل الصحابة لأحمد ج٢ ص٥٦٩ وص٥٧٢ وص٥٨٥ وص٥٨٦ وص٥٩٣ وص٥٩٦ وص٥٩٩ ط السعودية، ومصابيح السنّة للبغوي الشافعي ج١ باب مناقب علي ص٥١٦، ط دار القلم بيروت. والصواعق المحرقة ج٢ ص٣٥٥ط مؤسسة الرسالة بيروت، وكتاب السنّة للشيباني المتوفي في ٢٨٧هـ ص٥٩٠، وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص٦٢٨ ط دار النشر العربي بيروت، والاستيعاب ج٣ ص٢٠٣ ط دار الكتب العلمية بيروت، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص١٠ ط دار الكتب العلمية، ومختصر المحاسن المجتمعة للصفوري المتوفي في ٨٩٤هـ ص١٦٨ ط دار ابن كثير، بيروت / المترجم.

عليّ عليه السلام وأمرهم بالبيعة له كما أمره الله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ وبعد ثلاثة أيّام رحلوا إلى المدينة.

فالإمامة من لوازم النبوّة، أو هي متمّمة لمنهج النبوّة وبالتالي فهي من أصول الدين، لأنّ الجهل بالإمام يستلزم الضلال والأمر ذاته في النبوّة إذ انّ عدم معرفة النبي يوجب الضلال، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية فقد نصّ الحديث المروي عند الفريقين وبأسانيد صحيحة عند الشيعة وكذا عند بعض أهل السنّة كالشعراني في اليواقيت ص٢٧٣ نقلاً عن مسلم بن الحجّاج، وذكره أيضاً الملّا علي القاريْ في الجلد الثاني من الجواهر المضيئة[١] نقلاً عن صحيح مسلم والتفتازاني (المتوفي عام ٧٩٢) في شرح العقائد النسفية[٢] وفي شرح المقاصد المجلّد الثاني وذكره آخرون، وصحّحه الحميدي في الجمع بين الصحيحين ونقله بألفاظ مختلفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية[٣]، ويستفاد من هذا الحديث أمران:

الأوّل: وجوب معرفة الإمام بالأدلّة القاطعة في كلّ زمن على كلّ مسلم.

الثاني: إنّ هذه المعرفة (معرفة الإمام) من أصول الدين لا من فروعه كما يزعم أهل السنّة، وذلك لأنّ الجهل بفرعٍ من فروع الدين لا يؤدّي إلى خروج الإنسان من الدين ولا أنّه يموت ميتة جاهلية بينما نصّ الحديث على أنّ الجهل بالإمام يؤدّي إلى ميتة جاهلية، فيظهر أنّ هذه المعرفة واجبة بلحاظ متعلّقها

---

(١) طبعة عام ١٣٢٢هـ حيدر آباد ص٥٠٩ / المؤلّف.

(٢) طبعة عام ١٣٠٢ هـ ص١١٨ / المؤلّف.

(٣) البحار ج٨، ص٣٦٨، ح٤١، باب ٢٧، والجمع بين الصحيحين للحميدي ج٢، ٢٩٦، رقم ١٤٩٨، ط دار ابن حزم بيروت ١٩٩٨م، ومجمع الفوائد ج٥، ص٤٠٥، رقم ٩١٣٨ كتاب الخلافة ط دار الفكر ١٩٩٤م / المترجم.

وهي الإمامة فهي إذن من أصول الدين بلا شكّ، فلو اعتقد الإنسان بالتوحيد دون النبوّة فقد كفر أو اعتقد بهما دون الإمامة فقد كفر أيضاً لأنّه آنذاك سيكون ضالاّ جاهلياً خارجاً عن الدين.

إذن نتيجة ما تقدّم هو أنّه عندما يُقال أنّ أصول الدين ثلاثة وهي التوحيد والنبوّة والمعاد فالأمر صحيح وهذا إجمال للأصول، لأنّ التوحيد يستبطن العدل الإلهي وهو أحد صفات الله تعالى، والنبوّة تستلزم الإمامة أيضاً لأنّها من توابعها، فالاعتقاد بالتوحيد بدون عدل لا معنى له عند العقلاء، كما أنّ النبوّة بلا إمامة أمر غير مقبول لأنّه يستلزم نقض الغرض وهو قبيح عند العقل.

عود على بدء

إذن محمّد بن الحنفية كان مؤمناً ملتزماً بأصول دينه ومنها إيمانه واعتقاده بالإمامة ـ للأئمّة الاثنى عشر ـ فهو أجلّ من أن يدّعي ما ليس له وفيه، لأنّ ذلك خلاف الإيمان وقلنا إنّه كان مؤمناً ورعاً ملتزماً ولا يمكن ـ كما لم يقل به أحد ـ أن يخرج عن إيمانه[1]، أو يموت جاهلاً، لاسيّما بعدما قال أمير المؤمنين عليه السلام عنه: إنّ المحامدة تأبىٰ أن يعصى الله عزّوجلّ، قلت: ومَن المحامدة؟ قال: محمّد بن جعفر ومحمّد بن أبي بكر ومحمّد بن أبي حذيفة ومحمّد بن الحنفية[2].

وهذه الرواية تشير إلى مستوى رفيع ومرتبة من مراتب العصمة التي يتمتّع بها محمّد وبالتالي لا يمكن لمثله أن يعصي الله في إدّعاء الإمامة كذباً وزوراً.

ثمّ إنّه اعترف وأقرّ بإمامة السجّاد عليّ بن الحسين عليهما السلام كما ذكر ذلك

---

(١) أقول هذا الجواب مقتبس من العلّامة الحلّي، أُنظر تنقيح المقال ج٣ ص١١٢ / المترجم.

(٢) تنقيح المقال ج٣ ص١١١.

العلّامة المجلسي في البحار والمامقاني في التنقيح مسنداً عن أبي خالد الكابلي (وردان الملقّب بكَنكَر وكان من رؤوساء الكيسانية وملازماً لمحمّد بن الحنفية معتقداً بإمامته) أنّه سأل من محمّد بن الحنفية قائلاً له: إنّ لي حرمة ومودّة وانقطاعاً، فأسألك برسول الله صلى الله عليه وآله وبأمير المؤمنين عليه السلام ألا أخبرتني أنت الإمام الذي فرض الله طاعته؟ فقال: الإمام عَليّ وعليك وعلى كلّ مسلم الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام[1].

ومن هذه الرواية يتّضح أمران:

الأوّل: أنّ سؤال أبي خالد من محمّد بن الحنفية دليل على أنّ الأخير لم يدع ذلك وإلّا لسمعه منه أبو خالد وهو من ملازميه، ولو كان ـ جدلاً ـ قد سمعه منه لما سأله بل لم يقسم عليه بتلك الأقسام العظيمة.

الثاني: وقد صرّح محمّد بن الحنفية أنّه ليس الإمام، بل الإمام هو عليّ بن الحسين عليهما السلام.

سؤال أحد الحاضرين: إذا كان الأمر كذلك فما هو تفسير المجادلة والمحاججة التي جرت بين علي بن الحسين ومحمّد بن الحنفية؟

الجواب: لقد أُبتلي محمّد بن الحنفية بجماعة من أهل الفتن والخداع كما قلت لكم سابقاً ومنهم كيسان وهؤلاء جمعوا حولهم العوام والبسطاء والسذّج الذين لا خبر عندهم من العلم والوعي ومجريات الأمور فكانوا يخدعونهم ويقولون لهم إنّ الإمام هو محمّد بن الحنفية، وكلّما تصدّى الأخير لإنكار ذلك وتكذيب القوم إلّا أنّهم كانوا يقولون للناس أنّ الواقع السياسي هو الذي يفرض على محمّد بن الحنفية الإنكار بسبب بني أُميّة ورقابتهم له. فرأى أنّ الإنكار والتكذيب (الاسلوب اللفظي) لا ينفع مع هؤلاء فلذا عمد إلى الاسلوب العلمي

---

(١) المصدر السابق.

فاصطنع محاورة ومحاججة مع الإمام السجّادعليه السلام كان يهدف من خلالها إزالة الشكّ والانحراف الذي أصاب بعض الناس باعتقادهم أنّه هو الإمام، فذهب مع الإمام السجّادعليه السلام إلى الحجر الأسود وأمام حشد من الناس، فأقرّ الحجر بالإمامة للإمام السجّاد فسمع الناس ذلك وأذعنوا للحقّ وبهذا الشكل استطاع ابن الحنفية أن يبطل افتراءات كيسان وغيره[1].

سؤال أحد الحاضرين: كيف كان إقرار وتأييد الحجر الأسود لإمامة عليّ بن الحسين السجّاد؟

الجواب: لقد ذكر القصّة كلٌّ من الكليني في الكافي[2] والعلّامة المجلسي في البحار[3] عن منتخب التواريخ والقطب الراوندي في الخرائج[4] والقاضي نور الله في مجالس المؤمنين[5] والعلّامة المامقاني في التنقيح[6] والسيّد هاشم البحراني في تفسير البرهان ومدينة المعاجز[7] والصفّار في بصائر الدرجات[8] والطبري في الإمامة[9] ونوادر الحكمة والكامل للمبرّد وفي رجال الكشي

---

(١) جاء في البحار ج٤٦ ص ٣٠: وقيل إنّ ابن الحنفية إنّما فعل ذلك إزاحةً لشكوك الناس في ذلك /المترجم.

(٢) ج ١، ص ٣٩١ و ٣٩٢ ح (٥).

(٣) البحار ج٤٦ باب ٣ ص٢٩ ح ٢٠ ط طهران.

(٤) الخرائج ج ١، ص٢٥٧، ح٣، ط موسسة صاحب الزمان ١٤٠٩هـ قم.

(٥) الكافي ج ١، ص ٣٩١ وص ٣٩٢ الرواية (٥)، ط دار الأُسوة.

(٦) تنقيح المقال ج٣، ص٤٨٣، ط الحجرية.

(٧) مدينة المعاجز ص٢٩٦ ط الحجري القديم.

(٨) منتخب التواريخ (فارسي) الباب السادس ص٣٤٧، ط ايران، وبصائر الدرجات ج ١٠، ص ٥٠١، باب١٧، ح٣، ط مكتبة المرعشي قم.

(٩) دلائل الإمامة للطبري ص٨٧، ط الشريف الرضي، وكشف الغمّة ج ٢ ص ٦٥٢ ط

والاحتجاج للطبرسي وروضة الواعظين وآخرين غيرهم، بعبارات مختلفة كلّها مسندة عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام أنّه قال: لمّا قُتل الحسين بن عليّ عليه السلام جاء محمّد بن الحنفية إلى عليّ بن الحسين (وفي بعض الروايات أنّه أرسل إليه أبا خالد الكابلي) فقال له: يابن أخي أنا عمّك وصنو أبيك وأنا أسنّ منك فأنا أحقّ بالإمامة والوصية فادفع إليّ سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: يا عمّ اتّقِ الله ولا تدع ما ليس لك فإنّي (أعظك أن تكون من الجاهلين، إنّ أبي يا عمّ أوصى إليّ قبل أن يتوجّه إلى العراق وعهد إليّ في ذلك قبل أن يُستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي فلا تتعرّض لهذا) أخاف عليك نقص العمر وشتات الأمر (إنّ الله تعالى جعل الوصية والإمامة في عقب الحسين عليه السلام) فقال محمّد بن الحنفية: أنا أحقّ بهذا الأمر منك، فقال عليه السلام: يا عمّ فهل لك إلى حاكم نحتكم إليه؟ فقال: مَن هو؟ قال عليه السلام: الحجر الأسود، فقال محمّد بن الحنفية: وكيف نحتكم إلى حجر جماد؟ فقال عليه السلام: إنّ إماماً لا يكلّمه الجماد فليس بإمام، فتحاكما إليه، فلمّا وقفا عنده قال له: ياعمّ تكلّم فأنت المطالِب، قال: فتكلّم محمّد بن الحنفية فلم يجبه، فقال له الإمام عليه السلام: تأخّر يا عمّ لو كنت وصيّاً وإماماً لأجابك ثمّ تقدّم الإمام وصلّى ودعا ووضع يده على الحجر وقال: ... أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء، وميثاق الناس أجمعين[1] لما أخبرتنا بلسانٍ عربيٍّ مبين مَن الوصي والإمام بعد الحسين بن عليّ عليهما السلام؟ فتحرّك الحجر حتّى كاد أن يزول عن موضعه، ثمّ أنطقه

← الشريف الرضي، قم. ومختصر بصائر الدرجات للشيخ حسن بن سليمان الحلّي ص ١٧٠، ط النجف عام ١٩٥٠م.

(١) وفي بعض النصوص «.. بالذي جعل فيك مواثيق العباد والشهادة لمن وافاك..» / المترجم.

الله بلسان عربيّ مبين: اللّهمَّ إنّ الوصيّة والإمامة بعد الحسين بن علي إلى عليّ بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبهذا رجع قسم كبير من الكيسانية إلى إمامة السجّاد عليه السلام فكانت هذه الحادثة المعجزة مخطّط لها من قِبل ابن الحنفية كما قلت لكم.

إيمان أبي خالد الكابلي بإمامة السجّاد عليه السلام

ذكر العلّامة المجلسي والعلّامة المامقاني نقلاً عن مختار الكشي عن أبي بصير أنّه قال: سمعت الإمام محمّد بن علي الباقر عليهما السلام يقول: كان أبو خالد الكابلي يخدم محمّد بن الحنفية دهراً، وما كان يشكّ في أنّه إمام حتّى أتاه ذات يوم ... إلى أن قال له محمّد بن الحنفية: الإمام عليّ وعليك وعلى كلّ مسلم، الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام فأقبل أبو خالد لمّا أن سمع ما قاله محمد بن الحنفية وجاء إلى علي بن الحسين فلمّا دخل عليه ودنا منه، قال عليه السلام: مرحباً يا كنكر ما كنت لنا بزائر ما بدا لك فينا؟ فخرّ أبو خالد ساجداً شاكراً لله تعالى ممّا سمع من عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى عرفتُ إمامي فقال له عليه السلام: وكيف عرفت إمامك يا أبا خالد؟ قال: إنّك دعوتني باسمي الذي سمّتني به أُمّي التي ولدتني وقد كنت في عمياء من أمري... فعلمتُ أنّك الإمام الذي فرض الله طاعته عليَّ وعلى كلّ مسلم(١)، ومنذ ذلك الحين ترك أبو خالد طريقة كيسان وقال بإمامة السجّاد عليه السلام، وقد ذكر العلّامة المجلسي عن أبي بجير عالم الأهواز وكان يقول بإمامة ابن الحنفية قال: حججت فلقيت إمامي وكنتُ يوماً عنده فمرّ به غلام شاب فسلّم عليه، فقام فتلقّاه وقبّل ما بين عينيه وخاطبه بالسيادة ومضى الغلام وعاد محمّد إلى مكانه، فقلت له: عند الله أحتسب عناي

---

(١) البحار ج٤٦ ص٤٥ ح٤٧ وتنقيح المقال ج٣ ص٢٧٨.

فقال: وكيف ذاك؟ قلت: لأنّا نعتقد أنّك الإمام المفترض الطاعة تقوم تتلقّىٰ هذا الغلام وتقول له: ياسيّدي؟ فقال: نعم، هو والله إمامي فقلت: ومَن هذا؟ قال: عليّ بن أخي الحسين عليهما السلام اعلم أنّي نازعته الإمامة ونازعني فقال لي: أترضى بالحجر الأسود حكماً بيني وبينك؟ فقلت: وكيف نحتكم إلى حجر جماد؟ فقال: إنّ إماماً لا يكلّمه الجماد فليس بإمام، فاستحييتُ من ذلك، وقلت: بيني وبينك الحجر الأسود، فقصدنا الحجر وصلّىٰ وصلّيت، وتقدّم إليه وقال: أسألك بالذي أودعك مواثيق العباد لتشهد لهم بالموافاة إلّا أخبرتنا مَن الإمام منّا؟ فنطق وتحلحل حتّى ظننته يسقط فأذعنت بإمامته ودُنت له بفرض طاعته، قال أبو بجير: فانصرفت من عنده وقد دنتُ بإمامة علي بن الحسين عليهما السلام وتركت القول بالكيسانية[1].

فيظهر لكم أنّ محمّداً كان من المؤمنين المنصفين الكاملين في إيمانهم، وكان مقرّاً بالله ورسوله وإمامة الأئمّة الاثنى عشر الذين نصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ومنهم الإمام السجّاد عليه السلام.

سؤال أحد الحاضرين: إنّ جوابك واضح ودقيق ونشكرك كثيراً فقد نوّرتنا وأوضحت لنا الأمر، ولكن إذا كان محمد بن الحنفية بهذه المنزلة من الإيمان والاعتقاد بإمامة الأئمّة لاسيّما إمامة أخيه الحسين عليه السلام فإنّه بلاشكّ كان مذعناً ومأتمراً بأمره لأنّه يعلم أنّ التمرّد على إمامه يعدّ نقضاً لإيمانه، فكيف لم ينصره في نهضته وثورته بكربلاء؟ ألا يُعدّ هذا خسراناً وعصياناً؟ مع أنّ جميع اخوته ذهبوا معه إلى كربلاء ونالوا الشهادة معه إلّا هو[2]؟

---

(١) البحار ج٤٦ ص٢٢ ذيل الحديث ١.

(٢) أقول: هذا السؤال سأله مهنا بن سنان من العلّامة الحلّي قدس سره، فأجاب العلّامة: قد ←

سبب عدم حضور ابن الحنفية في كربلاء

الجواب: لقد اتّضح لكم مقام محمّد بن الحنفية وإخلاصه في الإيمان وارتباطه بأخيه أبي عبدالله الحسين عليه السلام واعتقاده بإمامته فضلاً عن آصرة الاخوّة بينهما ولذا فهو يعتقد بوجوب طاعة أخيه الحسين باعتباره إماماً مفروض الطاعة، وأمّا عدم الخروج معه فإنّه كان بعذر شرعي إذ لا يمكن التمرّد على الإمام بدون عذر شرعي أو عقلي.

سؤال أحد الحاضرين: اذكر لنا هذا المانع الشرعي من لطفك؟

الجواب: لقد ذكر القرآن الكريم مثل هذه الأعذار الشرعية التي يعدّ أصحابها معذورون عند الله تعالى، فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ...﴾(١).

وكان محمّد بن الحنفية مشمولاً بهذه الآية الكريمة، لأنّه كان ضعيفاً ومريضاً.

سؤال أحد الحاضرين: وما هو سبب مرضه؟

الجواب: لقد عرف محمّد بالشجاعة والقوّة حتّى عُدّ في عصره من جملة الأبطال والشجعان، وكان الفرسان يتحرّزون من مقابلته في الحروب وقد اشترك

← ثبت في أصول الدين، أنّ أركان الإيمان التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة، والسيّد محمّد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر وأمثالهما أجلّ وأعظم شأناً من اعتقادهم خلاف الحقّ وخروجهم من الايمان الذي يحصل بارتكابه الثواب والخلاص من العقاب، وأمّا تخلّفه عن نصرة الحسين عليه السلام فقد نُقل أنّه كان مريضاً.. /انظر تنقيح المقال ج٣ ص١١٢ /المترجم.

(١) التوبة: ٩١.

في حربي الجمل وصفّين وكانت له مواقف مشهودة ذكرها المجلسي في البحار ولكن حصل له ما حصل ممّا أثّر على قوّته وقدرته وعزله عن خوض الحروب بعد ذلك[1].

سؤال: وماذا حصل له؟

الجواب: لقد ذكر البعض أنّ أمير المؤمنين علياًعليه السلام استطال درعاً كانت له فقال: لِينقص منها كذا وكذا حلقة، فقبض محمّد بن الحنفية بإحدى يديه على فضلها ثمّ جذبها فقطع من الموضع الذي حدّه أبوه، وكان عبدالله بن الزبير إذا حدّث بهذا الحديث غضب واعتراه أفكل وهو الرعدة لأنّه كان يحسده على قوّته[2].

فيظهر أنّ الذي حسده هو عبدالله بن الزبير المعروف بقوّته فأصابت عينه محمّداً وشلّت يديه وسقطتا عن العمل إلى آخر عمره.

وقيل أنّه أُهدي إلى الإمام الحسين عليه السلام درعاً منسوجة نسجها داود النبيّ عليه السلام فكانت طويلة عليه بمقدار شبر وكان محمّد حاضراً فأخذها وقطعها بيديه وكان في المجلس رجلاً قد حسد محمّداً على قوّته هذه، فأُصيبت أصابعه بداء فكان يخرج منها الدم والقيح باستمرار، ولم ينفع لها الدواء، وبقيت على هذا الشكل.

ولهذا لم يشترك مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء إذ لا يمكنه قبض السيف أبداً.

سؤال: اسمح لنا أن نسألك فنقول لك: إنّكم تعتقدون أنّ المعجزات وخرق العادة قد ظهر على يد أمير المؤمنين عليّ وهكذا الإمام الحسين، فلماذا إذن لم يمارسوا مثل هذه القدرة لعلاج وشفاء محمّد بن الحنفية؟

---

(١) تاريخ ابن خلكان أو وفيّات الأعيان ج٢، ص٢١ ـ الطبعة الحجرية القديمة.

(٢) تاريخ ابن خلكان ج٢ ص٢١ ـ ٢٢ حرف الميم ط الحجرية القديمة.

المعجزة لا تكون إلّا في موقع التحدّي والحكمة

الجواب: نعم نحن نعتقد أنّ الإمام (الخليفة والوصي) قادر بإذن الله أن يخرق العادة ويظهر على يده الأمر المعجز، ولكن لا أنّه يفعل ذلك أينما كان بل في موقع التحدّي وإثبات الحقّ أمام الأعداء أو قل في موقع الحكمة، فهو لا يفعل المعجزة لرفع الجوع والعطش والمرض مثلاً، فلذا نجد أنبياء الله العظام يتحمّلون الأذى مع قدرتهم على التخلّص منه بالإعجاز، فإبراهيم الخليل عليه السلام ذبح الطيور الأربعة ثمّ خلط أوصالها وبعد ذلك أحياها بإذن الله تعالى وقدرته، فمع قدرته هذه نراه تحمّل عاماً كاملاً في سجن نمرود، وسبعة أعوام قضاها متغرّباً في جبال فارس ولم يمارس الإعجاز لرفع هذه المشاكل عن نفسه.

وأيضاً موسى الكليم عليه السلام فقد ظهرت على يده الآيات التسعة من العصا التي التقمت الحبال إلى عيون الماء التي فجّرها وانشقاق البحر و... ولكن مع ذلك لم يفعل المعجزة لإنقاذ بني إسرائيل من العذاب اليومي الذي يتعرّضون له من فرعون نساءاً ورجالاً.

وهكذا الحال مع عيسى بن مريم عليهما السلام الذي كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويردّ البصر إلى الأعمىٰ ويخلق من الطين طيوراً تحلّق في السماء، ومع كلّ هذه القدرة ظلّ يعاني من ملاحقة اليهود له وفراره منهم.

ومثلهم بقيّة الأنبياء كأيّوب الذي لم يمارس الإعجاز وقد فقد أولاده وأنعامه وماله وأصابه الضرّ ستّ سنوات ولم يبق معه إلّا زوجته الرحيمة ابنة نبي الله يوسف الصدِّيق وتحمّل ما تحمّل من الشماتة..

ونبيّ الله دانيال الذي سجنه بخت نصر في بئر لمدّة سنين وتحمّلها ولم يمارس الإعجاز لإنقاذ نفسه.

ولعلّ أقرب من هذه الصور هي أحداث نبيّنا الكريم محمّد صلى الله عليه وآله فقد ظهرت

على يده الشريفة ما يقرب من ٤٠٠٠ معجزة مع البشر والنباتات والحيوانات والأجرام السماوية.

ومع ذلك لم يظهر المعجزة في حالات الشدّة والضيق، فهو صلى الله عليه وآله تحمّل كلّ أذى قريش طيلة ١٣ عاماً في مكّة حتّى أنّه صلى الله عليه وآله كان يغمىٰ عليه في بعض المواقف من شدّة الإيذاء، والدم يسيل من قدمه الشريفة ولم يختلف الأمر كثيراً في شعب أبي طالب فقد تحمّل الجوع وتضاريس الصحراء الصعبة لمدّة ثلاث سنوات دون أن يمارس الإعجاز وحتّى في موضوع خروجه من بيته مهاجراً إلى المدينة فإنّه خرج خائفاً مترقّباً مجاهداً فقد اختبئ في الغار ثلاثة أيّام ثمّ ذهب إلى المدينة وكان صلى الله عليه وآله يرى أصحابه وأتباعه المسلمين في مكّة يُعذّبون أشدّ العذاب ومع ذلك لم ينقذهم بالمعجزة، فقد مرّ صلى الله عليه وآله على آل ياسر (عمّار ووالديه) وهم يُعذَّبون حتّى مات ياسر وزوجته سميّه تحت التعذيب فلم يقل أكثر من: (صبراً آل ياسر فإنّ موعدكم الجنّة).

وهكذا كلّ الأنبياء لم يخرقوا العادة في مثل هذه المواضيع إلّا في مقام التحدّي والحكمة كإظهار النبوّة أو الإمامة.

ففي ذيل سورة (هل أتى) ذكر المفسِّرون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عاد الحسن والحسين عليهما السلام وهما مريضان فتأثّر ـ مع حبّه لهما ـ فقال لعلي وفاطمة عليهما السلام انذرا لله تعالى مع قدرته على شفائهما بالمعجزة.

فبعد كلّ هذا لا يصحّ أن نقول لماذا لم يمارس الإمام علي أو الحسين عليهما السلام المعجزة لرفع الابتلاءات الشخصية والمشاكل الاجتماعية التي تصيبهم أو تصيب أبناءهم أو أتباعهم، فبقي محمّد بن الحنفية يعاني من يديه إلى زمن الإمام الحسين عليه السلام وبسبب ذلك لم يخرج معه، وقد يكون ذلك خيراً (وفق الحكمة الربّانية) كما قال تعالى: ﴿عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى

أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

ومن الأمثلة التي توضح هذه الآية أو موقف محمّد بن الحنفية ما حصل للامام السجّاد علي بن الحسينعليهما السلام الذي كان له من العمر آنذاك ٢٢ عاماً بعد وصوله إلى كربلاء مع أبيه الحسينعليه السلام وقافلته، فقد مرض هناك ولازم الفراش ولم يستطع من النهوض أو القتال وبقي على مرضه طيلة أيّام أسره، حتّى أنّه قد سُئل منّي مراراً عن سبب إصابتهعليه السلام بمثل هذا المرض وهو إمام معصوم في ريعان الشباب؟ ولكن بعد مدّة من الزمن ظهر أنّ هذا المرض كان مفيداً للإمامعليه السلام وللدِّين بشكل عام إذ بسببه بقي الإمام علي بن الحسينعليه السلام على قيد الحياة فلم يقتلوه لمرضه وبعدما انتهت الأحداث مارس الإمام زعامة الشيعة وحُفِظَ الدين بهعليه السلام.

سؤال أحد الحاضرين: ما هو الخير في مرض الإمام؟

الجواب: نحن لا نعلم الأسرار الباطنية للأمور لأنّ ذلك من شأن الله تعالى: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، ولكن نستطيع أن نستقرأ الأحداث التأريخية الماضية فنعرف من خلالها عدّة أمور منها:

أوّلاً: إنّ الإمام السجّادعليه السلام لو كان سليماً غير مريض لوجب عليه نصرة أبيه الحسينعليه السلام في جهاده ضدّ الباطل، وبالتالي ستكون نتيجته القتل كباقي الشهداء الذين نالوا شرف الشهادة مع سيّد شباب أهل الجنّة ومع قتلهعليه السلام تنقطع سلسلة الأئمّةعليهم السلام لأنّهمعليهم السلام من ذرّيته وبالتالي تتوقّف الإمامة.

وحتّى لو لم يشترك في الحرب ولم يُقتل مع مَن قُتل، فإنّ الأعداء كانوا يقتلونه فيما لو كان سليماً، كما أنّهم أرادوا قتله عند أسره ولكن منعهم ابن سعد

(١) سورة البقرة: ٢١٦.

(٢) سورة البقرة: ٢١٦.

لمّا رأى حاله ومرضه وسقوطه من ظهر الجمل وقال لهم إنّ هذا الفتى نأخذه حيّاً إلى الأمير.

فكان المرض هو السبب الوحيد لبقائه على قيد الحياة كما قال تعالى: ﴿عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

ثانياً: وكان من الضروري أن يبقى الإمام السجّاد على قيد الحياة ـ ولا يتمّ ذلك إلّا وهو مريض ـ لكي يؤدّي دوره في الكوفة والشام من خلال كلماته وخطبه التي فضح فيها بني أميّة ومظلومية أهل البيت عليهم السلام، فقد ألقى الإمام خطاباً رائعاً أمام آلاف من الناس في الشام بيّن فيه فضائل أهل البيت عليهم السلام وأنّهم أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ هذه النساء بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّهم مع كلّ هذا الفضل أسرهم بنو أميّة حتّى عرف الناس الحقيقة وضجّ بعضهم بالبكاء والندم، فلم يحر يزيد جواباً فاضطرّ أن يغادر المسجد وبعد هذه الحادثة سمح بإرجاع السبايا معزّزين إلى مدينة جدّهم صلى الله عليه وآله.

سؤال أحد الحاضرين: نرجو أن تذكر لنا بعض خطابات الإمام السجّاد عليه السلام لكي تتوضّح لنا الحقيقة؟

الجواب: نعم، لقد تطرّق أرباب المقاتل وغيرهم لهذه الخطب والكلمات التي قالها الإمام السجّاد عليه السلام بالإجمال والتفصيل منهم العلّامة المجلسي في البحار نقلاً عن المناقب وغيره وصاحب العوالم وأبي مخنف لوط بن يحيى وغيرهم ذكروا: أنّ يزيد دعا الخاطب وأمره أن يصعد المنبر فيذمّ الحسين وأباه صلوات الله عليهما فصعد وبالغ في ذمّ أمير المؤمنين والحسين الشهيد صلوات الله عليهما والمدح لمعاوية ويزيد، فصاح به عليّ بن الحسين عليهما السلام: ويلك أيّها الخاطب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوّأ مقعدك من النار. ثمّ قال عليه السلام: يا يزيد ائذن لي حتّى أصعد هذه الأعواد فأتكلّم بكلماتٍ لله فيهنّ رضا، ولهؤلاء الجلساء فيهنّ أجرٌ وثواب، قال: فأبى يزيد عليه ذلك فقال

الناس: يا أمير المؤمنين ائذن له فليصعد المنبر فلعلّنا نسمع منه شيئاً، فقال: إنّه إن صعد لم ينزل إلّا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان فقيل له: يا أمير المؤمنين وما قدر ما يُحسن هذا؟ فقال: إنّه من أهل بيت قد زقّوا العلم زقّاً، قال: فلم يزالوا به حتّى أذن له فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ خطب خطبة أبكى منها العيون وأوجل منها القلوب، ثمّ قال: أيّها الناس أُعطينا ستّاً وفُضّلنا بسبع: أُعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبّة في قلوب المؤمنين، وفُضّلنا بأنّ منّا النبيّ المختار محمّداً، ومنّا الصدّيق، ومنّا الطيّار، ومنّا أسد الله وأسد رسوله، ومنّا سبطا هذه الأمّة، من عرفني فقد عرفني ومَن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيّها الناس أنا ابن مكّة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرِّدا[1]، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى أنا ابن خير من حجَّ ولبّى، أنا ابن من حُمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أُسريَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمّد المصطفى، أنا ابن عليٍّ المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتّى قالوا: لا إله إلّا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدرٍ وحُنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيّين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكّائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين رسول ربّ

---

(١) إشارة منه عليه السلام إلى حادثة إعادة الحجر الأسود في مكانه وقد حمله النبي بيديه أيّام الجاهلية قبل بعثته بعدما تنازع العرب فيمن يحمله / المؤلّف.

العالمين، أنا ابن المؤيّد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين، والمجاهد أعداءه الناصبين وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأوّل من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأوّل السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعَيبة علمه، سمحٌ، سخيٌ، بهيٌّ، بهلولٌ[1]، زكي، أبطحي، رضي، مقدام، همام صابر، صوّام، مهذَّب، قوّام، قاطع الأصلاب، ومفرّق الأحزاب، أربطهم عناناً، وأثبتهم جناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنّة، وقربت الأعنّة، طحن الرحا ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وكبش العراق، مكيّ مدنيّ خيفيّ عقبيٌّ، بدري أُحدي شجري مهاجري، من العرب سيّدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين وأبو السبطين الحسن والحسين، ذاك جدّي عليّ بن أبي طالب.

ثمّ قال: أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيّدة النساء[2]، فلم يزل يقول: أنا أنا

---

(١) أي مستجمع المحاسن / المترجم.

(٢) وفي بعض المصادر بعد هذه الفقرة قال عليه السلام: أنا ابن المذبوح من القفا أنا ابن العطشان حتّى قضىٰ، أنا ابن من منعوه من الماء وأحلّوه على سائر الورىٰ، أنا ابن صريع كربلاء، أنا ابن من راحت أنصاره تحت الثرى، أنا ابن من غدت حريمه أسرىٰ، أنا ابن من ذبحت أنصاره من غير سوًىٰ، أنا ابن من أضرم الأعداء في خيمته لظىٰ، أنا ابن من أضحى صريعاً بالنقىٰ، أنا ابن من لا غسل له ولا كفن يُرىٰ، أنا ابن من رفع رأسه على القنا، أنا ابن من هُتك حريمه بأرض كربلا، أنا ابن من جسمه بأرض ورأسه بأخرىٰ، أنا ابن من لا يرىٰ حوله غير الأعداء، أنا ابن من سُبيت

←

حتّى ضجَّ الناس بالبكاء والنحيب وخشي يزيد لعنه الله أن يكـون فـتنة فأمـر المؤذِّن فقطع عليه الكلام فلمّا قال المؤذِّن الله أكبر الله أكبر قال عـليّ عليه السلام: لا شيء أكبر من الله، فلمّا قال: أشهد أن لا إله إلّا الله قال عليه السلام: شهد بـها شـعري وبشري ولحمي ودمي، فلمّا قال المؤذِّن: أشهد أنّ محمّداً رسول الله التفت من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمّدٌ هذا جدّي أم جدّك يا يزيد؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنّه جدّي فلِمَ قتلت عترته؟ قال: وفرغ المؤذّن من الأذان والإقامة وتقدّم يزيد فصلّى صلاة الظهر(١).

فوائد خطبة الإمام السجّاد عليه السلام

وكان لهذه الخطبة الأثر الواضح والمنافع الجمّة منها:

أوّلاً: إنّها كسرت غرور وكبرياء وتعالي يزيد، وجعلته ينهزم أمـام النـاس خجلاً مخذولاً منكوباً.

ثانياً: إنّها أيقظت أهل الشام من سباتهم ونبّهتهم من غفلتهم وأرشدتهم إلى الهداية وعرّفتهم حقيقة الأمر من مظلومية وفضائل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

ثالثاً: أنّه عليه السلام ركّز على ذكر بعض مصائب كربلاء والسبي في خطبته فصار ذلك سبباً لمقت بني أميّة ومقدّمة لقيام الثورات ضدّهم.

رابعاً: وقد عملت الخطبة عملها وضربت الحصار على يزيد وأجبرته أن يغيّر من اسلوبه الجاف مع أهل البيت عليهم السلام ويتنازل عن طبعه القاسي ـ مؤقّتاً ـ

← حريمه إلى الشام تهدىٰ، أنا ابن من لا له ناصر ولا حمىٰ.

أقول: هذا المقطع ذكره المؤلّف في متن الكتاب، ونحن جعلناه في الهامش لأنّنا ذكرنا الرواية من البحار وهذا المقطع غير موجود فيه /المترجم.

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٩ باب ٣٩ ط ايران.

بسبب الضغط الجماهيري والتعاطف العام مع مأساة الحسين عليه السلام وأهل بيته، فأمر بإكرامهم معزّزين مكرّمين وحملهم إلى المدينة المنوّرة.

إذن من خلال هذا المختصر بان لكم الوجه في فائدة مرض الإمام زين العابدين عليه السلام أثناء استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وفترة الأسر إذ بواسطة كلماته وخطبته أفشل جميع مخطّطات معاوية التي سعى عدّة سنين لتأسيسها، ولم يخفِ جهداً لتشويه صورة أمير المؤمنين علي عليه السلام من خلال سبّه على المنابر ومصادرة فضائله، فاستطاع الإمام زين العابدين أن يقلب المعادلة كلّها ويجعل النتائج عكسية في صالح الأُمّة الإسلامية عموماً وفي صالح أهل البيت على وجه الخصوص.

والأمر نفسه في مرض محمّد بن الحنفية فقد يكون هناك نوع مصلحة في مرضه وبقائه في المدينة وعدم خروجه مع الإمام الحسين عليه السلام ليكون بسياسته المحنّكة حافظاً ومشرفاً على بني هاشم مثلاً.

أو أنّه بقي في المدينة بأمر الإمام الحسين عليه السلام ليوصل إليه أخبارها مثلاً.

سؤال أحد الحاضرين: وهل طلب منه الإمام الحسين عليه السلام أنْ يبقى في المدينة؟

الجواب: لقد ذكر العلّامة المجلسي في البحار عن محمّد بن أبي طالب الموسوي خبراً مفصّلاً إلى أن قال في أواخره: ... (وأمّا أنت فلا عليك أنْ تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم لا تخفي عنّي شيئاً من أمورهم)[١].

وروي أيضاً: إنّه عليه السلام قال لأخيه محمّد: والله لو لم يكن في الدُّنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية، ثمّ بكيا ساعة، فقال الإمام عليه السلام: يا أخي جزاك الله خيراً فقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا عازم على الخروج

---

(١) البحار ج ٤٤، ص ٣٢٩، ح ٢، باب ٣٧، ط ايران.

إلى مكّة، وقد تهيّأتُ لذلك أنا وأُخوتي وبنو أخي وشيعتي وأمرهم أمري، ورأيهم رأيي وأمّا أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم لا تخفي عنّي شيئاً من أمورهم(١).

فمن خلال هذه الرواية نعرف أنّ محمّد بن الحنفية بقي في المدينة لأمرين لمرضه وعلّته التي منعته من خوض الحرب، ولأمر الإمام الحسين عليه السلام له بالبقاء في المدينة ليكون عينه ويحمل إليه الأخبار بطريقة سريّة، وهو أمر طبيعي بعد أن غادر الإمام الحسين المدينة فكان عليه أن ينصب لبني هاشم زعيماً يرجعون إليه بعدما كانوا يرجعون إلى الحسين عليه السلام وهكذا شيعته في المدينة.

ومن جهة أخرى لم يكن محمّد بن الحنفية ـ في عدم خروجه مع الحسين ـ مخالفاً لأمر شرعي حتّى يُعدّ عاصياً أو مذنباً أو مقصّراً، وذلك لأنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يخرج بالجهاد الابتدائي، ولم يعلن أنّه سيبادر بني أُميّة القتال والجهاد حتّى يلزم على كلّ المؤمنين نصرته وجوباً عينياً ويُعدّ المتخلّف عن ذلك عاصياً مذنباً، بل أنّه عليه السلام خرج فارّاً من ظلم بني أُميّة(٢) الذين عزموا على قتله في المدينة أوّلاً، ولذلك كان يقول عليه السلام: الفرار ممّا لا يُطاق من سنن

---

(١) راجع مقتل الحسين للمقرّم ص١٣٥ عن ابن نما الحلي.

(٢) لقد استفاد المؤلّف هذا الكلام من العلّامة المامقاني حيث قال في تنقيح المقال:.. والحسين عليه السلام حين حركته من الحجاز وإن كان يدري هو أنّه يُستشهد بالعراق إلّا أنّه في ظاهر الحال لم يكن ليمضي إلى الحرب حتّى يجب على كلّ مكلّف متابعته وإنّما كان يمضي للإمامة بمقتضىٰ طلب أهل الكوفة فالمتخلّف عنه غير مؤاخذ بشيء وإنّما يؤاخذ لترك نصرته من حضر الطف أو كان بالقرب منه على وجه يمكنه الوصول إليه ونصرته ومع ذلك لم يفعل وقصّر في نصرته، فالمتخلّفون بالحجاز لم يكونوا مكلّفين بالحركة معه حتى يوجب تخلّفهم الفسق... / تنقيح المقال ج٣ ص١١٢ / المترجم.

المرسلين فغادر فارّاً إلى مكّة فبعث إليه يزيد جماعة يقتلونه غيلة في الطواف أو أثناء العبادة، ولمّا علم الإمام عليه السلام ذلك ـ بعلم الإمامة ـ ترك مكّة وغادرها حفاظاً على حرمتها، إذ أنّ قتله في الطواف يُعدّ هتكاً لحرمتها، فاتّجه صوب الكوفة وكانت رسائل بعضهم قد وصلته ويطلبون منه القدوم فهاجر إليهم ولم يطلب من أهل مكّة النصرة ـ كما طلبها في يوم عاشوراء من أعدائه الأشقياء ـ

نعم، هو عليه السلام أرسل رسالتين بعد حركته الأولى من مكّة والثانية من كربلاء إلى محمّد بن الحنفية وبني هاشم وحملت هاتان الرسالتان مضموناً واحداً يظهر من خلال كلماته الشريفة عليه السلام وهو أنّه عليه السلام مجبور في هجرته هذه إلى العراق بسبب ما تقدّم وقد كتب عليه السلام ـ كما في البحار نقلاً عن كامل الزيارات مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام ـ :

بسم الله الرحمٰن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمّد بن علي ومَن قِبَله من بني هاشم أمّا بعد: فإنّ من لحق بي أُستُشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام(١).

وقال العلّامة المامقاني بعدما نقل هذه الرسالة: فإنّه يدلّ على أنّ المتخلّف لا ينال تلك المرتبة العظيمة، لا أنّه مؤاخذ معاقب وإلّا لقال عليه السلام ومَن لم يلحق مع قدرته فهو مأخوذ بذنبه وشبه هذا(٢).

إذن فالمؤاخذ والمسؤول هم الذين كانوا في كربلاء الذين سمعوا استنصار الإمام عليه السلام ولم ينصروه وتمرّدوا عليه، وأمّا مَن لم يعلم ولم يسمع بالحسين عليه السلام أو لم يحضر فهو غير مؤاخذ ويدلّ على هذا ما ذكره العلّامة المجلسي في

---

(١) أُنظر تنقيح المقال ج٣ ص١١٢ والعبارة فيه هكذا: .. فمن لحق بي منكم استشهد ومن لم يلحق لم يبلغ مبلغ الفتح والسلام / المترجم.

(٢) المصدر نفسه.

البحار من رواية عمرو بن قيس المشرقي وعمّه عندما التقيا بالحسين عليه السلام في قصر بني مقاتل واعتذرا من عدم المجيء معه إلى كربلاء، فقال عليه السلام لهما: فانطلقا فلا تسمعا لي واعية ولا تريا لي سواداً، فإنّه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا فلم يجبنا ولم يغثنا كان حقّاً على الله عزّوجلّ أن يكبّه على منخريه في النار[1].

وفي رسالته عليه السلام الثانية إلى محمّد بن الحنفية كتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمّد بن علي ومن قبله من بني هاشم أمّا بعد فكأنّ الدُّنيا لم تكن وكأنّ الآخرة لم تزل والسلام[2].

وهو إشعار منه عليه السلام إلى بني هاشم أنّه سوف يُقتل ويُستشهد في سبيل الله وينال الآخرة، فكأنّ الدُّنيا لم تكن ولا قيمة لها أمام مشروع الاستشهاد العظيم، وهو ما حصل فعلاً بعد قتله عليه السلام فقد تحوّل بنو هاشم إلى مشاريع استشهادية ضد بني أُميّة إذ صارت الدُّنيا في أعينهم حقيرة لا قيمة لها.

ومحلّ الشاهد من هذه الرسالة أنّه عليه السلام لم يقل فيها: يجب على بني هاشم اللحوق بي وكلّ من لم يلتحق مع قدرته فهو مذنب ومجرم ومسؤول أمام الله ورسوله.

إذن من مجموع هذا الكلام نعرف أنّ عدم التحاق محمّد بن الحنفية وأمثاله كعبدالله بن جعفر وعبدالله بن عبّاس وآخرين بالحسين عليه السلام وعدم تواجدهم في كربلاء لايُعدّ ذنباً منهم.

ومن الأدلّة على براءة محمّد بن الحنفية هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام أعطى وصيّته إليه، إذ أنّ المسافر أو الميّت يعطي وصيّته إلى مَن سيبقىٰ بعده لا أنّه يعطيها إلى من سيموت معه، فلمّا أعطى الإمام الحسين عليه السلام وصيّته إلى محمّد

---

(١) البحار ج٢٧ ص٢٠٤ ح٦ ط إيران.

(٢) البحار ج٤٥ ص٨٧ ح٢٣ ط إيران.

ابن الحنفية كان ذلك دليلاً على رضا الحسين ببقاء محمّد هذا، وإلّا لم يعطه الوصية أو أنّه كان يعطيها لشخص آخر ويأمر محمّد بالسفر معه إلى كربلاء[١].

فمن خلال ما تقدّم ظهر لكم أنّ محمّد بن الحنفية عالي المقام ولا يمكن القدح في شخصيّته من أيّ جهة، لأنّه قضىٰ عمره كلّه (٦٥ عاماً) معتقداً بالتوحيد والنبوّة والإمامة والعدل والمعاد وبقيّة فروع الدين حتّى لقّب بـ(سيّد التابعين)[٢].

---

(١) كتب الإمام الحسين عليه السلام في وصيّته: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمّد المعروف بابن الحنفية، أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله جاء بالحقّ من عند الحقّ، وأنّ الجنّة والنار حقّ، وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلّى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأسير بسيرة جدّي صلّى الله عليه وآله وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومَن ردَّ عَليَّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين وهذه وصيّتي يا أخي إليك وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.
مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٨ ط الغري.
أقول: كان المؤلّف رحمه الله قد ذكر هذه الوصية في متن كلامه ورأيت من المناسب أن أجعلها في الهامش فنوهتُ لهذا / المترجم.

(٢) ولد في خلافة عمر بن الخطّاب وتوفّي في عام ٨١هـ في ملك عبد الملك بن مروان، وقيل إنّه توفّي في الطائف ودفن فيها، وقيل في جبل رضوى قرب المدينة ـ أو أنّه جبل متّصل بجبال عمّان ـ وحملت جنازته إلى المدينة وصلّى عليه ابن عبّاس ودفن في البقيع، وزعم ـ باطلاً ـ الكيسانية أنّه لم يمت بل هو في جبل رضوى وهو المهدي المنتظر.. / المؤلّف.
أقول: كان هذا الكلام في المتن وقد جعلته في الهامش فاقتضى التنويه / المترجم.

إيمان السيّد الحميري وعدوله من الكيسانية

هو أبو عامر إسماعيل بن محمّد الحميري، كان من الكيسانية الذين اعتقدوا بغيبة محمّد بن الحنفية وأنّه المهدي المنتظرﷺ حتّى أنشد في ذلك أشعاراً عديدة منها قوله:

أيا شعب رضوى ما لمن بك لا يُرى　　فحتىٰ متىٰ تخفىٰ وأنت قريب
فلو غاب عنّا عمر نوح لا يقنت　　منّا النفوس بأنّه سيؤوب

وقوله:

ألا حي المقيم بشعب رضوى　　وأهد له بمنزله سلاما
وقال يابن الوصي فدتك نفسي　　أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشر والوك منا　　وسمون الخليفة والإماما
فما ذاق ابن خولة طعم موت　　ولا وارت له أرض عظاما[١].

سؤال أحد الحاضرين: لقد عرف السيّد الحميري بأنّه شاعر الكيسانية وكان يعتقد معتقداتهم بدليل ما تفضّلت به من أشعاره فهل بقي على ذلك إلى آخر عمره أم لا؟

الجواب: يوجد الكثير ممّن كان ضالّاً أو منحرفاً في مطلع شبابه بسبب الجهل وعدم الوعي والتدقيق في الأمور، أو بسبب الكفر والعصيان والفسوق ولكن بعد مدّة من الزمن يدرك أنّه كان مخطئاً متعجِّلاً فيُرفَع عن عينيه غشاء العمىٰ وعن قلبه حجاب الظلام فيهتدي بهدى الله، والسيّد الحميري كان من الفضلاء والعلماء والأدباء والشعراء معروفاً في عصره (القرن الثاني الهجري)، فقد كان كيساني المذهب في مطلع شبابه بعدما خُدع بأكاذيبهمْ وافتراءاتهم ودعاياتهم حتّى أنشد أشعاراً مشيراً فيها إلى معتقدات الكيسانية، وقد كان

---

(١) كمال الدين ج ١ ص ٦٢، ط جامعة المدرسين، تحقيق علي أكبر الغفاري.

يشرب الخمر أيضاً.

ولكن بعدما التقى بالإمام الصادقعليه السلام وأراه الآيات الباهرات والدلائل الواضحات وأبطل له زيف الكيسانية رجع السيّد الحميري إلى الهدى وعدل عن الضلال وصار مؤمناً كاملاً وقد هجر تلك المعاصي كلّها.

سؤال أحد الحاضرين: كيف التقى الإمام الصادقعليه السلام أرجو أن تذكر لنا ذلك؟

تحوّل الخمر إلى لبن

الجواب: ذات مرّة التقى السيّد الحميري في الطريق بالإمام الصادقعليه السلام وكان الحميري يحمل معه إبريقاً من الخمر، فقال له الإمام الصادقعليه السلام: يا حميري ما في إبريقك؟ فقال: يابن رسول الله إنّه لبن، فقالعليه السلام: صبّ في كفّي من اللبن، فصبّه في كفّه، فإذا هو لبن فقال له الصادقعليه السلام: مَن إمام زمانك؟ فقال: الذي حوّل الخمر لبناً(١).

لقاؤه بالإمام الصادقعليه السلام

وجاء في البحار عن حيّان السرّاج ـ وكان من كبار الكيسانية ـ قال: سمعت السيّد ابن محمّد الحميري يقول: كنت أقول بالغلو وأعتقد غيبة محمّد بن علي ابن الحنفيةرضي الله عنه، قد ضللتُ في ذلك زماناً، فمنَّ الله عليَّ بالصادق جعفر بن محمّدعليه السلام وأنقذني به من النار وهداني إلى سواء الصراط، فسألته بعدما صحّ عندي بالدلائل التي شاهدتها(٢) منه أنّه حجّة الله عَليَّ وعلى جميع أهل زمانه،

---

(١) تنقيح المقال ج١ ص١٤٢ نقلاً عن تكملة الشيخ عبد النبي الكاظمي نقلاً عن حواشي الشيخ البهائي عن خلاصة العلّامة.

(٢) أقول: من جملة الدلائل التي شاهدها السيّد الحميري من الإمام الصادقعليه السلام ما

وأنّه الإمام الذي فرض الله طاعته وأوجب الاقتداء به.

فقلت له: ياابن رسول الله قد روي لنا أخبار عن آبائك عليهم السلام في الغيبة وصحّة كونها فأخبرني بمن تقع؟ فقال عليه السلام: ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمّة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم بالحقّ، بقيّة الله في الأرض، وصاحب الزمان والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدُّنيا حتّى يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً، قال السيّد: فلمّا سمعت ذلك من مولاي الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام تبت إلى الله تعالى ذكره على يديه وقلت قصيدة أوّلها:

فلمّا رأيت الناس في الدين قد غووا ... تجعفرت باسم الله فيمن تجعفروا
تجعفرت بسم الله والله أكبر ... وأيقنت أنّ الله يعفو ويغفر
ودنتُ بدين غير ما كنت دايناً به ... ونهاني سيّد الناس جعفر
فقلتُ له هبني تهوّدت برهة ... وإلّا فديني دين من يتنصّر
فلست بغال ما حييتُ وراجعاً ... إلى ما عليه كنت أخفي وأضمرُ

← ذكره العلّامة المجلسي عن داود الرقي: بلغ السيّد الحميري أنّه ذُكر عند الصادق عليه السلام فقال: السيّد كافر فأتاه وقال: ياسيّدي أنا كافر مع شدّة حبّي لكم ومعاداتي الناس فيكم؟ قال عليه السلام: وما ينفعك ذاك وأنت كافر بحجّة الدهر والزمان، ثمّ أخذ بيده وأدخله بيتاً فإذا في البيت قبر فصلّىٰ ركعتين، ثمّ ضرب بيده على القبر، فصار القبر قطعاً، فخرج شخص من قبره ينفض التراب عن رأسه ولحيته، فقال له الصادق عليه السلام: مَن أنت؟ قال: أنا محمّد بن علي المسمّى بابن الحنفية، قال: فمن أنا؟ قال: جعفر بن محمّد حجّة الدهر والزمان، فخرج السيّد يقول: تجعفرت باسم الله فيمن تجعفرا... /البحار ج٤٧ ص ٣٢٠ ح ١١ ويُحتمل أنّ السيد الحميري قد أنشد هذه القصيدة في عدّة مناسبات كما لايخفى على مَن تأمّل /المترجم.

ولا قـائلاً قـولاً لكـيسان بـعدها وإن عـاب جـهّال مـقالي وأكـبر
ولكـنّه عـنّي مـضى لسـبيله على أحسن الحالات يقفي ويؤثر(١)

عيادة الإمام الصادق للسيّد الحميري

ومن دلائل عاقبته الحسنة ما رواه العلّامة المجلسي في البحار والمامقاني في التنقيح عن رجال الكشي مسنداً عن محمّد بن نعمان قال: دخلت على السيّد ابن محمّد وهو لما به قد اسودّ وجهه وازرقّت عيناه وعطش كبده وهو يومئذٍ يقول بمحمّد بن الحنفية وهو من حشمه وكان ممّن يشرب المسكر فجئت وكان أبو عبدالله عليه السلام قدم الكوفة لأنّه كان انصرف من عند أبي جعفر المنصور فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت: جعلتُ فداك إنّي فارقت السيّد ابن محمّد الحميري وهو لما به قد اسودّ وجهه وازرقّت عيناه وعطش كبده وسلب الكلام وأنّه كان يشرب المسكر فقال أبو عبدالله عليه السلام أسرجوا لي حماري فأسرج له وركب ومضىٰ ومضيت معه حتّىٰ دخلنا على السيّد وأنّ جماعة محدّقون به فقعد أبو عبدالله عليه السلام عند رأسه وقال: ياسيّد، ففتح عينيه ينظر إلى أبي عبدالله عليه السلام ولا يمكنه الكلام وقد اسودّ وجهه فجعل يبكي وعينيه إلى أبي عبدالله عليه السلام ولا يمكنه الكلام وإنّا لنتبيّن فيه أنّه يريد الكلام ولا يمكنه فرأينا أبا عبدالله عليه السلام حرّك شفتيه فنطق السيّد فقال: جعلني الله فداك أبأوليائك يفعل هذا؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: ياسيّد قل الحقّ يكشف الله ما بك ويرحمك ويدخلك جنّته التي وعد أوليائه فقال في ذلك:

تجعفرت باسم الله والله أكبر... الخ.

---

(١) البحار ج ٤٧ ص ٣١٧ ح ٨ ط ايران.

فلم يبرح أبو عبدالله عليه السلام حتّى قعد السيّد على استه[١].

سؤال أحد الحاضرين: إذا كان السيّد من محبّي أهل البيت فلماذا إذن اسودّ وجهه؟ وكيف يدعو الإمام لرجل منحرف ويطلب له النجاة؟

الجواب: قلت سابقاً إنّ السيّد الحميري كان منحرفاً كيسانياً[٢] في شبابه، ولكنّه بعدما التقى بالإمام الصادق عليه السلام ورأى الدلائل الصادقة عدل إلى الحقّ وصار جعفرياً ولكن آثار شربه للخمر أيّام شبابه ظهرت عليه في مرضه هذا ليعرف هو وغيره أنّ عصيان الله تعالىٰ يعقبه الجزاء.

ثمّ إنّ الله تعالىٰ ـ ببركة الإمام الصادق ـ رفع هذا الجزاء والعقاب عن السيّد الحميري لحبّه الخالص لأهل البيت وتوبته ممّا كان يفعل، وباب التوبة مفتوح له ولغيره من العاصين، وكان في رفع السواد عن وجهه حكمة إلٰهية للناس ولأهل العلم والمعرفة خاصّة وهي أنّ حبّ أهل البيت ينجي الإنسان من العذاب وتكون عاقبته طيّبة.

فقد ذكر العلّامة المجلسي عن أمالي الشيخ مسنداً عن أبي حرب عن أبيه قال: دخلت على السيّد ابن محمّد الحميري عائداً في علّته التي مات فيها فوجدته يُساق به، ووجدتُ عنده جماعة من جيرانه وكانوا عثمانية، وكان السيّد جميل الوجه، رحب الجبهة، عريض ما بين السالفتين فبدت في وجهه ـ يعني اسوداداً ـ فاغتمّ لذلك من حضره من الشيعة، وظهرت من الناصبة سرور وشماتة، فلم يلبث بذلك إلّا قليلاً حتّى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء، فلم تزل تزيد أيضاً وتنمىٰ حتّى أسفر وجهه وأشرق وافترّ السيّد ضاحكاً وأنشأ يقول:

---

(١) تنقيح المقال ج١ ص١٤٣.

(٢) اُنظر ذلك في التنقيح ج١ ص١٤٢ /المترجم.

كـذب الزاعـمون أنّ عـليّاً لن يـنجي محبّه من هـناتِ
قد وربّي دخـلت جنّة عـدنٍ وعـفا لي الإله عـن سيّئاتِ
فـابشروا اليـوم أولياء عـليّ وتـولّوا عـليّ حتّى المـماتِ
ثـمّ مـن بـعده تـولّوا بـنيه واحداً بعد واحدٍ بالصفاتِ(١)

وغيرها من الأشعار في مدح أهل البيت عليهم السلام حتى عُرف السيّد الحميري بشاعر أهل البيت عليهم السلام، فقد ذكر أبو الفرج الاصفهاني في الأغاني عن الموصلي عن عمّه أنّه قال: جمعت للسيّد الحميري ألفين وثلاثمائة قصيدة في مدح بني هاشم(٢).

وما كان هذا السيّد ليجلس في مجلس لا يُذكر فيه آل محمّد صلى الله عليه وآله فقد جاء

(١) البحار ج٤٧ ص٣١٢ ح٤ ط إيران.
أقول: وقد ذكر في هامش البحار مصادر هذه القصّة فراجع / المترجم.
(٢) قال أبو الفرج الاصفهاني عـن السـيّد الحـميري: وكـان شـاعراً مـطبوعاً مكـثراً، ويقال: إنّ أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام بشّار وأبو العتاهية، والسيّد فإنّه لا يُعلم أنّ أحداً قدر على جمع شعر واحدٍ منهم حتّى يستوعبه كـلّه.. / تـجريد الأغاني ج٢ ص٨٧٣ ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
وحكى أبو داود وإسماعيل بن الساحر أنّهما حضرا السيّد عند وفاته بواسط وقـد أصابه شرىً ـ داء يأخذ في الجلد أحمر على هيئة الدرهم ـ وكرب فجلس ثمّ قال: اللّهمّ هذا كان جزائي في حبّ آل محمّد، فكأنّها كانت ناراً فطُفئت عنه / المـصدر نفسه ص٨٨٣.
وحكى بشير بن عمّار قال: حضرت وفاة السيّد في الرميلة ببغداد، .. وأنّه ليتحسّر تحسّراً شديداً وإنّ وجهه لأسود وما يتكلّم إلى أن أفاق إفاقة وفتح عينيه ونظر إلى ناحية القِبلة وقال: يا أمير المؤمنين أتفعل هذا بوليّك؟ قالها ثلاث مرّات مرّة بعد أخرى قال: فتجلىٰ والله في وجهه عرق بياض فما زال يتّسع ويلبس وجهه حتّى صار كلّه كالبدر وتوفّي / المصدر نفسه ص٨٨٤ / المترجم.

في الأغاني عن حسن بن علي بن حرب بن أبي الأسود الدؤلي أنّه قال: كنّا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء فتذاكرنا السيّد فجاء وجلس وخضنا في ذكر الزرع والنخل ساعة فنهض فقلنا: يا أبا هاشم ممَّ القيام؟

فقال:

إنّـي لأكـره أن أطيل بـمجلسٍ ... لا ذكـــر فـــيه لآل مـــحمّد

لا ذكـر فـيه لأحـمد ووصـيّه ... وبنيه ذلك مجلس وصف الردى

إنّ الذي يـنساهم فـي مـجلس ... حـتّى يـفارقه لغـير مسـد[1]

لاسيما حول أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه لم يكن ليجلس في مجلس ليس فيه ذكر عليّ عليه السلام، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني أيضاً في أغانيه أنّ السيّد الحميري كان همّه نظم فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ونشره حتّى حكي أنّه وقف بالكناس وقال: من جاء بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً فله فرسي هذا وما عليَّ فجعلوا يحدّثونه وينشدهم فيه حتّى روي رجل عن أبي الرعل المرادي أنّه قدِم أمير المؤمنين عليه السلام فتطهّر للصلاة فنزع خفّه فانسابت فيه أفعى فلمّا دعي ليلبسه انقضت غراب فحلقت ثمّ ألقاها فخرجت الأفعىٰ منه قال فأعطاه السيد ما وعده وأنشأ:

ألا يا قـوم للـعجب العـجاب ... لخف أبي الحسين وللـحُبابِ

أتـى خـفّاً له فـانساب فـيه ... لـينهش رجـله مـنه بـناب

فـخرّ مـن السماء له عـقابٌ ... مـن العـقبان أو شـبه العـقاب

فـطار بـه فـحلق ثـمّ أهـوى ... به للأرض من دون السحاب

إلى جـحرٍ له وانسـاب فـيه ... بـعيد القـعر لم يـرتج بـباب

كريه الوجه أسود ذو بصيص ... جديد الناب أزرق ذو لعـاب

---

(١) الأغاني ترجمة السيد الحميري ج٧، ص١٦٧ ـ ط دار إحياء التراث.

ودوفع عن أبي حسنٍ علي نقيع سمامه بعد انسياب[1]

وله أشعار كثيرة منها القصيدة اللامية والميمية (التي قال عنها ابن المعتز في طبقات الشعراء أنّه رأى جمّالاً في بغداد يحمل حملاً ثقيلاً فقال له: ما هذا؟ فقال الحمّال: إنّها ميميات السيّد) والقصيدة المذهبة التي شرحها السيّد المرتضى علم الهدى، والقصيدة الغديرية والمشروحة في فضيلة ردّ الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام.

ومن جملة قصائده الرائعة التي حصل بسببها على عناية رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام هي القصيدة العينيّة، وقد ذكر العلّامة المجلسي طرفاً منها ضمن هذه القصّة، فعن الفضيل الرسان قال: دخلت على أبي عبدالله الصادق عليه السلام ـ بعدما قتل زيد بن علي فأدخلتُ بيتاً جوف بيت فقال لي: يافضيل قتل عمّي زيد؟ قلت: جعلت فداك، قال عليه السلام: رحمه الله أمّا إنّه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً، وكان صدوقاً، أمّا إنّه لو ظفر لوفى أما إنّه لو ملك لعرف كيف يضعها، قلت: ياسيّدي ألا أنشدك شعراً؟ قال: أمهل ثمّ أمر بستور فسُدلت وبأبواب ففتحت ثمّ قال: فأنشدته[2] القصيدة.

---

(١) المصدر نفسه، وتجريد الأغاني ج ٢ ص ٨٧٧، والكنى والألقاب ج ٢ ص ٢٣٤.

(٢) أقول: جاء في كتاب تجريد الأغاني ج ٢ ،ص ٨٧٥: حكىٰ بعضهم قال: كنتُ عند أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام، إذ استأذن آذنه للسيّد، فأمر بإيصاله وأقعد حُرمه خلف ستر ودخل فسلّم وجلس فاستنشده، فأنشده قوله:

امرر على جدث الحسـ ـين وقل لأعظمه الزكية

يا أعظماً لا زلت من وطفاء ساكبةٍ روية

وإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطية

وابك المطهر للمطهر والمطهّرة التقيّة

←

قال: فسمعتُ نحيباً من وراء الستر وقال عليه السلام: مَن قال هذا الشعر؟ قلت: السيّد بن محمّد الحميري، فقال عليه السلام: رحمه الله[١].

وفي خبر عنهم عليهم السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الشيعة بحفظ هذه القصيدة[٢].

سؤال أحد الحاضرين: عفواً ياسيّدي لقد ذكرت أنّ السيّد الحميري كان في القرن الثاني الهجري، ورسول الله صلى الله عليه وآله كان في القرن الأوّل، فكيف أمر صلى الله عليه وآله بحفظ قصيدة الحميري مع أنّه لم يدركه؟

الجواب: نعم هذا صحيح فالفرق بين زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وزمان السيّد الحميري قرنين تقريباً، لأنّ السيّد توفي في بغداد عام ١٧٩هـ في مُلك هارون الرشيد.

سؤال أحدهم: إذن كيف تقول إنّ رسول الله أمر بحفظ قصيدته؟

رسول الله(ص) يأمر بحفظ القصيدة العينيّة

الجواب: لقد ذكر العلّامة المجلسي والعلّامة المامقاني عن عيون أخبار الرضا عليه السلام أنّ الإمام الرضا عليه السلام رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في عالم الرؤيا وأمامهم السيّد الحميري ينشد قصيدته العينية، ولمّا انتهى منها قال رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام الرضا عليه السلام: احفظ هذه القصيدة، ومر شيعتنا بحفظها واعلمهم أنّ من حفظها وأدمن قراءتها ضمنت له

← كبكاء معولة أتت ..... يوماً لواحدها المنية

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمّد تنحدر على خدّيه ولحيته وارتفع الصراخ والبكاء من داره حتّى أمره بالإمساك، فأمسك /المترجم.

(١) البحار ج٤٧ ص٣٢٥ ح٢٢ ط إيران.

(٢) تنقيح المقال ج١ ص١٤٣.

الجنّة على الله تعالى[١].

سؤال أحد الحاضرين: هل يمكنك أن تبيّن لنا ما جاء في هذه القصيدة لكي نحفظها؟

الجواب: لقد ذكرها العلّامة المجلسي وهي تتألّف من (٥٤)[٢] بيتاً ولكن رعايةً للاختصار اذكر لكم منها (١٢) بيتاً إجابة لكم:

لام عمرو باللوى مربع ... طامسة أعلامه بلقع
لما وقفت العيس في رسمه ... والعين من عرفانه تدمع
ذكرت من قد كنت أهوىٰ به ... فبت والقلب شجى موجع
عجبتُ من قوم أتوا أحمداً ... بلحظة ليس لها مدفع
قالوا له لو شئت أخبرتنا ... إلى مَن الغاية والمفزع
إذا تولّيت وفارقتنا ... ومنهم في الملك من يطمع
فقال لو أخبرتكم مفزعاً ... ماذا عسيتم فيه أن تصنع
صنيع أهل العجل إذ فارقوا ... هارون فالترك له أودع
فالناس يوم البعث راياتهم ... خمس فمنها هالك أربع
قائدها العجل وفرعونها ... وسامري الأُمّة المفظع
ومجدع عن دينه مارق ... أجدع عبد لكع أوكع
وراية قائدها حيدر ... كأنّه الشمس إذا تطلع

ثمّ أضاف إليها الإمام الرضاعليه السلام هذه الأبيات:

غداً يلاقي المصطفى حيدر ... وراية الحمد له تُرفع
مولى له الجنّة مأمورة ... والنار من إجلاله تفزع

(١) تنقيح المقال ج١ ص١٤٣.

(٢) البحار ج٤٥، ص٢٤٣ باب المراثي، ط دار إحياء التراث بيروت.

إمـــام صـــدق وله شـيعة يـرووا مـن الحـوض ولم يـمنع
بـذاك جـاء الوحـي مـن ربّـنا يـاشيعة الحـقّ فـلا تـجزعوا

وقد ذُكرت هذه القصيدة في عدّة مصادر بالتفصيل والإيجاز مع اختلاف يسير بالعبارات.

سؤال أحد الحاضرين: هل كان السيّد الحميري من قريش ومن بني هاشم ـ علويّاً ـ حتّىٰ نال هذا الشرف؟

الجواب: لم يكن السيّد إسماعيل قرشياً ولا هاشمياً ولا علوياً، بل ذكر علماء الرجال أنّ هذا اللقب (السيّد) لقّبه به الإمام الصادقعليه السلام، فقد جاء في البحار[1] وتنقيح المقال[2] ومختار الكشي[3] الموجود أمامي الآن، أنّ الإمام الصادقعليه السلام التقى السيّد الحميري يوماً فقال له: سمّتك أُمّك سيّداً ووفّقت في ذلك، أنت سيّد الشعراء، وعرف منذ ذلك الوقت بلقب السيّد، وأنشد بهذه المناسبة:

ولقـد عـجبت لقـائل لي مـرّة عـلامة فـهم مـن الفـقهاء
سـمّاك قـومك سـيّداً فـصدقوا به أنت المـوفّق سيّد الشعراء
ما أنت حين تخصّ آل محمّد بـالمدح منك وشاعر بسواء
مدح الملوك ذوي الغنا لعطائهم والمدح منك لهم بغير عطاء
فـابشر فـإنّك فـايز فـي حبّهم لو قـد وردت عـليهم بـجزاء
مـا يـعدل الدنـيا جـميعاً كـلّها من حوض أحمد شربة من ماء

---

(١) البحار ج٤٥ ص٦٤ ح٢٧.
(٢) تنقيح المقال ج١ ص١٤٣.
(٣) راجع ترجمته في مختار الكشي ص٢٨٥، رقم (٥٠٥)، ط: مشهد عام١٣٤٨ش.

عاقبة السيّد الحميري

لقد توفّي السيّد الحميري على ولاية آل محمّدﷺ عام ١٧٩هـ في بغداد وكان لوفاته صيتاً ذائعاً ووقعاً كبيراً فقد حضر جنازته أشراف الكوفة وأرسلوا له من الكوفة تسعين كفناً. وقال البعض (أبو الفرج الاصفهاني في الأغاني) سبعين كفناً[١]، إلّا أنّ الخليفة العبّاسي هارون أرجع جميع الأكفان وكفّنه هو بنفسه وصلّى عليه المهدي العبّاسي وكبّر عليه خمساً[٢]، كان هذا خلاصة لترجمة السيّد الحميري المحبّ لأهل البيت لتتّضح لكم الحقائق وهكذا للقرّاء، ولا تنخدعوا بترهات الشهرستاني أو ابن حزم وأمثالهم الذين اعتادوا على خلط الأوراق والتدوين بلا تحقيق حيث اتّهموا السيّد الحميري بأنّه كيسانيّاً ومات على هذا المذهب.

فالمطلوب من الكتّاب والمحقّقين أن يكونوا منصفين ومطّلعين ولا يجازفوا في ذكر أشياء أو البت بها دون دراية، أو بدافع العناد واللجاج، كما ذكر البعض عن والديَّ السيّد الحميري حيث قال إنّ والديه كانا من أهل السُنّة!!

السيّد الحميري ولد شيعيّاً

روي السيّد البحراني في مدينة المعاجز مسنداً عن أبي عبداللهعليه السلام قال:

---

(١) تجريد الأغاني ج ٢ ص ٨٨٤.

(٢) حكىٰ عبّاد بن صهيب قال: كنت عند جعفر بن محمّدعليه السلام وأتاه نعي السيّد، فدعا له فقال له رجل: يابن رسول الله تدعو له وهو يشرب الخمر ويؤمن بالرجعة؟! فقال: حدّثني أبي عن جدّي: أنّ محبّي آل محمّد لا يموتون إلّا تائبين وقد تاب ورفع مصلّىٰ كان تحته فأخرج كتاباً من السيّد يُعرِّفه أنّه قد تاب ويسأله الدعاء له / تجريد الأغاني للاصفهاني ج ٢ ص ٨٨٣ / المترجم.

خرج الحسن بن عليّ عليهما السلام إلى مكّة سنة ماشياً فورمت قدماه فقال له بعض مواليه لو ركبت أمسكت عنك هذه الورمة، فقال عليه السلام: كلّا، إذا أتينا هذا المنزل فإنّه يستقبلك أسود ومعه دهن فاشتر منه ولا تماكسه، فقال له مولاه، بأبي أنت وأُمّي ما قدّامنا منزل فيه أحد يبيع هذا الدهن، فقال: بلى إنّه أمامك دون المنزل فسار ميلاً فإذا هو بالأسود فقال الحسن عليه السلام: لمولاه دونك الرجل فخذ منه الدهن واعطه الثمن فقال الأسود: يا غلام لمن رمت هذا الدهن؟ فقال (مولى الإمام): للحسن بن عليّ عليهما السلام فقال (الأسود): انطلق بي إليه فانطلق به إليه، فأدخله إليه، فقال له: بأبي أنت وأُمّي لم أعلم أنّك تحتاج إلى هذا أو ترى ذلك ولست آخذ له ثمناً إنّما أنا مولاك، ولكن ادع الله أن يرزقني ذكراً سويّاً يحبّكم أهل البيت فإنّي خلّفت أهلي وهي تمخض، فقال عليه السلام: انطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكراً سوياً وهو من شيعتنا، فانطلق فوجد امرأته ولدت غلاماً. فكان هو السيّد الحميري[1]، وهذا صريح في أنّ أباه كان موالياً محبّاً لهم عليهم السلام وأنّ السيّد ولد شيعيّاً من أبوين شيعيين، نعم أُصيب بانحراف في مطلع شبابه بسبب التيّارات المتعدّدة والسياسية الحاكمة التي خلطت الأوراق وحجّمت المدّ الشيعي.

وممّا يؤسف له أنّ كتّاب أهل السنّة لا يرغبون في تحقيق مثل هذه الأمور بل يكتفي المتأخّرون بما كتبه المتقدّمون بلا تحقيق وتدقيق، بل يكتبون الوقائع التاريخية أحياناً على ذوقهم وطبقاً لنزعاتهم المذهبية أو الشخصية!!

وعلى سبيل المثال زعمهم ـ باطلاً ـ أنّ هناك طائفة تدعى بـ (المختارية) فقد ذكرها الشهرستاني في الملل والنحل[2] وعبد القادر البغدادي في الفرق بين

---

(١) تنقيح المقال ج١ ص١٤٤ ومدينة المعاجز الباب الثاني رقم المعجزة ٢٧ ص٢٠٥ ط حجري قديم.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١٤٧ دار المعرفة بيروت ١٩٧٥م.

الفرق[١] وابن حزم في الفصل وآخرين أمثالهم ومن حذى حذوهم، وعدّوها إحدى فرق الشيعة وزعموا أنّهم أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي كان خارجياً ثمّ صار زبيرياً ثمّ صار شيعيّاً وكيسانيّاً، وزعموا أنه ادّعى النبوّة.

ومع الأسف جرى على هذا المجرى كلّ من ابن الأثير في أسد الغابة[٢] وابن كثير في تأريخه وآخرين غيرهما مضوا على ما كتبه الأوّلون بلا تفحّص ولا تحليل ولا تدقيق، وعدّوا المختار ضالاً مضلّاً وكذّاباً، ونسبوا إليه أموراً عجيبة كالتي كان يقولها الحلّاج، وهؤلاء الكتّاب لا يمكن القول عنهم أنّهم لا يفهمون، بل هم من أهل العلم إلّا أنّ العادة السائدة عندهم أنّهم يغمضون عيونهم أمام الحقائق ويكتبون وهم على وضوح مع أنفسهم أنّهم يكتبون باطلاً ولكن نصرةً لمذهبهم وطعناً في الشيعة ولو على حساب تزييف الحقائق للأجيال.

دراسة عن أسباب مخالفة أهل السنّة للمختار

علينا أوّلاً أن نعرف سبب مخالفة أهل السنّة للمختار، والسبب واضح وهو كون المختار كان شديد العداء والبغض لبني أُميّة وجميع من ظلم أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّه قتل من هؤلاء النواصب ومن بني أميّة أكثر من سبعين ألفاً وأدخل السرور على قلوب العلويات والعلويين من آل رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبما أنّ المخالفين للشيعة ـ عادةً ـ من مريدي بني أُميّة فكان عليهم والحال هذه أن يبغضوا المختار ويسعون إلى تشويه صورته وإضلال الناس بذلك وصدّهم عن معرفة الحقيقة فلم يوفروا جهداً في إضلال الأجيال بنسبة

---

(١) الفرق بين الفِرق ص ١٩٠، ط دار الآفاق ١٩١٣م.

(٢) أُسد الغابة ج ٥، ص ١١٧، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

المزخرفات والكفريات إلى المختار، حتّى وصل بهم الحقد أن يزعموا أنّ هناك طائفة تُنسب إلى المختار وهم المختارية ويعدونها إحدى فرق الشيعة!

ولكي أوقفكم على حقيقة هذا الموضوع عليَّ أن أرجع قليلاً إلى سيرة المختار منذ ولادته وأذكر لكم حال والديه وشيئاً من سيرته وبعد ذلك أترك الحكم إليكم وعليكم أن تحكموا بالإنصاف.

مَن هو والد المختار؟

إنّه أبو عبيدة بن مسعود الثقفي من زعماء وكبار قبيلة ثقيف وهو من كبار صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله أيضاً، كان رجلاً مؤمناً معروفاً بالصلاح وعُدّ من جملة التابعين، وكان شجاعاً قويّ القلب شارك في الفتوحات ثلاثين مرّة، إلى أن نال الشهادة في وقعة الجسر.

سؤال أحد الحاضرين: ما هي وقعة الجسر أرجو أن تذكرها لنا؟

الجواب: قبل أن أوضح لكم وقعة الجسر عليكم أن تعرفوا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد فتح مكّة واستقرار التوحيد فيها عزم على مراسلة ملوك الأرض وزعماء الطوائف والقبائل، ومن اللازم أن أذكر لكم هذا الموضوع لأنّ وقعة الجسر لها ارتباط وثيق بذلك.

رسالة رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى خسرو پرويز ملك ايران

وقبل ذكر الرسالة[1]، أذكر ما ذكره المؤرِّخون عن خسرو پرويز عندما

(١) أقول: قبل هذه الرسالة ذكر المؤلّف رحمه الله رسالة النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى ملك الحبشة مع جوابها، ورسالته صلّى الله عليه وآله إلى ملك الروم وجوابها، ورسالته إلى المقوقس وجوابها، ولم أذكر كلّ ذلك لعدم ارتباطه بصلب الموضوع، ثمّ إنّ الرسائل ذكرت في أصل الكتاب باللغة العربية ولا حاجة إلى ترجمتها ويمكن لمن يريد الوقوف عليها أن ←

وصل إلى منصب الحكم، فقد عمد هذا الملك الغاشم إلى عدّة أمور منها:

١ ـ أودع والده (هرمزد) السجن ثمّ أعمى عينيه ثمّ قتله.

٢ ـ فصل بين أولاده وزوجاتهم، ثمّ أمر بسجن كلّ أولاده وحجز زوجاتهم عنده، خوفاً من ولادة الحفيد الذي ستكون نهاية ملكه على يديه كما أخبره بذلك المنجّمون.

٣ ـ اعتقل عشرين ألف محارب من رجاله ـ وذكر الطبري أنّه اعتقل ثلاثين ألف ـ ثمّ أوعز إلى (فرّخ زاد) رئيس الحرس بقتلهم كلّهم، وكان (فرّخ زاد) يطلب منه تأجيل ذلك الأمر بعدّة أسباب.

٤ ـ كان يقتل كلّ يوم ٥ ـ ٦ من السجناء.

٥ ـ استمر في أخذ الضرائب (الخراج) من الناس كما كان يفعل ذلك (بهرام چوبين الملك السابق) وصنع لنفسه من هذه الأموال ثروات طائلة.

٦ ـ اعتقل ثلاثة آلاف امرأة حرّة في قصره ومنعهنّ من الحمل بينما كان هو يلهو مع عشيقته وحبيبته وأمته (شيرين).

٧ ـ وقد أفرط في الظلم والتعسّف حتّى سعى لقتل (يزدجرد) ابن (شهريار) وهو ابن خمس سنين بلا ذنب، إلّا أنّ أمَتَه شيرين منعته من ذلك وسهّلت لـ(يزدجرد) أن يفرّ من القصر.

٨ ـ وقتل النعمان بن المنذر لأنّه لم يزوّجه إحدى بناته.

٩ ـ وقتل خاله (كندوي أو بندي) وبعد فترة قصيرة قتل خاله الثاني (بسطام) بأذكى الحيل[1].

← يرجع إلى أصل كتاب (گروه رستگاراه) ج٢ من ص٣٣٩ ـ ٣٥١ أو من كتب التأريخ كالطبري وغيره كما سأذكر ذلك لاحقاً / المترجم.

(١) ذكر المؤرّخ اليعقوبي أنّ خسرو غضب على خاله بندي فسمل عينيه وقطع يديه

١٠ ـ وسلّط رجاله على الشعب وعلى ثروات البلد فكانوا يمارسون ألوان الظلم والاضطهاد مع الناس ويأخذون منهم الأموال بالقوّة، ويرسلونها إلى المدائن وهي عاصمته الثانية فكانوا يعملون له الخزائن والثروات الطائلة، حتّى ذكر المؤرّخون أنّ خسرو پرويز كان يملك سبعة كنوز خطيرة جدّاً وعظيمة للغاية لم يتسنّ لغيره من ملوك السلسلة الساسانية ما حصل له[1]، وبلغ ملكه

→ ورجلين وصلبه حيّاً.

أُنظر تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ١٧١ /المترجم.

(١) وكانت لهذه الخزائن أسمائها الخاصّة بها:

الأولى: خزينة العروس، وقد بذل خسروا جهداً جبّاراً لجمعها.

الثانية: خزينة الريح وذلك عندما خرج ملك الروم (فرخان) إلى حرب شهريار وهو أحد قوّاد خسرو، وقدّم ملك الروم خزائنه في البحر في ألف مركب ليرسلها إلى إيطاليا خوفاً من استيلاء الفرس عليها وكانت المراكب شراعية تجري بواسطة الريح، فجرت الريح بما لا تشتهي السفن فألقتها على ساحل انطاكية عند شهريار فغنمها وحملها إلى برويز فسمّيت خزائن الريح.

أقول: أُنظر مروج الذهب ج ١ ص٣٠٦ ط دار الأندلس ١٩٦٥م /المترجم.

الثالثة: خزينة ديبة خسروي.

تقول: ديبة اسم الخزانة الثالثة من خزائن خسرو برويز الثمانية كما ذكرها الدكتور محمّد التونجي في كتابه فرهنك فارسي عربي ص٢٨٦ /المترجم.

الرابعة: خزينة افراسياب التي وجدها خسرو نفسه.

أقول: فراسياب اسم أحد ملوك الفرس أُنظر ترجمته في مروج الذهب ج ١ ص٢٤٩ وقد وجد برويز خزينته فسمّيت باسمه /المترجم.

الخامسة: خزينة سنجيدة.

أقول: معنى سنجيدة كما جاء في كتاب فرهنك فارسي عربي: موزون أو مكال أو

←

على جميع بلاد إيران وأطراف الهند وجلس على سرير الملك وكان من أشدّ الملوك بطشاً وأنفذهم رأياً وأبعدهم غوراً وبلغ من البأس والنجدة والنصر والظفر ومساعفة الدهر إيّاه ما لم يتهيّأ لملك أكثر منه وذلك سمّي (برويز) وتفسيره بالعربية (المظفَّر).

وقد عرف خسرو برويز بالغدر فقد قتل أقرب المقرّبين عنده ورجاله الخاصّين به الذين وطّدوا له ملكه وأحكموا قبضته على البلاد بسوء ظنّه بهم واعتماده على قول المنجِّمين، ممّا أدّى إلى كراهية أولاده له وعملهم على إنهاء فترة حكمه.

وكذلك قتله (يزدين) وهو من المخلصين له الذي كان له الفضل الكبير في دعم وتقوية خزائنه فإنّه كان يرسل الأموال الكبيرة إليه.

وذكر المؤرِّخ المسعودي أنّ (بزرجمهر بن البختكان) كان وزير ابرويز والغالب عليه والمدبّر لأمره، فلمّا خلا من ملكه ثلاث عشرة سنة اتّهمه بالميل إلى بعض الزنادقة من الثنوية فأمر بحبسه ثمّ أمر بكسر أنفه وفمه وأمر به أخيراً فضرب عنقه، وندم على قتله وتأسّف عليه، ودعا (بخيرأريس أو حبرأرنؤس)

← مسعر فراجع ص٣٥٢ / المترجم.

السادسة: خزينة الخضراء وقد حصل عليها من العرب.

السابعة: خزينة شاد آور، وهي من بقايا ذو القرنين.

أقول: معنى (شاد آور) موجد السرور / المترجم.

وكلّ واحدة من هذه الخزائن تحتاج إلى شرح مفصّل لا يسع المجال لذكره هنا، وقد تناولها المؤرّخون، وكان لهذه الخزائن الدور الكبير في دعم ملك خسرو برويز / المؤلّف.

أقول: كان هذا الكلام كلّه في متن الكتاب ورأيت من المناسب وضعه في الهامش / المترجم.

الوزير الثاني وكانت مرتبته دون مرتبة بزرجمهر، فلمّا رأى بزرجمهر قتيلاً أسف عليه وعلم أنّه لا ينجو فأغلظ لأبرويز في الكلام، فأمر بقتله وأُغرق في دجلة[1].

وكانت سياسته هذه هي السبب في ضعف قدرته لاسيّما عمليات القتل والغدر والإبادة والسجن ممّا أدّى إلى انفلات الروم من تحت سلطته وسيطرته، وهكذا حكم بلاده بالقوّة والحديد والنار وكثّف من جواسيسه وشرطته في صفوف الشعب ممّا عزّز فيهم الخوف والشعور بالقهر والانهزام النفسي أمام جبروته وظلمه فكان الغالب على مملكته الطابع البوليسي ممّا وفّر له فرصّة أكبر للحكم امتدّت إلى ٣٨ عاماً[2]، وطال ظلمه واضطهاده حتّى لأولاده كما ذكرت لكم ذلك، فتشكّلت شخصيته بهذه الصفات الجافّة من التكبّر والتعالي والاستهزاء بالآخرين وسحقهم.

عود على بدء

وقد عاصر هذا الملك الجبّار المتكبّر آخر سنة من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وعندما راسل النبيّ صلى الله عليه وآله ملوك الأرض بعث برسالة إلى خسروأبرويز يدعوه فيها إلى الإسلام جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتّبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا

---

(١) مروج الذهب ج١ ص٣٠٦ دار الأندلس ١٩٦٥م.

(٢) مروج الذهب ج١ ص٣٠٩.

أقول: وكانت نهاية حياة هذا الملك الطاغي أن قبض عليه أحد أولاده وهو (قباذ) المعروف بشيرويه فخلعه من الملك ثمّ أمر بسمل عينيه ثمّ قتله!!

أنظر المصدر السابق /المترجم.

شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله (الإسلام) فإنّي أنا رسول الله إلى الناس كافّة لأنذر مَن كان حيّاً ويحقّ القول على الكافرين، أسلم تَسلَم فإن أبيت فعليك إثم المجوس ـ محمّد رسول الله»[١].

وبعث هذه الرسالة مع عبدالله بن حذافة السهمي وأمره أن يدفع الكتاب إلى كسرىٰ، ولمّا جاء الرسول ووصل إلى قصره، وعلم كسرى بقدومه وكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فأذن له بالدخول، فلمّا وصل إليه أمر كسرى أن يقبض منه الكتاب فقال عبدالله بن حذافة: لا حتّى أدفعه إليك، كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله فدنا وسلّم الكتاب، فدعى كسرىٰ من يقرأ له فقرأ فإذا أوّله: من محمّد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، فأغضبه حين بدء رسول الله بنفسه وصاح وأخذ الكتاب فمزّقه قبل أن يعلم ما فيه وقال: يكتب إليّ بهذا وهو عبدي وأمر بإخراج حامل الكتاب فأُخرج وقعد على راحلته وسار، فلمّا ذهب عن كسرىٰ غضبه بعث فطلب عبدالله بن حذافة فلم يجده، وقال البعض إنّه أعطاه كفّ من التراب، فلمّا وصل الرسول إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وأخبره بالأمر، فقال صلى الله عليه وآله: مزّق الله ملكه كما مزّق كتابي وبعث إليّ بتراب أما إنّكم تملكون أرضه[٢].

ولم يكتفِ بهذا بل كتب ـ كسرىٰ ـ إلى عامله باليمن (باذان): أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز من عندك رجلين، فليأتياني به فبعث باذان إلى رجلين عرفا بالأدب والشجاعة هما (فيروز أو بابويه) و(خرخسرة) فخرجا وقدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسألاه عنه، فقال: هو بالمدينة، فلمّا قدما عليه صلى الله عليه وآله المدينة قال له (فيروز): إنّ ملك الملوك كسرى

---

(١) أنظر كتاب مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله، علي بن حسين علي الأحمدي ص٩٠ دار المهاجر بيروت، وفي هامشه ما يقارب عشرين مصدراً من كتب المسلمين التي ذكرت هذه الرسالة / المترجم.

(٢) مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله ص٩٢ ـ ٩٣.

بعث إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فإن فعلت كتبت فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به، وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرّب بلادك.

وكانا دخلا على رسول الله صلى الله عليه وآله على زي الفرس وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما وقال صلى الله عليه وآله: ويلكما مَن أمركما بهذا؟ قالا: أمر ربّنا ـ يعنيان كسرى ـ فقال صلى الله عليه وآله: لكنّ ربّي أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي، ثمّ دفعا الكتاب له، فدعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترتعد ثمّ قال لهما: ارجعا حتّى تأتياني غداً، فأخبركما بما أريد، وأتى رسول الله الخبر من السماء، أنّ الله قد سلّط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا وكذا لكذا وكذا من الليل، فلمّا أتاه الرسولان قال صلى الله عليه وآله: إنّ ربّي قد قتل ربّكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بعدما مضى من الليل سبع ساعات سلّط عليه شيرويه فقتله (وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى) فقالا: هل تدري ما تقول؟ ما هو أيسر من هذا، فنكتب بها عنك فنخبر الملك (باذان)؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم أخبراه ذلك عنّي وقولا له أنّ ديني وسلطاني سيبلغ إلى منتهى الخفّ والحافر وقولا له إنّك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملّكتك على قومك، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله خرخسرة منطقة (حزام) فيها ذهب وفضّة وكان أهداها له بعض الملوك، فخرجا وقدما على (باذان) وأخبراه الخبر فقال: والله ما هذا كلام ملك وأنّي لأراه نبيّاً، ولننظرن فإن كان ما قال حقّاً فإنّه لنبي مرسل، وإن لم يكن فنرىٰ فيه رأينا فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه، يخبره بقتل كسرى وجاء فيه «أمّا بعد فقد قتلت كسرى ولم أقتله، إلّا غضباً لفارس فإنّه قتل أشرافهم فتفرّق الناس فإذا جاءك كتابي هذا، فخذ لي الطاعة ممّن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب إليك فيه فلا تزعجه حتّى يأتيك أمري فيه».

فلمّا أتاه كتاب شيرويه أسلم وأسلم معه أبناء فارس الذين كانوا باليمن،

فبعث باذان بإسلامه وإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

ثمّ أرسل ملك اليمن وفداً إلى المدينه ليبايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وكان معهم من أبناء فارس، فالتقوا برسول الله صلى الله عليه وآله وبايعوه ثمّ رجعوا إلى اليمن، وقد أقرّ صلى الله عليه وآله ملك باذان على اليمن واستقلّ بحكم اليمن إلى آخر عمره.

بداية الحرب مع الفرس

كان زمن خسروپرويز الذي عُرف بالكبر والتعالي زمناً قاسياً صعباً للغاية وذلك لشدّة إجرامه وتعسّفه وظلمه فإنّه قتل الحكماء والأشراف وأهل التدبير في الحكم والسياسة وأشاع الخوف في الناس والضغط والقهر والكبت ممّا أدّى إلى إضعاف الحكم بشكل عام من جهة، وفشل قوّات خسرو في مقاومة الروم في بعض أطراف الدولة من جهة ثانية، ويضاف لذلك استهزائه برسالة النبيّ صلى الله عليه وآله كلّ هذه الأعمال أدّت إلى سخط جماهيري وثوران شعبي ضد الملك الجبّار خسروپرويز ممّا أدّى إلى قتله على يد ابنه بل كان ذلك مقدّمة لانقراض السلسلة الساسانية من الحكم. حتّى نقل المؤرّخون أنّه خلال أربعة سنين فقط اعتلى العرش في بلاد فارس عشرة ملوك كان أخيرهم يزدجرد.

وكان ملوك الفرس طيلة هذه السنين ينزلون شتّى ألوان القهر والظلم على القبائل العربية التي كانت تحت سلطتهم، وفي زمن أنوشيروان نزل الفرس في أطراف الكوفة والحيرة وكانوا يضايقون المسلمين كثيراً فتحرّك رجلان من بكر بن وائل، أحدهما المثنى بن حارثة الشيباني والآخر سويد بن قُطبة العجلي، فكان المثنّى يغير على الفرس من ناحية الحيرة وسويد من ناحية البصرة، يحاولان قطع يد الظالم، فلمّا وصل هذا الخبر إلى يزدجرد أرسل جيشاً

---

(١) أنظر المصدر السابق ص٩٣ـ ٩٥.

نظامياً إلى تلك المناطق ليعيد فيها الحكم المركزي، وأرسل المثنّىٰ كتاباً إلى أبي بكر بن أبي قحافة يعلمه ضراوته بفارس ويعرفه وهنهم، ويسأله أن يمدّه بجيش، فلمّا انتهى كتابه إلى أبي بكر كتب الأخير إلى خالد بن الوليد وكان باليمامة يأمره بالسير إلى العراق لنصرة المثنّىٰ ومحاربة الفرس، فسار خالد حتّى قدم العراق وسار مع المثنّى وأصحابهما وأناخا على الحيرة وتحصّن أهلها في القلاع والحصون، ثمّ صالحوا خالداً على مائة ألف درهم يؤدّونها في كلّ عام إلى المسلمين ثمّ أرسل خمس الغنائم الحربية إلى المدينة وتوقّف هو في الكوفة وبعدها سار لمحاربة الروم...

ولمّا علم يزدجرد بذهاب خالد إلى محاربة الروم والمثنّىٰ بن حارثة في المدينة أمر (رستم) أن يتحرّك سريعاً إلى سواد الكوفة، فسار رستم ومعه ابنة خالة خسرو برويز (نرسي) التي كانت في الكوفة طيلة ١٢ عاماً ومعهما ثلاثون ألف مقاتل، ثمّ أردف خلفهم يزدجرد القائد (حابان) ومعه (مردان شاه) في أربعة آلاف فارس [...][١].

وقعة الجسر

ثمّ تحرّك رستم ومعه آلاف من الفرسان قد تهيّئوا للحرب واستعدّوا تماماً وكان معهم أيضاً ثلاثين فيلاً قد أُعدّت لغرض الحرب ودرّبت على ذلك فتحرّكوا جميعاً إلى جهة الشرق نحو الفرات، وكان المسلمون بقيادة أبي عبيد[٢]

---

(١) الأخبار الطوال ص١١٣ ط١، ١٩٦٠ مصر ولمن أراد الوقوف على تفاصيل هذه الأحداث فليراجع هذا المصدر /المترجم.

(٢) أبو عبيد بن مسعود وهو أبو المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي يدور الكلام عنه / المترجم.

قد تحرّكوا أيضاً ولمّا وصلوا إلى الفرات أمر أبو عبيد بالجسر فصنعوا له جسراً وعبروا عليه إلى الجهة الأخرى من الفرات، وفي اليوم الثاني التقى الفريقان عند نهر الفرات وسمّيت هذه الوقعة بـ(وقعة الجسر)، وجاءت (دومة) وهي زوجة أبا عبيدة وأُمّ المختار، إلى زوجها وقالت له: لقد رأيت البارحة كأنّ رجلاً هبط من السماء ومعه قدحاً فيه شراب فقدّمه لك وقال: اشرب إنّه شراب الجنّة، فشربت منه ثمّ دفعته إلى حيرة بن بعيرة الثقفي فشرب منه ثمّ أعطاه إلى رجل آخر فشرب إلى أن شربتم منه وكنتم سبعة رجال، فقال أبو عبيد: كلّ من شرب فإنّه يُستشهد غداً.

ثمّ وقف أبو عبيد أمام جيشه وقال لهم: إن قُتلت فإنّ أميركم بعدي ولدي وهب، فإن أصابه شيء فبعده فلان وفلان... وعدّد أسماء الذين رأتهم زوجته في المنام، فإن قُتلوا جميعاً فأميركم المثنّى بن حارثة، ثمّ بدأت الحرب وكان الجمل والفرس يفرّان من أمام الفيلة ممّا عقّد الموقف على المسلمين فقال أبو عبيد: علينا أن نفكّر بالفيلة، ثمّ صاح بأعلى صوته: على قبر محمّد ﷺ منّي السلام وعلى أصحابه منّي السلام، ونزل من فرسه وركض باتجاه وسلّ سيفه وضرب خرطوم الفيل فقطعه فاضطرب الفيل وعدا خلف أبو عبيد، ففرّ من أمام غضبه راكضاً وبينما هو يعدو وينظر إلى الفيل إذ سقطت قدمه في حفرة فسقط على وجهه وسحقه الفيل حتّى نال شرف الشهادة، بينما واصل أبناؤه الثلاثة (وهب ومالك وزجر) الحرب حتّى استشهدوا جميعهم[١].

فهذا شطرٌ من وقعة الجسر ومختصر عن والد المختار الثقفي.

---

(١) أُنظر تاريخ الطبري ج٢ ص٣٦٨ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٩٨٨م.

عود على بدء

وكان المختار آنذاك له من العمر ثلاثة عشر عاماً فبقي مع أُمّه وعمّه سعد بن مسعود في الطائف ثمّ هاجر إلى المدينة وسكنها، ومن هناك بدأ شبابه مع رجال وشباب بني هاشم فخالطهم وتعلّم منهم الكثير الكثير لاسيّما من شيخهم محمّد بن الحنفية الذي كان من كبار الفقهاء والعلماء فتأثّر المختار كثيراً باستاذه حتّى اتّهمه بعض المخالفين بأنّه كيسانياً[١].

وعندما غادر عمّه سعد بن مسعود إلى المدائن بأمر من عمر بن الخطّاب ليكون حاكماً وأميراً فيها ذهب معه المختار إلى هناك، واستمرّ فيها طيلة حكم عمر وعثمان وحتّى مجيء أمير المؤمنين عليه السلام إلى الخلافة فأقرّه فيها[٢]. وهناك عمل المختار مساعداً مقتدراً لعمّه[٣] وكان يدير الأمور على أحسن وجه حتّى أنّ عمّه كان ينصبه مكانه حينما يسافر أو يخرج من المدائن لكفاءته وأمانته وحنكته في إدارة شؤون البلاد.

وقد ذكر الدينوري أنّ سعداً خرج من المدائن ذات مرّة وكان مكانه المختار فقام عبدالله بن وهب الراسبي ـ وهو من رؤساء الخوارج ـ معلناً خروجه ضدّ إمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في المدائن فسار إليه المختار مع جيش وأرسل إليه الكتب يدعوه فيها إلى السلم وعدم الشقاق[٤].

---

(١) لقد أبطل المؤلّف قدس سره هذه التهمة عن محمّد بن الحنفية عليه السلام سابقاً، فراجع / المترجم.

(٢) وقد اشترك سعد بن مسعود في حرب الجمل وصفّين ضدّ أعداء أمير المؤمنين / المؤلّف.

(٣) البحار ج ٤٥ ص ٣٥٢ ط إيران.

(٤) الأخبار الطوال ص ٢٠٥ ط القاهرة ١٩٦٠م دار إحياء الكتب العربية.

وبعد ذلك استقرّ المختار في الكوفة وكانت مهبط الشيعة فسكن في قرية (لقفا) واشتغل بالزراعة مع أهلها، ولمّا كانت الكوفة شديدة العداء والبغض لبني أُميّة كذلك صار المختار من أشدّ الناقمين على بني أُميّة، لاسيّما بعدما أخذ معاوية البيعة لولده المشؤوم يزيد ـ لعنه الله ـ الذي اُشتهر بشرب الخمر واللعب بالقمار وارتكاب المحارم والتجاهر بالمعاصي وولعه بالمفاسد، فلذا أدّى هذا الأمر إلى سخط جماهيري عام شمل كلّ المسلمين وخصوصاً أهل الكوفة الذين أعلنوا نقضهم لبيعة يزيد بعدما توفّي معاوية، وعقد كبارهم مجلساً يناقشون فيه أوضاع البلاد في ظلّ حكم يزيد ـ لعنه الله ـ وضمّ هذا المجلس كلّاً من: المسيب ابن القعقاع الخزاعي، ورفاعة بن شدّاد، وحبيب بن مظاهر الأسدي، ومسلم بن عوسجة، والمسيب بن نجبة، ومحمّد بن كثير، وورقاء بن عازب، ومحمّد بن الأشعث، وعبد الرحمن بن نحيف، وعبدالله بن عفيف، وطارق بن الأعمش، وأعمش بن طارق، وعمر بن سعد، والمختار بن أبي عبيد الثقفي ... الخ من أشراف الكوفة وكانوا يجلسون في بيت سليمان بن صُرد الخزاعي وكان هذا الأخير من الشخصيات المرموقة والمعروفة بالفضل والإيمان والتديّن، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وحضر في ركابه في حروبه الثلاثة[1].

فلمّا علموا بسخط الإمام الحسين عليه السلام ومعارضته ليزيد ـ لعنه الله ـ وخروجه من المدينة من دون أن يبايع، اتّفقوا على مناصرته والدعوة إلى إمامته، فقال لهم سليمان بن صرد ـ وكان له من العمر تسعين عاماً ـ: إن كان لكم الثبات في مناصرته والاستقامة في ولائه وإمامته فأقدموا على ذلك، فوافقوا على هذا الأمر ودعوا إلى نصرة آل عليّ عليهم السلام والوقوف ضد بني أُميّة ومخالفة يزيد ـ لعنه

---

(١) أنظر أسد الغابة ج٢ ص٥٤٨ رقم ٢٢٣١ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٤م.

الله ـ[١].

(١) ثمّ بعد ذلك أرسلوا الرسائل المتواترة إلى الإمام الحسين عليه السلام يدعونه إلى التصدّي فأرسلوا رسائلهم بيد عبدالله بن مسمع الهمداني وعبدالله بن وال وقيس بن المسهر الصيداوي وعبدالله بن شدّاد وعمارة بن عبدالله السلولي حتّى ذكر السيّد ابن طاووس أنّه اجتمعت عند الإمام الحسين عليه السلام ستمائة رسالة في يوم واحد، وتواترت الكتب عنده عليه السلام حتّى اجتمع في نوب متفرّقة اثنا عشرة ألف كتاب، وكان مضمونها ـ كما ذكره ابن الأثير في الكامل:

بسم الله الرحمن الرحيم: سلام عليك، فإنّنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد فالحمد لله الذي قصم عدوّك الجبّار العنيد الذي انتزى على هذه الأمّة فابتزّها أمرها وغصبها فيئها وتأمّر عليها بغير رضا منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها، وأنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد، ولو بلغنا إقبالك إلينا أخرجناه حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته / تجدها في تاريخ الكامل ج٣ ص٣٨٥ / المترجم.

ولم يكن الإمام الحسين عليه السلام يرد على هذه الرسائل إلى أن بعثوا إليه برسالة ذكروا فيها أنّهم يخاصمونه أمام الله إن لم يقبل إليهم ويؤمّ جماعتهم، فكتب الإمام عليه السلام إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد، فقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم ومقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ والهدى، أنا باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذو الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحقّ والسلام / تجدها في المصدر السابق / المترجم.

←

اختلاف الأقوال في المختار

ولمّا ورد مسلم بن عقيل وهو رسول الحسين عليه السلام إلى الكوفة نزل في بيت المختار أوّلاً[١] ثمّ نزل في منزل هاني بن عروة المرادي المذحجي[٢]، وقال البعض إنّ المختار طلب الإذن من مسلم بن عقيل وذهب خارج الكوفة، وقال آخرون: إنّه استأذنه في الخروج إلى بعض أطراف الكوفة لأخذ البيعة منهم لمسلم وقال غيرهم: إنّه استأذنه في الخروج إلى ضيعته (لقفا أو بانقيا)، المهمّ أنّهم اتّفقوا على عدم وجوده أثناء الأحداث التي جرت على مسلم إلى

← فأرسل عليه السلام إليهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام وهو أيضاً زوج رقية أُخت الإمام الحسين عليه السلام فكان مسلم ثقة الإمام عليه السلام، فقد ذكر العلّامة المامقاني في تنقيح المقال ج٣ ص٢١٤: أنّ مسلماً عاش مع أبيه ثمانية عشرة سنة وبعد أبيه إلى أن قتل عشر سنين ـ قضاها مع الحسن والحسين عليهما السلام ـ.

وقد روى الصدوق مسنداً في أماليه عن ابن عبّاس قال: قال عليّ عليه السلام: يارسول الله إنّك لتحبّ عقيلاً، قال صلى الله عليه وآله: أي والله إنّي لأحبّه حبّين حبّاً له وحبّ لحبّ أبي طالب له وأنّ ولده لمقتول في محبّة ولدك فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلّي عليه الملائكة المقرّبين، ثمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى جرت دموعه على صدره ثمّ قال: إلى الله أشكو ما تلقىٰ عترتي من بعدي.

وأعلى مقام ناله مسلم هو نيابته الخاصّة عن الإمام الحسين عليه السلام وكونه سفيره الخاص إلى أهل الكوفة كما عبّر عن ذلك عليه السلام. / المؤلّف قدس سره.

أقول: كان هذا الكلام كلّه في المتن ورأيت من المناسب أن أدرجه في الهامش للمحافظة على وحدة الموضوع.

(١) تاريخ الكامل ج٣ ص٣٨٦ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧م.

(٢) هاني بن عروة، وهو من أشراف أهل الكوفة وأعيانهم وقد حضر مع قبيلته في مناصرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل / المؤلّف قدس سره.

استشهاده، فقد بايعت جموع أهل الكوفة مسلماًعليه السلام حتّى بايعه في يوم واحد (١٨) ألف رجل، فلمّا رأى مسلم هيّجان أهل الكوفة وتفاعلهم معه وإقبالهم عليه أرسل رسالة إلى الإمام الحسينعليه السلام يخبره فيها بصدق نيّات أهل الكوفة.

ولكن بعد قدوم عبيدالله بن زياد ـ لعنه الله ـ إلى الكوفة بطريقة سريّة وبثّه الجواسيس في أوساط الناس اختلف الوضع تماماً، فقد عملت فيهم الدعاية وأرهبتهم الإشاعة ومزّقت الأكذوبة وحدتهم، وألقىٰ عبيدالله ـ لعنه الله ـ القبض على هاني بن عروة وجاء به إلى قصر الإمارة مستعيناً بالكذب والحيل ثمّ أمر غلمانه فضرب بالعصا على وجهه فكسروا أنفه وجبهته وأودعوه السجن، فعلم مسلم بالأمر كلّه فأمر أهل الكوفة بمحاصرة قصر الإمارة، إلّا أنّ عبيدالله استعان بالمنافق محمّد بن الأشعث (وهو ابن اُخت الخليفة الأوّل أبي بكر) وبرئيس شرطته عمرو بن حريث حيث أشاعا في الناس أنّ جيش الشام قادم وسينتقم منكم ويقتلكم عن بكرة أبيكم وو...

وبهذا أوجدا الانهزام النفسي في الناس وعملت فيهم هذه الأكذوبة ونجحت خطّة عبيدالله بن زياد ـ لعنه الله ـ فتفرّق الناس عن مسلم حتّى أنّه لمّا صلّى العشاء والتفت خلفه لم يجد أحداً يصلّي خلفه فأيقن بالوحدة ولكنّه شدّ عزمه واستجمع قواه، ولم يستقبل مسلم أي أحد إلّا امرأة اسمها طوعة استضافته في منزلها، ومع انفلاق الفجر علم ابنها أو صهرها بأمر مسلم وأنّه في بيتهم، فانطلق ليخبر عبيدالله ـ لعنه الله ـ فبعث إليه محمّد بن الأشعث بألف فارس وحاصروا المنزل، فخرج إليهم مسلم وقاتلهم قتال الأبطال فكانوا ينهزمون من أمامه، فطلب ابن الأشعث المدد من عبيدالله فأرسل إليه المزيد من الفرسان، وكان موقف مسلم فذّاً لا نظير له لأنّه كان يقاتلهم في الأزقّة الصغيرة والضيّقة وقد حاصروه من كلّ جانب، فأينما كان يلتفت مسلم كان يجد العشرات تلو العشرات أمامه، ولا يخفى على كلّ ذي مسكة أنّ هذا الطراز من

القتال في غاية التعقيد بخلاف الصحراء إذ من الصعب أن تتمّ محاصرة المقاتل فيها، ولذلك كان على مسلم أن يقاتل في الجهات الأربع في آن واحد، بل أنّهم لمّا عجزوا عن مناجزته صعدوا فوق سطوح البيوت وأخذوا يرمونه بالحجارة والنار، ومع ذلك واصل مسلمعليه السلام الصمود واستمرّ في القتال وهو يردي الرجال تحت قدميه مع ما يعاني من ألم الحجارة، فهو مسلم العلوي الهاشمي الذي ارتضع الشجاعة والبطولة والإقدام من بيت عليّعليه السلام، وأخيراً ولمّا يأسوا منه عمدوا إلى حيلة حقيرة واستعانوا بالمكر بعدما فقدوا شجاعتهم وخارت عزيمتهم أمام بطولة مسلم فحفروا له حفيرة كبيرة وجعلوا يحاربونه من الأمام وهو يتراجع إلى الخلف حتّى سقط في تلك الحفيرة، وكانت نهايته فأخذوا يضربونه بالسيوف وقد ضربه الملعون ابن الملعون محمّد بن الأشعث بالسيف على وجهه الشريف فسقط حاجباه على عينيه وتكسّرت أسنانه وجعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه، وعجز عن القتال، فألقوا القبض عليه بعدما أوثقوه وأخذوه إلى قصر الإمارة حيث اللعين عبيدالله بن زياد، فأمر أن يُصعد به إلى أعلى قصر الإمارة ويُضرب عنقه من هناك، فقام بكر ابن حمران الأحمري وضرب عنقه وألقىٰ بجسده من أعلى القصر، ثمّ أوثقوا قدميه وأخذوا يسحبون جثّته المقطوعة الرأس في سكك الكوفة وأزقّتها وهكذا فعلوا بهاني أيضاً، واستمرّ هذا المشهد المؤلم المفجع إلى غروب الشمس، فألقوا بجثتيهما في مكان بيع الأغنام، وأرسلوا برأسيهما مع هاني بن أبي حيّة والزبير بن أروج إلى يزيد بن معاوية ـ لعنه الله ـ فأمر الأخير بتعليقهما على باب الشام[1].

---

(١) أنظر الأخبار الطوال ص ٢٣١ ـ ٢٤٢ ط ١، القاهرة ١٩٦٠م، وتفاصيل ما تقدّم في الكامل ج٣ ص ٣٨١ ـ ٣٩٨/ المترجم.

وذكر بعضٌ أنّ هذين الرأسين ظلّا معلّقين إلى أن قدمت سبايا الحسين عليه السلام إلى الشام وكانت الرؤوس الشريفة على الرماح فلاصق رأس الحسين عليه السلام رأسَ مسلم فكانت فجيعة ما لها مثيل لأهل البيت عليهم السلام.

حرب المختار مع أبي قدامة

ولمّا علم عبيدالله بن زياد ـ لعنه الله ـ بمراسلة أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام حاول أن يغلق الطرق المؤدّية إلى الكوفة فبعث ببعض رجاله من أهل الشام ليرابطوا على تلك الثغور، فكان من جملتهم أبو قدامة الشامي وهو من الرجال المعروفين بالبطولة والشجاعة أرسله إلى ناحية القادسية، فقدم المختار مع جماعة من فرسان القبائل من نواحي الكوفة يريدون الدخول إليها، فمنعهم أبو قدامة، وقال للمختار يمكنك الدخول بدون هؤلاء فقال له: ومن جعلكم هنا؟ قال: الأمير عبيدالله بن زياد، فاستغرب المختار وقال: وهل قدم الكوفة؟ قال: نعم وقد عُيّن أميراً على الكوفة وقتل مسلماً وهانياً وجماعة من الشيعة.

فلمّا سمع المختار ذلك تأثّر كثيراً وكلّما حاول الدخول إلى الكوفة منعه أبو قدامة فاضطرّ أخيراً إلى مقاتلته مع رجاله فانتصر عليهم المختار بمدّة يسيرة، ثمّ أمر رجاله بالرجوع إلى قبائلهم وأبدل ملابس حربه بملابس أُخرى ودخل الكوفة ومضى إلى داره، ثمّ خرج إلى الساحة المقابلة لقصر الإمارة فرأى الناس في هرج ومرج، وقال البعض إنّه رأى خيمة عند قصر الإمارة تعلوها راية وفيها عمرو بن حريث رئيس شرطة الكوفة والمنادي ينادي: كلّ من دخل الخيمة فهو في أمان الأمير، ومن جاء غداً فهو في خطرٍ عظيم، فوقعت عيني عمرو بن حريث على المختار وهو مع الناس، فأرسل غلامه إليه، وقال له: من الخير انّك جئت اليوم، قم بنا إلى الأمير عبيدالله ـ لعنه الله ـ فرفض المختار وقال له: إنّ عبيدالله رجل شرّير وهو لا يرغب فيَّ، فقال عمرو: أنا أشفع لك عنده وأصلح

الأمر لك، فلمّا دخلا قصر الإمارة جلس المختار بلا إذن، فتغيّر وجه عبيدالله وأفحش له القول ثمّ قال له: يابن عبيد آويت مسلماً في دارك وأخذت البيعة له من الناس، فقال عمرو بن حريث: أيّها الأمير إنّ مسلماً هو الذي جاء إلى دار المختار ثمّ غادر منه إلى دار هاني، وأنّ المختار بعد ذلك كان قد خرج من الكوفة، واليوم قد جاء لأمانك.

اعتقال المختار

وفي هذه الأثناء حضر بعض المجروحين والمصابين من رجال أبي قدامة الشامي وقالوا: أيّها الأمير لقد جاء المختار مع جماعة من الرجال وقاتلونا وقتلوا أبا قدامة، فقال المختار: إنّ أبا قدامة منعني من الدخول وسلّ السيف بوجهي فقتلته مدافعاً عن نفسي، فضربه ابن زياد بدواة[1] كانت عنده على وجهه فشجّه وشتر عينه، وذكر البعض أنّه أمر بضربه فضربوه ضرباً مبرحاً على رأسه ووجهه حتّى سال الدم منه، ثمّ أمر بحبسه، وكان في الحبس ميثم التمّار وعبدالله بن حارث بن نوفل وعمير بن عامر الهمداني أديب وشريف أهل الكوفة ـ الذي سجن بسعاية سنان بن أنس ـ وجماعة من الشيعة فحبسهم إلى أن قتل الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ إنّ المختار بعث إلى عبدالله بن عمر بن الخطّاب يسأله أن يشفع فيه، وكان ابن عمر تزوّج أُخت المختار صفية بنت أبي عبيد، فكتب ابن عمر إلى يزيد ـ لعنه الله ـ يشفع فيه فأرسل يزيد إلى ابن زياد يأمره بإطلاق سراحه فأطلقه وأمر أن لا يقيم غير ثلاث[2]، فخرج المختار إلى الحجاز، وهناك كان ابن الزبير يدعو إلى نفسه سرّاً فالتقاه المختار وعرض عليه فكرة الطلب بثأر

(١) في الكامل أنّه ضربه بالقضيب / المترجم.
(٢) أُنظر البحار ج٤٥ ص٣٥٣ ط إيران.

الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام فوافق عبدالله بن الزبير أوّلاً، ولكن بمجرّد أن توفّي يزيد[1] ـ لعنه الله ـ ترك ابن الزبير الطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام ودعى الناس إلى نفسه، فتركه المختار وعاد إلى الكوفة.

ثورة المختار في الكوفة

وفي طريقه إلى الكوفة التقى بـ (هاني بن أبي حيّة) وسأله عن أهل الكوفة، فقال له: إنّ يزيد قد مات وعبيدالله ترك الكوفة وأنّ سليمان بن صرد الخزاعي وجماعة معه يريدون الثأر للإمام الحسين عليه السلام ولكنّهم لم يجتمعوا على رجل، فقال المختار: أنا والله أجمعهم على الحقّ وألقي بهم ركبان الباطل، وأقتل بهم كلّ جبّار عنيد، إنْ شاء الله ولا قوّة إلّا بالله، ثمّ ذهب المختار إلى نهر الحيرة فاغتسل فيه ولبس ثيابه ودخل الكوفة وكان كلّما مرَّ على جماعة من الناس سلَّمَ عليهم ثمّ يقول: ابشروا بالفرج (بالنصرة) فقد جئتكم بما تحبّون، وأنا المسلّط على الفاسقين والطالب بدم أهل بيت نبيّ ربّ العالمين[2]، بعدها دخل المسجد وصلّى ركعتين ورأى الناس تنظر إليه ثمّ ينظرون إلى أنفسهم ويقولون: جاء المختار لأمرٍ عظيم عسى أن يفرِّج الله عنّا به، ثمّ قام المختار ودخل منزله وأرسل إلى أشراف الكوفة وقال لهم: جئت من عند محمّد بن الحنفية لأنتقم من قتلة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) ذكر العلّامة المجلسي في البحار ج٤٥ ص٣٥٤ عن كتاب ذوب الضاد في شرح الثأر تأليف جعفر بن محمّد بن نما نقلاً عن تاريخ المدائن أنّ يزيد توفّي في يوم الخميس ١٤ ربيع الأوّل عام ٦٣ أو ٦٤ وله من العمر ٣٥ عاماً / المؤلّف.

(٢) في الكامل ج٣ ص٤٩٤ قال المختار: ابشروا بالنصرة والفلج (الظفر) أتاكم ما تحبّون، وكذا في مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٢١٣ / المترجم.

فقالوا له: لقد بايعنا شيخنا سليمان بن صرد الخزاعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وصاحب أمير المؤمنين عليه السلام ورأينا أن لا تتعجّل في أمرك هذا لئلا يقع الاختلاف فيما بيننا، فسكت المختار وانتظر[1].

التوّابون

وعندما تصدّى مروان بن الحكم ـ الملعون بن الملعون ـ إلى الملك بعد تنازل معاوية بن يزيد، حكم في المسلمين ـ حمل امرأة ـ تسعة أشهر وهلك ليقوم مقامه أبناءه، فلمّا وصل خبر وفاته قام كبار وأشراف الكوفة مثل المسيب ابن نجبة الفرازي وعبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي ورفاعة بن شدّاد البجلي وعبدالله بن وال التميمي وحكيم بن منقذ الكندي ووليد بن عصيد الكناني وعبدالله بن حازم وآخرين ممّن ندم على عدم خروجه أو التحاقه بالإمام الحسين عليه السلام وأقرّوا على أنفسهم بالتقصير وندموا على فعلهم الشنيع هذا، فقاموا وتجمّعوا في منزل سليمان بن صرد ونادوا في الكوفة (يالثارات الحسين) فتجمّع حينذاك ستّة عشر ألف رجل، فتحرّك منهم أربعة آلاف مجاهد صوب كربلاء يريدون قبر الإمام المظلوم الحسين عليه السلام وذلك يوم الجمعة الخامس من ربيع الثاني عام ٦٥هـ.

ولمّا وصلوا إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام رفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب ورموا أنفسهم عن دوابهم ومسحوا أبدانهم بتراب قبر الحسين عليه السلام وأظهروا الندم والجزع وتعاهدوا عند القبر الشريف أن يأخذوا بثأر الحسين عليه السلام، فتحرّكوا بسرعة نحو الشام حتّى وصلوا عين الوردة، ولمّا سمع عبيدالله بن زياد بذلك

---

(١) أنظر الكامل ج٣ ص٤٩٤ ـ ٤٩٥، ومقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٢١٦ والبحار ج٤٥ ص٣٥٧ / المترجم.

خرج إليهم بجيش كبير، وكان زعيم الثوّار سليمان بن صرد الخزاعي فقام ووجّه مواعظه ونصائحه لعبيد الله بن زياد وجيشه، فلم ينفع معهم شيء ثمّ توجّه إلى رفاقه وقال لهم: إن أنا قُتلت فأميركم بعدي المسيب بن نجبة فإن قُتل فأميركم عبدالله بن سعد، فإن حصل له شيء فأميركم خالد بن سعد وبعده أميركم عبدالله بن وال وبعده أميركم رفاعة بن شدّاد، ثمّ توجّه المسيب بن نجبة مع أربعة آلاف مقاتل بعد أن صلّوا الصبح لمقارعة شرحبيل بن ذي الكلاع الذي يقود جيش الشام فتلاحموا فيما بينهم حتّى تصدّع جيش الشام وانكسر أمام بطولة العراقيين ولاذوا بالفرار فغنم العراقيّون غنائم كثيرة وعادوا إلى سليمان بن صرد وحدّثوه بالنصر والظفر، فلمّا سمع عبيدالله بن زياد بالأمر أرسل الحصين ابن نمير ومعه عشرون ألف مقاتل لمقابلة العراقيّين، وبرواية ابن الأثير في الكامل أنّهم كانوا اثني عشر ألف، وقابلهم العراقيّون وكانوا ثلاثة آلاف ومائة.

استشهاد سليمان بن صرد(١)

واستمرّ القتال فيما بينهم ثلاثة أيّام ساخنة وحافلة بالمشاهد البطولية والتضحيات الكبيرة التي قدّمها التوّابون فكانت الكفّة لصالحهم والنصر يلوح فوق بيارقهم إلى اليوم الثالث، عندما عزم الحصين على عدم المواجهة بل أمر جيشه بالالتفاف حول التوّابين ومن ثمّ أمرهم برمي النبال والسهام عليهم دون استخدام السيوف وكانت طريقة حقيرة في الحرب تدلّ على ضعف وجبن القوم فقتل على أثرها سليمان بن صرد، وغسل بدمائه عار التقصير عن نصرة أهل البيت عليهم السلام سابقاً، وحمل اللواء من بعده المسيب بن نجبة وعبدالله بن سعد وخالد بن سعد وعبدالله بن وال.. واحداً بعد واحد إلى أن استشهدوا كلّهم

---

(١) أُنظر التفاصيل في البحار ج ٤٥ ص ٣٥٨ ط ايران / المترجم.

وانكسرت شوكتهم وفرّ الباقون إلى الكوفة وقرقيسيا[١].

سؤال أحد الحاضرين: إنّك لم تذكر المختار في جميع ما تقدّم، مع أنّك قلت إنّ المختار جاء إلى الكوفة للثورة، فلماذا لم يخرج مع القوم؟

الجواب: لقد ذكر المؤرّخون أنّ المختار حينها ـ أي حينما تحرّك سليمان بن صرد وجماعته ـ كان في السجن ولم يكن بقدرته المشاركة.

سؤال أحد الحاضرين: لقد تفضّلت سابقاً أنّ المختار خرج من السجن بأمر يزيد بن معاوية وذهب إلى الحجاز ثمّ إلى الكوفة، والآن تقول إنّه كان في السجن فياحبّذا لو أوضحت لنا هذا اللبس.

اعتقال المختار

الجواب: نعم قلت لكم إنّه سجن أوّل مرّة وأُفرج عنه بوساطة ابن عمر، ولكنّه لمّا عاد إلى الكوفة سجن مرّة ثانية حينما كانت الشيعة تبايع سليمان بن صرد الخزاعي، وقد ذكر ذلك الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل[٢] والعلّامة المجلسي في البحار[٣] نقلاً عن (شرح الثأر) لابن نما، فبعد أن ورد المختار الكوفة وخطب في الشيعة خطاباً شديد اللحن وتوعّد أعداء أهل بيت رسول الله ﷺ بالقتل والانتقام، ثارت حميتهم ضدّه وكان في طليعتهم عمر بن سعد وشبث بن ربعي وزيد بن الحرث وآخرين فاجتمعوا وقال عمر بن سعد ـ لعنه الله ـ: إنّ المختار أشدّ عليكم من سليمان، إنّما خرج يقاتل عدوّكم وإنّ المختار يريد أن يثب عليكم في مصركم، فسيروا إليه وأوثقوه بالحديد

---

(١) أُنظر التفاصيل في مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٢٢٢ / المترجم.

(٢) الكامل في التاريخ ج٣ ص٤٩٥ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٧م.

(٣) بحار الأنوار ج٤٥ ص٣٥٧ ط إيران.

واسجنوه حتّى يستقيم أمر الناس، فأتوه فأخذوه بغتةً فلمّا رآهم قال: ما لكم؟ فوالله ما ظفرت أكفكم، ثمّ حمل إلى السجن غير مقيّد، وقيل: بل كان مقيّداً[١] فكان في السجن طيلة حرب التوّابين مع الظلمة في الشام.

وطيلة فترة سجنه كان المختار كالأسد المقيّد يهيج به الألم ويتمنّى الخروج والالتحاق ويرتل كلمات الهيّجان ويلهب روحه حماساً، كان يقول: أما وربّ البحار والنخيل، والأشجار، والمهامة، والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الاخيار لأقتلن كلّ جبّار بكل لدن خطّار ومهنّد تبار في جموع من الأنصار، ليس بمثل أغمار ولا بعزل أشرار، حتى إذا أقمت عمود الدين وزايلت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت ثأر النبيّين لم يكبر عليَّ زوال الدُّنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى[٢].

رسالة المختار من السجن

ولمّا وصلت الأنباء إلى المختار بعودة رفاعة بن شداد وباقي أفراد التوّابين من عين الوردة في طلعتهم الأولى أرسل إليهم رسالة ذكرها المؤرِّخ الطبري في تاريخ الأُمم والملوك عن أبي مخنف وكذا العلّامة المجلسي في البحار وهي ما يلي:

«فإنّ الله أعظم لكم الأجر وحطّ عنكم الوزر بمفارقة القاسطين وجهاد المحلّين، إنّكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة ولم تخطوا خطوة إلّا رفع الله لكم بها درجة وكتب لكم بها حسنة إلى ما لا يحصيه إلّا الله من التضعيف فابشروا فإنّي لو قد خرجت إليكم قد جرّدت فيما بين المشرق والمغرب في

---

(١) أُنظر الكامل ج٣ ص٤٩٥.

(٢) الكامل ج٣ ص٤٩٥، ومقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٢٢١.

عدوّكم السيف بإذن الله، فجعلتهم بإذن الله ركاماً وقتلتهم فذاوتوا فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى، ولا يبعد الله إلّا من عصىٰ وأبىٰ والسلام يا أهل الهدى»[1] فوصلت الرسالة بيد سيحان بن عمرو من قبيلة بني ليث وقرأها على أشراف الكوفة مثل رفاعة بن شداد والمثنى بن مخربة العبدي وسعد بن حذيفة ابن اليمان ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط الأحمسي وعبدالله بن شدّاد البجلي وعبدالله بن كامل، فأرسلوا عبدالله بن كامل إلى المختار في السجن وقال له: إنّ الشيعة فرحوا برسالتك وإن أحببت أخرجوك من السجن ليجتمع حولك الشيعة.

فقال المختار: لا تتعجّلوا في أمري إنّما هي أيّام قلائل وأخرج من السجن فكتب المختار رسالة ودفعها إلى غلام يدعى زربيا إلى عبدالله بن عمر (زوج أُخته) أخبره فيها أنّه: أمّا بعد فإنّي قد حبست مظلوماً وظنّ بي الولاة ظنوناً كاذبة فاكتب فيَّ يرحمك الله إلى هذين الظالمين كتاباً لطيفاً، عسى الله أن يخلّصني من أيديهما بلطفك وبركتك ويمنك[2].

ليتوسّطا له، فكتب عبدالله بن عمر رسالتين إلى عبدالله بن يزيد والي الكوفة وإبراهيم بن محمّد يطلب منهما وساطتهما للإفراج عن المختار، فلمّا وصلتا إليهما طلبا من المختار كافلاً يكفله ويضمنه ويتعهّد أن لا يخرج المختار عليهم، فحضر من أصحابه خلق كثير، فضمنه منهم عشرة من أشراف الكوفة وكفلوا المختار، بأن لا يخرج عليهما (عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمّد) ما كان لهما من سلطان فإن هو فعل فعليه ألف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة،

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٣٣ حوادث سنة ٦٦هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٩٨٨، والبحار ج٤٥ ص٣٦٣ ط إيران.

(٢) المصدر السابق ومقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٢٢٢.

ومماليكه كلّهم ذكرهم وأُنثاهم أحرارٌ، فحلف لهما بذلك[١].

فلمّا خرج المختار من السجن وأتىٰ داره يقول حميد بن مسلم سمعت المختار يقول: قاتلهم الله ما أجهلهم وأحمقهم حيث يرون أنّي أفي لهم بأيمانهم هذه؛ أمّا حلفي بالله فإنّه ينبغي إذا حلفت يميناً، ورأيت ما هو أولى منها أن أتركها، وأعمل الأولى وأكفّر عن يميني وخروجي خير من كفّي عنهم، وأمّا هدي ألف بدنة فهو أهون عَليَّ من بصقة وما هولني ثمن ألف بدنة، وأمّا عتق مماليكي فوالله لوددت أنّه استتب لي أمري (من أخذ الثأر)، ثمّ لم أملك مملوكاً أبداً[٢].

ثمّ دعىٰ كبار الشيعة إلى منزله سرّاً وطلب منهم أن يبايعوه ليقوم بطلب الثأر لأهل البيت عليهم السلام، فبايعه بعضهم على كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله والثأر للإمام الحسين عليه السلام، وكان المختار قد أخبرهم أنّ محمّد بن الحنفية على علم واطّلاع من حركته هذه وأنّه جاء من قبله لإحقاق حقّ أهل البيت عليهم السلام، فلمّا سمعوا منه ذلك أراد بعضهم التأكّد والتثبّت من الأمر مثل عبدالرحمن بن شريح وسعيد بن منقذ الثوري وسعر بن أبي سعر الحنفي وأسود بن جراد الكندي وقدامة بن مالك الجشمي وغيرهم، فتحرّك هؤلاء إلى المدينة لرؤية شيخ بني هاشم محمّد بن الحنفية، فلمّا انفردوا معه تكلّم عبدالله بن شريح فقال ـ بعد الحمد والثناء ـ: فإنّكم أهل بيت خصّكم الله بالفضيلة وشرّفكم بالنبوّة، وعظم حقّكم على هذه الأمّة، فلا يجهل حقّكم إلّا مغبون الرأي مخسوس النصيب، قد أُصبتم بحسين رحمة الله عليه، عظمت مصيبة ما قد خصّكم بها فقد عمّ بها

---

(١) المصدر السابق ص٤٣٤، والبحار ج٤٥ ص٣٦٣ ط إيران.

(٢) المصدر السابق، ومقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٢٢٢ ط إيران، والبحار ج٤٥ ص٣٦٤ ط إيران.

المسلمون، وقد قدم علينا المختار ابن أبي عبيد، يزعم لنا أنّه قد جائنا من تلقائكم، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله والطلب بدماء أهل البيت، والدفع عن الضعفاء، فبايعناه على ذلك ثمّ إنّا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه وندبنا له، فإن أمرتنا باتّباعه اتّبعناه، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه(١).

فلمّا سمع محمّد بن الحنفية كلامه قال:

فأمّا ما ذكرتم ممّا خصصنا الله به من فضل فإنّ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فللّه الحمد، وأمّا ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين عليه السلام، فإنّ ذلك كان في الذكر الحكيم، وهي ملحمة كُتبت عليه وكرامة أهداها الله له رفع بما كان منها درجات قوم عنده ووضع بها آخرين، وكان أمر الله مفعولاً وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وأمّا ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أنّ الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم(٢).

وعلى رواية العلّامة المجلسي في البحار ـ نقلاً عن جعفر بن نما ـ أنّ محمّد ابن الحنفية قال بعد ذلك:

قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم عليّ بن الحسين عليه السلام فلمّا دخل ودخلوا عليه أخبره خبرهم الذي جاؤوا لأجله، قال عليه السلام: يا عمّ لو أنّ عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد ولّيتك هذا الأمر فاصنع ما شئت(٣).

فلمّا خرجوا قال بعضهم لبعض إنّ الإمام السجّاد عليه السلام ومحمّد بن الحنفية قد أذنا لنا في مناصرة المختار، فعادوا إلى الكوفة ودخلوا على المختار وأخبروه

---

(١) المصدر السابق ص٤٣٦.

(٢) المصدر السابق، مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٥ / المترجم.

(٣) البحار ج ٤٥ ص ٣٦٥.

بالأمر وبشّروه بكلام الإمام زين العابدين عليه السلام ومحمّد بن الحنفية فأمر المختار جماعته وأصحابه بالتجمّع عنده، فلمّا حضروا قال لهم: يا معشر الشيعة، إنّ نفراً أحبّوا أن يعلموا مصداق ما جئت به فخرجوا إلى إمام الهدى والنجيب المرتضىٰ وابن المصطفى المجتبىٰ - يعني زين العابدين عليه السلام - فعرّفهم أنّي ظهيره ورسوله، وأمركم باتّباعي وطاعتي[1].

وجاء في تاريخ الطبري وابن الأثير في الكامل أنّ المختار نقل لهم رأي ابن الحنفية فقال لهم:

أمركم باتّباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحلّين والطلب بدماء أهل بيت نبيّكم المصطفين[2].

ثمّ قام عبد الرحمن بن شريح وشرح للحاضرين لقائهم بالإمام زين العابدين عليه السلام ومحمّد بن الحنفية فزادهم هيجاناً ورغبة في الانتقام من بني أميّة[3] فبايعوا المختار زرافات، ثمّ اجتمع رؤساء القوم وتحاوروا في كيفيّة تقوية جانبهم وإنجاح الثورة، فاقترح بعضهم أن يتّصلوا بإبراهيم بن مالك الأشتر وهو رجل شريف بعيد الصيت وله عشيرة ذات عزّ وعدد وهو شجاع وجيه مطاع في قومه.

اتصال المختار بابن الأشتر

فأجمعوا أمرهم أن يتّصلوا بابن الأشتر فتمّت المراسلة بين المختار وبين إبراهيم إلى أن رأوا من المصلحة أن يلتقي المختار بإبراهيم، فذهب المختار مع (١٧) رجلاً إلى منزل إبراهيم فرحّب بهم خير ترحيب وأجلس المختار إلى

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

جانبه، ثمّ أخرج المختار رسالة محمّد بن الحنفية إليه وأعطاها إلى إبراهيم وكان فيها طلب من محمّد بن الحنفية لإبراهيم وقبيلته بضرورة مناصرة المختار ومساندته، ثمّ قال القوم: نشهد أنّ هذا كتابه ـ محمّد بن الحنفية ـ رأيناه حين كتبه ونقلوا له لقاء عبد الرحمن بن شريح مع ابن الحنفية والإمام السجّاد عليه السلام، فلمّا قرأ الكتاب وسمع منهم ذلك قام من مقامه وبايع المختار.

وفي اليوم الثاني أحضر إبراهيم أشراف قبيلته وجاءوا إلى منزل المختار وتمّ الاتّفاق على إعلان الثورة وتفجير الموقف بتاريخ ١٤ ربيع الأوّل عام ٦٦هـ[١] (وكان هذا التاريخ ـ ربيع الأوّل ـ نفس تاريخ موت يزيد بن معاوية لعنهما الله) فيتمّ السيطرة على الكوفة أوّلاً وعزل عبدالله بن مطيع[٢].

خروج إبراهيم بن مالك الأشتر

في ليلة الثلاثاء خرج إبراهيم بن الأشتر إلى المختار، وقد بلغه أنّ تلك الجبانات شحنت بالخيل والرجال وأنّ الشَرطْ ـ الشرطة ـ قد أحاطوا بالأسواق، فسار في مائة رجل من بني عمّه عليهم الدروع قد ظاهروها بالأقبية، حتّى إذا جاوز دار عمرو بن حريث إلى دار سعيد بن قيس ثمّ إلى درب أُسامة استقبلهم أياس بن مضارب العجلي صاحب الشرطة في نفر من أصحابه وفي أيديهم السلاح والحراب، فقال: مَن هؤلاء؟ فقال إبراهيم: نحن هؤلاء فامض لشأنك، فقال أياس: وما هذا الجمع الذي معك يابن الأشتر؟ فوالله إنّ أمرك لمريب، وقد بلغني أنّك تمرّ هاهنا في كلّ ليلة بجمعك هذا فوالله لا تزايلني حتّى آتي بك إلى الأمير عبدالله بن مطيع فيرىٰ فيك رأيه، فقال إبراهيم: خل ويحك سبيلنا

(١) في البحار ج٤٥ ص٣٣٣: ربيع الثاني نقلاً عن المفيد / المترجم.

(٢) أُنظر التفاصيل الدقيقة في مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٢٣٦ / المترجم.

وامض لشأنك، أنت تمضي بي إلى الأمير ؟! يا ماص بضئر أمّه ؟ قال: نعم، فقال إبراهيم: يا عدوّ الله ألست من قتلة الحسين بن علي ؟ ثمّ التفت إلى رجل من أصحاب أياس يكنّى قطن الهمداني فتناول رمحه من يده وطعن أياس طعنة في صدره نكسته عن فرسه ثمّ قال لأصحابه: انزلوا فخذوا رأسه، فنزل بعض أصحابه فاحتزّ رأسه وفرّ أصحاب أياس هرباً على وجوههم وأتى إبراهيم إلى المختار فقال: قم أيّها الأمير فقد كنّا عزمنا على أن نخرج ليلة الخميس، وقد حدث أمرٌ فلابدّ معه من الخروج الساعة، فقال المختار: وما الأمر رحمك الله ؟ فحدّثه الحديث، فقال المختار: بشّرك الله بخير فهذا أوّل الظفر، ثمّ صاح المختار برجل من أصحابه فقال: يا سعيد بن منقذ قم فاشعل النار في هراوي القصب، وقم أنت ياعبدالله بن شدّاد فناد في الأزقّة: يا منصور أمت، وقم أنت يا سفيان بن ليلى فناد فيالناس بها، وقم أنت يا قدامة بن مالك فناد في الناس: يالثارات الحسين بن علي (وكانت علامة خروجه للذين بايعوه) ثمّ قال: يا غلام عَليَّ بدرعي وسلاحي فصب الدرع على بدنه وخرج من منزله والتفّ حوله ثلاثة آلاف فارس، حتّى مطلع الفجر، فصلّى بهم المختار، وكان عبدالله بن مطيع يوجّه الزحوف نحو المختار، فأوّل من زحف شبث بن ربعي في أربعة آلاف، ثمّ راشد بن أياس بن مضارب في ثلاثة آلاف، ثمّ حجار بن أبجر في ثلاثة آلاف، ثمّ الغضبان بن القبعثري في ثلاثة آلاف ثمّ شمر بن ذي الجوشن في ثلاثة آلاف ثمّ عكرمة بن ربعي في ألف ثمّ شدّاد بن المنذر في ألف ثمّ عبد الرحمن بن سويد في ألف، واجتمع أصحاب المختار فكانوا عشرين ألفاً أو يزيدون.

وكان المختار كلّما نظر إلى قائد من قوّاد ابن مطيع وجّه إليه قائداً من قوّاده بمثل قوّته وعدده، وكان الفرق بين المعسكرين أنّ أصحاب ابن مطيع كانوا يقاتلون حفاظاً على العرش والزعامة، بينما كان أصحاب المختار يقاتلون للرّضا

من آل محمّد صلى الله عليه وآله والانتقام من قَتَلَة أهل البيت عليهم السلام والتحم الفريقان واشتدّ القتال وعلت الأصوات وارتفع الغبار، فجعل إبراهيم يحمل من ناحية راشد بن أياس قائد الشرطة، وكان عدد أصحابه - إبراهيم - غير متكافئ مع أصحاب راشد، ولكنّهم قاتلوهم بالأيمان حتّى استطاع خزيمة بن مضر العبسي أن يقتل راشد بن أياس، وعلى أثر ذلك انكسر جيشهم وفرّوا من المعركة، وهكذا كان النصر حليف أصحاب المختار في جميع المواقع والمعارك، ولا يمكننا ذكر تفاصيل هذه المعارك هنا، ولكن نقول لمن يريد الاطّلاع عليها أن يراجع تاريخ الطبري أو تاريخ الكامل أو بحار الأنوار في حوادث بعد استشهاد الحسين عليه السلام أو ناسخ التواريخ.

وبعد ثلاثة أيّام تمّت محاصرة قصر الإمارة من قِبل إبراهيم بن الأشتر، وكان في القصر عبدالله بن مطيع والي الكوفة من قِبل ابن الزبير والذي ارتدى زي النساء وخرج متستّراً في الليل إلى دار أبي موسى الأشعري[1].

المختار يسيطر على قصر الإمارة

وفي اليوم الثاني دخل الفاتحون إلى قصر الإمارة، ونادى المنادي الصلاة جامعة فاجتمع الناس من كلّ حدبٍ وصوب فارتقى المختار منبر المسجد وقال: الحمد لله الذي وعد وليّه بالنصر والظفر وكتب لعدوّه الخسر والخذل والختر... فأنا المسلّط على المحلّين، والطالب بدم ابن بنت الرسول الأمين اما ومنشئ السحاب شديد العقاب سريع الحساب منزل الكتاب العزيز الوهّاب القدير الغلّاب... ولأنفين الأحزاب إلى بلد الأعراب... الخ[2].

ثمّ بويع له على كتاب الله وسنّة رسول الله والطلب بدماء آل محمّد صلى الله عليه وآله.

---

(١) أنظر مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٢٤٥ فصل ١٥.

(٢) المصدر السابق.

قتل عبيدالله بن زياد لعنه الله

وفي عام ٦٤هـ استولى مروان بن الحكم على زمام الأمور في الشام وعزم على ضمّ العراق والحجاز إلى سلطته فبعث عبيدالله بن زياد ومعه ثمانين ألف رجل من أجناد أهل الشام وشجعانهم، فسار حتّى نزل الجزيرة فبقي فيها سنة حتّى هلك مروان[1] وجاء من بعده ابنه عبد الملك فأمر الأخير عبيدالله بمواصلة السير إلى العراق فتحرّك عبيدالله بن زياد إلى الموصل حيث عامل المختار فيها وهو عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فلمّا رأى طلائع ابن زياد انحاز إلى تكريت وكتب كتاباً إلى المختار يخبره بالأمر، فبعث المختار إلى يزيد بن أنس فدعاه، وقال له: ... اخرج إلى الموصل حتّى تنزل أدانيها فإنّي ممدك بالرجال بعد الرجال، فقال يزيد بن أنس: سرّح معي ثلاثة آلاف فارس انتخبهم وخلّني والفرج الذي توجّهنا إليه فخرج بثلاثة آلاف رجل، بينما بقي المختار في الكوفة يواصل ترتيب أُموره الداخلية.

فلمّا علم عبيدالله بن زياد بقدوم يزيد بن أنس جهّز سبعة آلاف فارس وأرسلهم إليه وكان لقاؤهم في ٩ ذي الحجّة أو يوم عرفة والعيد، وكانت معركة ضارية للغاية، قدّم فيها العراقيّون التضحيات والبطولات حتّى استطاعوا أن ينتصروا على أعدائهم وأعداء الله، بينما اشتدّ المرض بأميرهم يزيد بن أنس، وقد أُسر من أهل الشام ثلاثمائة أسير فأمر يزيد بن أنس بضرب أعناقهم فقُتلوا جميعهم، ثمّ توفّي يزيد على أثر مرضه وكان قد أوصى بإمارة الجيش وزعامته إلى ورقاء بن عازب الأسدي، فصلّى عليه ودفنه وحزن عليه أصحابه وكُسرت قلوبهم، إلّا أنّ قائدهم ورقاء شدّ على أيديهم وبثّ فيهم روح النصر والصمود فواجهوا أعدائهم إلى نهاية المطاف فانتصروا عليهم وعادوا إلى الكوفة ونقلوا

---

(١) لقد قتلته زوجته أمّ خالد بنت يزيد / المؤلّف ﷺ.

الأحداث كلّها للمختار[1].

تململ قتلة الحسين في الكوفة

حينما وصلت الأنباء إلى المختار بموت يزيد بن أنس أرسل إلى إبراهيم بن الأشتر وطلب منه أن يلتحق بجيش يزيد ويكون بديلاً عن ورقاء، ثمّ جاءت الإشاعات والدعايات أنّ جيش المختار قد ضعف أمام جيش عبيدالله بن زياد، ممّا دفع المنافقين ـ قتلة الإمام الحسين ـ أن يتحرّكوا من داخل الكوفة ويكونوا باعثاً لاضطراب الأوضاع الداخلية ضدّ المختار، وهم شمر بن ذي الجوشن ومحمّد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وعمرو بن الحجّاج الزبيدي وغيرهم ممّن أكبّوا على النفاق والبغض لأهل البيت عليهم السلام فاجتمعوا في بيت شبث بن ربعي وتكلّموا عن طريقة الاستفادة من هذه الفرصة وإسقاط حكم المختار، فانتظروا حتّى خرج ابن الأشتر من الكوفة ووصل ساباط، فقاموا مع جملة من المنافقين أمثالهم ليلاً بسدّ المعابر والطرق المؤدّية إلى قصر الإمارة وحاصروا المختار عن بُعد ومنعوا عنه حتّى الماء، فلمّا علم المختار بذلك أرسل إلى إبراهيم أن عُد إلى الكوفة بأسرع وقت، فلمّا وصلت الرسالة إلى إبراهيم وعرف بأمر القوم عاد مسرعاً ووصل في اليوم الثاني وصلّى مع جيشه عند باب الجسر في الكوفة صلاة العصر، ثمّ التقى بالمختار الذي حوصر من جبهتين الأولىٰ بقيادة أهل اليمن بجبانة السبيع والأخرى بقيادة أهل مضر ويرأسهم محمّد بن عمير وشبث بن ربعي لعنه الله، فسار إبراهيم إلى مضر مع أصحابه بينما اتّجه المختار مع رجاله وفرسانه إلى أهل اليمن، فلم يزل المختار يُعرف بشدّة النفس وقلّة البقيا على أهل اليمن وغيرهم إذ ظفر، فسار ابن الأشتر

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٥٣ وما بعدها ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.

إلى كناسة الكوفة وهكذا اتّجه المختار إلى جبانة السبيع، فكانت وقعة جبانة السبيع في يوم الأربعاء ٢٤ ذي الحجّة من عام ٦٦هـ[١]، وقد ذكر صاحب روضة الصفا أنّ إبراهيم الأشتر قتل في حملته الأولى على قبيلة مضر خمسين شخصاً.

ولمّا وصل جيش المختار إلى الجبانة نادوا: يالثارات الحسين، فسمعها يزيد بن عمير بن ذي مران فقال: يالثارات عثمان، فقال لهم رفاعة بن شداد: مالنا ولعثمان لا أُقاتل مع قوم يبغون دم عثمان، ولمّا عاتبه قومه، أنشد:

أنا ابن شدّاد علىٰ دين علي ... لستُ لعثمان بن أروى بولي

لأصلين اليوم فيمن يصطلي ... بحرِ نار الحرب غير مؤتلِ

فقاتل حتّى قُتل، وقُتل يزيد بن عمير ثمّ قُتل جميع رؤسائهم وانهزموا جميعهم وتشتّت جمعهم، فهرب بعضهم إلى البصرة واختفى الآخرون في البيوت، واستخرج من دور الوادعيين خمسمائة أسير فأتي بهم المختار مكتّفين، فقال: انظروا كلّ من شهد منهم قتل الحسين عليه السلام فأعلموني، فقُتل منهم مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً على رواية الكامل والبحار والطبري[٢] ثمّ دعا المختار بمن بقي من الأسارى فأعتقهم وأخذ عليهم المواثيق ألا يجامعوا عليه عدوّاً ولا يبغوه ولا أصحابه غائلة.

ونادى منادي المختار: إنّه من أغلق بابه فهو آمن إلّا رجلاً شرك في دم آل محمّد صلّى الله عليه وآله.

قتل عمرو بن الحجّاج

فلمّا سمع قتلة الإمام الشهيد المظلوم الحسين عليه السلام نداء المختار فرَّ بعضهم من الكوفة وكان من جملتهم عمرو بن الحجّاج وهو الذي منع الماء عن

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٦٢.

(٢) أنظر تفاصيل ذلك كلّه في الطبري ـ مثلاً ـ ج٣ ص٤٥٧ ـ ٤٥٩.

الحسين وعياله وأصحابه عليهم السلام، وفي رواية أنّه أوّل من جرح الإمام المظلوم في بدنه، فركب راحلته ليلاً وذهب عليها فارّاً من سطوة المختار حتّى وصل إلى الصحراء ونفد مائه بعدما ضلّ طريقه وتاه في وسط الصحراء وملؤه الخوف فسقط عن راحلته وعجز عن الحركة وأوشك على الهلاك، فأدركه رجال المختار وجاءوا به إلى الكوفة، فلمّا شاهده الناس أخذوا برشّ الماء عليه حتّى أفاق ثمّ بدأوا بضربه وإهانته وزجره وإذلاله، فلمّا علم المختار أمر بضرب عنقه بكلّ إذلال واحتقار جزاءاً له علىٰ ما ارتكبه من جريمة شنعاء بحقّ سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام.

قتل حكيم بن طفيل
قاتل العبّاس عليه السلام

وكان من جملة المجرمين حكيم بن طفيل وهو الذي ضرب العبّاس بن عليّ عليهما السلام غيلةً وأيضاً رمى الإمام الحسين عليه السلام بسهم، وكان قد استتر في داره، فأرسل إليه المختار عبدالله بن كامل فذهب إليه مع جماعة فأخذه ثمّ أقبل به فجاءت أُخت حكيم وهي زوجة عدي بن حاتم الطائي تستغيث بعبدالله بن كامل وطلبت من عدي أن يشفع عند المختار في حكيم، فلحقهم ـ عدي ـ في الطريق وكلّم عبدالله بن كامل فيه، فقال: ما إليَّ من أمره شيء إنّما ذلك إلى الأمير المختار، فقالت الشيعة لابن كامل: إنّا نخاف أن يشفّع الأمير عدي بن حاتم في هذا الخبيث فدعنا نقتله، قال: شأنكم به فأخذوا حكيم بن طفيل ونصبوه غرضاً ثمّ قالوا له: سلبت ابن علي ثيابه[1].. ورميت حسيناً واتّخذته غرضاً لنبلك وقلتَ تعلّق سهمي بسرباله ولم يضرّه وايم الله لنرمينك كما رميته

---

(١) أُنظر تاريخ الطبري ج٣ ص٤٦٥ أنّ حكيم هذا قد سلب العبّاس بن علي عليهما السلام.

بنبال، فرموه رشقاً واحداً فوقعت به منهم نبال كثيرة حتّى صار كالقنفذ، فخرَّ ميّتاً[١].

قتل شمر بن ذي الجوش الضبابي

وأخذ المختار يتتبّع القَتَلة فاجتمع شمر بن ذي الجوشن الضبابي وإسحاق ابن الأشعث وسنان بن أنس ويزيد بن حارث ومرّة بن عبد الصمد ومجموعة آخرين من القادة العسكريّين الذين قاتلوا الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء، اجتمعوا وقالوا إن لم يشفع لنا عدي بن حاتم لدى المختار فإنّ القتل سبيلنا ولا حيلة لنا إلّا الفرار من الكوفة والالتحاق بالبصرة حيث ابن الزبير المخالف للمختار، فرفض بعضهم هذا الاقتراح بينما استقبله جماعة منهم، فخرج شمر بن ذي الجوشن مع خمسة عشر رجلاً ليلاً من الكوفة يريدون البصرة، وبعث المختار غلاماً له يدعىٰ زربياً أو (خيّر) في طلب شمر حتّى إذا انقطع إليه حمل عليه شمر فدق ظهره ومات في حينه، ثمّ انطلق شمر مع أصحابه إلى قرية تُدعى (الكلتانية)[٢] فاستقرّ فيها وبعث برسالة إلى مصعب بن الزبير في البصرة ودفعها إلى أحد دهاقين البصرة فانطلق الأخير حتّى لقي رجلاً في طريقه من أصحاب أبي عمرة الذي أرسله المختار لقتل شمر، فرأى الكتاب وعنوانه لمصعب من شمر، فسألوه عن مكانه الذي هو به فأخبرهم فإذا ليس بينهم وبينه إلّا ثلاثة فراسخ فأقبلوا يسيرون إليه. ومن جهة ثانية فإنّ المختار كان قد بعث عبدالله بن

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) كلتانية: بفتح الكاف وسكون اللام وتاء مثنّاة وألف ونون مكسورة وياء مشدّدة ذكرها الحموي في معجم البلدان ج٧ ص٢٧٤ من تاريخ البصرة عند ذكره للأساورة وأنّها تقع بين البصرة والكوفة من شرقي الفرات، وفيها قتل شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين بن عليّ عليهما السلام / المؤلّف.

كامل مع مجموعة من الفرسان للالتحاق بأبي عمرة، فاجتمع أبو عمرة وأصحابه مع عبدالله بن كامل وأصحابه عند قرية كلتانية وحاصروا شمراً وأصحابه وهم نائمون، فلمّا سمعوا الأصوات قاموا مسرعين ولكن شاهدوا أنفسهم في حصار تام، وكان شمر متزراً ببُرد وكان أبرصاً والبرص على سائر جسده ولسرعة المفاجئة والمباغتة لم يستطع شمر أن يحمل سيفه فأخذ يطاعنهم بالرمح أو النبال ثمّ حمل سيفه وأخذ يحاربهم، فتقدّم إليه عبد الرحمن بن عبيد وطعنه في نحره وسقط قتيلاً بعدما قُتل جميع من كان معه[١]، وحملت رؤوسهم إلى المختار في الكوفة.

وقد رويت عدّة قصص في كيفيّة قتل شمر منها:

١ ـ أنّ أبا الكنود وهو حامل رسالة شمر إلى مصعب هو الذي قتله في قتاله الأخير هذا وألقى جسده للكلاب تأكله[٢].

٢ ـ إنّه لعنه الله قتله أحد الشيعة لا على التعيين في ميدان الحرب.

٣ ـ إنّ الذي قتله هو عبد الرحمن بن عبيد كما تقدّم برواية الخوارزمي بعدما أنشد ـ عبد الرحمن ـ:

يا أيّها الغادر وابن الغادر	وقاتل الحسين ذي المفاخر
ابن النبي الطيّب العناصر	وابن الوصي الطاهر بن الطاهر
منيت من شيعته بثائر	يطعن في الضلوع والحناجر
أشجع من ليث عرين خادر	فابشر بخزي وبموت حاضر[٣]

---

(١) أنظر التفاصيل في تاريخ الطبري ج٣ ص٤٥٩ ط دار الكتب العلمية، ومقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص ٢٧٠ / المترجم.

(٢) أقول: لقد ذكر الطبري أنّ أبا الكنود هو نفسه عبد الرحمن بن عبيد، لاحظ التاريخ ج٣ ص ٤٦٠ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨م / المترجم.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص ٢٧٠.

ثمّ عاد رجال المختار وأسروا سنان بن أنس وحارث بن قرين وأخذوهما معهما إلى الكوفة، فلمّا نظر المختار إلى رأس الشمر ورؤوس أصحابه خرّ ساجداً وقال: يا عبد الرحمن أقرّ الله عينك بلقاء رسول الله صلى الله عليه وآله في الجنّة ثمّ أمر برأس الشمر فنصب في رحبة الحذائين ازاء المسجد الجامع، وأمر بعشرة آلاف دينار لعبد الرحمن وولّاه حلوان.

الاقتصاص من الذين رضّوا جسد الإمام الحسين عليه السلام

جاء في رسالة شرح الثأر أنّ المختار تجرّد لقتلة الحسين عليه السلام وأهل بيته فقال موسى بن عامر: فأوّل مَن بدء به الذين وطئوا الحسين عليه السلام بخيلهم، فأنامهم على ظهورهم وضرب سكك الحديد في أيديهم وأرجلهم وأجرى الخيل عليهم حتّى قطّعتهم وحرّقهم بالنار(١).

قتل قاتل ابن عقيل

ثمّ أخذ رجلين اشتركا في دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام وفي سلبه، كانا في الجبّانة فضرب أعناقهما ثمّ أحرقهما بالنار، ثمّ أحضر مالك بن بشير وطلب منه ـ من المختار ـ غلامه أن يدعه له، فأخذ غلام المختار مالك بن بشير إلى السوق فقتله هناك(٢).

الانتقام من خولي بن يزيد

ثمّ بعث أبا عمرة فأحاط بدار خولي بن يزيد الأصبحي وهو حامل رأس الحسين عليه السلام إلى عبيدالله ـ وهو أيضاً حامل الرأس الشريف إلى الكوفة قبل أن

---

(١) البحار ج ٤٥ ص ٣٧٤ ط إيران.

(٢) المصدر نفسه.

يصل إلى الشام، فلمّا بات في داره وضع الرأس الطاهر في التنوّر ـ فلمّا أحاطوا ببيته خرجت امرأة خولي إليهم وهي النوار ابنة مالك الحضرمي وقيل اسمها العيوف وكانت محبّة لأهل البيت عليهم السلام وكان في البيت امرأة أُخرى لخولي محبّة لبني أُميّة، فدخلوا البيت وسألوا من التي تشايع بني أُميّة فقالوا لها: أين خولي؟ فقالت: لم يدخل البيت منذ شهر، ثمّ سألوا النوار فقالت: لا أدري، وهي تشير بيدها إلى بيت الخلاء، فوجدوه وعلى رأسه قوصرة ـ للتمر ـ فأخذوه وقتلوه ثمّ أمر بحرقه[1].

وقيل: إنّ المختار أمر بضرب عنقه في منزله ـ منزل خولي[2] ـ وذكر صاحب ناسخ التواريخ: أنّ المختار بعث عبدالله بن كامل للقبض على خولي فلمّا قبضوا عليه قالت زوجته (النوار) إذا أردتم أخذه للمختار فخذوا زوجته الأولى معه فإنّها شريكة معه في الجرم وسأحضر بنفسي لأذكر قصّتها للمختار فلمّا أُخذ خولي وزوجته للمختار ـ وكان يغري عامل المختار أثناء الطريق بأن يعطيه خمسين ديناراً إذا هو تركه، فكان عامل المختار يجيبه أنّ قتلك أحبّ إليَّ من الدُّنيا كلّها ـ أمر المختار بحبس خولي حبساً مؤقّتاً حتّى يسمع قصّة النوار، فلمّا حضرت عند المختار قالت: لمّا جاء خولي برأس الإمام الحسين عليه السلام إلى منزله كنت خارج البيت فلمّا حضرتُ في الدار قالت تلك الزوجة الملعونة لي: أُبشّرك بخبر هام، فقلت: وما هو؟ فقالت وهي تُظهر الفرح والسرور: إنّ جيش يزيد قد قتلوا ابن أبي تراب وحزّوا رأسه عن بدنه ورفعوه على الرماح، فتأسّفت لما سمعتُ منها ذلك ثمّ جلست باكية، فضحكت وسخرت منّي وقالت: ستبكين عليه كثيراً إذا رأيتيه تحت ذلك الطشت، فهرعت ورفعت

---

(١) البحار ج ٤٥ ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ط إيران.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٦٤.

الطشت فإذا رأس الحسين عليه السلام فلمّا رأيته صرختُ عالياً، وهي تضحك منّي وتؤلّمني أكثر بكلماتها التي كانت كالملح على الجروح، فلمّا سمع المختار ذلك أمر بإحضار المرأة الملعونة، فلمّا حضرت سألها عن اعتقادها، فقالت: إنّ أمير المؤمنين هو يزيد بن معاوية وأنّ الحسين قد خرج عليه، فقتله لذلك.

فقال المختار: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[١]، ثمّ أمر بقطع لسانها وأعضائها ثمّ أحرقها في النار، ووهب لهذه المرأة الصالحة خمسمائة دينار، وأعطاها عبدالله بن كامل خمسمائة درهم، وأعطاها غلام المختار المخلص (خيّر) مائة درهم وهكذا أعطاها كلّ مَن حضر ذلك المجلس شيئاً وعادت إلى منزلها فرحة[٢].

وفي اليوم الثاني أرسل المختار على خولي، فلمّا حضر عنده قال له: أمسلم أم كافر أنت؟ فقال: بل مسلم، فقال المختار: أيّها الملعون أين تجد في الإسلام جواز قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله والطواف برأسه في البلدان وإيجاد هذه الفتنة وإثارة مثل هذه المصيبة التي ضجّت الأرض والسماء لها؟ فقال خولي: إنّ كثيراً مثلي مَن فعل ذلك. فقال المختار: كلّكم لستم بمسلمين.

وذكر أبو مخنف في مقتله أنّ المختار سأل خولي ما صنعتَ يوم كربلاء؟ فقال: بعد قتل الحسين ذهبت إلى خيامه فرأيت علي بن الحسين مريضاً نائماً على فراشه فسرقت متاعه وفراشه من تحته ثمّ أخذت مقنعة وأقراط بنت الإمام الحسين، فلمّا سمع المختار ذلك بكىٰ ثمّ قال له: وما قالت لك؟ قال خولي:

---

(١) آل عمران: ٨.

(٢) ناسخ التواريخ ج٤، ص١٢٥، ط: المكتبة الإسلامية ١٣٣٦ فارسي.

أقول: ورأيت في مدينة المعاجز أنّ كلا المرأتين كانتا صالحتين، ص٢٤٨ ط حجري، والله العالم /المترجم.

قالت لي وهي تصرخ: قطع الله يديك ورجليك وأذاقك نار الدُّنيا قبل نار الآخرة.

فقال المختار: لقد استجاب الله دعاءها، فأمر بقطع يديه أوّلاً ثمّ أمر بقطع رأسه وألقاه في النار[1].

القبض على مُرّة بن منقذ قاتل عليّ الأكبر عليه السلام

ثمّ جاءت الأخبار للمختار أنّ مُرّة بن منقذ العبدي من قبيلة عبد القيس قاتل علي الأكبر ابن الإمام الحسين عليه السلام وهو مختبئ في داره، فبعث إليه رجاله وكان ـ مُرّة ـ رجلاً شجاعاً وشيخاً كبيراً فأحاطوا بداره فخرج وبيده الرمح وهو على فرس جواد فطعن عبيدالله بن ناجية الشبامي فصرعه ولم تضرّه الطعنة، وضربه عبدالله بن كامل بالسيف فاتّقاها بيده اليسرى فأشرع فيها السيف وتمطّرت به الفرس فأفلت ولحق بمصعب في البصرة بعدما شلّت يده[2].

وذكر صاحب ناسخ التواريخ ـ لسان الملك سپهر ـ أنّ سعر بن أبي سعر ألقى القبض على مرّة بن منقذ وجاء به إلى المختار فقال له: أيّها الملعون أنت الذي قتلت علي بن الحسين؟ فقال: لم أكن لوحدي بل كان معي ألف رجل، فقال له المختار: إن لم يكن معك أولئك الألف أكنت تستطيع قتله؟ ثمّ أمر بقطع لسانه من آخره ثمّ سمل عينيه وقطع شفتيه ثمّ قطعوا رأسه عن بدنه وألقوه في

---

(١) مقتل أبي مخنف ص٩٢، ط دار البصري بغداد (عام ١٩٦٧م).

(٢) البحار ج٤٥ ص٣٧٥ وتاريخ الطبري ج٣ ص٤٦٦.

أقول: ذكر الخوارزمي في مقتل الحسين ج٢ ص٢٣٦ أنّهم قتلوا مُرة بن منقذ في تلك المعركة /المترجم.

النار والله العالم بحقائق الأمور[١].

قتل زيد بن رُقاد قاتل عبدالله بن مسلم بن عقيل

ثمّ بعث المختار عبدالله بن كامل إلى زيد (يزيد) بن رقاد وكان يقول: رميته -أي لعبدالله بن مسلم- بسهم فاتّقاه بيده، فشك يده إلى جبهته فأثبته بعدما مات فما قدرت والله أن أنزع سهمي من جبهته، فتركته مثبتاً فيها، ونُقل أنّ عبدالله بن مسلم لمّا ضرب بهذا السهم قال: اللّهمّ إنّهم استقلّونا واستذلّونا، اللّهمّ فاقتلهم كما قتلونا، وحاول نزع السم ولكن دون جدوى فرماه زيد (يزيد) بن الرقاد بسهم آخر في بطنه وكان سبباً لاستشهاده.

فلمّا أحاط عبدالله بن كامل بدار زيد بن الرقّاد خرج شاهراً سيفه فقال عبدالله بن كامل لأصحابه لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكن ارشقوه بالسهام كما رمى ابن عمّ رسول الله ﷺ، فرشقوه بالسهام والحجارة حتّى سقط، فأمر عبدالله بنار فأحرقوه بها وهو حيّ[٢].

وذكر لسان الملك سپهر: أنّ أصحاب عبدالله بن كامل ألقوا القبض على زيد بن الرقّاد وجاءوا به عند المختار فسأله عن فعله يوم الطف وكيفيّة قتله لعبدالله بن مسلم؟ فقال: رميته بسهم أصاب عينه وخرج من قفاه، فأمر المختار أن يُرمى بنفس الطريقة، فرموه في عينه وخرج السهم من رأسه من القفا وقال له الناس: ذق أيّها الملعون فهذه مكافأتك ثمّ رشقوه بالسهام حتّى سقط ومات[٣].

---

(١) ناسخ التواريخ ج ٤، ص ١٢٥، ط: المكتبة الإسلامية (١٣٣٦).

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٦ وانظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٦٦.

(٣) ناسخ التواريخ: ج ٤، ص ١٢٥، ط: المكتبة الإسلامية (١٣٣٦).

قتل سنان بن أنس

وهرب سنان بن أنس إلى البصرة، فعلم المختار بفراره فأمر بهدم داره ثمّ خرج سنان من البصرة نحو القادسية وكان عليه عيون فأخبروا المختار بذلك فأرسل إليه رجاله فأخذوه بين العُذيب والقادسية، فقطع أنامله ثمّ يديه ورجليه وأغلى زيتاً في قدر ورماه فيها كما ذكره العلّامة المجلسي في بحاره في رسالة شرح الثأر لابن نما[١].

قتل حرملة بن كاهل قاتل عبدالله الرضيع

وأُخبر المختار أنّ حرملة بن كاهل مع جماعة من قتلة الحسين يختبؤون في داره فأرسل إليهم جماعة من رجاله فألقوا القبض عليه ـ على حرملة ـ فخرج المختار إليه وفي الطريق التقى مع المنهال، يقول الأخير: وقدمتُ الكوفة والمختار بها فركبت إليه فلقيته خارجاً من داره فقال: يا منهال لم تشركنا في ولايتنا هذه؟ فعرّفته أنّي كنت بمكّة فمشىٰ حتّى أتى الكناس، ووقف كأنّه ينتظر شيئاً فلم يلبث أن جاء قوم قالوا: أبشر أيّها الأمير فقد أُخذ حرملة فجيئ به، فقال: لعنك الله الحمد لله الذي أمكنني منك الجزّار.. الجزّار فأُتي بجزّار فأمره بقطع يديه ورجليه ثمّ قال: النار النار فأُتي بنار وقصب فأُحرق.

فقلت: سبحان الله سبحان الله، فقال: إنّ التسبيح لحسن لِمَ سبّحت؟ فأخبرته إنّي دخلت على الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أُودّعه وأنا أريد الانصراف من مكّة فقال: يا منهال ما فعل حرملة بن كاهل؟ فقلت: إنّه حيّ

---

(١) البحار ج٤٥ ص٣٧٥، وأيضاً مدينة المعاجز ص٢٤٢ ط الحجرية.

بالكوفة، فرفع يديه وقال: اللّهمَّ أذقه حرّ النار، اللّهمَّ أذقه حرّ الحديد، فلمّا سمع المختار ذلك وقال أنت سمعت هذا؟ قلت: نعم، فنزل عن دابّته وصلّى ركعتين وأطال السجود وركب وسار فحاذىٰ داري فعزمت عليه بالنزول والتحرم بطعامي فقال: إنّ عليّ بن الحسين دعا بدعوات فأجابه الله على يدي ثمّ تدعوني إلى الطعام؟ هذا يوم صوم شكراً لله تعالى، فقلت: أحسن الله توفيقك(١).

قتل محمّد بن الأشعث

وأنفذ المختار إلى محمّد بن الأشعث بن قيس وقد انهزم إلى قصر له في قرية إلى جنب القادسية فقال لهم: انطلقوا فإنّكم تجدونه لاهياً متصدّياً أو قائماً متبلداً أو خائفاً متلدّداً أو كامناً متعمّداً، فلمّا أحاطوا بالقصر وله بابان فخرج محمّد بن الأشعث من الباب الثاني وانطلق فارّاً إلى مصعب بن الزبير في البصرة فهُدم داره وأُخذ ما كان فيها.

وذكر الطبري في تاريخه: إنّ مصعب بن الزبير جعل محمّد بن الأشعث على أهل الكوفة ـ شراذم الكوفة ـ حينما تقدّم مصعب لمحاربة المختار، فدارت الحرب بين الفريقين بشدّة كأنّها أيّام صفّين، حتّى وثب خمسون رجلاً من رجال عبدالله بن كامل وذلك عند المساء فكرّ على أصحاب محمّد بن الأشعث فقُتل محمّد بن الأشعث مع عامّة أصحابه(٢)، فذاق جزاءه أخيراً وهو مفاد قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(٣).

---

(١) البحار ج٤٥ ص٣٧٥ ط ايران.

(٢) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٨٦ ـ ٤٨٧.

(٣) الشعراء: ٢٢٧.

قتل بجدل بن سليم

ولم تطل المدّة كثيراً حتّى جاءوا ببجدل بن سليم عند المختار، وكان بجدل قد قطع اصبع الحسين عليه السلام وسرق خاتمه، فأمر المختار بقطع يديه أوّلاً ثمّ رجليه ثمّ تُرك على هذه الحالة فلم يزل ينزف حتّى مات والتحق بالجحيم(١).

قتل إسحاق بن الأشعث

وهو من جملة الأشقياء والملعونين، فهو أوّل من جرح بدن الإمام الحسين، وقد نال جزاءه العادل على يد المختار رحمه الله.

قتل أبي خليق الشاعر

ومن جملة الذين أمر المختار بقتلهم أبو خليق الشاعر وكان هذا الرجل حاضراً في كربلاء يسجّل ويدوّن وقائع الحرب، فكان كلّما قُتل أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أو إخوته وأولاده، يكتب اسم القاتل ويمدحه ويضفي عليه الألقاب الرنّانة، فلمّا طلبه المختار قال له: قص لنا ما حدث في كربلاء، فقال: أيّها الأمير أعطني الأمان؟ فقال له ـ توريةً ـ: أنا لا أقتلك، فقام أبو خليق وحدّثهم بما جرىٰ والمختار ومَن معه يبكون فلمّا انتهىٰ قال له المختار: لقد أعطيتك الأمان ولا أقتلك بنفسي أبداً ولكن آمل أن تنال جزاءك سريعاً، بعدها خرج أبو خليق من المجلس فأرسل عبدالله بن كامل غلامه خلفه وقال له أُقتله أينما سنحت لك الفرصة، فتعقّبه الغلام حتّى إذا وصل أبو خليق إلى السوق شهر الغلام سيفه ونال منه وقطّعه إرباً إرباً.

---

(١) البحار ج ٤٥ ص٣٧٦ ط إيران.

قتل أربعين رجلاً من قتلة الإمام الحسين عليه السلام

ذُكر في مشكاة الأدب للناصري أنّ جهيم بن سليمان الخبّاز كان من الشيعة جاء إلى عبدالله بن كامل وطلب منه الإذن في دخوله على المختار والخلوة به فأذِن الأخير له، فلمّا مثُل بين يديه قال: أنا أعمل خبّاز ولي جار عندهم جارية جميلة أحببتها وأحبّتني ودعتني إلى نفسها مراراً إلّا أنّي إلى اليوم لم أعص الله تعالى في ذلك ولم أذهب معها، وكانت تجيئني كلّ يوم وتشتري منّي خبزاً كثيراً فتعجّبت من أمرها، فسألتها ذات يوم وقلت لها: إذا أخبرتيني لمن تأخذين كلّ هذا الخبز اشتريتك من مولاك وأعتقتك وتزوّجتك، فقالت: لقد جاء إلى بيت مولاي (٤١) شخصاً ممّن اشتركوا في قتل الحسين عليه السلام واختبأوا عنده وهم عازمون على المسير إلى البصرة، وهذا الخبز لهم، فلمّا سمع المختار ذلك أعطى للخبّاز ألف درهم ثمّ أرسل عبدالله بن كامل وأبا عمرة الحاجب وسعر بن أبي سعر وغلامه (خيّر) مع مجموعة من الرجال إلى ذلك البيت، فأحاطوا به من كلّ جانب، وشعر مَن في الدار بقدوم رجال المختار إليهم، فقاموا وقتلوا صاحب الدار أوّلاً وقطعوه إرباً إرباً وبينما هم في ذلك إذ هجم عليهم رجال المختار وقتلوهم إلى آخرهم ورفعوا رؤوسهم على الرماح وجاءوا إلى المختار، ففرح كثيراً وقسّم ألف درهم على الفقراء تعبيراً لشكره لله تعالىٰ، وكان من جملة هؤلاء القتلة عروة بن عبد الصمد، وحبّاب بن عمرو الحضرمي، وعمر بن أصيل، وعمر بن قرطة، وسعد بن حنظلة، وقد عُرف كلّ واحد من هؤلاء بقساوة القلب والغلظة والجفاف في يوم كربلاء.

قتل قيس بن حفص الشيباني

وفي هذه الأثناء قيل للمختار أنّ قيس بن حفص خرج على حمار له وهو يرتدي ملابس النساء يريد البصرة، فأرسل عبدالله بن كامل رجاله إليه، فقبضوا عليه في الطريق وشدّوا يديه وأحضروه أمام الناس وهو على هيئة النساء فأمر المختار أن يُقتل على هذه الحالة.

قتل ٤٢٠ رجلاً ممّن اشترك في قتل الإمام المظلوم عليه السلام

وفي هذه الأثناء دخل أبو عمرة الحاجب على المختار وأخبره أنّ رجلاً يريد الخلوة به، فأمر بدخوله بعدما اختلىٰ به فقال الرجل للمختار: أنا رجل لديَّ بستان خارج الكوفة في الطريق المؤدّية إلى البصرة وهي تبعد عن الكوفة فرسخ واحد، ويأتي في البستان كلّ يوم مجموعة كبيرة من قتلة الإمام الحسين عليه السلام فراراً من الكوفة وهم يعزمون على السفر إلى البصرة ليلاً، وقد بلغوا أربعمائة وعشرين رجلاً، فلمّا سمع المختار ذلك أمر إبراهيم الأشتر وعبدالله بن كامل وأبو عمرة الحاجب وغلامه خيّر بالتوجّه إلى بستان الرجل وقتل هؤلاء معزّزين بألف فارس، فلمّا وصلوا إلى البستان حاصروه من جميع الجهات ثمّ دخلوا عليهم وهم ينادون يالثارات الحسين، ودارت الحرب بينهم إلّا انّها انتهت بسرعة بعدما قتل أصحاب المختار جميع أولئك القتلة وحزّوا رؤوسهم عن أبدانهم وحملوها معهم إلى الكوفة وسرَّ المختار سروراً بالغاً.

إحصاء الذين قتلهم المختار

وهكذا كانت الأخبار تأتي المختار عن وجود بعض قتلة الحسين عليه السلام هنا وهناك فكان يأمر بقتلهم أينما وجدوا، طالباً بثأر الإمام المظلوم في كربلاء حتّى مضىٰ عليه (١٨) شهراً وهي فترة إمارته التي ابتدأت من ١٤ ربيع الأوّل عام ٦٦هـ وانتهت في ١٥ رمضان عام ٦٧هـ كما ذكره العلّامة المجلسي في البحار نقلاً عن رسالة شرح الثأر للشيخ ابن نما طيّب الله رمسه[١]، وكان عدد المقتولين بسيفه ثمانية عشر ألف من كبار وزعماء الذين قتلوا السبط الشهيد في كربلاء[٢].

وذكر صاحب روضة الصفا أنّ عدد المقتولين بأمر المختار ممّن قتلوا الحسين عليه السلام كانوا ثمانية وأربعين ألف وخمسمائة وستّين شخصاً.

وقد قُتل بقيّة الذين اشتركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام في حروراء مع محمّد بن الأشعث عندما أرسلهم مصعب بن الزبير لحرب ابن الأشتر عدا شخصين مهمّين كانا قد قادا الجيوش الجرّارة لقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وهما:

١ ـ عبيدالله بن زياد، وأُمّه مرجانة من ذوات الرايات، كان عبيدالله في الشام من أتباع عبد الملك حينما انتقم المختار من قتلة الحسين عليه السلام.

٢ ـ عمر بن سعد بن أبي وقّاص، وهو زوج أُخت المختار، وقد أعطاه المختار أماناً في بادئ إمارته نظراً للمصلحة العليا التي فرضتها طبيعة الأحداث آنذاك، لاسيّما بعدما التمس عبدالله بن جعدة بن هبيرة (وهو زوج أخت أمير المؤمنين عليّ عليه السلام) من المختار ذلك.

فكان عمر بن سعد وابنه يأتيان مجلس المختار كلّ يوم ويجلسان عنده

---

(١) البحار ج ٤٥ ص ٣٥٤ وص ٣٨٦ ط ايران.

(٢) المصدر نفسه ٣٨٦.

بكلّ عزّة وأمان، حتّى وصل الخبر إلى محمّد بن الحنفية فأرسل إلى المختار معاتباً له على مجالسته عمر بن سعد وتأخير قتله.

فلمّا طلب عبدالله بن كامل أماناً من المختار لإسحاق بن الأشعث على غرار أمان ابن سعد اعتذر المختار منه وأوضح له أنّه لم يعط ابن سعد أيّ أمان وإنّما مجرّد مداراة وتكتيك وسوف ينزل به القصاص العادل قريباً.

شقاوة عمر بن سعد وحكاية الراهب

١ ـ على الرغم من أنّ عمر بن سعد ينتسب إلى قريش القبيلة العريقة في العرب وأنّ والده هو سعد بن أبي وقّاص إلّا أنّ ذلك لم يمنع من انزلاقه وانحرافه ليصبح في نهاية الأمر من الأشقياء.

٢ ـ وعلى الرغم من أنّ أصحابه ورفاقه والمقرّبين منه نصحوه بعدم الإقدام على مقاتلة الحسين بن علي عليهما السلام وأوضحوا له حرمة ذلك بالدلائل الساطعة إلّا أنّه أقدم على محاربة الإمام الحسين عليه السلام بكلّ اختياره.

وكان من جملة الذين حذّروا عمر بن سعد من ارتكاب هذه الجريمة شخص يدعى كامل وكان صديقاً لعمر بن سعد فقال له: إنّي أُحدّثك بحديثٍ صحيح أرجو لك فيه النجاة إن وفّقت لقبوله، إعلم أنّي سافرت مع أبيك سعد ابن أبي وقّاص إلى الشام فانقطعت بي مطيتي عن أصحابي وتهت وعطشت فلاح لي دير راهب فملتُ إليه ونزلت عن فرسي وأتيت إلى باب الدير لأشرب ماء فأشرف عَليّ راهب من ذلك الدير وقال: ما تريد؟ فقلت له: إنّي عطشان، فقال لي: أنت من أُمّة هذا النبي الذين يقتل بعضهم بعضاً على حبّ الدنيا مكالبة ويتنافسون فيها على حطامها؟ فقلت له: من الأُمّة المرحومة أمّة محمّد صلى الله عليه وآله،

فقال: إنّكم شرّ أُمّة فالويل لكم يوم القيامة وقد سدّدتم إلى عترة نبيّكم فقتلتموهم وشردّتموهم وأنّي أجد في كتبنا أنّكم تقتلون ابن بنت نبيّكم وتسبون نسائه وتنهبون أمواله، فقلت له: ياراهب نحن نفعل ذلك؟ قال: نعم، إنّكم إذا فعلتم ذلك ضجّت السماوات والأرضون والبحار والجبال والبراري والقفار والأطيار باللعنة على قاتله ثمّ لا يلبث قاتله في الدُّنيا إلّا قليلاً ثمّ يظهر رجل يطلب بثأره لا يدع أحداً شرك في أمره بسوء إلّا قتله وعجّل الله بروحه إلى النار وأنّي لأرى له قرابة من قاتل هذا الابن الطيّب والله لو أنّي أدركت أيّامه لوقيته بنفسي من حرّ السيوف، فقلت: ياراهب إنّي أُعيذ نفسي أن أكون ممّن يقاتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: إن لم تكن فرجل قريب منك بسببٍ أو نسب، وإنّ قاتله عليه نصف عذاب أهل النار وأنّ عذابه أشدّ عذاباً من عذاب فرعون وهامان، ثمّ ردم الباب في وجهي ودخل يعبد الله تعالى وأبى أن يسقيني الماء فركبت فرسي ولحقت أصحابي فقال لي سعد: ما أبطأك عنّا يا كامل؟ فحدّثته بما سمعته من الراهب، فقال لي: صدقت، ثمّ إنّ سعداً أخبرني أنّه نزل بدير هذا الراهب مرّة من قبلي فأخبره أنّه الرجل الذي يقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فخاف أبوك سعد من ذلك وخشى أن تكون أنت قاتله فأبعدك عنه وأقصاك فاحذر يا عمر أن تخرج عليه فإن خرجت عليه يكون عليك نصف عذاب أهل النار..[١].

وكلّ هذه النصائح والاخبارات لم تجد لها طريقاً إلى قلب عمر الخبيث «ولا يزيد الظالمين إلّا خساراً».

---

(١) مدينة المعاجز ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ ضمن معاجز الإمام الحسين عليه السلام، ط حجري.
أقول: وتتمّة الخبر أنّ ابن زياد أرسل على كامل فقطع لسانه فعاش يوماً أو بعض يوم ومات رحمه الله / المترجم.

وبعد سماعه لهذا الكلام أنشد عمر:

فـوالله مـا أدري وانّـي لحـائر
أفكّـر فـي أمـري عـلى خـطرين
أأتـرك مـلك الري والري مـنيتي
أم أرجع مأثـوماً بـقتل حـسين؟
وفي قتله النـار التـي ليس دونـها
حـجاب ومـلك الري قـرّة عـيني
حسين ابن عمّي والحوادث جمّة
لعـمري ولي فـي الري قـرّة عينِ
وإنّ إلٰـه العـرش يـغفر زلّـتي
ولو كـنت فـيها أظـلم الثـقلين
ألا إنّـما الدُّنـيا لخـير مـعجّل
ومـا عـاقل بـاع الوجـود بـدين
يـقولون إنّ الله خـالق جـنّة
ونـارٍ وتـعذيبٍ وغـلّ يـدين
فـإن صـدقوا فيما يقولون إنّني
أتـوب إلى الرحـمٰن مـن سنتينِ
وإن كـذبوا فـزنا بـدنيا عـظيمة
ومـلك عـقيم دائـم الحـجلين[1]

---

(١) قمقام زخار ـ فارسي ـ فرهاد ميرزا معتمد الدولة ص٣٦٨.

إخبار أمير المؤمنين عليّ بشقاوة عمر بن سعد

٣ ـ ومضافاً لما تقدّم من إخبار ونصائح (في شقاوة ابن سعد) قُدّمت لعمر ابن سعد لعنه الله في تحذيره من قتله الحسينعليه السلام، فقد سبق أمير المؤمنين عليعليه السلام كلّ ذلك حينما كان طريحاً في فراش الموت وأخبر سعد بن أبي وقّاص بذلك فقد ذكر الصدوق (طيّب الله رمسه) في أماليه والمفسّر الخبير السيّد هاشم البحراني في مدينة المعاجز مسنداً عن الأصبغ بن نباتة قال: بينا أمير المؤمنينعليه السلام يخطب الناس وهو يقول: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء يكون إلّا نبأتكم به، فقام إليه سعد بن أبي وقّاص فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال: أما والله لقد سألتني عن مسألة حدّثني خليلي رسول اللهصلى الله عليه وآله إنّك ستسألني عنها وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلّا وفي أصلها شيطان جالس وأنّ في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني، وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه[1].

وقد ذكر هذا الخبر بقليل من التفاوت ابن الأثير في الكامل وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص[2] عن ابن سيرين وهو من كبار علماء أهل السنّة بقوله: وقد ظهرت كرامات علي بن أبي طالبعليه السلام في هذا: فإنّه لقي عمر بن سعد يوماً وهو شاب فقال: ويحك ياابن سعد كيف بك إذا قمت يوماً مقاماً تُخيّر فيه بين الجنّة والنار فتختار النار؟

٤ ـ ومن دلائل شقاوة ابن سعد لعنه الله ما ذكره ابن الجوزي في التذكرة نقلاً عن الشعبي أنّه قال: كان سعد به أبي وقّاص صاحب فراسة وكرامة فقد ذكر

---

(١) مدينة المعاجز للبحراني ص ١٢١ ط حجري.

(٢) تذكرة الخواص ص ٢٢٣ تحت عنوان «وصول الحسين إلى العراق» الباب ٩.

مسلم بن الحجّاج في صحيفة أنّ سعداً رأى راكباً مقبلاً من بعيد وكان الراكب هو ابنه عمر فقال: أعوذ بالله من شرّ هذا الراكب. فلمّا وصل وسلّم عليهم قال لأبيه: إنّ القوم اجتمعوا وتنازعوا على الملك وأنت هنا في الصحراء فضرب سعد في صدره وقال له: مه أو اسكت، سمعت رسول اللهﷺ يقول إنّ الله يحبّ العبد الغني التقي الخفي. ثمّ يعلّق الشعبيّ على فراسة سعد في تعوّذه من شرّ ابنه عمر؛ فقد قتَل الحسينعليه السلام وأهل بيته.

لقاء الإمام الحسينعليه السلام بعمر بن سعد

وحاول الإمام الحسينعليه السلام أن يلقي آخر الحجج على عمر بن سعد كما ذكر ذلك صاحب كتاب قمقام زخار ومصائب الأبرار وغيرهما أنّ الحسينعليه السلام أرسل إلى عمر بن سعد إنّي أريد أن أكلّمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك فخرج إليه عمر بن سعد في عشرين فارساً والحسينعليه السلام في مثل ذلك ولمّا التقيا أمر الحسينعليه السلام أصحابه فتنحّوا عنه وبقي معه أخوه العبّاس وابنه علي الأكبر وأمر ابن سعد أصحابه فتنحّوا وبقي معه ابنه حفص وغلامه، فقال الحسينعليه السلام له؛ ويحك أما تتّقي الله الذي إليه معادك؟ أتقاتلني وأنا ابن مَن علمتَ؟ يا هذا ذر هؤلاء القوم وكن معي فإنّه أقرب لك من الله، فقال عمر: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز، فقال: لي عيال أخاف عليهم، فقالعليه السلام: أنا أضمن سلامتهم، فسكت ولم يجبه عن ذلك حتّى انصرف عنه الحسينعليه السلام وهو يقول: ما لك ذبحك الله على فراشك سريعاً عاجلاً ولا غفر لك يوم حشرك ونشرك فوالله إنّي لأرجو أن لا تأكل من برّ العراق إلّا يسيراً فقال عمر لعنه الله ـ مستهزءاً: يا أبا عبدالله في الشعير عوض عن البر[1].

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٢٤٥ الفصل ١١، وقمقام زخار ـ فارسي ـ

وقد روي أنّ عمر لعنه الله لمّا عاد من كربلاء أُبتلي بمرض لم يقدر معه على تناول خبز الحنطة أبداً إلى أن قُتل.

دعاء الإمام الحسين عليه السلام على ابن سعد

وعلىٰ غرار هذا الدعاء، دعا الإمام الحسين عليه السلام على عمر بن سعد يوم عاشوراء وذلك عندما نزل ولده علي الأكبر إلى ساحة القتال فنادى الحسين عليه السلام بعمر بن سعد: مالكَ ـ يابن سعد ـ قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله ولا بارك الله لك في أمرك وسلّط عليك مَن يذبحك بعدي على فراشك[١].

وقد تحقّق هذا الدُّعاء وسلّط الله المختار الثقفي على عمر بن سعد فأمر بقتله على فراشه كما سأوضح ذلك.

المختار يأمل بقتل عمر بن سعد

ولمّا تجرّد المختار لقتل مَن اشترك في حرب وقتل الإمام الحسين عليه السلام حتّى أنّه كان يقول: لا يسوغ لي الطعام والشراب حتّى أُطهّر الأرض منهم..[٢].

كان عمر بن سعد يعلم علم اليقين أنّه أوّل المقصودين ولذلك عمد إلى عبدالله بن جعدة بن هبيرة المخزومي ـ وهو صهر أمير المؤمنين علي عليه السلام ـ طالباً منه التوسّط له عند المختار، وبالفعل فقد قبل المختار وساطة ابن جعدة وكتب أماناً لعمر بن سعد، وسبب قبوله لهذه الوساطة من جهتين:

← ص ٣٧٥ ط طهران ٢٠٠٠م.

(١) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٣٠.

(٢) البحار ج ٤٥ ص ٣٧٤ ط إيران.

أ ـ منزلة عبدالله بن جعدة باعتباره صهر أمير المؤمنين علي عليه السلام فلم يقدر على ردّه[١].

ب ـ إنّ طبيعة الأحداث السياسية يومئذٍ فرضت عليه تأجيل قتل عمر بن سعد كما قلتُ سابقاً.

ثمّ كتب له أماناً تضمّن إبهاماً في بعض عباراته ليجوز له قتله فيما بعد وعدم الالتزام بكتاب الأمان وهو ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمان المختار بن عبيد الثقفي لعمر بن سعد ابن أبي وقّاص إنّك آمن بأمان الله على نفسك وأهلك ومالك وولدك لا تؤاخذ بحدث كان منك قديماً ما سمعت وأطعت ولزمت منزلك، إلّا أن تحدث حدثاً، فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله فلا يعرض له إلّا بسبيل وخير والسلام[٢].

سؤال أحد الحاضرين: ما هو الإبهام في هذا الكلام الذي كتبه المختار لعمر بن سعد؟

الجواب: نعم، إنّه في قوله (إلّا أن يحدث حدثاً) وظاهرها أنّه في أمان ما لم يحدث أي تحرّك أو فتنة ضدّ المختار، وباطنها ما أضمره المختار في نفسه وهو: إلّا أن يحدث حدثاً أي يذهب إلى بيت الخلاء، لأنّ الحدث في العربية على معنيين:

أ ـ الحدث الأصغر، وهو يعني خروج الريح من الموضع المعتاد.

ب ـ الحدث الأكبر، وهو يعني الجنابة.

---

(١) أقول: قال الطبري: وكان عبدالله بن جعدة بن هبيرة أكرم خلق الله على المختار لقرابته بعلي عليه السلام. ج٣ ص٤٦٤ / المترجم.

(٢) المصدر السابق ص٣٧٨ وتاريخ الطبري ج٣ ص٤٦٤.

وكان المختار قد قصد ذلك أي أحد هذه المعاني، بينما فهم عمر بن سعد المعنى الظاهري للعبارة، فذهب مسروراً إلى بيته، إلّا أنّ أهل الباطن والعلم أدركوا مرام المختار جيّداً كالطبري[١] وابن الأثير في الكامل فكان عمر بن سعد يتردّد إلى مجلس المختار بواسطة هذا الأمان إلى أن جاء اليوم الذي قُتل فيه عبدالله بن كامل وهو من خلّص أصحاب المختار والمقرّبين عنده، فخشىٰ عمر من غضب المختار فأخفىٰ نفسه في دار يحيىٰ بن جعدة ـ وهو ابن أُخت أمير المؤمنين عليه السلام ـ فطرده يحيىٰ من منزله وشتمه ولعنه فرجع عمر إلى منزله وأرسل زوجته ـ وهي أُخت المختار ـ إلى المختار لتستطلع له الأخبار، إلّا أنّها لم ترجع إليه، إلى أن جلس المختار يوماً في مجلسه العام وقال: لأقتلنّ غداً رجلاً عظيم القدمين غائر العينين مترف ـ مشرف ـ الحاجبين، يسرّ مقتله المؤمنين والملائكة المقرّبين[٢].

فكان الهيثم بن الأسود عند المختار وسمع هذه المقالة فوقع في نفسه أنّ الذي يريده المختار هو عمر بن سعد، فلمّا رجع إلى منزله أرسل ابنه العُريان إلى ابن سعد فأخبره بما حصل وقال له: خذ حذرك فإنّه لا يريد غيرك، فقال له عمر بن سعد: جزى الله أباك والإخاء خيراً، كيف يريد هذا بي بعد الذي أعطاني من العهود والمواثيق[٣]؟

فلمّا ذهب عنه العُريان خرج عمر بن سعد من منزله وأتىٰ رجلاً من بني تيم اسمه مالك وكان شجاعاً وأعطاه أربعمائة دينار، وقال: هذه معك لحوائجنا

---

(١) قال الطبري في تاريخه: قال أبو جعفر محمّد بن علي ـ أي الباقر ـ: أمّا أمان المختار لعمر بن سعد إلّا أن يحدث حدثاً: فإنّه كان يريد به إذا دخل الخلا فأحدث /ج٣ ص٤٦٤ ومثله في بحار الأنوار ج٤٥ ص٣٧٨ / المترجم.

(٢) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٦٤.

(٣) المصدر نفسه.

وخرجا، فلمّا كان عند (حمّام) أو (نهر عبد الرحمٰن) وقف وقال لمالك أتدري لِمَ خرجتُ؟ قال: لا، قال: خفت المختار، فقال مالك: إن هربت هدم ـ المختار ـ دارك وانتهب عيالك ومالك وخرّب ضياعك وأنت أعزّ العرب[١] وأي حدث أعظم ممّا صنعت[٢]؟ فاغترّ بكلامه وعاد إلى منزله في الغداة فأصبح المختار في مجلسه وعنده حفص بن عمر بن سعد فقال له المختار: أين أبوك؟ قال: في المنزل، وهو يقول أتفي لنا بالأمان؟ قال: اجلس وطلب المختار أبا عمرة وهو كيسان التمّار فأسرَّ إليه أن اقتل عمر بن سعد وإذا دخلت ورأيته يقول: يا غلام عليَّ بطيلساني فإنّه يريد السيف فبادره واقتله، فذهب إليه أبو عمرة مع رجاله فلمّا رآهم عمر انقبض فقال له أبو عمرة: أجب الأمير، فقال عمر: يا غلام عَليَّ بطيلساني فبادره أبو عمرة وقتله على فراشه، وجاء برأسه إلى المختار وعنده ابنه حفص فقال له المختار: أتعرف هذا الرأس؟ فاسترجع وقال: نعم، ولا خير في العيش بعده، فقال المختار: إنّك لا تعيش بعده فأمر بقتله. ثمّ قال المختار وهو يشير إلى رأس عمر بن سعد: عمر بالحسين وحفص بعلي بن الحسين ولا سواء، والله لو قتلت ـ لأقتلنّ ـ سبعين ألفاً كما قُتل بيحيى بن زكريا عليه السلام وقيل: إنّه قال: لو قتلت ثلاثة أرباع قريش لما وفوا بأنملة من أنامل الحسين عليه السلام[٣].

وهذا التصريح والعمل أدلّ دليل على إخلاص المختار ونزاهة ثورته فإنّه قتل زوج أُخته من أجل الله تعالى وإرضاءاً لرسول الله وأهل بيته صلى الله عليه وآله ولم تمنعه المصاهرة وأواصر العلاقة من إنزال القصاص العادل بالمجرمين حتّى قيل إنّه كان يقول: لو كان أبي حاضراً في كربلاء لما ترحّمت عليه!! ثمّ بعث بالرأسين

(١) البحار ج ٤٥ ص ٣٧٨ / المترجم.
(٢) الطبري ج ٣ ص ٤٦٤ / المترجم.
(٣) البحار ج ٤٥ ص ٣٧٩، والطبري ج ٣ ص ٤٦٥ / المترجم.

إلى محمّد بن الحنفية وكان قد عتب عليه لتأخيره قتل عمر بن سعد، فبعثهما إليه فلمّا رآهما محمّد خرّ ساجداً ثمّ رفع يديه بالدُّعاء وقال: اللّهمَّ لا تنس هذا اليوم للمختار وأجزه عن أهل بيت نبيّك محمّد خير الجزاء[١].

قتال ابن الأشتر مع عبيدالله بن زياد

وبعد أن انتهى المختار من قتل الذين اشتركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام وفرّ منهم من فرّ إلى البصرة والتحق بمصعب، أمر ـ المختار ـ إبراهيم الأشتر أن يستعدّ لحرب المجرم الفظيع ألا وهو عبيدالله بن زياد، وكان على الموصل من قِبل عبدالملك بن مروان، فجهّز المختار جيشاً تعداده اثنى عشر ألف مقاتل وفي بعض الروايات عشرين ألف مقاتل وسار بهم إبراهيم نحو الموصل بعد أن قطع مراحل مهمّة في مسيره وهي المدائن والأنبار وتكريت، فنزل على نهر (الخازر) الذي يبعد أربعة[٢] أو خمسة فراسخ[٣] عن الموصل، لكي يعطي قسطاً من الراحة لجيشه فلمّا سمع عبيدالله بن زياد بالأمر سار إليهم مع ثلاث وثمانين ألف مقاتل وقيل بمائة ألف مقاتل حتّى وصل إلى نهر (الخازر) وعسكر بالقرب من جيش إبراهيم الأشتر، وذكر بعض المؤرِّخين أنّ ذلك كان في شهر صفر من عام ٦٧هـ وقال الشعبي: إنّه في يوم عاشوراء[٤].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ذكر ذلك العلّامة المجلسي في البحار ج ٤٥ ص ٣٣٤.

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٧٩.

(٤) أقول: ذكر الطبري في تأريخه ج ٣ ص ٤٧٥ أنّ ذلك كان في ثمان بقين من ذي الحجّة عام ٦٦هـ، وفي البحار: إنّ إبراهيم خرج لسبع خلون من المحرّم سنة ٦٧هـ / المترجم.

الحرب خدعة

ولمّا رأى إبراهيم الأشتر السيول البشرية التي قادها ابن زياد علم أنّه لا طاقة له بمقارعة كلّ هذا العدد الهائل، فأخذ يفكّر بحيلة ما يتدارك بها الموقف، وكما هو معلوم فإنّ الحرب خدعة والقائد الناجح هو الذي يستطيع أن يخدع عدوّه وينتصر عليه، وهكذا كان إبراهيم فقد دبَّر خدعة طريفة كما ذكرها مولانا فخر الدين علي الصفي المتوفي عام ٩٣٩هـ (ابن المرحوم الجليل الملّا حسين الكاشفي الواعظ المعروف في القرن التاسع الهجري صاحب تفسير المواهب العلّية) في كتابه لطايف الطوائف فقد أرسل إبراهيم الأشتر إلى أحد أقربائه وانفرد به دون علم أحد وشرح له خدعته التي سيستخدمها أثناء الحرب فطلب منه أن يجمع له أكبر عدد ممكن من الطيور (الحمام) البيضاء دون علم أحد فإذا رأى الإنكسار بادياً في جيش العراقيين (جيش ابن الأشتر) أطلق سراح هذه الطيور البيضاء في وسط المعركة دون أن يلتفت إليه أحد أي بطريقة ذكية.

وبالفعل فلمّا دارت رحى الحرب والتحم الجيشان وظهر الضعف في جيش ابن الأشتر صاح إبراهيم ـ وهو يقاتل ـ إنّي قرأتُ في الكتب السماوية أنّ الله ينصرنا بملائكة عصاب يرسلهم لنا على هيئة الطيور البيضاء، فلمّا سمع ذلك الرجل قول إبراهيم أخذ يطلق سراح هذه الطيور فلمّا نظر أصحاب إبراهيم إلى الطيور فوق رؤوسهم صدّقوا قوله وارتفعت معنوياتهم وازدادوا اعتقاداً وإيماناً بحربهم هذه ظنّاً منهم أنّ هذه الطيور هي الملائكة المرسَلة إليهم، فكبّروا الله ثمّ هجموا على العدوّ بكلّ قوّة وثقة ودفعوهم وقتلوهم وهزموهم شرّ هزيمة وقتلوا رئيسهم عبيدالله بن زياد عند نهر الخازر وانتصروا في نهاية أمرهم، انتهى[١].

---

(١) لطائف الطوائف ص ٨٤ بتصرّف.

من صوَر البطولة

قبل الحرب حاول إبراهيم الأشتر أن ينصح القوم ويردعهم عن القتال إلّا أنّهم رفضوا دعوته فوقف أمام جيشه خطيباً كما ذكره الطبري فقال:

يا أنصار الدين وشيعة الحقّ وشرطة الله، هذا عبيدالله بن مرجانة قاتل الحسين بن علي، ابن فاطمة بنت رسول الله، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه، وهم ينظرون إليه، ومَنَعه أن يأتي ابن عمّه فيصالحه، ومنعه أن ينصرف إلى رحله وأهله ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتّىٰ قتله وقتل أهل بيته، فوالله ما عمل فرعون بنجباء بني إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، قد جاءكم الله به، وجاءه بكم فوالله إنّي لأرجو ألا يكون الله جمع بينكم في هذا الموطن وبينه إلّا ليشفي صدوركم بسفك دمه على أيديكم، فقد علم الله أنّكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيّكم عليهم السلام[1]. فسار فيما بين الميمنة والميسرة وسار في الناس كلّهم فرغّبهم في الجهاد وحرّضهم على القتال ثمّ رجع حتّى نزل تحت رايته.

وقبل الحرب تقدّم عوف بن ضبعان الكلبي وهو من فرسان الشام بين المعسكرين ونادى بأعلى صوته:

يا شيعة المختار الكذّاب   يا شيعة ابن الأشتر المرتاب
أنا ابن ضبعان المفضل   من عصبة يبرء من دين علي
كذاك كانوا في الزمان الأوّل[2]

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص ٤٨٠.

(٢) أقول: في مقتل الخوارزمي: نادى ياشيعة آل أبي تراب، يا شيعة المختار ←

فبرز إليه الأحوص بن شدّاد من فرسان العراق وهو ينشد:

أنا ابن شدّاد على دين عليّ   لستُ لعثمان بن أروى بوليّ
لأصلين القوم فيمن يصطلي   بحرٍّ نار الحرب حتّى تنجلي

يقول الخوارزمي أبو المؤيّد موفّق بن أحمد المكّي في مقتله: إنّ ابن شدّاد أنشد:

أنا ابن شدّاد على دين عليّ   لستُ لمروان بن ليلى بوليّ
لأوقدنّ نارها في الجحفل   ثمّ أخوض النار حتّى تنجلي[١]

فقال له ابن ضبعان: يُقال لي منازل الأبطال، فقال له ابن شدّاد: وأنا مقرّب الآجال، ثمّ تلاحما فضربه ابن شدّاد ضربة أسقطته عن جواده إلى الأرض صريعاً وألحقه بالدرك الأسفل من النار، ثمّ نادى في القوم: يا قتلة الحسين هل من مبارز؟ فخرج إليه داود بن عروة الدمشقي مقنّعاً بالحديد وهو من الشجعان المعروفين في سوح القتال، خرج وهو يرتجز قائلاً:

أنا ابن مَن قاتل في صفّينا   قتال قرن لم يكن غبينا
بل كان فينا بطلاً حرونا   مجرّباً لدى الوغىٰ مكينا[٢]

فأجابه الأحوص بن شدّاد:

يابن الذي قاتل في صفّينا   ولم يكن في دينه غبينا

← الكذّاب، يا شيعة ابن الأشتر المرتاب.. ثمّ أنشد:

انّي ابن ضبعان الكريم المفضل   ليث النزال في مثار القسطل
من عصبة تبرأ من دين علي   كذاك كانوا في الزمان الأوّلِ

مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ / المترجم.

(١) المصدر نفسه ص ٢٣١.

(٢) أقول: هناك تفاوت يسير بين ما ذكره المؤلّف وما في مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٣١ فراجع / المترجم.

كـذبت مــن كـان بـها مغبونا مـــذبذباً فــي أمـره مــفتونا
لا يــعرف الحــقّ ولا اليــقينا بـؤساً له لقـد مـضىٰ مـلعونا[١]

ثمّ هجم عليه بقوّة وأنهى أمره بضربة واحدة أوصلته إلى الجحيم، ثمّ عاد الأحوص بن شدّاد إلى أصحابه ووقف تحت رايتهم فخرج من الجيش الشامي الحصين بن نمير وهو من جملة قتلة الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء، وأخذ يجول بين الصفوف بغرور وكبرياء وهو يقول:

يا قادة الكوفة أهـل المـنكر وشيعة المختار وابن الأشتر
هل فيكم قرن كريم العنصر مجرّب في بأسـه ذو مـفخر
يبرز نحوي عامداً لا يمتري

فبرز إليه شريك بن حزيم التغلبي وهو من أبطال العراق، وقد تأثّر من شعر الحصين وهجائه لأهل الكوفة وأجابه:

يا قاتل الشيخ الكبير العنصر بكربلاء يوم التـقاء العسكـر
أعني حسيناً ذا الثنا والمفخر وابن النبيّ الطـاهر المـطهّر
وابـن عـلي البـطل المـظفّر هذا فخذها من هزبر قسور
ضربة قوم ربعي مضر[٢]

ثمّ خاضا القتال بضربات متبادلة وقد ضرب أحدهما الآخر إلى أن استطاع شريك البطل العراقي أن ينهي القتال بضربة أسقط فيها خصمه صريعاً يـتلفّظ أنفاسه ثمّ التحق برفاقه في النار وذاق طعم العذاب بما قدّم وأخّر.

ودخل الخوف والرعب في قلوب أهل الشام لمّا شاهدوا فرسانهم صرعىٰ، وهنا تقدّم ابن الأشتر ووقف أمام طلائعه وخاطبهم ليشدّ من عزيمتهم: ألا يا شرطة الله، ألا يا شيعة الحقّ، ألا يـا أنـصار الدّيـن، قـاتلوا المـحلّين وأولاد

(١ و ٢) نفس المصدر والملاحظة السابقة / المترجم.

القاسطين، لا تطلبوا أثراً بعد عين، هذا عبيدالله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام.

ثمّ سلّ سفيه ووقف أمام جيش الشام وأنشد:

قد علمت مذحج علماً لا خطل   إنّي إذ القرن لقيني لاوكل
ولا جزوع عندها ولا نكل   أروّع مقداماً إذا النكس فشل
أضرب في القوم إذا جاء الأجل   وأعتلي رأس الطرماح البطل
بالذكر التبار حتى ينجدل[١]

وحمل أهل العراق بأجمعهم حملة رجل واحد وتطاعنوا بالرماح وتراموا بالسهام وإبراهيم يتقدّم ويخوض الغمار بين هذه الآلاف وحان وقت الصلاة فما صلّى القوم إلّا بالإيماء، وبدت علائم النصر تلوح فوق رؤوس أصحاب إبراهيم الذين يتبعونه كاتّباع الفصيل أثر أُمّه حتّى إذا كان وقت إصفرار الشمس انهزم أهل الشام هزيمة قبيحة وولّوا الأدبار وألقوا بأنفسهم في نهر الخازر حتّى قال الطبري: فكان من غرق أكثر ممّن قُتل[٢].

وأمّا عدد القتلىٰ في هذه الحرب، فقد ذكر الخوارزمي في مقتله: فأصبح أهل العراق وقد فُقِد منهم ثلاثة وسبعون رجلاً، وأصبح أهل الشام وهم عشرة آلاف رجل وثمانمائة رجل وعامّتهم جرحىٰ وقد فقد منهم سبعونْ ألفاً[٣]؟!!

وقال الشعبي: لم يفقد أهل الشام مثل ما فقدوه في صفّين ونهر الخازر من الرجال، لأنّ أهل العراق كانوا في كلا الحربين يقاتلون لله وفي الله ومن أجله.

---

(١) نفس المصدر والملاحظة السابقة / المترجم.

(٢) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٨٢.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٢٣٣.

أقول لقد ذُكر ص٢٧٥ أنّ جيش عبيدالله كان (٨٠/٠٠٠ أو ١٠٠/٠٠٠) فيكون (٧٠/٠٠٠) قد فُقد منهم بينما سقط (١٨٠٠) بين قتيل وجريح وعامّتهم جرحى / المترجم.

ولم يُذكر في التأريخ أنّ عشرين ألف مقاتل أو اثني عشر ألف، يواجهون ثمانين أو مائة ألف فارس، ثمّ يُقتل من هذه (المائة ألف) سبعون ألف رجلاً، ولكن ما حصل في واقعة نهر الخازر إنّما تجسيد للحقّ وللانتقام الإلهي من الذين رضوا أو اشتركوا بقتل الحسين عليه السلام وهو مفاد قوله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾[1].

وقد جاء في كتاب روضة الصفا أنّ جميع الذين قتلهم المختار (عدا المقتولين في الحروب) كانوا (٤٨,٥٦٠) بينما قتل إبراهيم مع جيشه سبعين ألفاً في حرب واحدة ولذلك تُعدّ هذه الواقعة من مناقب وفضائل إبراهيم الأشتر وستظلّ له على مدى التاريخ تشهد بها الأجيال لاسيّما قتل عبيدالله بن زياد.

قتل عبيدالله بن زياد

وقد استطاع إبراهيم بن مالك الأشتر أن ينزل القصاص العادل بعبيدالله بن زياد لعنه الله في هذه الحرب وهي إحدى مفاخره ومآثره وقد قصّ إبراهيم طريقة قتله لهذا اللعين فقال وهو يحدّث أصحابه بعد انتهاء الحرب: إنّي رأيت بعدما انكشف الناس طائفة منهم قد صبرت تقاتل فأقدمت عليهم وأقبل رجل آخر في كبكبه كأنّه بغل أقمر يغري الناس لا يدنو منه أحد إلّا صرعه، فدنا منّي فضربت يده فأبنتها وسقط على شاطئ نهر فسُرِقت[2] يداه وعربت رجلاه[3]

(١) البقرة: ٢٤٩.

(٢) سَرِقَ الشيء سَرَقاً: خفي، وانسرقت: ضعفت، والانسراق: الفتور والضعف / لسان العرب ج٦ ص٢٤٦ مادّة سرق / المترجم.

(٣) عَرْبَ: فسد وتورّم وتقيّح، المنجد في اللغة ط ٣٥ عام ١٩٩٦، ص٤٩٥ مادّة عرب / المترجم.

←

فقتلته وأظنّه ابن زياد فاطلبوه فجاء رجل فنزع خفّيه وتأمّله فإذا هو ابن زياد لعنه الله على ما وصف ابن الأشتر، فاجتزّ رأسه[١] فلمّا وضعوا رأسه بين يدي إبراهيم قال: الله أكبر وخرَّ ساجداً ورفع رأسه وهو يقول: الحمد لله الذي جعل قتله على يديّ[٢].

وقد ذكر المؤرّخ الطبري عن أبي مخنف نقلاً عن الفضيل بن خديج وهكذا الكامل لابن الأثير ذكروا أنّ إبراهيم: ضربه فقدّه نصفين، فذهبت رجلاه في المشرق ويداه في المغرب[٣].

ثمّ جاء غلام عبيدالله بن زياد فلمّا رآه على تلك الحال حلف بالله أنّه لا يأكل شحماً إلى نهاية حياته، وهرب إلى الشام، ثمّ أمر إبراهيم بحرق جسد عبيدالله بن زياد فاستوقدوا به طيلة ليلتهم[٤] بعدما حتزّوا رأسه واحتفظوا به.

إرسال رأس ابن زياد إلى المختار

بعدها أرسل إبراهيم برأس ابن زياد وبعض رؤوس قتلة الحسين عليه السلام مثل الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري وابن حوشب وغالب الباهلي وأبو الأشرس بن عبدالله وهو والي خراسان ورغاء بن عازب الأسدي وعبيدالله بن زهير السلمي وغيرهم.

وكتب اسم كلّ واحد في ورقة صغيرة وجعلها في رأسه ثمّ كتب للمختار

← أقول: ويحتمل أن يكون المعنى (شرّقت يداه وغرّبت رجلاه) أي في المشرق والمغرب كما ذكره الطبري والله العالم / المترجم.

(١) مقتل الخوارزمي ج٢ ص٢٣٤.

(٢) البحار ج٤٥ ص٣٣٥ والطبري ج٣ ص٤٨١.

(٣) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٨١.

(٤) البحار ج٤٥ ص٣٣٥.

قصّة حرب الخازر مفصّلاً وأرسل ذلك كلّه إلى المختار[١]، وكان الأخير ينتظر الخبر في المدائن وقد أخبر لمن حوله من أهل الكوفة أنّ الظفر والنصر حليف إبراهيم وعن قريب سيأتي خبر انتصاره كما ذكره الطبري وروضة الصفا، وبالفعل فقد أقبلت رؤوس المجرمين ورسالة النصر مع رسل إبراهيم فقال المختار: ألم أقل لكم ذلك، فاعتقد بعض جهّال الكوفة أنّ المختار يعلم الغيب وكان الشعبي يحاربهم ويصدّهم عن هذه العقيدة[٢]، ويقول لهم: يا قوم لا يفتنكم الشيطان ما ذلك إلّا فراسة مؤمن فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فراسة المؤمن لا تُخطئ[٣].

فلمّا وضعت الرؤوس أمام المختار قام فوطأ وجه ابن زياد بنعله، ثمّ رمى بها إلى مولى له وقال: اغسلها فإنّي وضعتها على وجه نجس كافر[٤] وعاد المختار إلى الكوفة ومعه الرؤوس تنيف على سبعين رأساً يقدمها رأس عبيدالله بن زياد[٥] ليراها أهل الكوفة ويفرحوا بقتل هؤلاء المجرمين كما فعل الملعون ابن زياد برؤوس أهل البيت وأصحابهم.

وذكر ابن الأثير في الكامل عن جامع الترمذي والعلّامة المجلسي في البحار: لمّا وضع رأس ابن زياد أمام المختار وهو يتغدّى انسابت حيّة بيضاء تخلّل الرؤوس حتّى دخلت في أنف ابن زياد وخرجت من أذنه ودخلت من أذنه وخرجت من أنفه[٦].

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٤.
(٢) أُنظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٨٠ والبحار ج ٤٥ ص ٣٣٥.
(٣) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥.
(٤) البحار ج ٤٥ ص ٣٣٥.
(٥) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٢٣٤.
(٦) البحار ج ٤٥ ص ٣٣٥.

إرسال رأس ابن زياد إلى ابن الحنفية

ثمّ بعث المختار رأس عبيدالله بن زياد مع رأس شرحبيل بن ذي الكلاع مع عبدالرحمن بن أبي عمير وعبدالله بن شداد الجشمي والسائب بن مالك إلى محمّدبن الحنفية بمكّة وكتب إليه برسالة مع ثلاثين ألف دينار، فلمّا وصلوا إلى محمّد بن الحنفية ووقعت عينه على رأس ابن زياد سجد لله شكراً ودعا للمختار ولإبراهيم قائلاً: جزاه الله ـ المختار ـ خير الجزاء فقد أدرك لنا ثأرنا ووجب حقّه على كلّ مَن ولده عبد المطّلب بن هاشم اللّهمَّ احفظ لإبراهيم بن الأشتر وانصره على الأعداء ووفّقه لما تحبّ وترضىٰ واغفر له في الآخرة والأولى.

وكان الإمام علي بن الحسين السجّادعليه السلام بمكّة في ذلك الحين، فبعث محمّد بن الحنفية رأس ابن زياد إليه، فقدموا بالكتاب والرؤوس إليه وهو يتغدّى فلمّا رآه سجد لله شكراً ثمّ رفع رأسه وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من عدوّي وجزى الله المختار خيراً، ثمّ قال: أُدخلتُ على ابن زياد لعنه الله وهو يتغدّى ورأس أبي بين يديه فقلتُ: اللّهمَّ لا تمتني حتّى تريني رأس ابن زياد وأنا أتغدّىٰ فالحمد لله الذي أجاب دعوتي[1].

وقد ذكر العلّامة المجلسيرحمه الله عن رجال الكشي مسنداً عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتّى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسينعليه السلام.

وروي عنه أيضاً: ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا رُئي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتّى قُتل عبيدالله بن زياد[2].

---

(١) البحار ج ٤٥ ص٣٣٦ وص٣٨٦.

(٢) البحار ج ٤٥ ص٣٨٦.

وقالت فاطمة بنت عليعليهما السلام : ما تحنأت امرأة منّا ولا أجالت في عينها مروداً ولا امتشطت حتّى بعث المختار رأس عبيدالله بن زياد[١].

ثمّ إنّ محمّد بن الحنفية قسّم المال في أهله وشيعته بمكّة والمدينة على أولاد المهاجرين والأنصار[٢].

سبب عداء المخالفين للمختار

لم يكن قصدي من نقل هذه الوقائع التاريخية حول انتقام المختار من قتلة أبي عبدالله هو السرد التأريخي المحض، وإنّما لتعلموا أنتم وهكذا القُرّاء الأعزّاء أنّ مخالفين الشيعة ممّن تعصف بهم الأهواء الأموية والانشداد إلى الجاهلية قد طعنوا في المختار وأساءوا فيه القول بل اتّهموه بأنواع التهم بسبب انتقامه من المجرمين وعليه عليكم أن تعلموا أنّ عادة المنحرفين وأرباب الأباطيل والأكاذيب يبغضون كلّ مَن قام بالسيف من أجل الحقّ.

وقد مارس هذا الدور أنبياء الله العظام أمثال داود وسليمان وموسى وخاتم الرسل محمّدصلى الله عليه وآله وهكذا بعض الأوصياء أمثال يوشع بن نون وأمير المؤمنين عليعليه السلام وغيرهما.

وعلى هذا الغرار والمنهج سار المختار طالباً الرضا من الله والثأر لأولياءه ولم يكن تحرّكه تحرّكاً شخصياً بل كان بغطاء شرعي من الإمام السجّادعليه السلام وهكذا محمّد بن الحنفية، فكان الانتقام المشروع ـ شرعاً وعقلاً ـ سبباً لبغض المختار من قِبل أتباع المقتولين بسيفه أو أحفادهم وأبنائهم أو ممّن حسد المختار مثل عبدالله بن الزبير.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

قتل المختار وزوجته عمرة

في اليوم السادس عشر من رمضان عام ٦٧هـ استشهد المختار في ساحة القتال في حربه ضدّ مصعب بن الزبير وقد قتله رجلان من بني الحنفية هما طرفة وطراف ولديّ عبدالله بن وجاجة، ومن حين قتله بدأ سيل الإعلام المضادّ لتلويث سمعته، وعندما دخل مصعب قصر الإمارة أنزل السيف في أتباع المختار فكان جملة مَن أدركه الإحصاء ممّن قتله مصعب سبعة آلاف رجل كلّ هؤلاء كانوا ممّن طلب الثأر من قتلة الحسين فقتلهم مصعب وسمّاهم الحسينية، وتتبّع مصعب الشيعة فقتلهم بالكوفة وغيرها وأتى بحرم المختار فدعاهن إلى البراءة منه ففعلن إلّا حرمتين له إحداهما (أمّ ثابت) بنت سَمُرة بن جندب الفزاري والثانية (عمرة) ابنة النعمان بن بشير الأنصاري وقالتا: كيف نتبرّأ من رجل يقول ربّي الله؟ كان صائم نهاره قائم ليله قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قَتَلَة ابن بنت رسول اللهﷺ وأهله وشيعته فأمكنه الله منهم حتّى شفى النفوس[1]، فلمّا عرض السيف عليهما رجعت (أمّ ثابت) ابنة سمرة ولعنت المختار وتبرّأت منه، بينما امتنعت (عمرة) من البراءة فأمر بحبسها وأرسل إلى أخيه عبدالله في مكّة أنّ (عمرة) تعتقد أنّ المختار نبيّاً!!

وكانت بذرة الشرّ التي ألقاها مصعب لتلويث سمعة المختار لاحقاً وإلصاق التهم والكفريات به، فكتب عبدالله إلى مصعب أن يدعوها للبراءة من المختار، وإلّا ضربت عنقها، فلمّا دعاها للبراءة منه قالت: شهادة أرزقها فأتركها؟ كلّا إنّها موتة ثمّ الجنّة والقدوم على الرسول وأهل بيته والله لا يكون آتي مع ابن هند فأتبعه وأترك ابن أبي طالب، اللّهمَّ اشهد أنّي متّبعة لنبيّك وابن بنته وأهل بيته وشيعته، ثمّ قدّمها فقتلت صبراً.

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص٩٩ ط دار الأندلس.

وقد ذمّ شعراء العرب مصعب بن الزبير على جريمته هذه فقد أنشد عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

إنّ من أعجب الأعاجيب عندي — قتل بيضاء حرّة عُطبُولِ
قتلوها ظلماً على غير جرم — ان لله درّها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا — وعلى الغانيات جر ذيول[1]

وقد سعى الزبيريّون والأمويّون لإلصاق أنواع التهم بهؤلاء المقتولين ظلماً لتبرير فجائعهم وطاغوتيتهم في الأرض، فكان المختار وزوجته ضحية هذه الأكاذيب التي صارت أحاديث نسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لكسب البسطاء من رواة الحديث الذين ينقلون الحديث بدون رعاية ودراية وإنّما يرجون البركة والخير، وقد عمل معاوية لتأسيس وتأصيل هذا الخطّ، أعني وضع الحديث وافتعاله ونسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في ذمّ أمير المؤمنين علي وأتباعه الصالحين، ومدح معاوية وأقرانه.

وواصل أبناء الزبير هذه السياسة الأموية الحقيرة ووضعوا الأحاديث وجعلوا الأكاذيب ضدّ أتباع أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ جاء عوام الناس وتلقّوا هذه المفتريات على أساس أنّها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله أو ما تسالم عليه المسلمين فاشتهرت في أوساطهم هذه الأساطير والأباطيل، بعدها جاء دور المؤرّخين وأصحاب القلم والفكر وهم يحملون موروثات الحقد والبغض للمختار فجعلوا تلك الأباطيل أدلّة ومؤيّدات لتكفيرهم المختار أو الحطّ من شأنه أو اتّهامه بالغلوّ وما شابه ذلك ولكن الحقيقة خلافه تماماً فقد قام المختار للحقّ المتمثّل بآل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله ولهذا ترى أئمّة أهل البيت عليهم السلام يمدحونه ويترحّمون عليه وهذا المدح والترحّم لا يجوز إن لم يكن المختار موحّداً مؤمناً

---

(١) المصدر السابق.

خالص الولاء لأهل البيت عليهم السلام، ولذلك فإنّك تلاحظ كبار المحقّقين والعلماء أمثال العلّامة المامقاني يورد في تنقيحه أخبار الذمّ والمدح ثمّ يوجّه الطائفة الأولى، ويشيد بالطائفة الثانية ويؤيّدها بالدلائل الواضحة ولا يسع المجال هنا لإيراد ذلك كلّه ولكن سأكتفي بالإشارة إلى بعضه.

الأخبار المادحة للمختار من الأئمّة عليهم السلام

ذكر العلّامة المجلسي في البحار والعلّامة المامقاني في التنقيح عن رجال الكشي مسنداً عن سدير الصيرفي أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال: «لا تسبّوا المختار فإنّه قَتَلَ قَتَلَتنا وطلب بثأرنا وزوّج أراملنا وقسّم المال فينا على العسرة»[1].

وأيضاً عن رجال الكشّي مسنداً عن عبدالله بن شريك قال: دخلنا على أبي جعفر عليه السلام يوم النحر وهو متكئ وقد أرسل إلى الحلّاق فقعدتُ بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبّلها فمنعه ثمّ قال: مَن أنت؟ قال: أنا أبو محمّد الحكم بن المختار بن أبي عبيدة وكان متباعداً عن أبي جعفر عليه السلام فمدّ يده إليه حتّى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده ثمّ قال: أصلحك الله أنّ الناس قد أكثروا في أبي وقالوا والقول والله قولك، قال: وأيّ شيء يقولون؟ قال: يقولون كذّاب ولا تأمرني بشيء إلّا قبلته، فقال عليه السلام: سبحان الله أخبرني أبي والله أنّ مهر أُمّي كان ممّا بعث به المختار أو لم يبنِ دورنا وقَتَلَ قاتلنا وطَلَبَ بدمائنا؟ رحمه الله، وأخبرني والله أبي أنّه كان ليقيم عند فاطمة بنت علي عليه السلام يمهّد لها الفراش ويثني لها الوسائد ومنها أصاب الحديث، رحم الله أباك رحم الله أباك ما ترك لنا حقّاً عند أحد إلّا طلبه قتل قتلتنا وطلب بدمائنا[2].

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص٢٠٣ أبواب الميم ط حجري.

(٢) المصدر السابق.

وأيضاً مسنداً عن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين قال: حدّثني عمر بن علي بن الحسين عليه السلام لمّا أتى برأس عبيدالله بن زياد ورأس عمر بن سعد، قال: فخرَّ ساجداً (أي الإمام السجّاد) وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي وجزى المختار خيراً[١].

وأيضاً روي مسنداً عن الأصبغ بن نُباتة أنّه قال: رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمسح على رأسه ويقول يا كيس يا كيس[٢].

قال العلّامة المامقاني: ومنها الخبر الطويل المتضمّن لبيان قصّته الكاشف عن حسن عقيدته وقوّة إيمانه بالرسول صلى الله عليه وآله وتصديقه لما أخبر به وموضع الحاجة منه موجزاً أنّه قال أمير المؤمنين عليه السلام كما أنّ بعض بني إسرائيل أطاعوا فأكرموا وبعضهم عصوا فعُذّبوا فكذلك تكونون، فقالوا: أومن العصاة إلى قوله ستقتلون ولديَّ الحسن والحسين عليهما السلام ثمّ تلا «سيصيب الذين ظلموا رجزاً في الدُّنيا» بسيوف بعض من يسلّطه الله تعالى للانتقام «بما كانوا يفسقون» كما أصاب بني إسرائيل الرجز، قيل: مَن هو؟ قال: غلام ثقيف يقال له المختار ابن أبي عبيدة، وقال علي بن الحسين فكان بعد قوله هذا بزمان[٣].

المختار كان إمامي المذهب

وبعد كلّ هذا لا يبقى أيّ شكّ في أنّ المختار كان شيعياً إمامياً اثني عشرياً يدين بالإسلام ويعتقد بإمامة إمام زمانه عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ويمكن القطع بهذا من خلال ما يلي:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٤.

أوّلاً: إرساله الأموال والهدايا للإمام السجّادعليه السلام وهذا دليل التزامه بإمامة علي بن الحسين السجّادعليه السلام وإلّا لأرسلها إلى محمّد بن الحنفية وهو موجود وقد ذكرنا ذلك سابقاً. فهو ليس كيسانياً ولا حنفياً بل إمامياً.

ثانياً: الخبر المتقدّم من أنّ أمير المؤمنين أجلسه وهو صغير على فخذه وقال له: يا كيّس مادحاً له، فلو كان المختار منحرفاً في عقيدته وإيمانه لما فعل أمير المؤمنينعليه السلام ذلك لأنّه سيؤدّي لإغراء الناس بالضالّ المضلّ وهو بعيد عن سيرة عليّعليه السلام(١).

ثالثاً: ترحّم الأئمّةعليهم السلام على المختار فإنّه لا يُعقل ترحّمهم على غير الإمامي القائل بإمامتهم.

سؤال أحد الحاضرين: عفواً ياسيّدي ولكن اسمح لي بالمداخلة هنا، لقد سمعنا وقرأنا أيضاً أنّ أهل البيت لعنوا المختار وتبرّأوا من أفعاله، بل أنّ بعضهم ردَّ الهدايا عليه فكيف يتلائم هذا مع ما تفضّلتم به؟

الجواب: المعارضة في الأخبار أمر لا ننكره وقد أشرت إلى ذلك سابقاً ولكن ترجيح بعض الأخبار على بعض يتمّ من خلال علم الدراية والأدلّة العقلية بعد دراسة الأوضاع والحكم بكلّ إنصاف، ويمكن أوّلاً أن نقسّم كلامك إلى جملتين: الأولى: هي لعن الأئمّة الطاهرين للمختار، والثانية: هي عدم قبول

---

(١) أقول: وقد أجاب العلّامة المامقاني بوجه آخر قريب ممّا ذكره المصنّف حيث قال: إنّ قول أمير المؤمنين له يا كيّس ربما يدلّ على كونه إمامياً ضرورة أنّ أمير المؤمنين لا تخفى عليه عاقبة أمر المختار كما لم تخف عليه جملة كثيرة من الأخبار المستقبلة عليه فلو كان مآل المختار عدم كونه إمامياً موالياً للسجّادعليه السلام لم يجلسه على فخذه ولم يتلطّف معه بقول يا كيّس وكيف يعقل خفاء أمره على أمير المؤمنين مع عدم خفائه على ميثم الذي هو تلميذه بل عبد من عبيده / تنقيح المقال ج٣ ص٢٠٥.

هداياه، فيما يروى أنّ الإمام السجّاد رفض قبض الأموال حتّى مات المختار فكتب إلى عبد الملك بأمرها فقال له: خذها وإلى آخره من هذه الأخبار التي لا طائل منها.

جواب الجملة الأولى[١]: أمّا موضوع اللعن وبراءة الأئمّة من المختار فعلى فرض صحّته والتسليم به يمكن أن نقول إنّه كان بسبب التقية ودفع الضرر المحتمل الوقوع وقد أشرت في المجلّد الأوّل أنّ بعض الأئمّة عليهم السلام لعنوا بعض الأصحاب المهمّين للحفاظ عليهم وحمايتهم من سطوة الظالم مثل اللعن الوارد في زرارة بن أعين وغيره وهي طريقة عقلائية نسلّم بها عندما نلاحظ روايات المدح من جهة ثانية إذ لا تناقض في كلام أئمّة الهدى عليهم السلام أبداً فما يصدر منهم على هذا المنوال تكون له أسبابه المعنوية الأخرى غير الظاهرية.

«فليس لعنه إيّاه إلّا على سبيل التقيّة من عبد الملك وأضرابه إخوان الشياطين لعلمه عليه السلام بقتله للمختار وقوّة سلطنته بعد ذلك فجاز لعنه إيّاه مورياً حفظاً لنفسه ودمه عليه السلام ويزداد ما ذكرناه وضوحاً بمنع الباقر عليه السلام في خبر سدير المتقدّم من سبّه فإنّه لو كان لعن السجّاد عليه السلام عن جدّه من غير تقية لمّا خالفه الباقر عليه السلام بالنهي عن سبّه..»[٢].

جواب الجملة الثانية: أوّلاً: ذكرت سابقاً إنّ الإمام السجّاد عليه السلام قبض الهدايا والأموال التي بعثها إليه المختار، وهكذا رواية الإمام الباقر عليه السلام في قوله: وقَسّمَ المال فينا على العسرة وغيرها من الروايات الصريحة في أنّهم عليهم السلام قبضوا

---

(١) أقول: لقد قدّم المصنّف جواب الجملة الثانية على الأولى في الكتاب الفارسي ورأيت من المناسب أن يكون التسلسل طبيعي فقدّمت جواب الجملة الأولى ثمّ الثانية /المترجم.

(٢) تنقيح المقال ج٣ ص٢٠٥.

الهدايا والأموال منه.

ثانياً: ولو سلّمنا أنّ الإمام السجّاد عليه السلام لم يأخذ منه الهدايا والأموال فهو ليس دليلاً على عدم رضاه عنه إذ لا تلازم بين الأمرين، فقد يكون السبب أمر ثالث «فردّه عليه السلام لهديته لم يكن بلحاظ المختار بل للخوف ـ التقية ـ من عبد الملك من حيث إنّ المختار لم تشتمل سلطنته المدينة المنوّرة وكان المستولي عليها يومئذٍ عبدالملك فاتّقى الإمام عليه السلام منه في تركه المال..»[١] ولعلمه عليه السلام أنّ أمر المختار لا يدوم طويلاً ولا يستقرّ فلم يرغب في قبض الأموال لهذه الجهة أي أنّه عليه السلام لا يفتح جبهة علنية ضدّه ولا يعطي مستمسكاً على نفسه لتكون نقطة ضعف قد يؤاخذه عبد الملك عليها. لاسيّما وقد شاهد الإمام السجّاد إجرام بني أميّة في كربلاء والمدينة وغيرهما. من قتل وسبي وتعذيب واستهتار .. الخ.

«ويشهد بما قلناه أنّ الخبر يناقض بعضه بعضاً ضرورة أنّه إن كان المال حراماً فلا يعود حلالاً بقول عبد الملك: خذها طيّبة هنيئة وبأيّ ميزان يرجع ذلك المال إلى عبد الملك الزنديق ولم يكن إمام حقّ؟ وإن كان حلالاً فلا وجه لحبسه وإخبار عبد الملك به»[٢].

وعلى هذا فلا تلازم في عدم قبضه للمال وعدم رضاه عن المختار لما تقدّم.

سؤال أحد الحاضرين: سمعنا أنّ المختار كان يدّعي نزول الوحي عليه وأنّه نبيّ وكان يقول إنّ جبرئيل ينزل عَليَّ؟

الجواب: أوّلاً: هذه كلّها من الأكاذيب والمفتريات الواضحة بانَ بطلانها بما تقدّم، إذ كيف يترحّم الأئمّة الهداة عليهم السلام على المختار ـ وهو يدّعي النبوّة ـ؟ وهم أعدال القرآن فكيف نتصوّر أنّهم يترحّمون ويمدحون رجلاً منحرفاً؟!!

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص٢٠٥.

(٢) المصدر السابق.

هذا غير ممكن أبداً.

ثانياً: وأمّا موضوع نزول الوحي عليه فقد أجاد العلّامة المامقاني حول هذه التهمة فقال: «ويكشف عمّا قلناه من فساد نسبة دعوى الوحي إليه ما نقل من أنّه كان له غلام اسمه جبرئيل أو هو مسمّيه جبرئيل وكان يقول مورياً أخبرني جبرئيل بكذا لأنّ مبنى أفعاله على التكلّم بالرمز والإيهام والخدعة والفراسة لحسن سلطنته وإيرام السياسة»(١). نعم، وقد حصلت منه الفراسة عندما أخبر الناس أنّ إبراهيم بن مالك الأشتر سيقتل عبيدالله بن زياد ويجيء برأسه وقد تحقّق ذلك فعلاً وذكره الطبري وصاحب روضة الصفا(٢) فقال عنه جهّال الكوفة أنّه نبيّ، فاتّخذها الأعداء نقطة ضعف ضدّ المختار وقالوا عنه إنّه يدّعي النبوّة وطبّلوا بها حتّى صارت الإشاعة والدعاية كالحقيقة ألصقوها على المختار. مع أنّ هذه الاتّهامات الباطلة ينسف بعضها بعضاً، إذ لو كانت دعواه للوحي والنبوّة حقيقة ـ كما زعموا ـ كيف كان يدعو إلى إمامة محمّد بن الحنفية من جهة ثانية؟ بل كان الأجدر أن يدعو الناس إلى نفسه باعتباره نبيّاً لا يدعو الناس إلى غيره، لأنّ من يدّعي الوحي لا يدعو الناس إلى إمامة غيره وأنت تلاحظ أنّ هذه الأكاذيب كلّما كثرت نسف بعضها البعض وأبطل تاليها أُولاها.

سؤال أحد الحاضرين: إذن لماذا أُطلق على المختار (الكيساني)، ومن أين جاءته هذه النسبة؟

الجواب: لقد ذكرتُ شرحاً مفصّلاً حول الكيسانية ودفعت هذه الاتّهامات التي أشاعها أعداء المختار أمثال عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير وعبدالله بن الزبير، والشهرستاني وابن حزم... وذكرتُ الأدلّة على أنّه لم يكن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ الطبري ج٣، ص٤٨٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨م.

كيسانياً ولم يكن يدعو إلى إمامة محمّد بن الحنفية، بدليل أنّه لم يذكر ولا مؤرّخ أنّ المختار عندما بويع له في الكوفة دعى إلى بيعة محمّد بن الحنفية أو غيره، بل دعا إلى نفسه ومارس الحكم والقتال بنفسه، وأمّا إذا كان كيسانياً فكان الأولى به أن يدعو إلى بيعة محمّد بن الحنفية. فاتّهامه بالكيسانية محض افتراء واتّهام لا دليل عليه، وأمّا شهرته بالكيسانية فهو إمّا لأنّ اسمه (كيسان) كما مرّ قول أمير المؤمنين عليه السلام له يا كيّس فصار الناس يسمّونه (كيسان).

أو لأنّ رئيس شرطته وهو أبو عمرة كان اسمه (كيسان) مولى أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى أي حال فليس هناك دليل واحد على أنّ المختار كان كيساني المذهب وكلّ ما يُقال عنه لا يصلح دليلاً بل صرف بهتان واتّهام.

سؤال أحد الحاضرين: إذا لم يكن المختار كيساني المذهب ولا يقول بإمامة محمّد ابن الحنفية فلماذا إذن كان يرسل الرسائل إليه ويطلب إذنه في الخروج وقتل قَتَلة الإمام الحسين وإرساله جيشاً إلى مكّة لفكّ حصار ابن الزبير عن محمّد بن الحنفية وبقيّة بني هاشم؟

سبب علاقة المختار بابن الحنفية

الجواب: لقد ذكرتُ سابقاً في نفس هذا الكتاب أنّ المختار عندما كان يافعاً اختلط مع شباب بني هاشم وكان يذهب معهم إلى دار محمّد بن الحنفية للتعليم ونيل المعرفة باعتباره عالم بني هاشم يقرّ له بالفضل العدوّ والصديق، ومنذ ذلك الحين وبمرور السنين ازدادت العلاقة بين التلميذ والاستاذ كما يحصل أمثال ذلك كثيراً بين أحد التلاميذ واستاذه، حتّى صار من خواصّه مع ما كان يعلم ويرىٰ من سوابقه ومواقفه، فكان ـ المختار ـ يرجع إليه في جميع أسئلته واستفساراته كرجوع التلميذ إلى استاذه، فلمّا دعى إلى الثورة في الكوفة اتّصل بعض أكابر الكوفة بمحمّد بن الحنفية وسألوه عن المختار فأيّده ودعاهم

إلى نصرته كما ذكرتُ هذا سابقاً، ومن هذا وذاك ازدادت الأواصر قوّة بين المختار وابن الحنفية.

فلمّا سمع المختار أنّ ابن الزبير يحاصر محمّد بن الحنفية وابن عبّاس في شعب أبي طالب ويطالبهما بالبيعة، أرسل جيشاً من العراق إلى مكّة إلى أن نجح في فك الحصار فكان أعداء المختار يعملون على تسقيط المختار عبر الإشاعة والاتّهامات الباطلة ومضافاً إلى الدعايات المغرضة فإنّ الكيسانيين وجدوا فرصتهم في قبول هذه الدعايات ـ أعني اتّهام المختار بالكيسانية ـ وتقويتها وبثّها بشكل واسع النطاق لأنّها تصبّ لمصلحتهم وتقوي جانبهم بعدما أضحى المختار قوّة كبيرة لها امتداداتها السياسية والعسكرية.

وقد أبطلنا كلّ هذه الاتهامات سابقاً فلا نكرّر.

معاوية يضع الحديث

ولم تكن عملية وضع وجعل الأحاديث وتأسيس الأكاذيب بجديدة وإنّما كانت بذورها في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله فقد تصدّى المنافقون لوضع الحديث في مدح بعض الصحابة أو القبائل أو العشائر أو الأمكنة وما إلى ذلك حتّى صارت عملية اختلاق الحديث مهنة يتداولها ضعفاء النفوس ووعّاظ السلاطين وأصحاب الجاه لاسيما في زمن معاوية وما بعده فإنّه أنفق الأموال الطائلة لوضع الحديث في ذمّ الأولياء والصالحين، ومدح المنافقين والفاسقين، فقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج قول أبي جعفر الاسكافي وهو من أكابر علماء المعتزلة قال: «إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام! تقتضي الطعن فيه والبراءة منه! وجعل لهم على ذلك جعلاً يُرغب في مثله فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن

العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير»[1].

وقد ذكر أبو جعفر ما يقارب من صفحتين من شرحه لحال هؤلاء الفَسَقَة وأخبارهم القبيحة أمثال أبي هريرة وأنس بن مالك وسمرة بن جندب وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وعروة بن الزبير وغيرهم، وذكرت ذلك في كتاب ليالي پيشاور.

وكان معاوية بفعله هذا قد فتح باب الجعل والاختلاق فسار على نهجه كلّ من جاء بعده من الظلمة في كلّ زمان يضعون الأكاذيب والأباطيل وينسبونها إلى شيعة أهل البيت عليهم السلام بل نسبوا بعضها إلى نفس الأئمّة الأطهار من آل البيت عليهم السلام.

وهكذا كان المختار ضحية هذه الأباطيل لأنّه من شيعة أهل البيت عليهم السلام ولأنّه أعلن ولائه وإخلاصه لآل الرسول صلى الله عليه وآله وبغضه لأعدائهم وقتله لكلّ من اشترك في قتل الإمام الحسين عليه السلام من بني أُميّة ومن والاهم، فكان من الطبيعي أن يعملوا على تلطيخ سمعته ونسبة الأباطيل إليه.

لاسيّما إذا لاحظنا أنّ المختار كان لوحده وقد تحرّكت ضدّه ثلاث قوى كبيرة عملت بما أوتيت من قوّة على تسقيط سمعته، وهي:

١ ـ الحكومات الأموية ومَن والاها.

٢ ـ أقارب المقتولين بسيف المختار وذراريهم.

٣ ـ عبدالله بن الزبير في مكّة، ومصعب بن الزبير في البصرة الذي استطاع أخيراً أن ينهي حكم المختار بسبب بُعد ابن الأشتر وجيشه عن المختار وعدم وفاء أهل الكوفة.

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١، ص٤٧٧ تحت عنوان (الأحاديث الموضوعة في ذمّ عليّ عليه السلام) ط الأعلمي، سنة ١٩٩٥م.

وقد شنّت هذه القوى الثلاث حربها الباردة ضدّ المختار ونسبت إليه الغلو وما شابه ذلك حتّى استطاعوا أن يخدعوا الناس ويبعدونهم عن المختار ويغيّروا نظرتهم اتجاهه، ثمّ جاء المؤرِّخون في الأزمنة المتأخِّرة وجعلوا الأباطيل حقائق!!

سؤال أحد الحاضرين: إذا كان المختار شيعياً إمامياً كيف اقترح على عمّه سعد بن مسعود أن يسلّم الإمام الحسن المجتبى إلى معاوية عندما كان في المدائن؟

الجواب: لقد ذكر المؤرِّخ الطبري هذه الحادثة في تأريخه[1] عن عثمان ابن عبدالحميد أو عبد الرحمن الحراني عن إسماعيل بن راشد، وقد نقل بقيّة المؤرّخين هذه الرواية بهذا السند.

أوّلاً: إنّ سند هذه الرواية ضعيف للغاية لأنّ إسماعيل بن راشد وعبد الرحمن كلاهما من المجاهيل والمتروكين عند علماء الرجال ولا يمكن قبول الخبر من المتروك والمجهول حسب القواعد المسلّمة في هذا العلم، وعليه لا يمكن قبول هذا الإشكال.

ثانياً: ورد في الخبر أنّ المختار كان (غلام شاب) والعرب لا تطلق هذين الوصفين على الرجل الذي بلغ من عمره الأربعين عاماً، فقد كان عمر المختار آنذاك (٤١) عاماً ولم يكن غلاماً.

ثالثاً: على فرض التسليم فإنّ اقتراح المختار لم يكن هذا، وما ذكره الطبري

---

(١) أُنظر تاريخ الطبري ج٣ ص١٦٥ حوادث سنة ٤٠هـ ط عام ١٩٨٨ بيروت وهذا نص الرواية: فقال له المختار وهو غلام شاب: هل لك في الغنى والشرف؟ فقال سعد: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية فقال له سعد: عليك لعنة الله... بئس الرجل أنت.. / المترجم.

محرَّف وقد نالته يد التغيير والتحريف، فقد ذكر علماؤنا الأعلام حقيقة الحادثة منهم العلّامة الكبير الشهيد القاضي نور الله المرعشي في المجلس الثامن من مجالس المؤمنين نقلاً عن كتاب نقض الفضائح للواعظ المعروف الشيخ عبد الجليل الرازي ـ من أعلام القرن السادس ـ وهي:

أنّ المختار عندما كان في المدائن مع عمّه خشى أن يقوم عمّه سعد بن مسعود بتسليم الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية وكان مغموماً من ذلك فذهب إلى شريك بن الأعور الحارثي وهو من أكابر الشيعة وقال له: أخشى أن يُسلّم عمّي سعد الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية فما تقول؟ فأشار عليه شريك بهذه الفكرة فقال له: إذا خلوت بعمّك سعد فقل له دعنا نقضي على الإمام الحسن عليه السلام أو نسلّمه إلى معاوية موثوقاً فننال الوجاهة عند معاوية، وانظر رأيه فإن كان يفكّر بالغدر والخيانة فسيوافقك الرأي وإلّا فإنّه سينكر عليك قولك ويردّك.

وعلى هذا الأساس ذهب المختار إلى عمّه سعد واختلىٰ به وقال له ذلك الكلام، فنهره ولعنه فعرف المختار أنّ عمّه لا يفعل ذلك ولا يغدر بالحسن عليه السلام، ولكن القوم بتروا صدر الرواية واكتفوا بذيلها لإظهار المختار بصورة سيئة.

رابعاً: وقد اتّفقت كلمة علماء الشيعة على أنّ المختار كان شيعيّاً إماميّاً وعليه فكلّ روايه أو خبر فيه إشارة إلى خلاف ما اتّفقت عليه الكلمة فإنّه يُطرح ولا يُعتمد عليه، ولهذا فقد ذكر العلّامة الحلّي قدس سره المختار في كتابه الرجالي الخلاصة في القسم الأوّل ضمن الرجال المعتمد عليهم في الرواية، لأنّه ـ الحلّي ـ خصّصَ القسم الأوّل من كتابه إلى رواة الشيعة الإمامية الممدوحين[1].

ونحن كذلك نرى أنّ المختار كان شيعيّاً إماميّاً ولا نقول إنّه مغالٍ وبنفس الوقت لا ندّعي العصمة له، فلا إفراط ولا تفريط، وهو بشر قد يخطئ في بعض

---

(١) خلاصة الأقوال للعلّامة الحلّي ص١٢٧ ـ ط النجف عام ١٩٦١م.

الأحيان كبقيّة الناس لاسيّما إذا كانت أخطائه عفوية وبلا إصرار. فهي قابلة للعفو وبالتالي تشمله الرحمة الإلهية.

الإمامي لا يخلّد في النار

فقد ذكرت الأخبار الصحيحة أنّ من يعتقد بالتوحيد والنبوّة والمعاد الجسماني وإمامة الأئمّة الاثنا عشر فإنّه لا يخلّد في النار، وكلّ من لايعتقد بهذه العقيدة فإنّه يخلّد في النار، أمّا مَن كان يعتقد بالعقيدة الصحيحة ولكن ارتكب بعض الأعمال السيئة في حياته فإنّه لا يُحرم من العفو الإلهي لاسيّما مع التوبة والاستغفار وعدم العود كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما آدمي إلّا وله ذنوب ولكن مَن كان غريزته العقل وسجيّته اليقين لم تضرّه الذنوب، لأنّه كلّما أذنب ذنباً تاب واستغفر وندم فيكفّر ذنوبه، ويبقى له فضل يدخل به الجنّة.

فكلّ من مات ولم يتب من ذنوبه وكان معتقداً وملتزماً بالعقيدة الصحيحة التي أشرنا إليها فإنّه يُلقىٰ في النار على قدر ذنوبه دون أن يُخلّد فيها، أمّا المخلّدون فهم أهل الكفر والشرك والنفاق.

ومن الأدلّة الواضحة ـ مضافاً لما تقدّم ـ على إيمان المختار وكونه من الموحّدين الخبر المذكور في كُتبنا أنّ المختار يُلقىٰ في النار ثمّ يخرج منها ويُدخَل في الجنّة.

سؤال أحد الحاضرين: هذا الكلام منك دليل على ما ذكروه من مغالاة المختار وادّعائه النبوّة أو نزول الوحي عليه فتكون إخبارات صادقة لا مجرّد تُهَم بدليل دخوله النار.

الجواب: أظنّك لم تتوجّه إلى ما قلته قبل قليل، إذ قلتُ أنّ غير الإمامي يخلّد في النار من المنافقين والمشركين، وأمّا الإمامي فباعتباره موحِّداً بالله ومعترفاً بنبوّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وإمامة الأئمّة الاثنا عشر فإنّه لا يخلّد في النار بل

قد يعذّب بالنار على قدر استحقاقه ثمّ يخرج منها، كما يُدخل الذهب إلى النار فيصفى فيخرج الذهب الخالص وأمّا المغشوش فإنّه يُزال بالنار، فكذا الموحّد.

أمّا المختار فإنّه لو كان مغالياً أو مدّعياً لأي نوع من الكفر والانحراف عن مذهب الحقّ فإنّه يخلّد في النار، ولكن بما أنّه يُخرج منها فهذا دليل توحيده وكذب جميع تلك الافتراءات.

سؤال: إذا لم يكن المختار كيسانياً ولا مدّعياً للنبوّة وما قيل عنه فلماذا إذن يُدخل النار ثمّ يُخرج منها؟

إخراج الإمام الحسين المختار من النار

الجواب: يظهر من الأخبار الواردة أنّ المختار يُلقى في النار لسببين:

الأوّل: حبّه لرجلين لا يجوز حبّهما والارتباط بهما.

الثاني: تعلّق قلب المختار بحبّ الإمارة والسلطنة والرئاسة وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «حبّ الدُّنيا رأس كلّ خطيئة»[1].

سؤال أحد الحاضرين: إذا أمكن أن تستعرض لنا بعض هذه الأخبار نكون لك شاكرين.

الجواب: ذكر العلّامة المجلسي (قدّس سرّه القدوسي) في البحار عن سرائر ابن إدريس مسنداً عن سماعة أنّه قال: سمعت عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا كان يوم القيامة مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بشفير النار وأمير المؤمنين والحسن والحسين، فيصيح صائح من النار يارسول الله أغثني يارسول الله ثلاثاً أغثني قال عليه السلام: فلا يجيبه، فينادي أمير المؤمنين ـ ثلاثاً ـ أغثني فلا يجيبه، قال عليه السلام: فينادي ياحسين ياحسين ياحسين أغثني أنا قاتل أعدائك

---

(١) البحار ج ٥١، ص ٢٥٨، ح ٥.

قال عليه السلام: فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: قد احتجّ عليك، قال عليه السلام: فانقض عليه كأنّه عقاب كاسر فيخرجه من النار.

فقلت لأبي عبدالله عليه السلام: ومَن هذا جعلت فداك؟ قال عليه السلام: المختار، قلت له: ولِمَ عذّب بالنار وقد فعل ما فعل؟ فقال عليه السلام: إنّه كان في قلبه منهما شيء والذي بعث محمّداً بالحقّ لو أنّ جبرئيل وميكائيل كان في قلبهما شيء لأكبّهما الله في النار على وجوههما»[١].

وذكر العلّامة المامقاني عن تهذيب الشيخ (قدّس الله تربته) هذا الخبر مسنداً عن سماعة بقليل من الاختصار، وفي المنتخب نُقل هذا الخبر ولكن جعل سبب دخوله النار «إنّ المختار كان يحبّ السلطنة، وكان يحبّ الدُّنيا وزينتها وزخرفها وأنّ حبّ الدُّنيا رأس كلّ خطيئة لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لو أنّ جبرئيل وميكائيل كان في قلبهما ذرّة من حبّ الدُّنيا لأكبّهما الله على وجههما في النار»[٢].

فمن خلال هذه الأخبار يُعرف أنّ دخوله النار لا يعود إلى ادّعائه النبوّة أو نزول الوحي عليه كما أشاعوا ضدّه.

وهذه الحقيقة التي ذكرتها لكم عن المختار هي خلاصة ما أفاده استاذنا المعظّم المرحوم العلّامة المامقاني في تنقيح المقال، وبقيّة علماؤنا الأعلام.

وأمّا تشنيع الأعداء وإساءتهم إلى المختار أمثال ابن حزم في الفرق والشهرستاني في الملل وابن خلدون في المقدّمة والبلاذري في الأنساب وغيرهم، فهي مجرّد اتّهامات باطلة، بل هي تؤكّد شيعيّة المختار وكونه إمامي المذهب مثل نسبتهم القول بالبداء إلى المختار مع أنّ الاعتقاد بالبداء من عقائد

---

(١) راجع السرائر لابن إدريس ج٣، ص٥٦٧، والبحار ج٤٥ ص٣٣٩ ح٥.
(٢) المصدر نفسه.

الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، فهذا وأمثاله ينفي كونه كيسانياً أو مغالياً.

ولكن على كلّ حال فهذه التهم ليست أوّل قارورة كسرت في الإسلام، إذ لطالما تعوّد القوم على حياكة الأكاذيب وجعل الأحاديث ونسبتها إلى الأئـمّة وشيعتهم.

من اتهامات الفخر الرازي للشيعة

ومن جملة الاتهامات والتحويرات ما أورده الفخر الرازي في نهاية كتاب المحصل حيث قال: إنّ أئمّة الرافضة وضعوا مقالتين لشيعتهم لا يظفر معهما أحد عليهم؛ الأوّل: القول بالبداء فإذا قالوا إنّه سيكون لهم قوّة وشوكة ثمّ لا يكون الأمر على ما أخبروه قالوا بدا لله تعالى.

الثاني: التقية فكلّما أرادوا شيئاً يتكلّمون به فإذا قيل لهم هذا خطأ وظهر بطلانه قالوا: إنّما قلناه تقيّة[1].

وعلّة اعتراض الرازي وبقيّة علماء السنّة على هذين الموضوعين المنبثقين من القرآن تعود إلى أمور:

الأوّل: عدم معرفتهم التامّة بالخطوط العريضة التي يبتني عليها مذهب أهل البيت عليهم السلام بسبب اللبس والتزوير الذي مارسه بنو أميّة وأتباعهم ضدّ آل الرسول صلى الله عليه وآله وشيعتهم.

الثاني: خبث طينتهم واضمحلال إيمانهم فإنّهم لا يتورّعون عن نسبة الأكاذيب وما ذلك إلّا دليل على عدم إيمانهم بالمعاد والحساب، وعدم احترامهم للنبيّ صلى الله عليه وآله، فينسبون أموراً باطلة لآله الأطهار عليهم السلام.

الثالث: عدم الاطّلاع على الأدلّة والبراهين التي نسوقها بل يكتفون بنقل الحوادث عن أسلافهم الماضين دون دراسة وتدقيق وتحقيق وتفحّص من

---

(١) المحصل للفخر الرازي، ص١٨٢، ط الحسينية المصرية سنة ١٣٢٣هـ.

قبيل قول علمائهم بإمكان رؤية الله وزيادة الصفات على الذات والقول بالجبر وأنّ الإنسان مسيّر والقول بالقياس والرأي.

حقيقة البَداء عند الشيعة

لقد اعتاد أهل السنّة على نقل الحقائق بشكل منحرف ومقلوب فقد قالوا إنّ الشيعة تعتقد بالبَداء أي أنّ الله تعالى يجهل بعض الأمور ثمّ تنكشف له حقائقها ـ تعالى الله علوّاً كبيراً ـ.

أمّا حقيقة البداء عند الشيعة هي: الظهور بعد الخفاء وهذا المعنى اللغوي لا ينطبق على الله تعالى بل على الإنسان أي ما يظهر للإنسان بعد أن كان الأمر خافياً عليه، لأنّ الله تعالى عالم بذاته القديمة والعلم عين ذاته فيستحيل أن يخفى عليه شيء أو أنّه تعالى يجهل شيئاً، بل جرى في علمه الأزلي كلّ ما له تعلّق بالإنسان من طول وقصر العمر والفقر والغنىٰ و... وجرى في علمه أنّ الإنسان سيتصدّق بكذا ويصل رحمه فيطول عمره أو يرفع عنه البلاء أو يغنيه فهذا التغيّر الذي جرى في علمه سابقاً ولاحقاً أي قبل التغيير وبعده، يُطلق عليه اسم البداء لأنّه تعالى يظهر علمه المكتوم المخزون إلى الإنسان فيظهر للإنسان أمراً جديداً كان غائباً وخافياً عليه.

سؤال أحد الحاضرين: هل يوجد دليل على أنّ لله نوعين من العلم أعني العلم المكتوم والعلم الظاهر للخلق؟

لله (تعالى) نوعان من العلم

الجواب: أدلّة ذلك كثيرة جدّاً ألم تقرأ الآية من سورة طه حكاية عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[1] مع أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان عالماً بما

(١) طه: ١١٤.

كان ويكون، ولكن مع ذلك يطلب صلى الله عليه وآله علماً آخراً من المخزون والمكتوم.

كما في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾(١) فهذه الآية صريحة بوجود نوع من العلم خاص بالله تعالى يمكن أن يهبه لأولياءه.

وقد ذكر الشيخ الجليل القدر الصدوق محمّدبن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي في العيون، وكذلك العلّامة المجلسي في البحار نقلاً عن العيون مسنداً عن الحسن بن محمّد النوفلي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال لسليمان المروزي: ما أنكرت من البَداء ياسليمان والله عزّوجلّ يقول: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾(٢)، ويقول عزّوجلّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾(٣)، ويقول: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(٤)، ويقول عزّوجلّ: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾(٥)، ويقول: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ﴾(٦)، ويقول: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾(٧) ويقول: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾(٨).

فقال سليمان: هل رويت فيه من آبائك شيئاً؟ فقال عليه السلام: نعم رويت عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: إنّ لله عزّوجلّ علمين علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلّا هو من ذلك يكون البَداء وعلماً علّمه ملائكته ورسله فالعلماء من أهل بيت نبيّنا يعلمونه.

---

(١) سورة الأنعام: ٥٩.

(٢) سورة مريم: ٦٧.

(٣) الروم: ٢٧.

(٤) البقرة: ١١٧، الأنعام: ١٠١.

(٥) فاطر: ١.

(٦) السجدة: ٧.

(٧) التوبة: ١٠٦.

(٨) فاطر: ١١.

قال سليمان: أحبّ أن تنزعه لي من كتاب الله عزّوجلّ؟

قال عليه السلام: قول الله عزّوجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾(١) أراد هلاكهم ثمّ بدا لله تعالى فقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢) فقال سليمان: زدني جُعلت فداك، قال الرضا عليه السلام: لقد أخبرني أبي عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله عزّوجلّ أوحى إلى نبي من أنبيائه أن أخبر فلاناً الملك: إنّي متوفّيه إلى كذا وكذا فأتاه ذلك النبي فأخبره فدعا الله وهو على سريره حتّى سقط من السرير وقال: ياربّ اجعلني حتّى يشبّ طفلي وأقضي أمري فأوحى الله عزّوجلّ إلى ذلك النبي: أن أت فلاناً الملك فاعلم أنّي أنسيت في أجله وزدت في عمره إلى خمس عشرة سنة فقال ذلك النبيّ: ياربّ إنّك لتعلم إنّي لم أكذب قط فأوحى الله عزّوجلّ إليه: إنّما أنت عبد مأمور فابلغه ذلك والله لا يُسئل عمّا يفعل، ثمّ التفت إلى سليمان فقال: احسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب قال: أعوذ بالله من ذلك وما قالت اليهود؟ قال ـ الرضا عليه السلام ـ: قالت اليهود ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾(٣) يعنون أنّ الله تعالى قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئاً فقال الله عزّوجلّ: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾(٤) ولقد سمعت قوماً سألوا أبي موسى بن جعفر عليه السلام عن البداء فقال: وما ينكر الناس من البداء وأن يقف الله قوماً يرجيهم لأمره. قال سليمان: ألا تخبرني عن ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(٥) في أيّ شيء أُنزلت؟ قال: ياسليمان ليلة القدر يقدّر الله عزّوجلّ فيها

---

(١) الذاريات: ٥٤.

(٢) الذاريات: ٥٥.

(٣) المائدة: ٦٤.

(٤) المائدة: ٦٤.

(٥) القدر: ١.

ما يكون من السنة إلى السنة من حياة أو موت أو خير أو شرّ أو رزق فما قدّره في تلك السنة فهو من المحتوم.

قال سليمان: الآن قد فهمت جعلت فداك فزدني؟ قال: ياسليمان إنّ الأمور أموراً موقوفة عند الله عزّوجلّ يقدّم منها ما يشاء ويؤخّر ما يشاء ويمحو ما يشاء، يا سليمان إنّ عليّاًعليه السلام كان يقول: العلم علمان فعلم علّمه الله وملائكته ورسله، فما علّمه ملائكته ورسله فإنّه يكون ولا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون لم يطّلع عليه أحداً من خلقه يقدّم منه ما يشاء ويؤخّر منه ما يشاء، قال سليمان للمأمون: لا أنكر بعد يومي هذا البَداء ولا أكذب به إن شاء الله[1].

سؤال أحد الحاضرين: كيف يعقل أنّ لله تعالى علمين يخفي أحدهما عن الخلق ويتركهم في الجهل مع أنّه الهادي من الضلال؟

الجواب: أنّه سبحانه حكيم فيما يفعل فإنّه تعالى عندما يخفي هذا العلم عن الخلق لمصلحة وحكمة يراها سبحانه وتعالىٰ، وعندما تستدعي الحكمة إظهاره لهم في وقت معيّن أو مكان معيّن، يكون ذلك من البداء، وهو من باب المحو والإثبات.

سؤال: هل يوجد دليل على موضوع المحو والإثبات وفق المصلحة؟

الجواب: أدلّة هذا الموضوع لا تعدّ ولا تحصىٰ ولكنّي سأكتفي بذكر ثلاثة أدلّة من القرآن الكريم:

(١) عيون أخبار الرضا ج١ ص١٤٥ باب ١٣، وتوحيد الصدوق باب القول بالبداء، والبحار ج٤ ص٩٥ ح٢ باب ٣.

أدلّة تحقّق البداء من القرآن

أوّلها: قصّة ذبح إبراهيم الخليل عليه السلام لابنه إسماعيل فنزل عليه جبرئيل وفداه بكبش عظيم وأمره بعدم ذبح ابنه كما حكى القرآن القصّة ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1].

سؤال أحد الحاضرين: لقد قلتَ قبل قليل إنّ الأوامر الإلهية تتقدّم وتتأخّر حسب المصلحة فأيّ مصلحة كانت في هذا الأمر؟ هل ندم المولى سبحانه وتعالى في أمره إبراهيم بذبح ابنه؟

الجواب: أوّلاً: قولك إنّ المولى «ندم» كفر محض، لأنّه سبحانه عالم منذ الأزل بجميع حوادث هذا العالم فلا يصدر منه شيء عن جهل ليندم عليه، بل إنّه تعالى من الأوّل كان يعلم أنّ إبراهيم عليه السلام سيطيعه في هذا الأمر، وأنّه تعالى سيفدي إسماعيل بالكبش.

سؤال: ما هي المصلحة في أن يأمر أوّلاً ثمّ ينهىٰ ثانياً؟

الجواب: هذا الأمر والنهي لبيان مقام إبراهيم (على نبيّنا وآله وعليه السلام) للناس ليعلموا منزلته ومقامه وشدّة طاعته لله تعالى وتسليمه لأمره إلى درجة إقدامه على ذبح ابنه طاعةً لله تعالى بلا كيف ولماذا.

والأمر نفسه في بيان منزلة إسماعيل الولد اليافع الذي خضع لأمر ربّه بلا أدنىٰ ترديد ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[2].

فكانت هذه الحادثة بتفاصيلها درساً إلٰهياً للناس في بيان مقام التسليم لأمر

---

(١) الصافات: ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) الصافات: ١٠٢.

الله ومنزلة أوليائه وأهل طاعته، وكان هو الداعي والمصلحة للأمر والنهي لا عن ندم كما تتصوّرون.

الدليل الثاني: في قوله تعالى ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[1] فإنّه تعالى واعد موسى بثلاثين ليلة، ثمّ إنّ موسى أخبر بني إسرائيل بذلك وجعل هارون خليفة عليهم، فلمّا ذهب موسى لميقات ربّه وانتهت الفترة جاءه الأمر الإلهي في أن يبقى عشر ليالٍ أُخر.

ولا يمكن القول هنا إنّ الربّ سبحانه وتعالى «ندم» على قصر الفترة ثمّ أمر بتمديدها وإنّما هو سبحانه عالم منذ البدء بهذا التغيير، غاية ما في الأمر أنّه سبحانه كان قد أخفى هذا التغيير عن الناس ثمّ أظهره لهم بعد تمام الثلاثين.

سؤال أحد الحاضرين: لماذا لم يواعده من البداية بأربعين ليلة؟ وما وجه المصلحةِ في إتمامه بعشر ليالي أخرىٰ؟

الجواب: واحدة من السنن الربّانية القائمة في هذا العالم هي الامتحان والاختبار كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[2]، فكان تأخير أو تمديد الميقات لأجل اختبار وامتحان بني إسرائيل الذين غاب عنهم موسىٰ عليه السلام فقد جمع السامري ذهب القوم وأذابها بالنار ثمّ صنع قالباً لثور كبير وأفرغ الذهب المذاب في هذا القالب ليخرج لهم أخيراً ثوراً ذهبياً كبيراً وخدعهم بأن قال لهم: إنّ الله تعالى حلَّ في هذا الثور فعبدوه معه حتّى قيل إنّ سبعين ألفاً عبدوا العجل خلال هذه الأيّام، إلّا القليل ممّن كان مع هارون فلمّا عاد موسى وجد قومه قد ضلّوا، فأمره الله تعالى أن يأمر بني

---

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) العنكبوت: ١ ـ ٣.

إسرائيل بأن يقتلوا أنفسهم، فقتل الأب ابنه وبالعكس... الخ.

فنال المنحرفون جزاءهم بما ظلموا ونال الصالحون جزاءهم بما صبروا عليه من انحراف فكان معنى البداء هنا أنّ المولى سبحانه كان يعلم منذ البدء والأزل عن انحراف بني إسرائيل ولكنّه أخفى ذلك إلى أن أظهره للناس عندما تأخّر موسىٰ عليه السلام عنهم.

الدليل الثالث: من الأدلّة القرآنية على إثبات عقيدة البَداء قصّة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة الحرام بعد مضيّ (١٣) أو (١٦) أو (١٧) شهراً من الهجرة الى المدينة، إذ نزل جبرائيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله يأمره بتغيير القبلة، حتّى بُني (مسجد القبلتين) في المكان الذي تمّ تغيير القبلة فيه حينما كان النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك المكان.

سؤال أحد الحاضرين: ما وجه المصلحة في أن يصلّي المسلمين إلى كلا القبلتين فلماذا لم يصلّوا من البداية متوجّهين إلى الكعبة؟

الجواب: هناك عدّة علل وأسباب ولكنّي سأذكر إحداها فقط وهو أوضحها:

عندما بعث النبيّ صلى الله عليه وآله في عام الفيل كانت جميع قبائل العرب القريبة والبعيدة تعبد الأصنام الحجرية والنحاسية وكان لكلّ قبيلة صنماً خاصّاً بها حتّى نصب حول البيت وعلى سطحه (٣٦٠) صنماً تختلف بأحجامها وأشكالها فكان أعظمها هبل الذي تعبده بنو خزاعة من نحاس قد وضع على سطح البيت الحرام وقد أسقطه أمير المؤمنين علي عليه السلام في عام الفتح بعدما أصعده النبيّ صلى الله عليه وآله على كتفه الشريف فلو كان النبيّ صلى الله عليه وآله والمسلمين يومذاك وهم في مكّة يتوجّهون إليها آنذاك، لم يسلم النبي صلى الله عليه وآله من اتهامه بعبادة هذه الأصنام، فدفعاً لمثل هذا المحذور الخطير أمره الله تعالى أن يتوجّه في صلاته إلى بيت المقدس الخالي من هذه المحاذير لاسيّما وهو البيت الذي بناه سليمان وداود عليهما السلام.

فلمّا مضت السنين وعُرفت دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله بجميع تفاصيلها وخطوطها العريضة ومعاداة الإسلام لهذه الأصنام واشتُهر ذلك عنه عند ذاك أمره الله أن يصلّي إلى الكعبة بعدما أدّى صلاة الظهر إلى بيت المقدس فصلّى العصر بالمسلمين إلى الكعبة كما أشار القرآن إلى تلك الحادثة في سورة البقرة، ولا يمكنني هنا أن أذكر تفاصيل تلك الآيات.

وأوّل من أطاع النبيّ صلى الله عليه وآله في تغيير القبلة هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بينما أصرّ المنافقون على إكمال صلاة العصر متوجّهين إلى بيت المقدس، وكانت هذه الحادثة إحدى الأسباب لتمييز المنافقين يومذاك.

وهذا هو البداء، أي أنّ الله تعالى كان يعلم منذ الأزل بهذا التغيير ولكن خفي هذا العلم عن المسلمين إلى ذلك اليوم الذي أظهره الله تعالى.

ثمّ إنّ البداء بهذا المعنى لا يختصّ بالشيعة الإمامية والفرقة الحقّة وإنّما هو موجود ـ بهذا المعنى ـ عند بقيّة أُمم الأنبياء الماضية كما يدلّ على ذلك التأريخ.

وقوع البداء في قوم نوح

فعندما اشتدّ الأمر على نبي الله نوح عليه السلام دعا الله تعالى قائلاً: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾[1] فقد روي أنّ جبرئيل قال له: إنّ الله تبارك وتعالى قد أجاب دعوتك فقل للشيعة[2]: يأكلوا التمر ويغرسوا النوى ويراعونه حتّى يثمر، فإذا أثمر فرّجت عنهم، فحمد الله وأثنى عليه وعرّفهم ذلك فاستبشروا فأخبرهم نوح بما أوحى الله تعالى إليه ففعلوا ذلك وراعوه حتّى أثمر، ثمّ صاروا بالثمر إلى نوح عليه السلام وسألوه أن ينجز لهم الوعد، فسأل الله

---

(١) نوح: ٢٦.

(٢) الشيعة لغةً: الأتباع.

عزّوجلّ عن ذلك فأوحى إليه قل لهم: كلوا هذا التمر واغرسوا النوى فإذا أثمرت فرّجت عنكم فلمّا ظنّوا أنّ الخُلف قد وقع عليهم ارتدّ منهم الثلث وثبت الثلثان، فأكلوا التمر وغرسوا النوى حتّى إذا أثمر أتوا به نوحاًعليه السلام فأخبروه وسألوه أن ينجز لهم الوعد فسأل الله عزّوجلّ عن ذلك فأوحى إليه: قل لهم: كلوا هذا التمر واغرسوا النوى فارتدّ الثلث الآخر، وبقي الثلث فأكلوا التمر وغرسوا النوى، فلمّا أثمر أتوا به نوحاًعليه السلام ثمّ قالوا له: لم يبق منّا إلّا القليل ونحن نتخوّف على أنفسنا بتأخّر الفرج أن نهلك، فصلّى نوحعليه السلام ثمّ قال: يارب لم يبق من أصحابي إلّا هذه العصابة وإنّي أخاف عليهم الهلاك إن تؤخّر الفرج عنهم، فأوحى الله عزّوجلّ إليه: قد أجبت دعوتك فاصنع الفلك، فكان بين إجابة الدعاء وبين الطوفان خمسون سنة[1].

وهكذا نقول إنّ الله كان يعلم منذ الأزل بأنّ بعض أصحاب نوحعليه السلام سوف يسقطون وينهارون ويفقدون إيمانهم وقد أخفى الله هذا العلم ثمّ أظهره في وقت لاحق وهذا هو البداء ووجه المصلحة هو اختبار قوم النبيّ نوحعليه السلام ممّن آمن به.

وقوع البداء في قوم يونسعليه السلام

روي أنّ يونس بن متىعليه السلام بعثه الله إلى قومه وهو ابن ثلاثين سنة وأقام يدعو قومه إلى الإيمان بالله والتصديق به ثلاثاً وثلاثين سنة، فلم يؤمن به ولم يتبعه إلّا رجلان: (روبيل) و(تنوخا) وكان الأوّل من أهل بيت العلم والنبوّة والحكمة، والثاني رجلاً مستضعفاً زاهداً عابداً وليس له علم ولا حِكم، فلمّا رأى يونس أنّ قومه لا يجيبونه ولا يؤمنون به دعا عليهم فأوحى الله عزّوجلّ

---

(١) أنظر تمام الخبر في البحار ج ١١ ص ٣٢٧ ح ٤٨ ط طهران.

إليه: إنّه سيأتيهم عذاب في شوّال يوم الأربعاء وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فانطلق يونس وأخبر قومه بذلك وخرج مع العابد (تنوخا) من المدينة إلى أعلى الجبل، فلمّا رأى ذلك (روبيل) صرخ بأعلى صوته في رأس الجبل إلى القوم: أنا روبيل هذا شوّال قد دخل عليكم وقد أخبركم يونس نبيّكم إنّ الله أوحى إليه أنّ العذاب ينزل عليكم فيه ولن يخلف الله وعده، فأفزعهم كلامه ووقع في قلوبهم فأجفلوا نحو روبيل وقالوا له: ماذا تشير علينا؟ قال: أشير عليكم أن تنظروا وتعمدوا يوم الأربعاء أن تعدلوا الأطفال عن الأمّهات في أسفل الجبل وتقفوا النساء في سفح الجبل وهكذا فرّقوا بين البهائم وصغارها وتضرّعوا إلى الله بالبكاء والتوبة وارفعوا رؤوسكم إلى السماء وقولوا: ربّنا ظلمنا وكذّبنا نبيّك وتبنا إليك من ذنوبنا.

ففعلوا ذلك كلّه، فصرف الله العذاب عنهم وأبعده عنهم بسبب توبتهم وصدق نيّاتهم وهذا هو البداء[1]، أي أظهر لهم النجاة والخلاص بعدما كان الأمر مخفيّاً عنهم.

وقوع البداء في زمن عيسىٰ عليه السلام

ذكر العلّامة المجلسي في البحار مسنداً عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ عيسى روح الله مرّ بقوم مجلبين فقال: ما لهؤلاء؟ قيل: ياروح الله إنّ فلانة بنت فلان تهدى - تُزوَّج - إلى فلان بن فلان في ليلتها هذه، فقال عليه السلام: يجلبون اليوم ويبكون غداً، فقال قائل منهم: ولِمَ يارسول الله؟ قال: لأنّ صاحبتهم ميّتة في ليلتها هذه، فقال القائلون بمقالته: صدق الله وصدق رسوله. وقال أهل النفاق: ما أقرب غداً فلمّا أصبحوا جاؤوا فوجدوها على

---

(١) أُنظر تمام الخبر في البحار ج ١٤ ص ٣٩٢ ح ١٢ ط طهران.

حالها لم يحدث بها شيء فقالوا: ياروح الله إنّ التي أخبرتنا أمس أنّها ميّتة لم تمت، فقال عيسىٰ عليه السلام: يفعل الله ما يشاء فاذهبوا بنا إليها فذهبوا يتسابقون حتّى قرعوا الباب فخرج زوجها فقال له عيسىٰ عليه السلام: استأذن لي على صاحبتك قال: فدخل عليها فأخبرها أنّ روح الله وكلمته بالباب مع عدّة قال: فتخدّرت فدخل عليها فقال لها: ما صنعتِ ليلتك هذه؟ قالت: لم أصنع شيئاً إلّا وقد كنت أصنعه فيما مضى أنّه كان يعترينا سائل في كلّ ليلة جمعة فننيله ما يقوّته إلى مثلها وإنّه جاءني في ليلتي هذه وأنا مشغولة بأمري وأهلي في مشاغل فهتف فلم يجبه أحد ثمّ هتف فلم يُجب حتّى هتف مراراً فلمّا سمعت مقالته قمت متنكّرة حتّىٰ نلته كما كنّا ننيله (من الطعام) فقال لها: تنحّي عن مجلسك فإذا تحت ثيابها أفعىٰ مثل جذعة عاض على ذنبه، فقال عليه السلام: بما صنعتِ صرف عنك هذا[1].

أي إنّ الله سبحانه أظهر لها وللناس أمره الذي كان مكتوماً عنهم وهذا من أظهر مصاديق البداء.

وقوع البداء في زمن النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله

ذكر العلّامة المجلسي في البحار نقلاً عن الكافي مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: مرّ يهودي بالنبيّ فقال: السام عليك، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: عليك، فقال أصحابه: إنّما سلّم عليك بالموت، فقال: الموت عليك، فقال صلى الله عليه وآله: وكذلك رددتُ، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: إنّ هذا اليهودي يعضّه أسود في قفاه فيقتله، فذهب اليهودي فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله ثمّ لم يلبث أن انصرف، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ضعه فوضع الحطب فإذا أسود ـ أفعىٰ ـ في جوف الحطب عاض على عود فقال: يا يهودي ما عملت اليوم؟

---

(١) أنظر البحار ج ٤ ص ٩٤ ح ١ باب ٣.

قال: ما عملت عملاً إلّا حطبي هذا حملته فجئت به وكان معي كعكتان فأكلت واحدة وتصدّقت بواحدة على مسكين فقال رسول اللهﷺ: بها دفع الله عنه، وقالﷺ: إنّ الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان[١].

أي أنّ الموت كان مقدّراً عليه ولكن الله سبحانه دفعه عنه بسبب الصدقة مع علمه سبحانه بكلا التقديرين منذ الأزل ولم يستجد له سبحانه وتعالى شيء، وكأنّ التقدير الأوّل كان مشروطاً بالصدقة أي أنّه مقدّر عليه أن يموت بالأفعىٰ ما لم يتصدّق فإن تصدّق دُفع عنه هذا الموت.

توضيح دقيق عن البداء

فإن قيل: إنّ هذه الأخبار آحاد ولا يمكن الركون عليها، لأنّها لا توجب علماً ولا عملاً فإنّا نقول: أوّلاً: إنّ أدلّة البداء لا تنحصر بهذين الخبرين وإنّما هناك أدلّة أخرى كثيرة يعضد بعضها بعضاً وقد تقدّمت الإشارة إلى قدر يسير منها.

ثانياً: وكان قصدي من إيراد هذه القصص والروايات هو توضيح معنى البداء لغةً فهو الظهور بعد الخفاء أي ما كان خافياً على الناس، لا كما يتصور االبعض أنّه الندامة والجهل والعياذ بالله، كما زعمت اليهود في الآية ٦ و٧ في الباب ٦ من سفر (الإيجاد) أنّ الخالق سبحانه وتعالى ندم على خلقه الإنسان وجعله في الأرض وأنّه تعالى حزن على هذا الأمر.. الخ.

وما زالت اليهود إلى اليوم تزعم أنّ الله تعالى خلق الخلق كلّه بدفعة واحدة وقد فرغ منه واستحال عليه تعالى التأثير في هذا العالم بعد خلقه له كما قالت اليهود قديماً ﴿قَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[٢].

---

(١) البحار ج ٤ ص ١٢١ باب ٣ ح ٦٧ وج ١٨ ص ٢١ ح ٤٨.

(٢) المائدة: ٦٤.

فالأئمّة عليهم السلام ـ من أهل البيت ـ عندما أثبتوا البداء كعقيدة إسلامية فإنّهم إنّما أرادوا دفع هذه المزاعم الباطلة والآراء الكاسدة، وإثبات الارتباط الدائم بين الخالق والمخلوق كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(١) فله سبحانه التأثير التامّ في مخلوقاته وفق نظام الحكمة الذي يجريه سبحانه من طول أو قصر عمر أو تغيير واقع الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(٢).

فهذا التغيير قائم على أساس المقدّمات التي يرتكبها نفس الإنسان لا على أساس الندامة والجهالة والعياذ بالله كما زعم أهل السنّة أو اليهود!!

كيف والعلم بالنسبة إليه سبحانه ذاتي أزلي أبدي، لأنّه عين ذاته، نعم والعلم عند المخلوق إفاضة منه سبحانه ورشحة من رشحات فيضه الربّاني وأحياناً يكون بلا واسطة كما في بعض المقرّبين من الرُّسل والذي يُعبّر عنه بـ (العلم اللدني) وأُخرى يكون مع الواسطة.

وبعبارة أُخرى فالعلم المكنون المخزون مختصّ بالله تعالى وهو بالنسبة إلينا يكون (علم الغيب) لأنّه غائب عنّا، ولكنّه محض الشهود بالنسبة إلى الله تعالى والبداء يكون في هذا العلم المكنون.

فالبداء يكون بالأُمور التكوينية كما يحصل النسخ في الأمور التشريعية وكلاهما من أصل واحد وهو علم الغيب.

ولعلّ السرّ في إخفاء هذا النوع من العلم عن الخلق لأجل تضرّعهم إلى الله في كلّ حين وارتباطهم به تعالى على كلّ حال بعدما عرفوا أنّ بيده مقادير الأمور وله القدرة النافذة على التقديم والتأخير والتغيير، فيسعى الإنسان نحو العمل

---

(١) الرحمن: ٢٩.

(٢) الرعد: ١١.

الصالح كالصدقة وبرّ الوالدين وصلة الرحم. إذن فالاعتقاد بالبداء يجعل الإنسان في حركة مستمرّة وأمل جديد وطموح مستجد، فلو قال أحد الأنبياء مثلاً أنّ فلان يموت في يوم كذا، ولكن جرى في علم الله الأزلي المكتوم أنّ فلان هذا إذا تصدّق أو أحسن العمل فإنّ الله سيطيل عمره، فبلا شكّ أنّه سينطلق نحو العمل الصالح وهكذا الاعتقاد بالبَداء يعطي فاعلية أكبر وأمل جديد وارتباط وثيق بالدُّعاء والصدقة وبرّ الوالدين وإعانة المسلم و... وكلّ ذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1]، ولذا روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال: لولا قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ...﴾ لأخبرتكم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة»[2].

ثمرة البحث

وخلاصة ما تقدّم في نقطتين:

الأولى: البداء هو الظهور بعد الخفاء، أي ظهور ما كان خافياً على الناس لا على الله، وليس هو الندامة والجهالة والعياذ بالله، وما يقوله أهل السنّة غير ما ذكرته لكم فهو محض افتراء واتّهام[3].

الثانية: ذكر البغدادي والشهرستاني[4] وابن حزم وغيرهم أنّ المختار يعتقد بالبَداء فهذا القول الذي أرادوا من خلاله تسقيط المختار، ينفع لإثبات كون

---

(١) الرعد: ٣٩.

(٢) البحار ج ٤ ص٩٧ ح ٤ ط طهران.

(٣) أقول: روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: مَن زعم أنّ الله عزّوجلّ يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابرؤوا منه / البحار ج ٤ ص ١١١ ح ٣٠ / المترجم.

(٤) الملل والنحل ج ١ الفصل السادس عند ذكره لفرق الشيعة.

المختار شيعيّاً إماميّاً موحِّداً، إذ لا يقول بالبداء غير الشيعة، وعليه يكون المختار معترفاً بالله ورسوله وأئمّة الدين من آله فهو إذن ليس من المخلّدين في النار، كما أشرتُ إلى ذلك سابقاً، ولا وجود لفرقة باسم (المختارية) كما زعموا أهل الملل والنحل بل اتّهام وافتراء واضح بدليل ما مرَّ عليكم.

سؤال أحد الحاضرين: حسناً بقي موضوع التقية، فماذا تعني التقية في المذهب الشيعي؟ وهل لديكم دليل على جوازها من القرآن والأخبار؟

أدلّة وجوب التقية من الآيات والروايات

الجواب: أوّلاً: معنى التقية لغةً هي الاتّقاء، واصطلاحاً إظهار خلاف الواقع من الأمور الدينية عند احتمال الضرر والخطر على النفس أو المال أو العرض، فيلتزم الإنسان بعقيدته قلبياً ولكنّه يظهر خلافها ظاهرياً لدفع الخطر، ومع الأسف فقد سلك علماء أهل السنّة نهج الأسلاف في طعنهم على الشيعة وعقائدهم وتصوير الحقائق بشكل مقلوب ومشوّش بلا تحقيق منهم ولا إنصاف وهم بذلك يعضدون النهج الأموي.

مع أنّ الأدلّة العقلية والنقلية متظافرة على جواز التقية، بل العقل يحكم بوجوب التقية أحياناً كحفظ النفس والمال والعرض.

فلو تعرّض المسلم الواحد في دولة الكفر والطغيان إلى خطر يهدّد حياته مثلاً فيما لو أظهر دينه وعقيدته حينها يدفعه عقله ووجدانه إلى ضرورة التكتّم وعدم التظاهر بهذا الدين لحفظ النفس، لأنّ حفظها واجب على كلّ مسلم ولا يجوز إلقاء النفس في التهلكة مع إمكان التخلّص والالتزام الكامل بالدين في القلب وعدم البراءة منه، ومضافاً إلى الدليل العقلي فهناك آيات قرآنية صريحة في جواز التقية ووجوبها؛ قال الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً

وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾(١).

وهذه الآية تجيز للمؤمنين أن يتّخذوا الكافرين أولياء في الحالات الاستثنائية وهي حالات الخطر وقد صرّحت الآية أنّ هذا الاسلوب هو تقية، مع أنّ هذه الولاية مبغوضة جدّاً عند الله تعالى كما يظهر من التهديد ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ ولكن مع ذلك أجازها المولىٰ من باب التقية.

وهذه هي التقية التي يقول بها الشيعة ويلتزمون بها تبعاً للقرآن الكريم وسنّة النبيّ ﷺ، وقصّة عمّار بن ياسر في هذا المجال أشهر من الشمس في رابعة النهار فقد ذكرها أكابر الفريقين من السنّة والشيعة كالزمخشري في الكشّاف والفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب، وابن كثير في تفسيره، والبيضاوي في أنوار التنزيل، والسيوطي في الدرّ المنثور عن كبار العلماء والمفسّرين كابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في المستدرك والبيهقي في دلائل النبوّة وابن حجر العسقلاني في الإصابة وابن عبد البرّ المالكي في الاستيعاب، وابن الأثير في أُسد الغابة وآخرين غيرهم كلّ مَن تعرّض لترجمة الصحابي الجليل عمّار بن ياسر بألفاظ متفاوتة قليلاً.

وقصّته تبدأ حينما عزمت قريش على تعذيب المسلمين الأوائل، فكان كبراء قريش يقبضون على المستضعفين من المسلمين ويعذّبونهم بألوان العذاب لصدّهم عن دينهم وإجبارهم على الكفر والبراءة من الإسلام وسبّ

---

(١) آل عمران: ٢٨.

أقول: قال الزمخشري في الكشّاف في ذيل الآية «إلّا أن تتّقوا منهم تقاة..» إلّا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتّقاؤه.. رخّص لهم في موالاتهم إذا خافوهم. والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا / ج ١ ص ٣٥١ / المترجم.

رسول الله ﷺ ومدح الأصنام فكان عمّار من جملة الذين تعرّضوا لهذا التعذيب مع والديه ياسر وسمية وغيرهم كبلال وصهيب والخبّاب وسالم ... الخ[١].

فقد انهار بعضهم تحت الضغط والعذاب فسبّوا رسول الله ﷺ وتبرّأوا من الإسلام ظاهراً، وأمّا عمّار فإنّه رأى المشركين وهم يعذّبون والديه بأقسى الصور، فقد رُبطت سمية بين بعيرين ووجئ في قُبلها بحربة[٢] وكان الذي ضربها أبو جهل (لعنه الله) فنالت درجة الشهادة، ورأى والده الذي عُذّب بألوان العذاب حتّى مات تحت التعذيب، فهما أوّل قتيلين قتلا في الإسلام كما ذكر جميع المؤرّخين من الفريقين[٣].

فلمّا تعرّض عمّار للتعذيب الروحي والجسدي انهار فأجرى على لسانه ما أرادت قريش منه ولكنّه ظلّ على إيمانه القلبي والباطني معتقداً بالإسلام، فوصل الخبر إلى النبيّ ﷺ : أنّ عمّاراً كفر، فقال ﷺ : كلّا، أنّ عمّاراً ملئ إيماناً من فرقه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه[٤].

فلمّا وصل عمّار إلى المدينة جلس تحت جدار باكياً نادماً على ما صدر منه فمرَّ به النبيّ ﷺ وجعل يمسح عينيه وقال: ما لكَ؟ إنْ عادوا لك فعد لهم بما قلت وفيه نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[٥] فهي صريحة في جواز التقية لحفظ النفس مع اطمئنان القلب بالإيمان خاصّة إن ضممنا معها قوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٦]

---

(١) أُنظر الكشّاف ج ٢ ص٦٣٦ ذيل الآية ١٠٦ من سورة النحل /المترجم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) النحل: ١٠٦.

(٦) البقرة: ١٩٥.

لتكون التقية في بعض الأحيان واجبة على الإنسان.

ومع كلّ هذه الأدلّة وهذا الوضوح في موضوع التقية إلّا أنّ أهل السنّة شنّوا ـ وما زالوا ـ حملات إعلامية تعسّفية ضدّ الشيعة لأنّهم يقولون بجواز التقية ويعملون بها واتّهموهم بالبدعة، مع أنّها رخصة ربّانية وعقيدة إسلامية نابعة من صميم القرآن الكريم.

ومع الأسف فإنّهم صوّروا موضوع التقية بالخدعة تارةً والمكر أخرى واعتبروا الشيعة أهل المكر والخداع.

ثمّ أنّ الشيعة حال اعتقادهم بهذه الرخصة الربّانية ـ التقيّة ـ إلّا أنّهم لا يجرونها في جميع الأزمنة والأمكنة والظروف، بل لها ظروفها الاستثنائية كما شرحنا ذلك من الخوف على النفس والمال والعرض من الكافر أو المخالف إذ الملاك هو الخطر المهدّد للإنسان سواء كان من كافر أو مسلم، كما مارسها الأئمّة الهداة من أهل البيت عليهم السلام مقابل جبروت واضطهاد بني أُميّة وبني العبّاس لهم.

عود على بدء

والآن نعود إلى كلام الشهرستاني وذكره للفرق الإسلامية التي أدرجها بعد المختارية والكيسانية:

الهاشمية: أتباع أبي هاشم بن محمّد بن الحنفية، قالوا بانتقال الإمامة إلى ابنه أبي هاشم، وقالوا بالتناسخ من شخص إلى شخص.

الحارثية: وهم من الكيسانية قالوا إنّ أبا هاشم مات منصرفاً من الشام بأرض الشراة وأوصى إلى إسحاق بن زيد الحارث الأنصاري الخزرجي وكان أبوه من أهل بدر، وكان هو من جملة التابعين، وقد أباحوا المحرّمات.

البيانية: أتباع بيان بن سمعان النهدي التميمي قالوا بانتقال الإمامة من أبي هاشم إليه.

الرزامية: أتباع رزام بن رزم وهم من الكيسانية قالوا بإمامة علي بن عبدالله ابن عبّاس بالوصية ثمّ ساقوها إلى محمّد بن علي وأوصى الأخير إلى ابنه إبراهيم الإمام وهو صاحب أبي مسلم (أخ المنصور العبّاسي). وهؤلاء قالوا: الدين هو معرفة الإمام وأداء الأمانة ومن حصل له الأمران فقد وصل إلى الكمال.

الزيدية: أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ساقوا الإمامة في أولاد فاطمةعليها السلام وقالوا: كلّ فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين، وقالوا إنّ زيد بن علي تتلمذ على واصل بن عطاء رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل أنّ جدّه علي بن أبي طالب في حروبه ما كان على يقين.

وجرت بينه وبين أخيه محمّد بن علي الباقر مناظرات حول تتلمذه على يد واصل بن عطاء فعاتبه الباقرعليه السلام على حضوره عند واصل وهو يجوّز الخطأ لعليّعليه السلام وزعموا أنّ زيداً قال بخلافة الأوّل والثاني ولمّا سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة وعرفوا أنّه لا يتبرّأ من الشيخين رفضوه فسمّيت رافضة.

دراسة مفصّلة عن زيد بن عليعليه السلام

عندما نراجع المصادر الإسلامية نكتشف الأكاذيب والأباطيل والتهم التي ذكرها الشهرستاني أو ابن حزم أو عبد القاهر البغدادي بالنسبة إلى زيد بن علي.

أوّلاً: لقد ذكر الشيخ المفيد (قدّس الله روحه) في الإرشاد وهكذا نور الدين علي بن محمّد المشهور بابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة، ذكرا: أنّ للإمام السجّادعليه السلام خمسة عشر ولداً منهم (١١) ذكراً و(٤) إناث[١]. وجميع أولاد

---

(١) الإرشاد ص٢٦٨.

الإمامعليه السلام من أُمّهات أولاد إلّا اثنين منهم وهما الإمام محمّد الباقر خامس أئمّة أهل البيتعليهم السلام وأخيه عبدالله ـ الباهر ـ ووالدتهما فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبىعليه السلام.

وقد نقل الراوندي في الدعوات أنّ الإمام الصادقعليه السلام قال عنها: كانت صدِّيقة لم يُدرك في آل الحسن مثلها[١]، فلم يُر مثلها في سائر زوجات الإمام السجّادعليه السلام.

ثانياً: يقول أبو حمزة الثمالي[٢]: كنتُ أزور علي بن الحسينعليه السلام في كلّ سنة مرّة في وقت الحجّ فأتيته سنة من ذاك وإذا على فخذيه صبي فقعدت إليه وجاء الصبي فوقع على عتبة الباب فانشج، فوثب إليه عليّ بن الحسينعليه السلام مهرولاً ينشّف دمه بثوبه ويقول له: يا بُني أُعيذك بالله أن تكون المصلوب في الكناسة، قلت: بأبي أنت وأُمّي أي كَناسة؟ قال: كناسة الكوفة، قلت: جُعلت فداك ويكون ذلك؟ قال: إي والذي بعث محمّداً بالحقّ إن عشت بعدي لترينَّ هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة مقتولاً مدفوناً منبوشاً مسلوباً مسحوباً مصلوباً في الكناسة، ثمّ يُنزَل فيحرق ويُدقُّ ويذرى في البرّ، قلت: جُعلت فداك وما اسم هذا الغلام؟ قال: هذا ابني زيد، ثمّ دمعت عيناه فقال: ألا أُحدّثك بحديث ابني هذا، بينا أنا ليلة ساجد وراكع إذ ذهب بي النوم من بعض حالاتي

← وهم: الإمام محمّد الباقرعليه السلام ـ عبدالله ـ الحسن ـ الحسين ـ زيد ـ عمر ـ الحسين الأصغر ـ عبد الرحمن ـ سليمان ـ علي ـ محمّد الأصغر ـ خديجة ـ فاطمة ـ عليّة ـ أُمّ كلثوم.

(١) البحار ج٤٦، ص١٥٥ عن دعوات الراوندي.

(٢) وهو ممّن أدرك الإمام السجّاد والباقر والصادقعليهم السلام ويُعدّ من أكبر زهّاد الكوفة / المؤلّف.

فرأيت كأنّي في الجنّة وكأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين قد زوّجوني جارية من حور العين فواقعتها فاغتسلتُ عند سدرة المنتهىٰ وولّيتُ وهاتف بي يهتف ليهنئك زيد ليهنئك زيد ليهنئك زيد فاستيقظتُ .. وصلّيتُ صلاة الفجر فدُقّ الباب وقيل لي: على الباب رجل يطلبك فخرجتُ فإذا أنا برجل معه جارية ملفوف كمّها على يده مخمَّرة بخمار فقلت: ما حاجتك؟ فقال: أردتُ عليّ بن الحسين عليه السلام، قلت: أنا عليّ بن الحسين، فقال: أنا رسول المختار بن أبي عبيد الثقفي يقرئك السلام ويقول: وقعت هذه الجارية في ناحيتنا فاشتريتها بستّمائة دينار وهذه ستّمائة دينار فاستعن بها على دهرك، ودفع إليّ كتاباً فأدخلتُ الرجل والجارية، وكتبت له جواب كتابه وتثبّت الرجل ثمّ قلت للجارية: ما أُسمكِ؟ قالت: حوراء، فهيّؤها لي وبتُّ بها عروساً فعلّقت بهذا الغلام فسمّيته زيداً وهو هذا سترىٰ ما قلت لك.

قال أبو حمزة: فوالله ما لبثتُ إلّا برهة حتّى رأيت زيداً بالكوفة في دار معاوية بن إسحاق فأتيته فسلّمت عليه ثمّ قلت: جعلت فداك ما أقدمك هذا البلد؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكنتُ أختلف إليه فجئتُ إليه ليلة النصف من شعبان فسلّمتُ عليه وكان ينتقل في دور بارق وبني هلال، فلمّا جلستُ عنده قال: يا أبا حمزة تقوم حتّى نزور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قلت: نعم جُعلت فداك ـ ثمّ ساق أبو حمزة الحديث حتّى قال ـ: أتينا الذكوات البيض فقال: هذا قبر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ رجعنا، فكان من أمره ما كان فوالله لقد رأيته مقتولاً مدفوناً منبوشاً مسلوباً مسحوباً مصلوباً قد أُحرق ودُقّ في الهواوين وذرِّي في العريض ـ بئر ـ من أسفل العاقول[1].

---

(١) البحار ج٤٦ ص١٨٣ ح٤٨ ط طهران، وعاقولاء: اسم الكوفة في التوراة.

وذكر أبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين بإسناده عن زياد بن المنذر، قال: اشترى المختار بن أبي عبيد جارية بثلاثين ألفاً فقال لها: أدبري فأدبرت ثمّ قال لها: أقبلي، فأقبلت، ثمّ قال: ما أدري أحداً أحقّ بها من عليّ بن الحسين عليه السلام فبعث بها إليه وهي أمّ زيد بن علي عليه السلام[١].

فهاتان الروايتان تعطينا فكرة عن أوليات وبدايات زيد الشهيد وعظمته.

ثالثاً: ثمّ إنّ طريقة تسميته كانت طريقة شريفة فقد روي أنّ الإمام السجّاد عليه السلام تفأل بالقرآن بعد صلاة الفجر مرّتين فخرجت الآية في المرّة الأولى: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[٢] ثمّ تفأل مرّة ثانية فخرجت: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٣] فقال الإمام عليه السلام: هو والله زيد هو والله زيد[٤].

فكانت هذه الحادثة واحدة من الكرامات التي تدلّل على عظمة زيد عليه السلام الذي أراد الإمام عليه السلام أن يربط أهمّيته وعظمته بالقرآن حيث تفأل به فهل يُعقل بعد هذا كلّه أن يُقال إنّ زيداً ادّعى الإمامة ودعى الناس إلى نفسه؟ إن هو إلّا ادّعاء واتّهام باطل ضد الشهيد زيد عليه السلام.

---

(١) المقاتل ص٨٦ ط النجف.

(٢) النساء: ٩٥.

(٣) التوبة: ١١١.

(٤) البحار ج٤٦ ص١٩١ ح٥٧.

بعض الأخبار عن استشهاد زيد

ذكر الشيخ الصدوق رحمه الله في عيون أخبار الرضا عليه السلام مسنداً عن عبدالله بن سيابة قال: خرجنا ونحن سبعة نفر فأتينا المدينة فدخلنا على أبي عبدالله الصادق عليه السلام فقال لنا: أعندكم خبر عمّي زيد؟ فقلنا: قد خرج أو هو خارج، قال: فإن أتاكم خبر فأخبروني.

فمكثنا أيّاماً فأتىٰ رسول بسّام الصيرفي بكتاب فيه: أمّا بعد فإنّ زيد بن عليّ عليه السلام قد خرج يوم الأربعاء غرّة صفر فمكث الأربعاء والخميس وقتل يوم الجمعة ومعه فلان وفلان فدخلنا على الصادق عليه السلام فدفعنا إليه الكتاب فقرأه وبكىٰ ثمّ قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، عند الله أحتسب عمّي إنّه كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضىٰ والله عمّي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم(١).

وعن الفضيل بن يسار قال: انتهيت إلى زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام صبيحة يوم خرج بالكوفة فسمعته يقول: من يعينني منكم على قتال أنباط أهل الشام؟ فوالذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ونذيراً لا يعينني منكم على قتالهم أحد إلّا أخذت بيده يوم القيامة فأدخلته الجنّة بإذن الله عزّوجلّ، فلمّا قُتل اكتريت راحلة وتوجّهت نحو المدينة فدخلتُ على أبي عبدالله عليه السلام فقلت في نفسي: والله لأخبرنّه بقتل زيد بن علي فيجزع عليه فلمّا دخلتُ عليه قال لي: ما فعل عمّي زيد؟ فخنقتني العبرة فقال: قتلوه؟ قلت: أي والله قتلوه، قال: فصلبوه؟ قلت: إي والله فصلبوه، قال: فأقبل يبكي ودموعه تنحدر عن جانبي خدّه كأنّهما الجمان ثمّ قال: يا فضيل شهدت مع عمّي زيد قتال أهل الشام؟ قلت:

---

(١) عيون أخبار الرضا ج١ ص١٩٧ ح٦ باب ٢٥.

نعم، فقال: فكم قتلت منهم؟ قلت: ستّة، قال: فلعلّك شاكّ في دمائهم؟ قلت: لو كنت شاكّاً في دمائهم ما قتلتهم فسمعته وهو يقول: أشركني الله في تلك الدماء، مضىٰ والله زيد عمّي وأصحابه الشهداء مثل ما مضىٰ عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه[1].

وروي مسنداً في العيون عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمّد ابن علي الباقر عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام: يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يتخطّا هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غرّاً محجّلين يدخلون الجنّة بلا حساب[2].

وقد تمسّك الزيدية بهذا الحديث وزعموا أنّهم من أهل الجنّة مع أنّ الحديث يشير إلى أصحاب زيد الذين قُتلوا معه في ساحة الحرب، لا هذه الفرقة الضالّة.

سؤال أحد الحاضرين: ألم يدّعي زيد الإمامة في ثورته بالكوفة؟

الجواب: لا أبداً، فإنّ زيد ثار لله وفي الله وطلباً لمرضاة الله عزّوجلّ في جهاد أعدائه عاملاً بوظيفته الشرعية.

سؤال: هل يوجد دليل على هذا الكلام؟

زيد لم يدّع الإمامة لنفسه

الجواب: نعم، الأدلّة على ذلك كثيرة منها نصوص أئمّة أهل البيت عليهم السلام منها ما ذكره الشيخ الصدوق في العيون مسنداً عن ابن أبي عبدون عن أبيه قال:

---

(١) المصدر السابق ح٧.

(٢) المصدر نفسه ح٢، أقول: ذكره في البحار ج٤٦ ص ١٧٠ ح١٩ عن أمالي الصدوق وهكذا الحديث الذي قبله / المترجم.

لما حُملَ زيد بن موسى بن جعفر[١] إلى المأمون وقد كان خرج بالبصرة وأحرق دور ولد العبّاس وهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضاعليه السلام وقال له: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل لقد خرج قبله زيد بن علي فقتل ولولا مكانك منّي لقتلته فليس ما أتاه بصغير، فقال الرضاعليه السلام: لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن علي فإنّه كان من علماء آل محمّد غضب لله عزّوجلّ فجاهد أعداءه حتّى قتل في سبيله ولقد حدّثني أبي موسى بن جعفرعليه السلام إنّه سمع أباه جعفر بن محمّد بن عليعليه السلام يقول: رحم الله عمّي زيداً إنّه دعا إلى الرضا من آل محمّد ولو ظفر لوفىٰ بما دعا إليه ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عمّ إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك، فلمّا ولّى قال جعفر بن محمّدعليه السلام: ويلٌ لمن سمع واعيته فلم يجبه.

فقال المأمون: يا أبا الحسن أليس قد جاء فيمن ادّعى الإمامة بغير حقّها ما جاء؟ فقال الرضاعليه السلام: إنّ زيد بن علي لم يدّع ما ليس له بحقّ وإنّه كان أتقى لله من ذلك انّه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمّدعليهم السلام، وإنّما جاء ما جاء فيمن يدّعي أنّ الله تعالى نصّ عليه ثمّ يدعو إلى غير دين الله ويضلّ عن سبيله بغير علم وكان زيد والله ممّن خوطب بهذه الآية ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾[٢].[٣]

وفي البحار للعلّامة المجلسي نقلاً عن نصوص الكافية مسنداً عن يحيى ابن زيد بن علي ـ الذي ثار بعد ثورة والده زيد الشهيد عام ١٢٥هـ في الجوزجان وقُتل فيها وصلب بدنه الطاهر ستّة سنوات حتّى جاء أبو مسلم الخراساني

---

(١) المعروف بـ(زيد النار) / المترجم.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) المصدر نفسه ح ١، وذكره البحار ج ٤٦ ص ١٧٤ ح ٢٧ عن العيون.

وأنزل بدنه، وقبره اليوم مزار عام في الجوزجان.

يقول يحيى الشهيد سألت أبي زيد بن علي عن الأئمّة؟ فقال: الأئمّة اثنا عشر أربعة من الماضين وثمانية من الباقين، قلت: فسمّهم يا أبه قال: أمّا الماضين فعليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وعليّ بن الحسين، ومن الباقين أخي الباقر وبعده جعفر الصادق ابنه وبعده موسىٰ ابنه وبعده علي ابنه وبعده محمّد ابنه وبعده علي ابنه وبعده الحسن ابنه وبعده المهدي ابنه، فقلت له: يا أبة ألستَ منهم؟ قال: لا، ولكنّي من العترة قلت: فمن أين عرفت أساميهم؟ قال: عهدٌ معهود عهده إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله(١).

وروي مسنداً عن عمير بن المتوكّل بن هارون البجلي (الذي تنتهي إليه جميع سلسلة سند الصحيفة السجّادية) قال: لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجّه إلى خراسان، فما رأيت مثله رجلاً في عقله وفضله فسألته عن أبيه، فقال: إنّه قُتل وصلب بالكناسة، ثمّ بكىٰ وبكيت حتّىٰ غشي عليه، فلمّا سكن قلت له: يابن رسول الله وما الذي أخرجه إلى قتال هذا الطاغي وقد علم من أهل الكوفة ما علم؟

فقال: نعم، لقد سألته عن ذلك فقال: سمعت أبي عليه السلام يحدِّث عن أبيه الحسين بن علي عليهما السلام قال: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صلبي فقال: يا حسين يخرج من صلبك رجل يُقال له زيد يُقتل شهيداً فإذا كان يوم القيامة يتخطّىٰ هو وأصحابه رقاب الناس ويدخل الجنّة فأحببتُ أن أكون كما وصفني رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: رحم الله أبي زيداً كان والله أحد المتعبِّدين، قائم ليله صائم نهاره، يجاهد في سبيل الله عزّوجلّ حقّ جهاده، فقلت: ياابن رسول الله هكذا يكون من الإمام بهذه الصفة؟ فقال: يا عبدالله إنّ أبي لم يكن إماماً ولكن من

---

(١) البحار ج٤٦ ص١٩٨ ح٧٣.

سادات الكرام وزهّادهم وكان من المجاهدين في سبيل الله، قلت: ياابن رسول الله أمّا إنّ أباك قد ادّعى الإمامة وخرج مجاهداً في سبيل الله وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيمن ادّعى الإمامة كاذباً. فقال: مه يا عبدالله إنّ أبي كان أعقل من أن يدّعي ما ليس له بحقّ وإنّما قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمّد عنى بذلك عمّي جعفراً، قلت: فهو اليوم صاحب الأمر؟ قال: نعم هو أفقه بني هاشم، ثمّ قال: يا عبدالله إنّي أُخبرك عن أبي عليه السلام وزهده وعبادته، إنّه كان عليه السلام يصلّي في نهاره ما شاء الله فإذا جنّ الليل عليه نام نومة خفيفة ثمّ يقوم فيصلّي في جوف الليل ما شاء الله ثمّ يقوم قائماً على قدميه يدعو الله تبارك وتعالى ويتضرّع له ويبكي بدموع جارية، حتّى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر سجد سجدة ثمّ يقوم يصلّي الغداة إذا وضح الفجر، فإذا فرغ من صلاته قعد في التعقيب إلى أن يتعالى النهار، ثمّ يقوم في حاجته ساعة فإذا قرب الزوال قعد في مصلّاه فسبّح الله ومجّده إلى وقت الصلاة فإذا حان وقت الصلاة قام فصلّى الأولى وجلس هنيئة وصلّى العصر وقعد في تعقيبه ساعة ثمّ سجد سجدة فإذا غابت الشمس صلّى العشاء والعتمة، قلت: كان يصوم دهره؟ قال: لا، ولكنّه كان يصوم في السنة ثلاثة أشهر ويصوم في الشهر ثلاثة أيّام قلت: وكان يفتي الناس في معالم دينهم؟ قال: ما أذكر ذلك عنه ثمّ أخرج إليّ صحيفة كاملة أدعية علي بن الحسين عليه السلام[1].

وذكر المجلسي رحمه الله في البحار أيضاً مسنداً عن محمّد بن مسلم قال: دخلت على زيد بن علي فقلت: إنّ قوماً يزعمون أنّك صاحب هذا الأمر؟ قال: لا، ولكنّي من العترة، قلت: فمن يلي هذا الأمر بعدكم؟ قال: سبعة من الخلفاء والمهدي منهم.

---

(١) البحار ج ٤٦ ص ١٩٩ ح ٧٣ وتنقيح المقال ج ١ ص ٤٦٩.

قال محمّد بن مسلم: ثمّ دخلت على الباقر فأخبرته بذلك، فقال: صدق أخي زيد صدق أخي زيد سيلي هذا الأمر بعدي سبعة من الأوصياء والمهدي منهم ثمّ بكىٰ عليه السلام وقال: كأنّي به وقد صُلب في الكناسة، ياابن مسلم حدّثني أبي عن أبيه الحسين قال: وضع ... (مرَّ الحديث سابقاً)[١].

وجاء في كتاب كفاية النصوص مسنداً في فضائل العترة والذرّية الطاهرة إلّا أنّي سأكتفي بذكر موضع الشاهد وقد ذكره العلّامة المجلسي في البحار أيضاً عن محمّد بن بكير قال: قلت لزيد: ياابن رسول الله ألستَ صاحب هذا الأمر؟ فقال: أنا من العترة فعدتُ فعاد إليَّ..[٢].

وروى الصدوق مسنداً عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي عليه السلام إنّه قال: في كلّ زمان رجل منّا أهل البيت يحتجّ الله به على خلقه وحجّة زماننا ابن أخي جعفر بن محمّد عليه السلام لا يضلّ من تبعه ولا يهتدي من خالفه[٣].

وذكر العلّامة المامقاني في التنقيح عن رجال الكشي مسنداً عن الفضيل الرسان أنّه قال: دخلت على الصادق عليه السلام بعد قتل زيد، فأدخلني في الدار ثمّ قال لي: يا فضيل هل قُتل زيد؟ فقلت: بلىٰ جُعلت فداك، فقال عليه السلام: رحمه الله أمّا إنّه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صدوقاً أمّا أنّه لو ظفر لوفىٰ، أما انّه لو ملك لعرف كيف يضعها[٤].

ثمّ قال العلّامة المامقاني معلّقاً:

وقال الشيخ في التكملة: اتّفق علماء الإسلام على جلالته وثقته وورعه

---

(١) البحار ج٤٦ ص٢٠٠ ح٧٤.

(٢) المصدر نفسه ص٢٠٢ ح٧٧.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) تنقيح المقال ج١ ص٤٦٨.

وعلمه وفضله وقد روي في ذلك أخبار كثيرة، حتّى عقد ابن بابويه في العيون باباً لذلك[١].

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد: وكان زيد بن علي بن الحسين عليه السلام عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخيّاً شجاعاً وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين عليه السلام.

ثمّ قال: واعتقد كثير من الشيعة فيه بالإمامة وكان سبب اعتقادهم ذلك في خروجه بالسيف يدعو إلى الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله فظنّوه يريد بذلك نفسه ولم يكن يريدها به لمعرفته باستحقاق أخيه عليه السلام للإمامة من قبله ووصيّته عند وفاته إلى أبي عبدالله عليه السلام[٢].

سؤال أحد الحاضرين: إذا لم يدّع زيد الإمامة فلماذا ثار حتّى قتل[٣]؟

الجواب: لقد ذكرت المصادر التأريخية كالطبري وابن الأثير وسپهر وغيرهم أنّ خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم الأموي كان والي المدينة آنذاك وكان شديد الإيذاء لبني هاشم لاسيّما لزيد بن علي عليه السلام، فقرّر زيد أن يذهب إلى الخليفة الأموي في الشام ويشكو عنده خالد، وحدّث أخيه الإمام الباقر عليه السلام عن قراره هذا وأعلمه أنّه سيقاتلهم إن تمادوا في الطغيان، فقال له عليه السلام: أما علمت يازيد أنّه لا يخرج أحد من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفياني إلّا قتل[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الإرشاد ص٢٦٨.

(٣) أقول: لقد ذكر المصنّف قول زيد: خرجت لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر / المترجم.

(٤) السفياني هو عثمان بن عنبسة من ذرّية بني أُميّة يخرج قبل ظهور الإمام

إذن يُعلم من ذلك أنّ ثورة زيد لم تكن لدعواه الإمامة بل لأمور عديدة منها:

الأوّل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ذكرنا ذلك سابقاً، فقد كان الفساد والانحلال والتجاهر بالفسق والعصيان من أبرز معالم الدولة الأموية كشرب الخمر وبيعه وشرائه ومجالس الغناء والرقص في دور الأمراء إلى أن سرىٰ ذلك الداء إلى عوام الناس وأصبح ظاهرة عامّة.

وكان زيد وهو سليل الذرّية الطاهرة يحارب ويشجب هذه المظاهر الرذيلة، فكان سلوكه الطاهر وشجبه المستمرّ لهذه المفاسد يثير حفيظة والي المدينة حتّى ذهب زيد ضحيّة هؤلاء الطواغيت أولاد العواهر، فثار ضدّهم لإحقاق الحقّ كما ثار جدّه الإمام الحسين عليه السلام من قبل.

وعلى هذا الأساس انطلق زيد نحو الشام لرؤية هشام بن عبد الملك بن مروان لعنهم الله، فجعل هشام لا يأذن له وزيد يرفع إليه القصاصات وكلّما رفع إليه رقعة كتب هشام في أسفلها: ارجع إلى أرضك، فيقول زيد: والله لا أرجع إلى ابن الحرث أبداً ثمّ أذن له بعد حبس طويل، فلمّا مثل بين يديه لم ير موضعاً يجلس فيه فجلس حيث انتهى مجلسه، وقال: إنّه ليس من عباد الله أحد فوق أن يوصي بتقوى الله ولا من عباده أحد دون أن يوصي بتقوى الله، وأنا أوصيك

← المهدي عليه السلام بثمانية أشهر في الشام ثمّ يستولي على العراق ويأمر بهدم جميع أضرحة وقبور أهل البيت عليهم السلام في العراق والمدينة، ثمّ يُخسف بجيشه البالغ (٣٠٠,٠٠٠) في البيداء بين مكّة والمدينة، عندها يظهر الإمام المهدي عليه السلام في مكّة ويقتل السفياني في بيت المقدس مع أتباعه وأصحابه، وعندها تعلو علائم دولة الحقّ، فالخلاصة يكون السفياني من علائم الظهور وهو من العلامات الحتمية كما نصّ الإمام المهدي عليه السلام على ذلك في توقيعه إلى علي بن محمّد السمري آخر نوّابه الأربعة / المترجم.

بتقوى الله يا أمير المؤمنين فاتّقه[١].

ولكن هشام أخذته العزّة بالإثم فقال له: اسكت لا أُمّ لك أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وأنت ابن أَمَة.

فقال زيد: إنّ الأمّهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أُمّ إسماعيل أَمَة لأُمّ إسحاق صلّى الله عليهما وسلّم، ولم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيّاً، وجعله للعرب أباً فأخرج من صلبه خير البشر محمّد فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي[٢].

فقال هشام: أخرجوه من هنا، فأخذوه حتّى طردوه عن حدود الشام، فلمّا فارقوه عدل إلى العراق ودخل الكوفة، وكتب ما جرىٰ بينه وبين هشام إلى أخيه الإمام الباقر عليه السلام، وقيل: إنّه لمّا قام من مجلس هشام قال ـ على رواية ابن خلكان ـ:

من عاد بالسيف لاقىٰ فرحة عجبا   موتاً على عجب أو مات منتصبا

ثورة زيد الشهيد

فلمّا دخل الكوفة بايعه بعض أهلها وكانوا خمسة عشر ألف كما ذكره أبي مخنف في عمدة الطالب[٣] ما عدا الذين بايعوه في المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان حينما سمعوا بثورته ومحاولة إصلاحه للأمور.

وقال صاحب روضة الصفا: إنّ أكثر المؤرِّخين ذكروا أنّ الذين بايعوا زيداً كانوا أربعين ألفاً.

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص٢٠٦ ط دار الأندلس ـ بيروت.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مقاتل الطالبيين ص١٣٢.

وقد أقام زيد بن علي عليه السلام في العراق (١٧) شهراً وسافر خلالها إلى البصرة لمدّة شهرين وقضىٰ بقيّة الفترة في الكوفة، إلى اليوم الأوّل من صفر عام ١٢٢هـ حين خرج في الكوفة وقد خرج معه فقط خمسمائة رجل وقيل مائتين وثمانية عشر[١]، بينما غدر به الآخرون كعادتهم، فلمّا علم يوسف بن عمر الثقفي والي الكوفة أرسل ألفين من الفرسان لقتال زيد ثمّ بعث إلى الحكم بن الصلت يأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم فيحضرهم فيه فبعث الحكم إلى العرفاء والشرط والمناكب والمقاتلة فأدخلوهم المسجد ثمّ نادى مناديه: أيّما رجل من العرب والموالي أدركناه في رحبة المسجد فقد برئت منه الذمّة، بينما حمل زيد ومَن معه على الفرسان فهزموهم حتّى وصلوا إلى باب المسجد فلمّا سمع الناس أصوات زيد حاولوا فتح الباب له، إلّا أنّ الحرس كانوا يرشقونهم من أعلى السور بالسهام والنبال وحصلت عند باب المسجد معركة طاحنة[٢] استشهد فيها زياد بن عبد الرحمن ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة وجزيمة وهم من قوّاد جيش زيد بن علي عليه السلام واستشهد معهم سبع وستّين فارساً واستمرّت ثورة زيد ليلتين كان زيد فيهما يكرّ يميناً وشمالاً مع ولده يحيى ومن بقي معه، وذكر المسعودي أشعاراً لزيد كان ينشدها آنذاك:

أذلّ الحياة وعزّ الممات ... وكلّاً أراه طعاماً وبيلا
فإن كان لابدّ من واحد ... فسيري إلى الموت سيراً جميلا[٣]

وفي اليوم الثاني من صفر رُمي زيد بسهم في جنح الليل فأصاب جانب جبهته اليسرى فنزل السهم في الدماغ فحمله أصحابه ومعه ولده يحيى ومحمّد

---

(١) المصدر نفسه ص١٣٤.
(٢) مقاتل الطالبيين ص١٣٥.
(٣) مروج الذهب ج٣ ص٢٠٧ ط دار الأندلس ـ بيروت.

ابن مسلم الخيّاط ودخلوا بيت أحد الشيعة، وانطلق أُناس من أصحابه فجاؤوا بطبيب ـ حجّام ـ فقال له: إنّك إن نزعته من رأسك مت، قال: الموت أيسر عَلَيَّ ممّا أنا فيه، فلمّا نزع السهم من جبهته فارقت روحه الدُّنيا وكان له من العمر اثنتين وأربعين عاماً، ثمّ حملوا جسده الطاهر ودفنوه في النهر وأجروا عليه الماء خوفاً على جسده من بني أُمية وحضر الحجّام مواراته فعرف الموضع، وفي اليوم التالي بعث يوسف الثقفي رجالاً للبحث عن قبره فدلّهم عليه نفس ذلك الحجّام السندي، فذهبوا إلى قبره وأخرجوا جسده وحزّوا رأسه وأرسلوه إلى هشام بن عبد الملك في الشام[١]، فأرسل الأخير لعنه الله إلى يوسف الثقفي أن اصلب جسد زيد عارياً فصُنع به ذلك إلّا أنّ الله تعالى أرسل عنكبوتاً نسجت على عورتيه فلم تُر له عورة طيلة سنوات صلبه عليه السلام وذكروا أنّه ظلّ مصلوباً أربعة سنين وقيل خمسين شهراً، وأنّه ظلّ مصلوباً إلى أيّام الوليد بن يزيد فأمر الأخير أن يُنزل جسد زيد ويُحرق بالنار ويُذر في البحر وقد فُعلَ به كلّ ذلك[٢]، فلمّا سمع الإمام الصادق عليه السلام بذلك بكىٰ عليه بكاءاً شديداً كما تقدّم.

وجاء في بحار الأنوار للعلّامة المجلسي رحمه الله نقلاً عن رجال الكشي مسنداً عن عبدالرحمن بن سيابة أنّه قال: لمّا قتل ـ زيد ـ بلغ ذلك من أبي عبدالله الصادق عليه السلام كلّ مبلغ وحزن عليه حزناً عظيماً حتّىٰ بان عليه، وفرّق من ماله في عيال من أُصيب معه من أصحابه ألف دينار، وروى ذلك أبو خالد الواسطي قال: سلّم إليَّ أبو عبدالله ألف دينار وأمرني أن أقسّمها في عيال من أُصيب مع زيد، فأصاب عيال عبدالله بن الزبير أخي فضيل الرسّان منها أربعة

---

(١) يُقال إنّ رأسه أُرسل إلى المدينة وبقي ليلة واحدة في جوار قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وقيل غير ذلك وقد تركنا هذا حفظاً للاختصار / المؤلّف.

(٢) مقاتل الطالبيين ص١٣٩.

دنانير[١].

وروى العلّامة المجلسي عن كشف الغمّة: إنّه بلغ الصادق عليه السلام قول الحكيم ابن العبّاس الكلبي:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلةٍ ولم أرَ مهدياً على الجذع يُصلب
وقستم بعثمان علياً سفاهةً وعثمان خير من عليّ وأطيب

فرفع الصادق عليه السلام يديه إلى السماء وهما يرعشان فقال: اللّهمّ إن كان عبدك كاذباً فسلّط عليه كلبك، فبعثه بنو أُميّة إلى الكوفة فبينما هو يدور في سككها، إذ افترسه الأسد، واتّصل خبره بجعفر الصادق عليه السلام فخرّ ساجداً ثمّ قال: الحمد لله الذي أنجزنا ما وعدنا[٢].

نتيجة البحث

من جميع ما تقدّم نحصل على أمرين مهمّين:

الأوّل: أنّ زيداً عليه الرحمة مبرءُ من جميع الاتّهامات التي ألصقها به أهل السنّة كادّعائه الإمامة كما زعموا باطلاً.

الثاني: أنّه كان معتقداً بإمامة أخيه الباقر ومن بعده الصادق عليهما السلام.

نعم، قد توجد بعض الأخبار المتعارضة حول زيد ولكن المحقّقين من العلماء اتّفقوا على جلالة قدره وما روي معارضاً لذلك عن زرارة أو غيره إنّما كان من باب التقية، أو روايات مجعولة يرويها الحسين بن علوان وعمرو بن خالد وكلاهما من الزيدية لا يمكن الاعتماد عليهما، ولهذا قبل المحقّق الوحيد قدس سره روايات القسم الأوّل التي تثني وتمدح زيد بينما لا يركن إلى ما عارضها لأنّها

---

(١) البحار ج٤٦ ص١٨٧ باب ١١.

(٢) المصدر نفسه ص١٩٢ ح٥٨.

صدرت من باب التقية، وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني في المقاتل مسنداً عن أبي قرّة يقول في نهايته: يا أبا قرّة والذي يعلم ما تحت وريد زيد بن علي إنّ زيد بن علي لم يهتك لله محرماً منذ عرف يمينه من شماله، يا أبا قرّة من أطاع الله أطاعه ما خلق(١).

وجاء في التنقيح للعلّامة المامقاني نقلاً عن سرائر ابن إدريس عن حذيفة ابن اليمان أنّ رسول الله نظر إلى زيد بن حارثة يوماً فقال: المقتول في الله والمصلوب في أُمّتي المظلوم من أهل بيتي سميّ هذا، وأشار بيده إلى زيد بن حارثة، فقال له: أدن منّي يا زيد زادك اسمك عندي حبّاً، فأنت سميّ الحبيب من أهل بيتي(٢).

وذكر أبو الفرج الاصفهاني بإسناده عن جرير بن حازم أنّه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام وهو متساند إلى جذع زيد بن علي وهو مصلوب وهو يقول: أهكذا تفعلون بولدي(٣).

فهذه منزلة زيد الشهيد وهذه هي نظرتنا المقدّسة إلى زيد رحمة الله عليه وكلّ ما يُروى غير ذلك يُطرح بلا شكّ.

عقائد الزيدية الباطلة

سؤال أحد الحاضرين: إذن من هم الزيدية؟ وما هي آراؤهم؟

الجواب: الزيدية فرقة كانوا من بسطاء الشيعة أوّل أمرهم ثمّ انخدعوا ببعض الأقوال التي أثارها بعض المغرضين وقالوا بإمامة زيد بن علي، وقد

---

(١) مقاتل الطالبيين ص١٢٥.

(٢) تنقيح المقال ج١ ص٤٧٠.

(٣) مقاتل الطالبيين ص١٤٤.

خُدعوا بهذه المقالة: كلّ فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين عليهما السلام ولأنّ هذه الأوصاف تنطبق على زيد الشهيد فقالوا بإمامته.

فأمّا من حيث الصغرى والمقدّمة فصحيح لأنّ زيداً عالم وفاطمي وزاهد وشجاع سخيّ ولكن من حيث النتيجة فخطأ واضح، لأنّ زيداً لم يدّع الإمامة كما أشرنا إلى ذلك.

وقد ذكر العلّامة المجلسي في البحار نقلاً عن الكافي مسنداً عن عيسىٰ بن قاسم في حديث مفصّل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: لا تقولوا خرج زيد، فإنّ زيداً كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه إنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمّد ولوْ ظهر لوفىٰ بما دعاكم إليه إنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه[1].

وروى خبر لقاء المتوكّل بن هارون مع يحيى بن زيد، فقال يحيى: إنّ أبي لم يكن بإمام ولكن من سادات الكرام وزهّادهم وكان من المجاهدين في سبيل الله[2]. وقد استفاد الزيدية من هذه الروايات التي تمدح زيد لإضفاء نوع من الرونق على مذهبهم الفاسد.

الجارودية: وأوّل من جمع الزيدية هو أبو الجارود زياد بن منذر الهمذاني النهدي الثقفي الكوفي كان موجوداً إلى عام ١٥٠هـ، وكان الإمام الباقر عليه السلام يسمّيه سرحوب وهو شيطان أعمىٰ يسكن البحر[3]، وزعموا ـ الجارودية ـ أنّ

---

(١) البحار ج٥٢، ص٣٠١، باب ٢٦، ط: المكتبة الإسلامية، ووسائل الشيعة ج١١، ص٤٠٠، ح١.

(٢) تقدّم مصدره.

(٣) الأنوار النعمانية ج٢ ص٢٤٤، والملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١٢٨ دار الفكر ـ بيروت.

النبيّ صلى الله عليه وآله نص على عليّ عليه السلام بالوصف دون التسمية وهو الإمام بعده، وكفروا الصحابة لأنّهم لم ينصبوا علياً عليه السلام. والإمامة بعد الحسن والحسين شورىٰ في أولادهما فمن خرج منهم بالسيف وهو عالم شجاع هو الإمام.

السُّليمانية: فرقة ثانية من الزيدية أصحاب سليمان بن جرير، الذي خرج وثار في زمن المنصور الدوانيقي، قالوا: إنّ الإمامة شورىٰ ويصحّ أن تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين، وأنّها تصحّ في المفضول مع وجود الأفضل، وأثبتوا إمامة أبي بكر وعمر، لأنّ الأُمّة أخطأت في البيعة لهما مع وجود علي عليه السلام خطأ لا يبلغ درجة الفسق وذلك الخطأ خطأ اجتهادي، غير أنّهم ـ السليمانية ـ طعنوا في عثمان بن عفّان وطلحة والزبير وعائشة وكفّروهم لما صدر منهم.

التبرية أو الصالحية: وهم فرقة ثالثة من الزيدية، أتباع الحسن بن صالح ابن حي، أو حيّان بن الشعني بن هني بن رافع الهمداني الثوري الكوفي وهو من العبّاد والفقهاء توفّي عام ١٦٩هـ.

والآخر هو كثير النواء إسماعيل الذي توفّي في نفس العام، وهما متّفقان في المذهب إلّا أنّ التبرية توقّفوا في عثمان فلم يمدحوه ولم يذمّوه، وقد تفرّع من التبرية أو الصالحية فروع كثيرة أتركها للاختصار.

وجميع فرق الزيدية يرجعون في الأصول إلى المعتزلة ويعظّمون أئمّة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وأمّا في الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة إلّا مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي والشيعة.

وللزيدية فروع وشعب كثيرة جدّاً متفرّقة في البلدان وأكثرهم في اليمن بسبب دولتهم وسلطنتهم الظاهرة في هذا البلد، والزيدية اليوم هو المذهب الرسمي للبلاد، وحاكمهم اليوم هو الملك أحمد بن يحيى وهو السابع والعشرين في سلسلة حكّام اليمن من الزيدية، ومن الصدف إنّي سمعت اليوم (الأربعاء ١٢ ربيع الثاني ١٣٨١هـ) أنّ الملك أحمد قد توفّي في صنعاء عن عمر

يناهز الثالثة والسبعين وقام مقامه ولده سيف الإسلام محمّد البدر وهو زيدي أيضاً، بعد أن نحّىٰ عبدالله السلال، ولكن الأخير حرّك معه بعض القوّات المسلّحة وحاصر قصر السلطنة وطلب من الملك الجديد أن يسلّم نفسه، ولمّا امتنع الملك ضربت مدافع عبدالله السلال قصر الملك حتّى فرّ من القصر مع بعض رجاله إلى جبال اليمن وحكم عبدالله السلال اليمن وما تزال المناوشات قائمة بينهما. ويظهر من الأوضاع أنّها نهاية حكم الزيدية.

الإمامية: وهم فرقة من فرق المسلمين يعتقدون ـ بالأدلّة والبراهين القاطعة الساطعة الواضحة ـ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ على إمامة وخلافة عليّ عليه السلام وأنّه وليّه بعده وإمام أُمّته بأمر الله تعالى، وأنّ الإمامة مستمرّة في ذرّيته إلى أحد عشر إماماً، وكلّ مَن مال عن هذا الاعتقاد فهو منحرف عن الحقّ.

ومؤلّف هذا الكتاب العبد الذليل المطيع لله تعالى ولمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله من هذه الفرقة وهم الفرقة الناجية إن شاء الله كما سيظهر.

وأمّا شرح عقائد الإمامية وردّ جميع المزخرفات والأباطيل فسوق أشير إليها في آخر الكتاب كما تقدّم بعضها.

الباقرية والجعفرية: وقد ذكرهما الشهرستاني في الملل والنحل وقال إنّ لهم عقائداً خاصّة، بينما اكتفى عبد القاهر البغدادي بذكر الباقرية، وكعادته نسب مجموعة من الأكاذيب إليهم واعتبرهم من الشيعة، مع أنّ الشيعة لا تعرف لهذين الاسمين أي وجود خارجي، وقد ذكرهما الشهرستاني ونحوهما من فرق الواقفية، مع أنّ الواقفية ظهرت بعد إمامة الإمام الكاظم عليه السلام والتي أشرنا إليها سابقاً.

الناووسية: أتباع رجل يقال له عجلان بن ناووس من قرية ناوس قرب البصرة، قال إنّ الصادق عليه السلام حيّ بعد ولن يموت حتّى يظهر فيظهر أمره وهو القائم المهدي.

الأفطحية: أتباع عبدالله الأفطح الابن الأكبر للإمام الصادقعليه السلام وسبب اتباعهم له لأنّهم زعموا أنّ الإمامة في أكبر الأولاد وهو الأكبر، وزعموا أنّ الصادقعليه السلام قال: الإمام مَن يجلس مجلسي ويصلّي عَليَّ ويلي غسلي وكان كلّ ذلك في عبدالله الأفطح...

ولا يوجد للأفطحية في يومنا هذا أي باقية فهي لا تستحقّ الوقوف عليها، ولكن لأنّ الشهرستاني خلط الأوراق كعادته فوجب علينا أن نقف قليلاً ونوضح بعض الحقائق لكم.

دراسة عن عبدالله الأفطح والأفطحية

ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد أنّ للإمام الصادقعليه السلام عشرة أولاد[1]، وكان عبدالله الأفطح في التسلسل بعد إسماعيل الذي توفّي في حياة أبيه، ولهذا اشتبه الأمر على فئة فقالوا بإمامته، ولكن لم يكن عبدالله محلّ اهتمام والده الماجد، لأنّه خالط الحشوية والمرجئة وأصحاب العقائد الفاسدة الذين أثّروا على عقيدته وزلزلوه عن الحقّ فكانت توجّهاته على غرار توجّهات الفرق الضالّة[2]، ولهذا ورد عنهمعليهم السلام: إيّاكم ومجالسة الأشرار، وبسبب هذه المجالسة والمخالطة لأهل الباطل فَقَدَ عبدالله عقيدته بالولاية، وادّعى الإمامة لنفسه بعد رحيل الإمام الصادقعليه السلام فتبعه بعض القشريون والبسطاء من الشيعة فعُرفوا بمرور الزمن بالفطحية سُمّوا بذلك نسبة إلى رئيسهم عبدالله بن فطيح[3].

وكانت علّة دعواه الإمامة هو حبّ الرئاسة والسلطة والجاه والظهور على

---

(١) الإرشاد للمفيد ص ٢٨٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨٥.

(٣) ذكر ذلك العلامة المجلسي في البحار ج ٤٧ ص ٢٦١ ح ٢٩ ط إيران / المترجم.

غرار ما كان عليه أصحاب الفرق الضالّة، وكانت حجّته أنّه أكبر أولاد الإمام وكان يزعم للناس أنّ والده عليه السلام أوصى إليه.

سؤال أحد الحاضرين: إنّكم قلتم أنّ عبدالله لم يكن محلّ توجّه واهتمام والده الإمام الصادق عليه السلام فكيف أوصى إليه ليكون ذلك مبرّراً له لادّعائه الإمامة؟

الجواب: لقد تقدّم منّا البحث حول الواقفية ولكن مع ذلك أوضّح لكم المطلب، أمّا عن الوصية فلو كان الإمام الصادق قد أوصى إلى عبدالله لوحده دون سواه وخصّه بالوصية دون إخوته، لكان الأمر في غاية الإشكال، ولكن أفسد من عبدالله أبي جعفر المنصور الدوانيقي وقد ذكره الإمام الصادق عليه السلام في الوصية أيضاً.

سؤال: ولماذا ذكر الإمام بعض أهل الفساد في وصيّته في نظرك وجعلهم أوصيائه؟

الجواب: أوّلاً لأنّه عليه السلام لم يجعلهم أوصيائه بل جعلهم المتصدّين لإجراء أمر الوصية، وثانياً كانت هناك مصلحة خاصّة في ذكر أسماء هؤلاء مضافاً إلى الاختبار والامتحان لبعض الأفراد.

سؤال: هل يمكنكم أنْ تذكروا لنا وجه المصلحة في ذلك؟

الجواب: كان الإمام الصادق عليه السلام يعلم أنّ المنصور يسعى لقتل وصيّ الإمام الصادق عليه السلام وذلك لقطع نسل الإمامة والأئمّة، فلمّا علم الصادق عليه السلام بذلك أدرج في وصيّته أسماء الصلحاء والطلحاء ليفوّت الفرصة على الدوانيقي وليحفظ بهذه الطريقة وصيه الحقيقي والإمام القائم بعده وهو الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

فقد ذكر العلّامة المجلسي في البحار عن غيبة الشيخ الطوسي، وكذا في إعلام الورى لأمين الملّة والإسلام الشيخ الطبرسي والمناقب لابن شهرآشوب عن أبي أيّوب الجوزي قال: بعث إليَّ أبو جعفر المنصور في جوف الليل فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب، فلمّا

سلّمت رمىٰ إليَّ الكتاب وهو يبكي، وقال: هذا كتاب محمّد بن سليمان والي المدينة يخبرني أنّ جعفر بن محمّد قد مات فإنّا لله وإنّا إليه راجعون وأين مثل جعفر؟ ثمّ قال لي: اكتب فكتبتُ صدر الكتاب وقال لي: اكتب إن أوصى إلى رجل بعينه فقدّمه واضرب عنقه فرجع الجواب من والي المدينة إنّه أوصى إلى خمسة: أبي جعفر المنصور ومحمّد بن سليمان وعبدالله وموسى ابني جعفر وحميدة، فقال المنصور: ليس إلى قتل هؤلاء من سبيل[1].

فهناك جنبة سياسية في مثل هذه الوصية بلحاظ الخطر والتهديد الذي سيتعرّض له الوصي وهذا هو وجه المصلحة والحكمة في إيراد اسم عبدالله إلى جانب اسم موسى عليه السلام في الوصية، بينما إذا كان الإمام عليه السلام قد خصّ اسم ولده الإمام موسى الكاظم عليه السلام لكان قد سهّل الطريق للمنصور في تصفيته والخلاص منه.

ولكن مع أنّ الإمام الصادق عليه السلام ذكر اسم عبدالله الأفطح في الوصية إلّا أنّ الإمام الحقّ والقائم بالصدق لا يخفى ولا يشتبه أمره على أهل الخبرة والوعي إذ بإمكانهم معرفته بشخصه من بين هؤلاء الخمسة.

فقد جاء في البحار والمناقب لابن شهرآشوب عن داود الرقي انّه قال: وفد أعرابي على أبي حمزة الثمالي فقال: جئت من المدينة وقد مات جعفر بن محمّد عليه السلام فشهق أبو حمزة ثمّ ضرب بيده الأرض ثمّ سأل الأعرابي هل سمعت له بوصية؟ قال: أوصى إلى ابنه عبدالله وإلى ابنه موسى وإلى المنصور، فقال أبو حمزة: الحمد لله الذي لم يضلّنا دلّ على الصغير ومَنَّ على الكبير وستر الأمر العظيم، فقيل له: ما معنى ذلك؟ قال: بيّن أنّ الكبير ذو عاهة، ودلّ على الصغير

---

(١) البحار، ج٤٧، ص٣، ح٨، الكافي ج ١ ص٢٤٧ ح١٣ باب النص على موسى الكاظم عليه السلام.

بأن أدخل يده مع الكبير وستر الأمر العظيم بالمنصور حتّى إذا سأل المنصور مَن وصيّه؟ قيل: أنت[١].

وفعلاً فلم ير الناس في عبدالله الأفطح سوى الجهل بأحكام الدين بخلاف ما رأوه في موسى الكاظم عليه السلام، فعرفوا بمرور الزمن أنّه هو الإمام بعد أبيه وقد تقدّم الكلام حول ذلك.

وكان الإمام الصادق عليه السلام قد أخبر ابنه الكاظم عليه السلام عمّا سيحدث بعده فلزم السكوت ولم يدّع الإمامة بشكل علني، فقد قال الصادق عليه السلام له: يابني إنّ أخاك سيجلس مجلسي ويدّعي الإمامة بعدي فلا تنازعه بكلمة فإنّه أوّل أهلي لحوقاً بي[٢]، وفعلاً فقد توفّي عبدالله بعد سبعين يوماً من رحيل الإمام الصادق عليه السلام كما ذكره الكشي.

الشمطية: أتباع يحيى بن شميط (وفي بعض الكتب ابن أبي شميط وهو من فرسان جيش المختار) وقالوا ـ الشمطية ـ إنّ الإمام بعد الصادق عليه السلام ابنه محمّد وزعموا أنّ الصادق عليه السلام قال: إنّ صاحبكم اسمه اسم نبيّكم.

الموسوية والمفضلية: فرقة واحدة ـ كما قال الشهرستاني ـ قالت بإمامة موسى بن جعفر نصّاً عليه بالاسم.

والموسوية هم الفرقة الواقفية وقد تقدّم الكلام عنهم فلا نكرّر، وأمّا المفضلية فأيضاً قلنا سابقاً أنّه لا توجد فرقة بهذا الاسم وإنّما مجرّد اتّهام لصقه أهل السنّة بالمفضل بن عمر.

الإسماعيليّة: قالوا إنّ الإمام الصادق عليه السلام نصّ على إسماعيل باتّفاق من أولاده!!! إلّا أنّهم اختلفوا في موته في حال أبيه فمنهم من قال لم يمت إلّا أنّه

---

(١) البحار ج٤٧ ص٢٥١ ح٢٣ والخرائج ج١ ص٣٢٨.

(٢) البحار ج٤٧ ص٢٦١ ح٢٩، والكشي ص١٦٥.

أظهر موته تقية من خلفاء بني العبّاس وأنّه عقد محضراً وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة.

ومنهم مَن قال: موته صحيح والنص لا يرجع القهقري والفائدة في النصّ بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيرهم، فالإمام بعد إسماعيل محمّد بن إسماعيل، وهؤلاء يقال لهم «المباركية» ثمّ منهم من وقف على محمّد بن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته، ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم، ثمّ في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم الباطنية، وإنّما مذهب هذه الفرقة الوقف على إسماعيل بن جعفر فعرفوا بالإسماعيلية.

دراسة حول الإسماعيلية
وإسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام

علينا أن نعرف أوّلاً أنّه لا يوجد أي ارتباط بين إسماعيل والإسماعيلية، فإسماعيل بريئ من الإسماعيلية تماماً، لأنّه مات معتقداً بإمامة والده الصادق عليه السلام ولم يدّع الإمامة لنفسه أبداً، بل كان مؤمناً خالصاً في ولائه واعتقاده، ومن أدلّة ذلك محبّة الصادق عليه السلام له في حياته وجزعه وحزنه عليه بعد وفاته حتّى أنّه عليه السلام مشىٰ حافياً وراء جنازته[1]، ومعلوم أنّ أهل البيت عليهم السلام يحبّون في الله ويبغضون في الله، وعليه فكلّ مَن أحبّوه لا شكّ أنّه مؤمناً متّقياً ورعاً، لأنّهم لا يحبّون الكافر والفاسد والمنحرف والعاصي، فحبّ الصادق عليه السلام لإسماعيل دليل على استقامته وإيمانه فضلاً عن أنّه أكبر أولاده وأُمّه السيّدة الجليلة فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين الشهيد عليه السلام، فكان الصادق عليه السلام شديد الحبّ له حتّى اعتقد بعض الشيعة أنّه الإمام بعد أبيه لما يرونه من الاهتمام البالغ والحبّ

(١) البحار ج٤٧ ص٢٤٩ ح١٧.

العظيم الذي يبرزه الصادقعليه السلام له[1]. فلمّا مات رجعوا عن توهّمهم وقالوا بإمامة موسى الكاظمعليه السلام ـ كما صرّح الشيخ المفيدرحمه الله بذلك ـ إلّا بعض العوام والسذّج الذين بقوا على القول بإمامة إسماعيل وهؤلاء هم الإسماعيليّة.

وبالجملة فإسماعيل كانت له منزلة عظيمة ومكانة كبيرة في قلب الإمام الصادقعليه السلام، وأمّا ما روي من روايات الذمّ فيه فهي ضعيفة لا يمكن الركون إليها ولا تصلح للمعارضة مثل خبر الحسن بن راشد، قال: سألت أبا عبداللهعليه السلام عن إسماعيل؟ فقالعليه السلام: عاصٍ عاص لا يشبهني ولا يشبه أحداً من آبائي[2].

وقد ذكره العلّامة المامقاني في التنقيح[3] ثمّ قال: مع أنّ الخبر ضعيف ولكن مع ذلك فإنّ مراد الإمام الصادقعليه السلام هو أنّ إسماعيل لا يشبهني ولا يشبه آبائي في أمر الإمامة وهو ـ أي هذا التأويل والحمل ـ المتعيَّن ودليله خبر فيض ابن المختار الطويل ـ أي الخبر ـ فعندما قال فيض للإمام الصادقعليه السلام: جُعلت فداك فما على إسماعيل ألا يلزمك إذا كنت متىٰ مضيت أُفضيتْ الأشياء إليه من بعدك كما أُفضيت الأشياء إليك من بعد أبيك؟ فقالعليه السلام: يا فيض إنّ إسماعيل ليس منّي كما أنا من أبي، قلت: جعلت فداك فقد كان لا شكّ في أنّ الرحال تحطُّ إليه من بعدك، فإن كان ما نخاف ونسأل الله من ذلك العافية فإلىٰ مَن؟ وأمسك عنّي فقبّلت ركبتيه وقلت: ارحم شيبتي فإنّما هي النار إنّي والله لو طمعت أن أموت قبلك ما باليت ولكنّي أخاف أن أبقى بعدك، فقال لي: مكانك

---

(١) لقد روي في البحار ج٤٧ ص٢٦٨ ح ٤٠ عن سرائر ابن إدريس مسنداً عن عمّار ابن حيّان أنّه قال: أخبرني أبو عبداللهعليه السلام ببرّ ابنه إسماعيل، وقال: لقد كنت أحبّه وقد ازداد إليّ حبّاً / المؤلّف.

(٢) البحار ج٤٧ ص٢٤٧ ح٨ ط ايران، أقول: روي عن عبيد بن زرارة أيضاً بلا كلمة عاص عاص / المترجم.

(٣) تنقيح المقال ج١ ص١٣٢ ط حجري.

ثمّ قام إلى ستر في البيت فرفعه ودخل فمكث قليلاً ثمّ صاح بي يا فيض ادخل، فدخلت فإذا هو بمسجد قد صلّى وانحرف عن القبلة فجلستُ بين يديه، فدخل عليه أبو الحسن موسىٰ عليه السلام وهو يومئذٍ غلام في يده دُرّة فأقعده على فخذه وقال له: بأبي أنت وأمّي ما هذه المخفقة التي بيدك؟ فقال: مررت بعلي أخي وهي في يده وهو يضرب بها بهيمة فانتزعتها من يده، فقال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا فيض إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أُفضيت إليه صحف إبراهيم وموسىٰ فائتمن عليها عليّاً ثمّ ائتمن عليها علي الحسن ثمّ ائتمن عليها الحسن الحسين، وائتمن الحسين عليها علي بن الحسين ثمّ ائتمن عليها علي بن الحسين محمّد ابن علي، وائتمنني عليها أبي فكانت عندي ولهذا ائتمنت ابني هذا عليها علىٰ حداثته وهي عنده، فعرفتُ ما أراد.

فقلت: جعلت فداك زدني فقال: يا فيض إنّ أبي كان إذا أراد أن لا تردّ له دعوة أجلسني عن يمينه ودعا فأمّنت فلا تُردّ له دعوة وكذلك أصنع بابني هذا وقد ذكرت أمس بالموقف فذكرتك بخير، قال فيض: فبكيت سروراً.

ثمّ قلت له: يا سيّدي زدني، فقال: إنّ أبي كان إذا أراد سفراً وأنا معه فنعس وكان على راحلته أدنيت راحلتي من راحلته فوسدته ذراعي الميل والميلين حتّى يقضي وطره من النوم وكذلك يصنع بي ولدي هذا، فقلت: زدني جعلت فداك، قال: يافيض إنّي لأجد بإبني هذا ما كان يعقوب يجده من يوسف فقلت: سيّدي زدني، فقال: هو صاحبك الذي سألت عنه قم فأقرَّ له بحقّه، فقمت حتّى قبّلت يده ورأسه ودعوت الله له، فقال أبو عبدالله عليه السلام أمّا إنّه لم يؤذن لي في المرّة الأولى منك.

فقلت: جعلت فداك أُخبر به عنك؟ قال: نعم أهلك وولدك ورفقاءَك، وكان معي أهلي وولدي وكان معي يونس بن ظبيان من رفقائي فلمّا أخبرتهم حمدوا الله على ذلك، وقال يونس: لا والله حتّى أسمع ذلك منه، وكانت فيه

عجلة فخرج فاتّبعته فلمّا انتهيت إلى الباب سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول له: الأمر كما قال لك فيض، اسكت واقبل. فقال: سمعت وأطعت[١].

وهذا الخبر يؤيّد ما ذكر العلّامة المامقاني من أنّ موسى كان يشبه والده في أمر الإمامة فهو المعيّن والمنصوص عليه، بينما لم يكن إسماعيل يشبه والده في أمر الإمامة كالعصمة مثلاً.

ويؤيّد ذلك أنّ الإمام اللاحق يجب أن يبقىٰ حيّاً بعد موت الإمام السابق والحال أنّ إسماعيل مات في حياة أبيه فيصدق عليه أنّه لا يشبه الإمام ولا يشبه آبائه لأنّ اللاحق منهم كان حيّاً بعد رحيل الإمام السابق.

ولا يمكن الشكّ في وفاة إسماعيل خلافاً لمزاعم الإسماعيلية، إذ أكّد الإمام الصادق وفاة ولده العزيز بشكل عملي ولا يمكن الشكّ فيه، فقد روى عن زرارة بن أعين قال: دعا الصادق عليه السلام داود بن كثير الرقي وحمران بن أعين وأبا بصير ودخل عليه المفضل بن عمر وأتى بجماعة حتّى صاروا ثلاثين رجلاً فقال: يا داود اكشف عن وجه إسماعيل فكشف عن وجهه فقال: تأمّله ياداود فانظره حي هو أم ميّت؟ فقال: بل هو ميّت، فجعل يعرضه على رجل رجل حتّى أتى على آخرهم فقال عليه السلام: اللّهمَّ اشهد ثمّ أمر بغسله وتجهيزه ثمّ قال: يامفضّل أحسر عن وجهه فحسر عن وجهه، فقال: حيّ هو أم ميّت؟ انظروه أجمعكم فقال: بل هو يا سيّدنا ميّت، فقال: شهدتم بذلك وتحقّقتموه؟ قالوا: نعم وقد تعجّبوا من فعله فقال: اللّهمّ اشهد عليهم ثمّ حمل إلى قبره فلمّا وضع في لحده قال: يا مفضّل اكشف عن وجه فكشف فقال للجماعة: انظروا أحيّ هو أم ميّت؟ فقالوا: بلىٰ ميّت يا وليّ الله، فقال: اللّهمّ اشهد فإنّه سيرتاب المبطلون يريدون إطفاء نور الله ثمّ أومأ إلى موسىٰ عليه السلام وقال: والله متمّ نوره ولو

(١) البحار ج٤٧ ص٢٥٩ ح٢٧ ط إيران، عن غيبة النعماني ص١٧٦.

كره الكافرون، ثمّ حثوا عليه التراب، ثمّ أعاد علينا القول فقال: الميّت المكفّن المحنّط المدفون في هذا اللحد مَن هو؟ قلنا: إسماعيل ولدك، فقال: اللّهمّ اشهد ثمّ أخذ بيد موسىٰ فقال: هو حقّ والحقّ معه ومنه وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[١].

وروي أنّهعليه السلام مشىٰ خلف جنازته بلا رداء ولا حذاء وكان يكشف عن وجهه كلّ حين.

وروىٰ العلّامة المجلسي عن إكمال الدين مسنداً عن سعيد عبيدالله الأعرج قال: قال أبو عبداللهعليه السلام لمّا مات إسماعيل: أمرت به وهو مسجّى بأن يكشف عن وجهه فقبلتُ جبهته وذقنه ونحره، ثمّ أمرتُ به فغُطّي ثمّ قلت: اكشفوا عنه فقبّلت أيضاً جبهته وذقنه وغرّه ثمّ أمرتهم فغطّوه، ثمّ أمرت به فغُسل ثمّ دخلتُ عليه وقد كُفّن فقلت: اكشفوا عن وجهه فقبّلت جبهته وذقنه ونحره وعوّذته ثمّ قلت: أدرجوه فقلتُ ـ الراوي ـ: بأيّ شيء عوّذته؟ قال: بالقرآن، انتهى.

قال الشيخ الصدوق: بعد قولهعليه السلام أمرتُ به فغُسل يبطل إمامة إسماعيل لأنّ الإمام لا يغسله إلّا إمام إذا حضره[٢].

سؤال أحد الحاضرين: ألم تقل أنّ إسماعيل أكبر أولاد الإمام الصادقرضي الله عنه؟

الجواب: من البديهي ذلك.

سؤال: إذن لماذا تبطلون عقيدة الإسماعيلية القائلون كما تقولون أنتم أنّ أكبر أولاد الإمام هو الإمام من بعده؟

---

(١) إكمال الدين ج ١ ص ١٦٠ والبحار ج ٤٧ ص ٢٤٧ ح ١٠.

(٢) إكمال الدين ج ١ ص ١٦٠ والبحار ج ٤٧ ص ٢٤٧ ح ١٠.

من شرائط الإمام

الجواب: هذا القول: إنّ أكبر أولاد الإمام هو الإمام من بعده ليس مطلقاً وكلّياً، بل يلاحظ مع مجموعة من الشرائط والخصوصيات الواجب توفّرها في الولد الأكبر وإلّا فلا منها:

أوّلاً: أن يكون الأعلم والأفضل والأورع والأتقىٰ و... من جميع الناس.

ثانياً: خلوّه من نقص الخلقة التكوينيّة.

ثالثاً: أن يكون منصوصاً عليه باسمه وصفته من النبيّ صلى الله عليه وآله أو الإمام السابق.

رابعاً: أن يكون حيّاً بعد موت الإمام السابق.

فأمّا بالنسبة لعبد الله الأفطح فلم يتوفّر فيه الشرط الأوّل والثاني والثالث، وأمّا إسماعيل فإنّه مات قبل أبيه كما سبق ذكره، فضلاً عن فقد الشرائط الأخرى فيه، فلا معنى لنصبه إماماً بل سيكون نوعاً من اللغو والعبثية، والإمام منزّه عن هذه التصرّفات.

بل نذهب إلى أن تعيين الإمام من الله تعالى وهو سبحانه يأمر النبيّ بإعلانه والنبيّ صلى الله عليه وآله يأمر الإمام بذلك، فلو كان الله يعلم إنّ الابن سيموت قبل أبيه ومع ذلك يأمره بتنصيبه إماماً للناس للزم العبث واللغو على الله تعالى، والمولى سبحانه منزّه عن ذلك.

ثمّ إنّه لا توجد أي رواية تنصّ على إمامة إسماعيل، بل توجد روايات نفي إمامته التي جاءت على أثر شبهة.

وأمّا حبّ الإمام الصادق عليه السلام له لا يصلح أن يكون دليلاً على إمامته، رغم أنّ الإسماعيلية تمسّكوا بذلك، ولا يوجد عندهم أي خبر صريح على إمامة إسماعيل، فمذهبهم قائم على التوهّم والخيال وهو باطل، بل ورد النفي الصريح فقد روي عن إسحاق بن عمّار قال: وصف إسماعيل أخي لأبي عبدالله عليه السلام دينه

واعتقاده فقال: إنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله وأنّكم ـ ووصفهم يعني الأئمّة واحداً واحداً حتّى انتهى إلى أبي عبداللهعليه السلام ـ قال: وإسماعيل من بعدك، قالعليه السلام: أمّا إسماعيل فلا(١).

سؤال أحد الحاضرين: إذن ما معنى قول الصادق بوقوع البداء في ولده إسماعيل؟ يعني أنّه كان إماماً أوّلاً ثمّ حصل البداء بتغييره؟

الجواب: موضوع البداء كما تصوّرتموه وكما تصوّره غيركم في الإمامة غير صحيح، غاية ما في الأمر أنّ الإمام الصادق وصلت إلى مسامعه أخبار عن احتمال قتل ولده إسماعيل فدعا الله سبحانه أن يصرف عنه القتل، فاستجاب الله له دعائه وصرف عنه القتل فظهر للناس ما كان خافياً عليهم من نجاة إسماعيل كما تقدّم شرحنا للبداء، وقد روى ذلك شيخنا المفيد ﵀ في كتاب العيون والمحاسن عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: ما بدا لله في كلّ شيء كما بدا له في إسماعيل، فإنّها على غير ما توهّموه من البداء في الإمامة وإنّما معناها ما روي عن أبي عبداللهعليه السلام أنّه قال: إنّ الله تعالى كتب القتل على ابني إسماعيل مرّتين، فسألته فيه فعفى عن ذلك فما بدا له في شيء كما بدا له في إسماعيل(٢).

وقال الشيخ المفيد: وأمّا الإمامة، فإنّه لا يوصف الله فيه بالبداء وعلى ذلك إجماع فقهاء الإمامية وقالوا مهما بدا لله في شيء فلا يبدو له في نقل نبي عن نبوّته ولا إمام عن إمامته ولا مؤمن قد أخذ عهده بالإيمان عن إيمانه(٣).

وبعد كلّ هذا لا يبقى للإسماعيليّة أيّ أصل من الأصول يعتمدون عليه في إثبات إمامة إسماعيل لاسيّما فقدان النصّ.

---

(١) البحار ج٤٧ ص٢٦١ ح٢٨.

(٢) العيون والمحاسن ج٢ ص١٠٢.

(٣) المصدر نفسه.

سؤال: يُقال إنّ الإمام الصادق عليه السلام أوصى إلى ابنه إسماعيل ولكنّه شرب الخمر فلمّا علم الصادق عليه السلام بذلك غيّر وصيّته وأدرج اسم ابنه موسى بدل إسماعيل وجعله وصيّه.

الجواب: هذا القول بجملته كذب صريح يبطله ما تقدّم حين قلنا إنّ الإمام الصادق عليه السلام كان شديد الحبّ لإسماعيل ابنه وقلنا إنّ الإمام يحبّ في الله ويبغض في الله فلا يعقل أنّه عليه السلام يحبّ العاصي، كما لا يعقل أن يحزن ويجزع ويتألّم على العاصي كما حصل من الإمام الصادق عليه السلام ذلك بعد وفاة إسماعيل.

وأمّا موضوع شربه للخمر فقد ذكر العلّامة المجلسي في البحار عن إكمال الدين والخرائج للقطب الراوندي مسنداً عن الوليد بن صبيح قال: جاءني رجل فقال لي: تعال حتّى أُريك أين الرجل؟ قال: فذهبت معه قال: فجاءني إلى قوم يشربون فيهم إسماعيل بن جعفر فخرجت مغموماً، فجئت إلى الحجر فإذا إسماعيل بن جعفر متعلّق بالبيت يبكي، قد بلّ أستار الكعبة بدموعه فرجعتُ أشتدُّ فإذا إسماعيل جالس مع القوم، فرجعتُ فإذا هو آخذ بأستار الكعبة قد بلّها بدموعه قال: فذكرت ذلك لأبي عبدالله عليه السلام فقال: لقد ابتلي ابني بشيطان يتمثّل في صورته[1].

وأيضاً جاء في البحار نقلاً عن كتاب زيد النرسي[2] أنّه روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ شيطاناً قد ولع بابني في إسماعيل يتصوّر في صورته ليفتن به الناس وإنّه لا يتصوّر في صورة نبي ولا وصيّ نبيّ، فمن قال لك من الناس: إنّ إسماعيل ابني حيّ لم يمت فإنّما ذلك الشيطان تمثّل له في صورة إسماعيل ما

---

(١) البحار ج٤٧ ص٢٤٧ ح٦.

(٢) زيد النرسي: من الرجال الموثّقين صحيح الاعتقاد قال عنه العلّامة الطباطبائي: إنّ زيداً من أصحاب الأصول صحيح المذهب / المؤلّف.

زلت أبتهل إلى الله عزّوجلّ في إسماعيل ابني أن يحييه لي ويكون القيّم من بعدي فأبىٰ ربّي ذلك، وأنّ هذا شيء ليس إلى الرجل منّا يضعه حيث يشاء، وإنّما ذلك عهد من الله عزّوجلّ يعهده إلى من يشاء، فشاء الله أن يكون ابني موسىٰ، وأبى أن يكون إسماعيل ولو جهد الشيطان أن يتمثّل بابني موسىٰ ما قدر على ذلك أبداً والحمد لله(١).

ومن هذين الخبرين نحصل على أُمور:

الأوّل: إنّ الذي يشرب الخمر ليس إسماعيل وإنّما هو الشيطان ليوجد اختلالاً في عقائد الناس.

الثاني: بإمكان تصوّر الشيطان بأيّ صورة شاء إلّا صور الأنبياء والأوصياء.

الثالث: إنّ إسماعيل ليس إماماً، بدليل تصوّر الشيطان بصورته.

الرابع: عهد الإمامة عهد إلٰهي لا دخل للبشر به ولا للرغبات.

خامساً: الخبر يصرّح بعدم إمامة إسماعيل ويثبت إمامة موسىٰ، ومع كلّ هذه التصريحات من الإمام الصادقعليه‌السلام حول ابنه إسماعيل إلّا أنّ جماعة من البسطاء والمغرضين وأصحاب المصالح والمناصب سعوا إلى تأسيس فرقة الإسماعيلية.

إشارة إلى فرق الإسماعيلية الثلاث

ثمّ إنّ الذين اعتقدوا بإمامة إسماعيل انقسموا إلى ثلاث فرق:

الأولى: اعتقدت أنّ إسماعيل لم يمت وهو حي لكنّه غائب وهو الإمام الموعود الذي أخبر عنه رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله وهو المنجي والمخلّص للبشرية، وقالوا إنّ الصادقعليه‌السلام وضعه في التابوت وأظهر موته تقيّة خوفاً من خلفاء بني العبّاس.

الثانية: ومن الإسماعيليّة مَن قال بإمامة محمّد بن إسماعيل بعد وفاة

---

(١) المصدر السابق ص٢٦٩ ح٤٣.

الصادق عليه السلام، لأنّه عليه السلام كان قد أوصى إلى إسماعيل ومن ثمّ انتقلت الإمامة إلى ولد إسماعيل، وهو غائب وسيظهر في آخر الزمان ليقيم العدل في الأرض.

ولم تطل الفترة حتّى انقرضت الفرقة الأولى والثانية.

الثالثة: وهم لا يختلفون عن الفرقة الأولى والثانية فيعتقدون بإمامة محمّد ابن إسماعيل ثمّ إلى أولاده وأحفاده، وهم اليوم أي عام (١٣٨٣هـ) منتشرون في أطراف البلاد وأشهرهم فرقتان هما: أـ البُهرة ب ـ الاقاخانية، وهم متواجدون في الهند لاسيّما في بمباي وكراچي.

أسماء المؤسسين

وقد استبصر من هاتين الفرقتين جماعة عُرفوا باسم (الخوجة الاثنا عشرية) وهم في الهند أيضاً وصاروا شيعة اثنا عشرية لاسيّما شيخهم وكبيرهم الشيخ محمّد كريم بن محمّد علي الخراساني الذي كتب كتاباً استعرض فيه الضلالات الإسماعيليّة وأسماه بـ(التنبيهات الجليّة في كشف أسرار الباطنية) وذكر في التنبيه الثالث من الفصل الثاني: إنّ الذين أسّسوا طريقة الإسماعيلية سبعة أشخاص أو ستّة وهم:

١ ـ عبدالله بن ميمون القدّاح، ذكره السيّد مرتضى داعي الرازي في كتاب تبصرة العوام، وذكره صاحب كتاب سوسنة سليمان وقال عنه أنّه كان ماهراً في علمي الفلسفة والطبيعيّات، وادّعى أنّه هو عبدالله بن محمّد بن إسماعيل وتبعه أكثر الإسماعيليّة.

٢ ـ يحيىٰ بن كردويه، ذكره صاحب كتاب عمدة الطالب وذكر أنّه كان يقول أنا محمّد بن عبدالله بن محمّد بن إسماعيل.

٣ ـ حسين بن كردويه أخ يحيىٰ، ادّعى أنّه أحمد بن عبدالله بن محمّد بن إسماعيل. وقد نقل أرباب التواريخ أنّ محمّد بن إسماعيل كان له ولدان أحدهما

إسماعيل والثاني جعفر الشاعر.

٤ ـ حمدان بن الأشعث وهو من رؤوساء الباطنية.

٥ ـ أبو سعيد حسن بن بهرام الجنابي (نسبة إلى جنابة من أطراف فارس لها اتّصال بالبحرين كما ذكره ابن خلكان).

٦ ـ أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد.

٧ ـ حمدان، قرمط (أو بلا اسم) فقد ذكر المؤرّخ الطبري وابن الأثير ضمن أحداث عام ٢٧٨هـ، أنّ هذا الرجل من الأهواز سكن الكوفة لمدّة في منطقة يقال لها النهرين وأظهر الزهد والتقشّف فكان يصوم النهار ويقوم الليل حتّى اجتمع حوله بعض السذّج والبسطاء وزعم أنّه من أئمّة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يقصد أنّه يحيى بن كردويه.

وطيلة بقائه في العراق كان معروفاً باسم (ظاهر) وعرف بصاحب بيت الكرمية حتّى اجتمع حوله اثنا عشر شخصاً أطلق عليهم اسم النقباء وقال لهم: أنتم مثل حواريي عيسىٰ بن مريم وخصّص لكلّ واحد منهم عمل معيّن.

ثمّ ارتحل إلى بلاد الشام وانقطعت أخباره، ولكن بقي بعض أفراده الملاحدة الباطنية ضمن تشكيلات الإسماعيلية.

ظهور دولة الإسماعيليّة

وأوّل ظهور سياسي للإسماعيليّة كان في مصر وافريقيا حيث حكموا فيهما مقابل حكم بني العبّاس، واستمرّت حكومتهم وسلطنتهم (٢٦٠) عاماً، وحكم خلالها (١٤) حاكماً وهم:

١ ـ عبيدالله (أو محمّد بن عبدالله) المهدي.

٢ ـ محمّد بن المهدي (القائم بأمر الله).

٣ ـ إسماعيل المنصور بقوّة الله.

٤ ـ المعزّ لدين الله أبو تميم معد بن إسماعيل.

٥ ـ أبو منصور العزيز بالله نزار بن معد.

٦ ـ أبو علي الحاكم بأمر الله منصور بن نزار.

٧ ـ أبو الحسن الطاهر لدين الله علي بن منصور.

٨ ـ أبو تميم المستنصر بالله سعد (أو معد) بن علي.

٩ ـ أبو القاسم المستعلي بالله أحمد بن سعد (أو معد).

١٠ ـ أبو علي الآمر بأحكام الله منصور بن أحمد.

١١ ـ أبو ميمون الحافظ لدين الله عبد الحميد بن المستنصر.

١٢ ـ أبو منصور الظافر بالله محمّد بن عبد الحميد.

١٣ ـ أبو القاسم الفائز بنصر الله عيسىٰ بن محمّد.

١٤ ـ أبو عبدالله العاضد لدين الله محمّد بن عيسىٰ.

وذكر صاحب حبيب السيّر عن مرآة الجنان أنّ مدّة حكم الإسماعيلية كانت ٢٦٦ عاماً، وقد بدأ الضعف يدبّ في سلطانهم بعد وفاة المستنصر بالله عام ٤٨٧هـ إلى أن انقرضوا.

انشقاق الإسماعيليّة

كان المستنصر بالله الأوّل قد أوصى إلى ولده الكبير المصطفى لدين الله نزار بولاية العهد، ولكن لم تمضِ مدّة طويلة ورأى منه بعض الأفعال والأعمال المشينة فأمر بعزله عن ولاية العهد، وأدرج مكانه ولده الأصغر المستعلي بالله أحمد وليّاً للعهد.

فلمّا توفّي المستنصر انشق الإسماعيليّة إلى فرقتين، فرقة مع المستعلي وفرقة مع المصطفى بالله لاعتقادهم أنّه هو المنصوص عليه أوّلاً.

وظلّ هذا الانشقاق قائماً إلى يومنا هذا، فالذين مالوا مع المستعلي يُطلق

عليهم اليوم (البُهرة) والذين مالوا مع نزار يُطلق عليهم (الخوجة والاقاخانية) وكلاهما في الباكستان والهند.

ولا يمكن في هذا الكتاب أن أقف على تفصيل تاريخ الإسماعيليّة لاسيّما بعد ظهور (حسن الصباح الحميري) في قلعة (ألمَوت) في قزوين، والاختلاف الذي حصل بين المؤرِّخين في صحّة انتسابه إلى الإمام الصادق عليه السلام، فضلاً عن عقائدهم الباطلة واختلاطهم مع القرامطة والباطنية[1].

الباطنية: فرقة قالت إنّ لكلّ ظاهر باطن ولكلّ تنزيل تأويل وأطلق أصحاب الملل والنحل كالشهرستاني عدّة أسماء وألقاب لهذه الفرقة حيث قال: فبالعراق يسمّون: الباطنية والقرامطة والمزدكية، وبخراسان: التعليمية والملحدة وهم يقولون: نحن إسماعيلية، لأنّا تميّزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص.

ثمّ إنّ الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنّفوا كتبهم على هذا المنهاج[2].

وكانوا يتمسّكون بظواهر بعض الآيات والروايات عن أهل البيت عليهم السلام ويأوّلونها بما يريدون خداعاً للبسطاء والعوام وقالوا بالحركة الدورية والعقول العشرة، ويقسّمون عالم الخلقة والنبوّة والوصاية إلى سبعة أدوار.

---

(١) لزيادة التفصيل راجع وفيات الأعيان وروضة الصفا وحبيب السيَر والكامل في التاريخ وتاريخ فرقة الاغاخانية والبُهرة... /المؤلّف.

أقول: كان بدء صعود حسن بن محمد بن الصباح لقلعة ألموت سنة ٤٨٣هـ وهي أشهر قلعة حصينة من قلاع طالقان من نواحي قزوين بناها أحد ملوك الديلم وسمّاها إله موت أي: تعليم العقاب (الصقر) وكتب حسن الصباح كتاباً جعله منهجاً لأتباعه ملئ بالمغالطات وسيأتي المصنّف لذكره لاحقاً /المترجم.

(٢) الملل والنحل ج١ ص١٧٢.

دراسة عن ظهور الباطنية ومفاسدهم

ذكر ابن الأثير في الكامل أنّ الباطنية ظهروا في عام ٢٧٨هـ ولهم أباطيل وأكاذيب كثيرة في تأويلهم للآيات والأخبار يخدعون بها العوام من الناس.

وفي عام ٢٧٩ هـ ظهر أبو سعيد الجنابي في بلاد البحرين والتفّ حوله بعض الأعراب فحكمها.

وفي عام ٢٨١هـ (أو عام ٢٨٧ كما ذكره ابن خلكان في الوفيات)(١) تحرّكوا باتّجاه البصرة، وكان الخليفة العبّاسي آنذاك المعتضد بالله فأرسل إليهم جيشاً جرّاراً بقيادة العبّاس بن عمرو الغنوي، فدارت حرباً ضروساً بين الطرفين حتّى انتصر أبو سعيد الجنابي وانهزم جيش بني العبّاس وأسر منهم خلقاً كثيراً فأمر أبو سعيد بقتلهم جميعاً بينما أطلق سراح قائدهم العبّاس بن عمرو وأرسله إلى الخليفة العبّاسي ببغداد ليقصّ عليه الأحداث، ثمّ أمر بحرق جثث القتلى(٢).

ثمّ جاء يحيى بن كردويه وحارب المكتفي بالله ودارت بينهما حرباً عظيمة فقتل يحيى فيها، ثمّ ظهر أخوه أحمد بن عبدالله الذي زعم أنّه أحمد بن عبدالله ابن محمّد بن إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام والذي عُرف بـ(ذكرويه)(٣)،

---

(١) أقول: وذكر المؤرّخ الطبري أنّه خرج في هذه السنة أيضاً أي ٢٨٧هـ، انظر تاريخه ج٥ ص٦٣٠ ط دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٨م / المترجم.

(٢) وكانوا سبعمائة كما ذكره الطبري ج٥ ص٦٣٣، وتاريخ ابن خلدون ج٣ ص٣٥٠ ط بيروت، الأعلمي / المترجم.

(٣) أقول: جاء في تاريخ الطبري بالزاء أي (زكرويه) فراجع أحداث سنة ٢٨٩، وذكر أنّ أحمد كانت له شامة في وجهه زعم أنّها آيته وكان له غلام اسمه المطوّق قلّده قتل أسرى المسلمين وتسمّى بإمرة المؤمنين!! أُنظر الطبري ج٥ ص٦٤٣ ط بيروت، ←

فتزعّم الأعراب ودخل الشام عام ٢٨٩هـ، ثمّ التحق بهم عبدالله بن سعيد المكنّى بأبي غانم عام ٢٩٢هـ وكان في العراق.

فتحرّكوا جميعاً عام ٢٩٤هـ بقيادة ذكرويه لقطع طريق الحاج إلى مكّة فهجموا على قافلة الحجّاج وجعل أصحابه ينخسون الجمال بالرماح ويبعجونها بالسيوف فنفرت وأكب أصحابه على الحاج يقتلونهم كيف شاؤوا فقتلوا الرجال والنساء وسبوا من النساء مَن أرادوا واحتووا على ما كان في القافلة[١].

وفي سنة ٣٠١هـ قُتل أبو سعيد الجنابي بيد خادمه[٢] في الحمّام فقام ابنه أبو ظاهر سليمان بن أبي سعيد مقام أبيه وكان هذا مصادفاً لظهور الخلافة الإسماعيلية في مصر والقارة الافريقية.

وفي عام ٣١١هـ سار أبو ظاهر مع جماعة كثيرة نحو البصرة، فلمّا وصلوها ليلاً تسلّقوا سورها ودخلوها سرّاً فسيطروا عليها وقتلوا الوالي مع جماعة كثيرة معه ونهبوا أموال الناس وأمتعتهم.

وفي عام ٣١٢هـ قطعوا طريق مكّة وهاجموا قافلة الحجّاج ونهبوا أموالهم وأمتعتهم وإبلهم وتركوهم في الصحراء بلا ماء وطعام وراحلة فمات بعضهم من الجوع والعطش وحرارة الشمس.

وفي هذا العام دخل أبو ظاهر الكوفة وقتل جماعة كبيرة من الناس ونهبوا أموالهم وحملوا أشيائهم النفيسة وكان ذلك في خلافة المقتدر بالله العبّاسي.

← بينما ذكر ابن خلدون أنّ أحمد هذا يسمّى (ذكرويه) كما ذكره المصنّف ﷺ، أُنظر تاريخ ابن خلدون ج٣ ص٣٥٠ / المترجم.

(١) أُنظر المصدر السابق (تاريخ الطبري) ص٦٦٥.

(٢) المصدر نفسه ص٦٧٨.

ثمّ عاد الكرّة أبو ظاهر عام ٣١٥هـ على الكوفة والأنبار وقتل الأهالي وسرق الأموال، ثمّ سار عام ٣١٦ إلى الرقة.

المنحرفون الثلاثة[١]

وفي هذا العام خرج الحسين بن منصور الحلّاج في بغداد يدعو إلى مذهبه الصوفي الباطني الفاسد. وظهر الشلمغاني في بغداد أيضاً وسار إلى الموصل[٢]، وأيضاً ظهر حريث بن مسعود وهو أحد رؤساء الباطنية في واسط.

فوجد أبو ظاهر ضالّته في هؤلاء، إذ كان كلّ همّه هو إضلال الناس ودكّ قواعد الإسلام وإيجاد الانحراف العقائدي في قلوب المسلمين، فلمّا ظهر هؤلاء، دعى أبو ظاهر إلى الحلّاج ودعى إلى عقائده الفاسدة وزندقته الظاهرة، وهكذا دعى إلى الشلمغاني وأيّده وناصره.

قال القاضي أحمد بن خلكان في وفيّات الأعيان نقلاً عن كتاب أصول الدين لإمام الحرمين عبد الملك الجويني، (فإنّه كان في عصر الحلّاج والجنّابي، وأموره كلّها مبنيّة على التمويهات، وقد ذكره جماعة من أرباب التاريخ، فقال شيخنا عزّ الدين بن الأثير في تاريخه الكبير في سنة اثنين وعشرين وثلثمائة فصلاً طويلاً اختصرته، وهو: وفي هذه السنة قُتِل أبو جعفر محمّد بن عليّ الشلمغاني، وسبب ذلك أنّه أحدث مذهباً غالياً في التشيّع والتناسخ وحلول الإلهيّة فيه...)[٣].

---

(١) أقول: لم يذكر المصنّف ﷺ سلطان الواعظين هذا العنوان في الأصل بل ذكرته أنا إشارة إلى أهمّية الموضوع / المترجم.

(٢) راجع غيبة الشيخ الطوسي، باب ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية ص٢٤٨.

(٣) راجع وفيّات الأعيان لابن خلكان ج٢، ص١٥٥، رقم ٢٦، ط: بيروت دار الثقافة.

قتل أبي طاهر لحجّاج الكعبة

وفي عام ٣١٧هـ تحرّك أبو طاهر الملعون مع أتباعه نحو بيت الله الحرام فدخلها يوم التروية وقتل جميع الحجّاج فيها في المسجد الحرام، فقام أمير مكّة مع جماعة من الأشراف لمقاتلة أبي طاهر ومنعه من جرائمه، فدارت بينهما حرباً انتهت بقتل أمير مكّة والأشراف، ثمّ قام أبو طاهر ورمىٰ بعض القتلى في بئر زمزم بينما دفن البقية في المسجد الحرام بلا غسل ولا كفن ولا صلاة، بعدها نهبوا أموال الناس كلّها وحملوها معهم، وأنزلوا (حُلّة) الكعبة وقسّموها فيما بينهم، وأصعدوا رجلاً إلى سطح الكعبة لقلع الميزاب الذهبي إلّا أنّه سقط ومات. وأخذوا الحجر الأسود من مكانه وحملوه معهم إلى بلاد البحرين[1]، وفي عام ٣٢٣هـ قطعوا الطريق على قافلة الحاج في القادسية وقتلوهم ونهبوا أموالهم وأمتعتهم.

وفي عام ٣٣٢هـ مات أبو طاهر الملعون والتحق بالدرك الأسفل من النار، وفي عام ٣٦٠هـ تحرّك الباطنية بقيادة الحسين بن أحمد بن بهرام القرمطي نحو دمشق فسيطر عليها وعلى بلاد الشام كلّه ومنها سار نحو مصر بعد أن قتل جعفر ابن فلاح نائب المصريّين، وكان ذلك في خلافة المعزّ لدين الله وهو رابع

---

(١) أقول: ذكر الشيخ البهائي: أنّه في سنة ٣١٠هـ دخلت القرامطة إلى مكّة في أيّام الموسم وأخذوا الحجر الأسود وبقي عندهم عشرين سنة وقتلوا خلقاً كثيراً، وممّن قتلوا علي بن بابويه وكان يطوف فما قطع طوافه فضربوه بالسيف فوقع إلى الأرض وأنشد:

ترى المحبّين صرعى في ديارهم ... كفتية الكهف لا يدورن كم لبثوا

مجمع البحرين مادّة قرمط / المترجم.

خليفة علوي، فأرسل الأخير غلامه (جوهر) بجيش كبير من المصريّين لمواجهة القرامطة الباطنية حتّى انتصروا عليهم في منطقة (عين الشمس) وهو بستان عند باب القاهرة فانهزم الباطنية شرّ هزيمة[١].

هذه نبذة موجزة جدّاً من جرائم ومفاسد الفرقة الباطنية وهتكهم للحرمات والمقدّسات في بلاد المسلمين كالعراق والحجاز وبلاد الشام.

وقد أُطلق على هذه الفرقة الباطنية عدّة أسماء وهي:

١ ـ الباطنية لقولهم أنّ لكلّ ظاهر (من القرآن والسنّة) باطن ولتأويلهم كافّة الأصول والفروع الدينية، يقول السيّد مرتضى الرازي في كتابه (تبصرة العوام) ضمن كلامه عن عقائد الإسماعيلية أنّهم يقولون إنّ الظاهر بمثابة الجلد والباطن بمثابة اللب لقوله تعالى: ﴿بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[٢].

مع أنّ هذه الآية لا علاقة لها بالباطن والظاهر وإنّما هي في معرض الحديث عن خاتمة المؤمنين والمنافقين.

ومن عقائدهم إنّهم قالوا: إنّ الله لا موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولا متكلّم ولا أخرس ولا مبصر ولا أعمىٰ... وهكذا بقيّة صفاته تعالى يجرونها هذا المجرى الفاسد.

وقالوا: إنّ عيسىٰ بن مريم أبوه يوسف النجّار، وأمّا تصريح القرآن عن عدم وجود أب لعيسى بن مريم إنّما قصد أنّه لم يكن له أب تعليمي يأخذ العلم منه، بل علمه عليه السلام من النقباء الذين كانوا في زمانه.

وقالوا: المراد من كونه عليه السلام يحيي الموتى أي انّه يُحيي القلوب الميّتة

---

(١) أُنظر التفصيل في وفيّات الأعيان لابن خلكان ج١ ص٣٦١، رقم (١٣٨) ط: بيروت دار الثقافة.

(٢) الحديد: ١٣.

بالعلم، ويهدي الخلق إلى الطريق الحقّ، وبهذه التأويلات الكاسدة أبطلوا جملة كثيرة من شرائع الدين[١].

وقالوا: إنّ التكاليف الظاهرية ليست واجبة على الناس، فالصلاة عبارة عن معرفة الولي، والزكاة عبارة عن إخراج الزائد من المؤونة إلى الفقراء، والأذان والإقامة عبارة عن هداية الخلق للإمام، والصوم عبارة عن الاقتداء بالإمام، والحجّ عبارة عن قصد الإمام وخدمته.

وأحلّوا جميع المحرّمات وقالوا هي عبارة عن قوم يجب اجتنابهم والبراءة منهم ولعنهم، والفرائض عبارة عن قومٍ يجب موالاتهم ومحبّتهم وهذا ما أراده القرآن.

وقالوا إنّ قوله تعالى: «وإذ قال للإنسان اكفر» هو أبو بكر وعمر وأينما ذكر في القرآن اسم فرعون وهامان فالمراد منهما أبو بكر وعمر.

وقالوا: إنّ الله بعث أحد الملوك رسولاً وجعله نبيّاً قبل الإسلام واسمه (شروين) وهو أفضل الأنبياء والمرسلين!!

وقالوا أيضاً إنّ الوضوء عبارة عن أساس الدين ومعتقداته والصلاة عبارة عن الناطق الذي هو الرسول لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ وإلى آخر مزخرفاتهم وأباطيلهم.

وأوّل من ادّعى الباطنية هو مرزبان بن عبدالله بن ميمون القدّاح وهو من الأهواز ظهر في زمن المأمون العبّاسي، وكان حمدان القرمطي قائدهم العسكري، وقالوا بإمامة سبعة عليّ والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمّد بن علي وجعفر بن محمّد عليهم السلام وإسماعيل بن جعفر، وقالوا: إنّ

---

(١) وقد استفاد دعاة الفرقة الضالّة المضلّة (البابية والبهائية) من تأويلات الباطنية كثيراً في مجال عقائدهم. /المؤلّف

إسماعيل حيّاً لم يمت وأنّه المهدي الذي يظهر آخر الزمان.

٢ ـ القرامطة: وكان رئيسهم حمدان ظهروا في أطراف واسط والاحساء، ومعنى (قرمط) هو مقاربة الخطوات في المشي وذلك لأنّه كان قصير القامة وقصير الرجلين فسمّوا أتباعه باسمه.

٣ ـ المزدكية: لأنّ أكثر الأتباع كانوا من المزدكية الإيرانيين المجوس. يقول العلّامة الجليل السيّد نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية: وهم طائفة من المجوس راموا عند قوّة الإسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم وذلك أنّهم اجتمعوا فتذكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك وقالوا لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم على الممالك لكنّا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا ونستدرج به الضعفاء منهم فإنّ ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم[1].

٤ ـ الحرمّية: سمّوا بذلك لأنّهم أباحوا جميع المحرّمات.

٥ ـ السبعية: سمّوا بذلك لاعتقادهم أنّ أصحاب الشرائع كانوا سبعة هم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله والمهدي الذي هو إسماعيل حسب زعمهم، وقالوا لابدّ من وجود سبعة في كلّ عصر وزمان لهداية الناس.

٦ ـ البابكية: وذلك أنّ طائفة منهم ـ الإسماعيلية ـ تبعت بابك الخرّمي في

---

(١) الأنوار النعمانية ج٢ ص٢٤٢ ط بيروت الأعلمي.

وذكر من عقائدهم: والاحتلام عبارة عن إفشاء سرّ من أسرارهم إلى مَن ليس من أهله بغير قصد منه، والغسل تجديد العهد.. والكعبة النبي والباب علي والصفا هو النبي والمروة هو علي، والميقات والتلبية إجابة المدعو والطواف بالبيت سبعاً موالاة الأئمّة السبعة، والجنّة راحة الأبدان عن التكاليف والنار مشقّتها بمزوالة التكاليف.. / المترجم.

الخروج بأذربيجان ولقّبوا بالمحمرة للبسهم الحمرة في أيّام بابك. وخرجوا في أيّام المعتصم العبّاسي وتبعهم العوام والسذّج فحاربهم المعتصم وقتلهم.

٧ ـ المقنعية: وهم أتباع هاشم وكان أعوراً معروفاً بابن المقنع فسمّوا باسمه. وكان هذا الملعون من أتباع أبي مسلم الخراساني، ولكن لمّا ظهرت الفرقة الباطنية الملاحدة في زمن المأمون العبّاسي اتّصل بهم وأضلّوا أهالي إيلاق وكيش.

ثمّ ادّعى هذا الملعون النبوّة ولم تطل فترة نبوّته المزعومة حتّى ادّعى الإلوهية في قصبة كيش وتبعه جماعة من الحمير وسكنوا هذه المنطقة المعزولة والبعيدة، فكان من النادر الاتّصال بهم، وبهذه الحجّة زعموا عدم إمكان رؤية الربّ!!

فتنة قلعة ألَموت

هذا ما كان عليه قدماؤهم وحين ظهر الحسن بن محمّد الصباح جدّد الدعوة السابقة بما تحمل من أباطيل ومزخرفات ومناقضات، عُرف بصاحب الدعوة النزارية وكان عالماً بالهندسة والحساب والفلسفة والرياضيان والنجوم والسحر وغير ذلك كما ذكره ابن الأثير في الكامل فكان من الملحدين والزنادقة عُرف بالمكر والحيل.

سكن في قلعة ألموت في قزوين عام ٤٨٣هـ تصدّى رجاله الدمويّون (فدائيو حسن الصباح) لقتل كبار رجال العلم والأهالي، وقد تطرّق أصحاب التاريخ لذكر فجائعهم وأحداثهم فلا أنقلها لكم هنا لشهرتها.

والمهمّ أنّهم حكموا في ألموت بعد ٣٥ عاماً وأضلّوا خلقاً عظيماً من الناس حتّى توفي حسن الصباح عام ٥١٨هـ وحكم مكانه (كيابزرك أُميد) و(محمّد بن بزرك أُميد) و(حسن بن محمد المعروف بعلي ذكره السلام) و(محمّد بن

حسن) و(جلال الدين حسن بن محمد المعروف بالمسلم الجديد) الذي سار على خلاف طريقة آبائه وأجداده فقد مهّد الطريق لتطبيق وتفعيل الشرائع الإسلامية المقدّسة، ومن بعده (علاء الدين محمّد بن جلال الدين) و(ركن الدين خورشاه بن علاء) واستمرّ حكمهم ٣٧ عاماً وكان حكماً دموياً منحرفاً من جميع الجهات السياسية والعقائدية والفكرية، إلى أن جاء المغول إلى إيران فسلّطهم الله تعالى على هؤلاء وتمّ إسقاط دولتهم وتقويض حكمهم عام ٦٥٥هـ وقُتل ركن الدين خورشاه وهو آخر ملوك الملاحدة الإسماعيليّة عند نهر جيحون وفُصل بين رأسه وبدنه على يد عمّال هلاكوخان، بعد أن قتلوا من الإسماعيليّة اثني عشر ألف ملحد وقطعوا بذلك نسل (كيا بزرك أُميد) وأُسقطت القلاع وفتحت أبوابها وصارت الطرق آمنة بيد المسلمين حتّى شكروا هلاكو خان على هذه المكرمة.

توضيح عن العلويّين في مصر

والموضوع المهمّ هنا هو ادّعاء بعض أرباب التأريخ أنّ خلفاء الدولة العلوية في مصر من الباطنية والقرامطة وينسبون إليهم عقائدهم وزندقتهم الباطلة. وهو خطأ فظيع واتّهام واضح، فالخلفاء العلويّون في مصر لم يكونوا من القرامطة ولا من الباطنية وإليكم بعض الأدلّة والشواهد:

١ ـ قلنا سابقاً: إنّ الباطنية أو القرامطة ظهروا عام ٢٧٨هـ في نواحي العراق والحجاز والشام[1].

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص٦٠٢ ط بيروت دار الكتب العلمية ١٩٨٨م، وقال الطبري: ذكر عن محمّد بن داود أنّه قال: قرمط رجل من سواد الكوفة، كان يحمل غلّات ←

بينما كان ابتداء الإسماعيليّة وخلافة عبدالله المهدي في افريقيا عام ٢٩٦هـ كما ذكره ابن الأثير في الكامل[١]، فتكون الفترة بينهما (١٨) عاماً وهي فترة ليست قليلة.

٢ ـ أنّ الخليفة العلوي الأوّل في مصر وهو عبيدالله المهدي كان يلعن القرامطة ويتبرّأ منهم لاسيّما بعد سماعه جرائمهم في بيت الله الحرام، وقد تطرّقنا لذلك سابقاً، بل كانت بينهم مناوشات وحرب، واستمروا خلفاء الإسماعيلية في لعنهم للقرامطة إلى الخليفة السادس، فلا يعقل والحال هذه أن يكونوا منهم.

نعم، سعى أبو طاهر اللعين من أوّل دعوته لإلصاق نفسه بالإسماعيليّة وادّعائه أنّه إسماعيلي المذهب لمّا رأى أنّه لا سبيل له في نشر دعوته غير هذه الطريقة، فكان يصيد السمك في الماء العكر حينما رأى توجّه الناس إلى الإسماعيلية حاول الاستفادة من هذا الواقع وبثّ سمومه وزندقته عبر إدعائه الإسلام الإسماعيلي، وإلّا فإنّه ليس بمسلم بل ملحد ظاهر في إلحاده.

وأمّا سرّ انتخابه للمذهب الإسماعيلي فلأنّ الإسماعيليّة يعتقدون ببعض الأمور الباطنية كما سبق ذكره وهو ممّا يتّفق مع دعوات ومزاعم وأكاذيب أبي طاهر، وبهذا الشكل نشر أباطيله باسم الإسماعيليّة فظنّ الناس أنّ هذه أفكار الإسماعيليّة.

ولكن ما فعله أبو طاهر في مكّة من قتل ونهب (ذكرناه سابقاً) عام

← السواد على أثوار له يسمّى حمدان ويلقّب بقرمط ثمّ فشا أمر القرامطة ومذهبهم... /المؤلّف.

أقول: كان هذا النصّ في المتن أدرجته في الهامش لوحدة السياق /المترجم.

(١) الكامل ج٦ ص٤٤٦ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٧م.

٣١٧هـ وسرقه للحجر الأسود وحُلّة الكعبة، أظهر نفسه لكافّة الناس أنّه ليس إسماعيليّاً من خلال هذه المفاسد التي لم يرتضها أي مسلم، فكتب له عبيدالله المهدي رسالة يتهدّده فيها ويخوّفه وأمره أن يردّ الحجر الأسود وحُلّة الكعبة وأموال الناس.

وظلّ الحجر الأسود عندهم ٢٢ عاماً إلى أن استطاع (ابن سنبر) أو (ابن ثير أو ابن شبر) إرجاعه إلى محلّه، وهو من خواصّ أبي سعيد الجنابي، فكان عود الحجر الأسود عام ٣٣٩هـ أي بعد موت عبيدالله المهدي بـ (١٧) عاماً[١].

٣ ـ وبعد أن ملكوا الرملة ساروا إلى مصر، فلمّا وصلوها اجتمع معهم خلق كثير من العرب، فأرسل الحاكم بأمر الله العساكر مع غلامه جوهر إليهم فاقتتلوا غير مرّة.. إلى أن ارتحل القرامطة إلى الشام تاركين مصراً وكان ذلك عام ٣٦٠[٢].

فلمّا رأى القرامطة عدم قدرتهم على المواجهة العسكرية مالوا إلى طريقة ثانية فأنفذوا رجلين إلى مصر الأوّل هو محمّد الملقّب (نشتكين الدرزي الخيّاط) والثاني اسمه حمزة، وقد غيّرا هيأتهما وكانت مهمّتهما النفوذ إلى الجهاز الحاكم والتقرّب من الخليفة بأيّ شكل من الأشكال، وبالفعل فلم تطل المدّة حتّى صارا من الملازمين والمقرّبين لدى الخليفة العلوي، وأظهروا الإخلاص ـ الكاذب ـ له حتّى اشتهرا بذلك وعرفا في الأوساط أنّهما من أكبر دعاة الإسماعيلية.

---

(١) ذكر ابن خلكان: عندما سرقوا الحجر الأسود إلى هجر حملته ثلاث من الإبل لثقله ولكن حينما أُرجع حمله جمل واحد ضعيف!! / المؤلّف.
أُنظر وفيّات الأعيان، باب القرامطة، والخزائن للنراقي ص٢٤.
أقول: كان هذا الكلام في المتن أدرجته في الهامش لنفس ما ذكرناه سابقاً / المترجم.

(٢) الكامل ج٧ ص٣٢٦ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٧م.

ثمّ جاء اليوم الذي طلب فيه حمزة من الخليفة العلوي أن يسمح له بنشر الدعوة الإسماعيلية مع رفيقه الثاني، فوافق الخليفة على ذلك.

فاتّفق حمزة مع رفيقه على أن يقوم الأوّل بالدعوة العلنية إلى المذهب الإسماعيلي، بينما يتولّى الثاني الدعوة ـ سرّاً ـ إلى المذهب الباطني فكان لهما مجلساً عامّاً وآخر خاصّ.

وهكذا نجحت الخطّة فبقي حمزة في مصر وذهب (نشتكين) إلى أطراف بلاد الشام، فكان حمزة يخبر الناس بالملأ العام أنّ (نشتكين) من دعاة الإسماعيلية ذهب لنشر الدعوة في أطراف البلاد وهو مبعوث من قِبل الخليفة فطاعته واجبة والاستماع إلى مواعظه ودروسه أمر ضروري.

وكان يقول للناس: إنّ في كلام الخليفة أسرار وخفايا لا يفهمها إلّا من تجلّى بتصفية القلب والإخلاص، بينما كان (نشتكين) يخلو في مجلسه الخاص بهؤلاء الذين يطلبون الأسرار والرموز ويبث لهم الأفكار الباطنية والزندقة والكفر باسم الإسماعيلية في كتاب يقرأه عليهم على أساس أنّه كتاب الخليفة.

ومن جملة الكفريات التي أدرجوها في ذلك الكتاب: أنّ الهوية الإلهية تنتقل من قالب إلى قالب بالحلول فيه في كلّ زمان ومكان.

وأنّ روح نشتكين كانت في زمن الحكيم فيثاغورس وفي زمان النبي شعيب وفي زمن سليمان بن داود وزمان المسيح وزمان محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وأنّها متجلّية في الخليفة الحاكم بأمر الله!!

وأنّ روح آدم عليه السلام حلّت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ انتقلت وحلّت في أبدان أولاده واحداً بعد واحد وهي اليوم في بدن الحاكم بأمر الله.

وأنّ الصلاة هي القول الحسن للاخوان والصوم عبارة عن حفظ اللسان والأسرار وإلى آخره من هذه المزخرفات والوهميات الباطلة فلم تطل مهمّته كثيراً حتّى صار أغلب أهل الجبال من بلاد الشامات من الإسماعيليّة القائلين

بمعتقدات الباطنية الذين يُطلق عليهم بـ(الدروز) إلى يومنا هذا.

وفي تلك الفترة قُتل الخليفة الحاكم بأمر الله بتدبير من أمير الجيوش خارج مصر، ووصل خبره إلى (نشتكين) فجمع الناس وهو في أطراف البلاد وقال لهم إنّ الخليفة أخبرني أنّه سيرتقي إلى السماء، بعدها أبرز (نشتكين) في بلاد الشام وحمزة في مصر كتاباً اسمه (سجل معلّق) جاء فيه:

«إنّ الحاكم اختفىٰ عن أعين الناس امتحاناً لإيمان المؤمنين» ثمّ صنع الدروز مقاماً جعلوه مزاراً في الموضع الذي صعد فيه الخليفة إلى السماء كما خدعهم نشتكين.

والحاصل فقد أثمرت خطّة الباطنية (القرامطة) وكان ثمرها فرقة الدروز المتواجدين اليوم في بلاد الشام بتنظيمات سريّة واليوم يوجد بين الدروز عهد يجَب أن يلتزم به كلّ فرد منهم وهو من جملة الأباطيل والأكاذيب التي تركتها مساعي نشتكين وهذا نصّ العهد:

«توكّلتُ على مولانا الحاكم الأحد الفرد الصمد المنزّه عن الأزواج والعدد!! أقرّ فلان بن فلان إقراراً أوجبه على نفسه وأشهد به روحه في صحّة من عقله وبدنه وجواز أمره طائعاً غير مكره ولا مجبر أنّه قد تبرّء من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلّها على أصناف اختلافاتها!! وأنّه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جلّ ذكره!! والطاعة هي العبادة وأنّه لايشرك في عبادته أحداً، مضى أو حضر أو ينتظر، وأنّه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جلّ ذكره، ورضي بجميع أحكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله سائه ذلك أم سرّه ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جلّ ذكره الذي كتب على نفسه وأشهد به على روحه أو أشار به إلى غيره أو خالف شيئاً من أوامره كان بريئاً من الباري المعبود وحرم لإفادته من جميع الحدود واستحق العقوبة من الباري العلي جلّ ذكره، ومن أقرّ أنّ ليس له في

السماء إله معبود وفي الأرض إمام موجود إلّا مولانا الحاكم جلّ ذكره كان من الموحِّدين الفائزين! كتب في شهر كذا وسنة كذا[١].

هذه العبارئر واحدة من خزعبلات الباطنية الذين ضلّوا وأضلّوا كثيراً من المسلمين وهدموا قواعد الدين الحنيف.

ولذا فإنّكم تجدون القرامطة الباطنية إذا حكم واحد منهم في مصر وافريقية يمتنعون عن محاربته ومنابذته، بينما إذا حكم أحد الإسماعيليّة فإنّهم لا يفترون عن مقاتلته.

لاسيما عام ٣٦٠هـ في هجومهم على دمشق ومصر كما أشرنا إليه حتّى استطاع المعزّ لدين الله من خلال خادمه (جوهر) أن يحرّر مصر والاسكندرية وديار صعيلا وديمياط ومكّة والمدينة من أيدي العبّاسيّين ويجعلها تحت حكم الخلفاء العلويّين.

وهكذا تمّ انتزاع جانب من فلسطين ودمشق من أيدي الباطنية فاختفى القرامطة في الشام وأظهروا أنفسهم بمظهر الإسماعيلية. ولكن أهل التحقيق يفرّقون بين الإسماعيلية والقرامطة الباطنية فلكلّ دعوته الخاصّة[٢].

ولكن يشتركون جميعهم بجملة من البدع والضلالات والأكاذيب واليوم بعد ألف عام على تاريخ هذه الفرق المنحرفة توجد بقاياهم في ثلاث بلدان:

١ ـ النزارية وهم (الخوجة والاغاخانية).

٢ ـ المستعلية وهم (البُهرة) في الهند والباكستان لاسيما في بمبني وكراچي.

٣ ـ الدروز وهم أكفر الفرق يتواجدون في جبال بلاد الشام.

---

(١) ذكره صاحب تاريخ جبل الدروز.

(٢) روضة الصفا لمحمّد خاوندشاه ج ٤ ضمن كلامه عن الخليفة الرابع المعزّ لدين الله.

وهذا الكلام يكفي، وأُحيل لمن طلب المزيد إلى تاريخ الطبري والكامل وكتاب (التنبيهات الجلية في كشف أسرار الباطنية) لمؤلّفه محمّد كريم بن محمّد علي الخراساني الذي كان من أعلام الباطنية سابقاً ثمّ استبصر وتشرّف باعتناق المذهب الجعفري الاثني عشري[1].

الإمامية

ذكر الشهرستاني في ملله الشيعة الإمامية وقال:

هم القائلون بإمامة علي بعد النبيّ صلى الله عليه وآله نصّاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين.

قالوا: وما كان في الدين والإسلام أمر أهمّ من تعيين الإمام حتّى تكون مفارقته الدُّنيا على فراغ قلب من أمر الأُمّة، فإنّه إنّما بُعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز أن يفارق الأمّة ويتركهم هملاً يرى كلّ واحد منهم رأياً ويسلك كلّ واحد منهم طريقاً لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعيّن شخصاً هو المرجوع إليه وينصّ على واحد هو الموثوق به والمعوّل عليه، وقد عيّن عليّاً في مواضع تعريضاً وفي مواضع تصريحاً:

أمّا تعريضاته فمثل: أن بعث أبا بكر ليقرأ سورة براءة على الناس في المشهد وبعث بعده عليّاً ليكون هو القارئ عليهم والمبلّغ عنه إليهم وقال: نزل عليّ جبرئيل عليه السلام فقال: يبلّغه رجل منك، أو قال: من قومك وهو يدلّ على تقديمه عليّاً عليه.

ومثل: أنّه كان يؤمّر على أبي بكر وعمر غيرهما من الصحابة في البعوث وقد أمّر عليهما عمرو بن العاص في بعث، وأُسامة بن زيد في بعث وما أمّر على

---

(١) كتبه عام ١٣٥١هـ وفي عام ١٣٥٢هـ زار المؤلّف النجف الأشرف / المؤلّف.

عليّ أحداً قطّ.

وأمّا تصريحاته فمثل: ما جرى في نأناة[1] الإسلام حين قال: مَن الذي يبايعني على ماله؟ فبايعته جماعة ثمّ قال: مَن الذي يبايعني على روحه وهو وصيّي وولي هذا الأمر من بعدي؟ فلم يبايعه أحد حتّى مدَّ أمير المؤمنين علي يده إليه فبايعه على روحه ووفىٰ بذلك، حتّى كانت قريش تعيّر أبا طالب أنّه أمّر عليك ابنك، ومثل ما جرى في كمال الإسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[2] فلمّا وصل غدير خمّ أمر بدوحات فقُممن ونادوا: الصلاة جامعة، ثمّ قالﷺ وهو على الرحال «مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللّهمَّ والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحقّ معه حيث دار ألا هل بلّغت؟ ثلاثاً» فادّعت الإمامية ـ والكلام لا زال للشهرستاني ـ أنّ هذا نصّ صريح.

فإنّنا ننظر من كان النبيّﷺ مولىٰ له؟ وبأيّ معنى؟ فنطرد ذلك في حقّ عليعليه السلام وقد فهمتْ الصحابة من التولية ما فهمناه حتّىٰ قال عمر حين استقبل عليّاً: طوبىٰ لك يا علي أصبحت مولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة قالوا: وقول النبيّﷺ: «أقضاكم علي» نصّ في الإمامة فإنّ الإمامة لا معنى لها إلّا أن يكون أقضى القضاة في كلّ حادثة والحاكم على المتخاصمين في كلّ واقعة وهو معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[3]، قالوا: فأوّلوا الأمر مَن إليه القضاء والحكم، حتّى في مسألة الخلافة لمّا تخاصمت

---

(١) أي في بدء الإسلام حين كان ضعيفاً.

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) النساء: ٥٩.

المهاجرون والأنصار كان القاضي في ذلك هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام دون غيره، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كما حكم لكلّ واحد من الصحابة بأخصّ وصف له فقال: «أفرضكم زيد وأقرؤكم أُبيّ وأعرفكم بالحلال والحرام معاذ» كذلك حكم لعلي بأخصّ وصف له وهو قوله «أقضاكم علي» والقضاء يستدعي كلّ علم، وليس كلّ علم يستدعي القضاء.

ثمّ إنّ الإمامية تخطّت عن هذه الدرجة إلى الوقيعة في كبار الصحابة طعناً وتكفيراً وأقلّه ظلماً وعدواناً، وقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم والرضا عن جملتهم قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾(١) وكانوا إذ ذاك ألفاً وأربعمائة، وقال الله ثناءً على المهاجرين والأنصار، والذين اتّبعوهم بإحسان ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾(٢) وقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾(٤) وفي ذلك دليل على عظمة قدرهم عند الله تعالى وكرامتهم ودرجتهم عند الرسول صلى الله عليه وآله فليت شعري: كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم ونسبة الكفر إليهم وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «عشرة من أصحابي في الجنّة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقّاص

---

(١) الفتح: ١٨.

(٢) التوبة: ١٠٠.

(٣) التوبة: ١١٧.

(٤) النور: ٥٥.

وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاح».

إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في حقّ كلّ واحد منهم على الانفراد، وإن نقلت هنات من بعضهم فليتدبّر النقل، فإنّ أكاذيب الروافض كثيرة وأحداث المحدثين كثيرة.

ثمّ إنّ الإمامية لم يثبتوا في تعيين الأئمّة بعد: الحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام على رأي واحد بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلّها.. انتهى موضع الحاجة من كلامه[1].

نقد كلام الشهرستاني

هنا نسجّل على الشهرستاني عدّة نقاط موضوعية على أساس الأدلّة والإنصاف.

أوّلاً ذكر أنّ الإمامية يذكرون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر لتبليغ سورة التوبة ثمّ أرجعه وأرسل الإمام عليّ عليه السلام وهو بذلك يريد أن يوهم البسطاء أنّ الإمامية ينفردون بهذا الخبر، مع أنّ هذه القضية ليست من خصوصيات الإمامية بل يرويها المسلمون كافّة بلا منازع، فإنّهم ذكروا: أنّ جبرئيل نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال له: إنّ الله تعالى يقرئك السلام ويقول لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك، وكان أبو بكر قد وصل إلى ذي الحليفة فأرسل النبيّ صلى الله عليه وآله خلفه أمير المؤمنين علي عليه السلام وردّه إلى المدينة وذهب علي بالفضل كلّه.

وقد تعرّضتُ لهذا الموضوع بشكل مفصّل أثناء مناظراتي وحواري في مدينة پيشاور الباكستانية عام ١٣٤٥هـ مع علماء أهل السنّة هناك وأدرجت هذا الحوار مع المصادر في كتابي ليالي بيشاور، ومن أجل الفائدة أكتفي بذكر

(١) أُنظر الملل والنحل ج ١ ص ١٣٢ الفصل السادس.

المصادر السنّية التي تعرّضت لهذه الحادثة في الهامش[1].

(١) صحيح البخاري ج ٤ [ج٨، ص٢٣٩ بيروت].
[شرح نهج البلاغة ج٦، ص١٦٨، دار إحياء الكتب العربية].
والجمع بين الصحيحين [ج٣، ص ١٥١، ط مصر].
وسنن البيهقي [ج٢، ص ٢٨٠].
وجامع الترمذي [ج٥ ص١٦٩ رقم ٣٠٩٠ دار الغرب الإسلامي].
وسنن الترمذي أيضاً [ج٥ ص ٣٠٠ ط بيروت].
وسنن أبي داود [ص ٥٢٠، ط بيروت ١٩٧٠م].
ومناقب الخوارزمي [ص١٦٤ الباب الخامس عشر ط جامعة المدرّسين، قم].
وتفسير الشوكاني عند تعرّضه للآية الكريمة في سورة التوبة.
والفضائل لابن المغازلي [ج١، ص ١٤١، بيروت].
ومطالب السؤول ج١، [ص١٦٧، ط أمّ القرىٰ].
وينابيع المودّة [ج١، ص ٢٦١ الباب ١٨، دار الأسوة].
والرياض النضرة [ج٣، ص١٦٨].
ومختصر ذخائر العقبىٰ [ص١١٢، ط الأمين].
وتذكرة الخواص [ص٤٢، ط الشريف الرضي عام ١٤١٨هـ].
وسنن النسائي [ج٥ باب فضائل علي دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٩١م].
والإصابة [ج٣، ص ١٨٠، ط: مؤسسة التاريخ العربي بيروت].
والدرّ المنثور ج٣ ص٢٠٨ في أوّل تفسيره لسورة التوبة.
[المعجم الأوسط الطبراني ج٣، ص١٦٥].
والمعجم الكبير ج١٢، ص٧٧.
ومجمع الزوائد ج٩، ص١١٩.
ومسند أبو يعلى الموصلي ج١، ص ١٠٠.
وجامع البيان للطبري في أوّل تفسيره لسورة التوبة.

←

ثانياً: وما ذكره أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله طلب من البعض أن يفدوه بالمال ففداه جماعة ثمّ طلب أن يفدوه بالروح ففداه عليّ عليه السلام ...

فإنّ مثل هذا الحدث لا وجود له في كتب الشيعة الإمامية أبداً، بل هو ما انفرد به الشهرستاني ونسبه إلينا بمحض الافتراء.

نعم، الإمامية يذكرون ما اتّفق عليه المسلمون من حادثة وحديث يوم الدار، الدالّ بصراحة على ولاية وخلافة ووصاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو ما ذكره الفريقان، بل تصدّى لذكره من غير المسلمين أيضاً وهم المستشرقون.

← وخصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي؛ [ص ٢٠، ط التقدّم العلمية، سنة ١٣٤٨هـ].

والثعلبي في تفسيره لسورة التوبة أيضاً.

وابن كثير في تفسيره لسورة التوبة أيضاً.

وروح المعاني في تفسيره لسورة التوبة أيضاً.

والصواعق المحرقة [ج٢ ص٣٥٦ مؤسسة الرسالة بيروت].

ومجمع الزوائد [ج٣ في فضائل علي عليه السلام دار الكتب العلمية].

وكفاية الطالب الباب ٦٢ مسنداً عن أبي بكر وعن الحافظ أبي نعيم وعن مسند الحافظ الدمشقي عن أبي نعيم بطرق مختلفة.

وفضائل أحمد [ج٢ ص٥٦٢ ط السعودية].

والمستدرك في كتاب المغازي ص ٣٣١.

وكنز العمّال [ج ١١ ص٦٠٣ رقم ٣٢٩١٣ط سوريا].

وتكاد تكون الحادثة متواترة.

أقول: ما بين المعقوفتين استخراج الحادثة من المصادر التي ذكرها المصنّف قدس سره ولكن من طبعاتها الحديثة بعد أن كان المصنّف ذكرها بالطبعات القديمة المطبوعة في عصره أو ما قبله / المترجم.

حديث الدار على لسان المستشرقين ودلالاته

فقد ذكره المؤرّخ والفيلسوف المعروف (توماس كارليل) الانگليزي الذي ذاع صيته في القرن الثامن عشر الميلادي في أوربا في كتابه الشهير (الأبطال وعبادة البطولة) وقد تُرجم إلى العربية في مصر وطبع فيها.

و(مسيو پول لهوژور) الفرنسي استاذ دار الفنون في باريس في رسالته المختصرة عن خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله وقد طبعت عام ١٨٨٤م في باريس.

و(جرجيس صال) الانگليزي وقد ذكر ذلك هاشم النصراني المتعصّب والمخالف للإسلام والمسلمين في مقالة عن الإسلام طبعت عام ١٨٩١م من صفحة ٨٣ إلى ٨٦.

و(مستر جان ديون پورت) المؤلّف المعروف والمنصف في كتابه القيّم (محمّد والقرآن) صفحة ٢٠، وذكر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جعل علياً عليه السلام خليفة على المسلمين في بداية نشر الدعوة.

وقد ذكر أكابر علماء أهل السنّة حديث الدار باختلاف يسير في العبائر مع اتّحاد المعنى.

فحينما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1] فدعى رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطّلب فكانوا خمسة وأربعين رجلاً، فصنع لهم النبيّ صلى الله عليه وآله رجل شاة وعُساً من لبن وقدّمه لهم، فلمّا رأوه ضحكوا فقال لهم: كلوا بسم الله، فأكلوا وشبعوا ولا زال الطعام على حاله فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا ما سحركم به الرجل، ثمّ قام النبيّ صلى الله عليه وآله فيهم خطيباً وقال: يا بني عبد المطّلب إنّ الله

(١) الشعراء: ٢١٤.

بعثني بالخلق كافّة وإليكم خاصّة، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان وثقيلتين على (في) الميزان تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنّة وتنجون بهما من النار شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله فمن يجبني إلى هذا الأمر ويؤازرني إلى القيام به يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي.

ثمّ كرّر صلى الله عليه وآله الجملة الأخيرة ثلاث مرّات وفي كلّ مرّة يحجم القوم وينهض الإمام عليّ عليه السلام ويقول: أنا أنصرك ووزيرك يا نبيّ الله.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، وفي بعض الروايات: أنت وصيّي وخليفتي من بعدي[1].

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ والطبري في تفسيره للآية [ج٢ ص٣١٩ ط دار المعارف بمصر].

وأحمد بن حنبل في المسند [ج٦، ص٤٨، ط: مصر ١٣٩٨هـ].

وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة [ج١٣ ص٢٤٤ ط دار إحياء الكتب العربية].

وابن الأثير في الكامل [ج١ ص٥٨٦ دار الكتب العلمية ١٩٨٧م].

وأبو نعيم في حلية الأولياء [ج٢، ص١٦٥، ط بيروت ١٩٦٥م].

والحميدي في الجمع بين الصحيحين [ج٣، ص٩٥، ط: مصر].

والبيهقي في السنن [ج٢، ص٢٥٠].

وأبو الفداء في تاريخه [ج٢، ص٩٥، ط: مصر ١٤١٠هـ].

والحلبي في السيرة [ج١ ص٢٨٦ طبعة مصر].

والنسائي في الخصائص [ص٢٣، ط التقدّم العلمية بمصر سنة ١٣٤٨هـ].

والحاكم في المستدرك [ج٤، ص١٨٦].

وينابيع المودّة [ج١، ص٣١١، الباب الحادي والثلاثون، ط دار الأسوة، ١٤١٦هـ].

←

وهذا هو الحديث الذي تذكره الإمامية وفاقاً لجميع المسلمين في خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام لا ما ذكره الشهرستاني.

حديث الغدير

وقد حاول الشهرستاني تبعاً لسلفه أن يصرف دلالة حديث الغدير عن معناه ودلالته الظاهرية المتعيّنة إلى معنى آخر من خلال صرف مدلول كلمة (المولى) إلى معنى ثاني.

وهنا نسجّل بعض النقاط المهمّة:

يوحي الشهرستاني من خلال كلماته إلى البسطاء أنّ حديث الغدير ممّا انفرد به الإمامية!!

مع أنّ واقعة الغدير ونزول الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ..﴾[1] وقوله صلى الله عليه وآله عقيب نزولها: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه، ممّا ذكره جميع المسلمين بلا منازع ولا مخالف، وقد ذكرتُ هذا البحث بشكل مفصّل في ليالي بيشاور، ولا بأس هنا بذكر شيئاً ما.

أوّلاً: إنّ واقعة الغدير ممّا اتّفق بنقلها وذكرها الفريقان فلا عبرة بالفرد النادر الذي لا يذكرها أو يحاول جعلها من مقالات الإمامية فحسب كما فعل الشهرستاني لاسيّما إذا لاحظنا ابن حجر المكّي المتعصّب الحاقد على الشيعة

← والمعجم الكبير للطبراني [ج١٨، ص٨٩].

وكفاية الطالب [الباب ٥١ ط النجف].

أقول: ما بين المعقوفتين استخراج الحادثة من نفس المصادر التي ذكرها المصنّف رحمه الله ولكن من طبعاتها الحديثة بعد أن ذكرها المصنّف بالطبعات القديمة /المترجم.

(١) المائدة: ٦٧.

الإمامية بعد نقله لواقعة الغدير في الصواعق يقول: «إنّه حديث صحيح لا مرية فيه وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد وطرقه كثيرة جدّاً»(١).

بل أفرد بعض علماؤكم كتاباً خاصّاً باسم (ولاية الغدير) مثل أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري المفسّر والمؤرّخ الشهير في القرن الرابع الهجري والمتوفي عام ٣١٠هـ، حيث ذكر في كتاب الولاية خمسة وسبعين طريقاً لحديث الغدير.

وهكذا ذكر الحافظ أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن سعيد بن عبد الرحمن الكوفي المعروف بـ (ابن عقدة) المتوفي عام ٣٣٣هـ صنّف كتاباً باسم الولاية وذكر مائة وخمسة طريقاً لحديث الغدير عن مائة وخمسة وعشرين راوياً بتحقيق متين للغاية.

وهكذا ابن الحدّاد الحافظ أبو القاسم الحسكاني المتوفّي عام ٤٩٢هـ في كتابه (الولاية) ذكر واقعة الغدير بشكل مفصّل مع نزول الآية فيه.

والخلاصة فقد ذكر حديث الغدير أكثر من ثلاثمائة من أكابر علماء أهل السنّة بطرق متعدّدة ونزول آية إكمال الدين بهذه المناسبة كانت، وبعضهم ذكر مناشدة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في الرحبة لمائة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله انّهم سمعوا هذا الحديث عنه صلى الله عليه وآله، وليس عندي متّسع لذكر كلّ ذلك ولكنّي أرجعكم إلى كتابي ليالي بيشاور، وأهمّ منه المجلّدات الثلاثة الأول من الدورة النفيسة (عبقات الأنوار) تأليف آية الله المجاهد السيّد مير حامد حسين الدهلوي الهندي قدس سره فمن خلالها تعرّفوا زيف كلام الشهرستاني.

ثانياً: يزعم الشهرستاني أنّ الإمامية ينفردون بحديث (أقضاكم عليّ)

---

(١) الصواعق المحرقة ج٢ ص٣٥٥ ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت، تحقيق عبد الرحمن التركي وكامل الخراط / المترجم.

ويستدلّون به على خلافته وإمامته..

والحقيقة أنّ هذا الحديث لا ينفرد به الإمامية فقط بل ذكره أغلب علماء السنّة أيضاً، وهنا أكتفي بذكر اثنين من فحول وكبار علماؤكم.

الأوّل: هو نور الدين بن الصبّاغ المالكي ذكر في كتاب الفصول المهمّة:

فصل في ذكر شيء من علومه فمنها علم الفقه الذي هو مرجع الأنام، ومنبع الحلال والحرام، فقد كان علي مطّلعاً على غوامض أحكامه منقاداً له، جامحة بزمامه، مشهوداً له فيه بعلوّ محلّه ومقامه، ولهذا خصّه رسول الله صلى الله عليه وآله بعلم القضاء، كما نقله الإمام أبو محمّد الحسين بن مسعود البغوي رحمة الله عليه في كتابه المصابيح مرويّاً عن أنس بن مالك أنّ رسول الله لمّا خصّص جماعة من الصحابة كلّ واحد بفضيلة، خصّص عليّاً بعلم القضاء فقال صلى الله عليه وآله: وأقضاكم علي عليه السلام[1].

والثاني: هو محمّد بن طلحة الشافعي ذكر نفس الحديث أعلاه في مطالب السؤول عن القاضي البغوي ثمّ قال بعده: وقد صدع الحديث بمنطوقه وصرّح بمفهومه أنّ أنواع العلم وأقسامه قد جمعها رسول الله لعلي دون غيره[2].

وذلك لأنّ القضاء يتطلّب سعة في العلم مع كمال العقل وسلامته من الغفلة، ثمّ إنّ كلمة (أقضاكم) صيغة أفضل وهي تدلّ على تقدّمه على جميع الصحابة.

ومن الثابت عند العقلاء أنّهم يتّبعون الأعلم والأفضل ويقدّمونه على غيره وفاقاً لحكم العقل والمنطق، فيكون عليّاً إماماً مقدَّماً على غيره بحكم العقل والعقلاء.

---

(١) الفصول المهمّة الفصل الثالث ص١٧.

(٢) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ج١، ص١١٢، ط أُمّ القرى، تحقيق ماجد ابن أحمد العطية.

ثمّ ذكر الشهرستاني أنّ الإمامية كفّرتْ الصحابة ووقعت فيهم... فجوابه مايلي:

لقد استخدم أهل السنّة هذه الحجّة الواهية للطعن على الإمامية طيلة أكثر من ألف عام مع أنّ علمائنا قد أجابوا بما يشفي الغليل ويهدي الحيران ولكنّهم ما زالوا يردّدون النغمة نفسها وهنا لا بأس علينا لو أوضحنا لكم الموضوع ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾(١).

أوّلاً: المراد من الصحابي هو من صحب النبيّ صلى الله عليه وآله أو نقل عنه حديثاً، وهذا وإن عُدَّ شرفاً ومفتخراً إلّا أنّه ليس مطلقاً بل هناك شرائط، فالصحابي الجليل هو ذلك الإنسان المطيع لله ولرسوله صلى الله عليه وآله والمنقاد لأوامر الشرع، لا الذي يتّبع الهوى والجاه والشهرة فيؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض.

فالشيعة الإمامية يحترمون ويقدّسون المؤمن المطيع لله ولرسوله صلى الله عليه وآله ويعظّمونه لإيمانه وانقياده وحبّه لله تعالىٰ، والعكس بالعكس، فهذا الاتجاه هو اتجاه عقلي وسيرة عقلائية يمضي عليها العقلاء إلى اليوم.

بينما نجد أهل السنّة يعتبرون جميع الصحابة عدول ثقات حتّى الفاسق منهم بل تجدهم يدافعون عن أصحاب القبائح والأفعال المشينة بذريعة أنّهم من الصحابة.

بينما لا ترى الإمامية الصحبة ملاكاً للحكم بالعدالة على الوثاقة للرجل.

فهناك من الصحابة مَن هو فاسق منافق، ومنهم المؤمن الخالص في إيمانه كبقيّة الناس.

سؤال: كيف يمكن التصوّر أنّ في صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله أُناس من الفسقة؟

---

(١) الأنفال: ٤٢.

الصحابة مؤمنون ومنافقون

الجواب: عليكم أن تعرفوا أنّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله كباقي الناس إذ لم يرد دليل على عصمتهم ولم يشهد تأريخهم بذلك أبداً بل لم يدع أحد من أهل السنّة بعصمتهم.

وبما أنّ العصمة منفية في حقّهم فالخطأ جائز في حقّهم، نعم الصالح منهم أفضل من كلّ صالح، والطالح منهم أشقىٰ من كلّ طالح وشقي.

سؤال: هل عندك دليل على وجود الطالح من بين الصحابة؟

الجواب: الدلائل في هذا المجال كثيرة جدّاً لاسيّما من القرآن الكريم، ويمكنكم مراجعة الجزء الأوّل من هذا الكتاب من صفحة (٣٧) إلى صفحة(٥٠) فقد بيّنت هذا المطلب بالدلائل الواضحة.

ألم تقرع أسماعكم آيات المنافقين الخمسة في القرآن المجيد التي ذمّتهم وبشّرتهم أنّهم في الدرك الأسفل من النار؟ ألم يكونوا من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله الذين خاطبتهم الآية ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾[١] وهم الذين كانوا في وادي العقبة ـ كما ذكرنا سابقاً ـ من أجل قتل رسول الله صلى الله عليه وآله.

ألم يكن الذين فرّوا من الزحف في أُحد وحنين من الصحابة؟

ألم يكن الذين فتحوا باب الاختلاف ـ كما تقدّم ـ في الأُمّة أثناء موت النبيّ صلى الله عليه وآله من الصحابة؟ ألم يكن عمر بن الخطّاب في طليعتهم؟

والذين أخبر القرآن المجيد عن ارتدادهم بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله ألم يكونوا من الصحابة؟ كما ذكرته لكم[٢].

---

(١) النساء: ١٤٥.

(٢) في الجزء الأوّل ص٣٩.

ألم يكن الحكم بن أبي العاص وولده مروان ملعونان على لسان رسول الله ﷺ ؟ وقد ذكرته لكم سابقاً.

ألم يقل أبو سفيان في أوّل يوم من خلافة عثمان بن عفّان في حضور بني أُميّة (يابني أميّة تلقّفوها تلقّف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنّة ولا نار ولا بعث ولا قيامة)؟[1] ألم تعدّوا أبا سفيان من الصحابة؟

ألم يكن معاوية (عليه الهاوية) الملعون من قِبل رسول الله ﷺ مراراً[2] من

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩، ص٥٣، ط: دار إحياء الكتب العربية.

(٢) أقول: لا بأس هنا أن أذكر مقتطفات من الكتاب الذي كتبه المعتصد العبّاسي وحاول تعميمه على البلاد الإسلامية في زمنه فقد جاء فيه:

«وكان ممّن عانده ﷺ وكذّبه وحاربه من عشيرته العدد الأكثر والسواد الأعظم.. وأشدّهم في ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة... أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أُميّة، الملعونين في كتاب الله ثمّ الملعونين على لسان رسول الله ﷺ في عدّة مواطن وعدّة مواضع لماضي علم الله فيهم وفي أمرهم، ونفاقهم وكفر أحلامهم فحارب مجاهداً ودافع مكابداً وأقام منابذاً حتّى قهره السيف وعلا أمر الله وهم كارهون فتقوّلَ بالإسلام غير منطوٍ عليه، وأسرَّ الكفر غير مقلع عنه فعرفه بذلك رسول الله ﷺ والمسلمون وميّز له المؤلّفة قلوبهم فقبله وولده على علم عنه، فممّا لعنهم الله به على لسان نبيّه ﷺ وأنزل به كتاباً قوله: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً﴾ ولا اختلاف بين أحد أنّه أراد بها بني أميّة، ومنه قول الرسول ﷺ وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود ويزيد ابنه يسوق به «لعن الله القائد والراكب والسائق»، ومنه ما يرويه الرواة من قوله: يابني عبد مناف تلقّفوها تلقّف الكرة فما هناك جنّة ولا نار، وهذا كفر صُراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى

←

← ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾، ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أحُد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده: هاهنا ذبنا محمّداً وأصحابه، ومنه الرؤيا التي رآها النبيّ صلى الله عليه وآله فوجم لها فما رُئي ضاحكاً بعدها فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ فذكروا أنّه رأى نفراً من بني أُميّة ينزون على منبره، ومنه طرد رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم ابن أبي العاص لحكايته إيّاه وألحقه الله بدعوة رسوله آية باقية حين رآه يتخلج فقال صلى الله عليه وآله له: كن كما أنت؟ فبقي على ذلك سائر عمره، إلى ما كان من مروان في افتتاحه أوّل فتنة كانت في الإسلام واحتقابه لكلّ دم حرام سفك فيها أو أُريق بعدها ومنه ما أنزل الله على نبيّه في سورة القدر ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ من ملك بني أميّة، ومنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه فدافع بأمره واعتل بطعامه فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لا أشبع الله بطنه، فبقي لا يشبع ويقول: والله ما أترك الطعام شبعاً، ولكن إعياءً، ومنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يطلع من هذا الفجّ رجل من أُمّتي يُحشر على غير ملّتي، فطلع معاوية، ومنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه، ومنه الحديث المرفوع المشهور أنّه قال: إنّ معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي: يا حنّان يا منّان، الآن وقد عصيت قبلُ وكنت من المفسدين.

ومنه انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً وأقدمهم إليه سبقاً، وأحسنهم فيه أثراً وذكراً علي بن أبي طالب ينازعه حقّه بباطله ويجاهد أنصاره بضُلّاله وغواته، ويحاول مالم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله وجحود دينه ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون، يستهوي أهل الغباوة، ويموّه على أهل الجهالة بمكره وبغيه... ومنه إيثاره بدين الله ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبّر الخمّير، صاحب الديوك والفهود والقرود وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدّد والرهبة وهو يعلم سفهه ويطّلع على خبثه ورهقه ويعاين سكرانه وفجوره وكفره... ثمّ من أغلظ ما انتهك

←

ذكرت تلك الأحداث في المجلّد الأوّل من هذا الكتاب ص٢٢٢.

ألم يكن طلحة والزبير ممّن نقض العهد والبيعة لأمير المؤمنين والمسلمين عليّ عليه السلام وحارباه ظلماً وعدواناً في البصرة مع عائشة وأُريقت دماء الأبرياء بسببهم، ألم يكونا من الصحابة؟ وقد ذكرت تفاصيل ذلك في المجلّد الأوّل صفحة ٢٢٤.

ألم يزنِ المغيرة بن شعبة في البصرة ولم يُحدّ؟ وكان يسبّ ويلعن إمام الموحِّدين عليّ بن أبي طالب على المنابر؟ وهو عندكم من الصحابة؟ وقد تناولت ذلك في المجلّد الأوّل ص٢٦٩.

ألم يكن عمرو بن العاص وأبو هريرة أمثال أولئك في القبائح وهما عندكم من الصحابة؟

فمع كلّ هذه المفاسد والمعاصي والمظالم التي ارتكبها الصحابة كيف تسمح لكم عقولكم أن تحكموا بعدالتهم كلّهم؟

ألم يروِ البخاري وهو من أكابر علماؤكم في صحيحه مسنداً عن ابن عبّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: وأنّ أُناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول

← وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مع موقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه منه ومنزلته من الدِّين والفضل وشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنّة...

اللّهمّ العن أبا سفيان بن حرب، ومعاوية ابنه، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم وولده، اللّهمّ العن أئمّة الكفر وقادة الضلالة وأعداء الدِّين ومجاهدي الرسول ومغيّري الأحكام ومبدِّلي الكتاب وسفّاكي الدم الحرام... الخ.

أقول: لقد اقتطفتُ بعض المقاطع من هذه الرسالة المطوّلة وهي موجودة في تأريخ الطبري ج٥ ص٦٢٠ـ ٦٢٤ ضمن أحداث سنة ٢٨٤هـ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨م / المترجم.

أصحابي أصحابي فيقول: إنّهم لن يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم[1].

ومن هذه الأخبار في البخاري ومسند أحمد وغيرهما من الصحاح والسنن تجدها كثيرة، كلّها تشير وتصرّح بدخول جماعة من الصحابة في النار وهذه هي عقيدة الشيعة الإمامية في الصحابة وفاقاً لهذه الأخبار والأحاديث الصحيحة التي تنصّ على انحراف وكفر بعض الصحابة.

ثمّ إنّ تاريخ الصحابة يشهد على كفر وفساد بعضهم فقد تحاربا وتجادلا فلابدّ أن يكون أحدهما على حقّ والآخر على باطل لحكم العقل بهذه القسمة الثنائية، ففي حرب الجمل حارب الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وجماعته من

---

(١) صحيح البخاري ج٨ ص١٤٨ باب الحوض، كتاب بدء الخلق وج٤ ص١٦٩، ط محمّد علي صبيح وأولاده بمصر.

أقول: وجاءت في صحيح البخاري هذه الأحاديث المسندة:

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إليّ رجالٌ منكم حتّى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي ربِّ أصحابي يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وقال صلى الله عليه وآله: أنا فرطكم على الحوض مَن ورده شرب منه ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمّ يُحال بيني وبينهم، فيقال: إنّك لاتدري ما بدّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّلَ بعدي.

وقال صلى الله عليه وآله: هلكت أُمّتي على يدي غِلمة من قريش، فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت، فكنتُ (الراوي) أخرج مع جدّي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكون منهم، قلنا: أنت أعلم.

أُنظر: صحيح البخاري ج٢٤ ص١٤٤ وما بعدها من كتاب الفتن، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٨١م بشرح الكرماني.

وقال صلى الله عليه وآله مخاطباً أصحابه: لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.

المصدر نفسه ص٥ كتاب الديات / المترجم.

الصحابة عائشة وطلحة والزبير وبعض الصحابة فلا يعقل أن تكون كلا الجماعتين على الحقّ.

وهكذا في حرب صفّين حينما وقف معاوية وعمرو بن العاص وأبو هريرة وغيرهم ضدّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فبالقطع واليقين تكون إحدى الجماعتين على الحقّ والأُخرى على الباطل، وهذا دليل واضح على عدم عدول الصحابة كلّهم.

التفتازاني يصرّح بوجود منحرفين في الصحابة

قال الملّا سعد التفتازاني في شرح العقائد النسفية:

(قد روي أنّ جماعة من الصحابة قد امتنعوا عن نصرة علي والخروج معه إلى الحروب، وحاربه فرقٌ منهم كحرب الجمل وصفّين وحرب النهروان، فيلزم من ذلك تضليل الصحابة وتفسيقهم).(١)

ولا نضيف شيئاً فوق ما ذكره التفتازاني، لأنّه نطق وهو متحرّر من قيود العصبية العمياء، وعليه فلو ثبت بالدليل القطعي أنّ زيد الصحابي قد ارتكب ما هو خلاف الشرع فنقده أمرٌ طبيعي ولا يستدعي غضب أهل السنّة لأنّه غضب ليس في محلّه، بل هو مذموم لأنّه نوع من العصبية البغيضة.

حتّى أنّهم يكفّرون الشيعة لأجل انتقادهم بعض الصحابة على أفعالهم القبيحة، والعجب كلّ العجب أنّهم يجمعون على أنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مشمول بآية التطهير وآية المباهلة ويعترفون أنّه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو من جملة الذين طهّرهم الله، ومع ذلك تراهم إلى اليوم يمدحون معاوية الذي كان يسبّ عليّاً ويلعنه على المنابر!! فانظروا إلى المتناقضات وتأمّلوا!!

---

(١) شرح العقائد النسفية ص ١٨٠ ط: السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ

بل العجب أنّ الشهرستاني والبغدادي وعلماء أهل السنّة كافّة لا يتأثّرون لسبّ معاوية لأمير المؤمنين علي عليه السلام ولعنه إيّاه من المنابر مع أنّه ـ عليّ عليه السلام ـ إمام المسلمين الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : مَنْ سبّ عليّاً فقد سبّني ومَن سبّني فقد سبّ الله(١).

ومع هذا التصريح الذي يُعدّ به معاوية كافراً بلا أدنىٰ شكّ ومرتدّاً ونجساً وملعوناً، إلّا أنّ أهل السنّة يدافعون عنه أيما دفاع!!

بينما نراهم يكفّرون إخوانهم المسلمين الشيعة الإمامية عندما يعترضون وينتقدون كفريات معاوية، ويعتبرونهم خارج ربقة الإسلام ويبيحون لأنفسهم اتّهامهم بأنواع الاتّهامات مع أنّهم أكثر من مائة مليون مسلم لأجل رجل واحد وهو معاوية الثابت بالأدلّة انحرافه عن الإسلام.

وأمّا الآيات التي ساقها الشهرستاني لبيان فضل الصحابة من المهاجرين والأنصار بشكل مطلق وعدّهم عدول بالجملة فهو خطأ ـ سهواً أو عمداً ـ؛ لأنّ بعض الصحابة كان مستقيماً في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وظلّ مستقيماً بعد رحيله صلى الله عليه وآله أيضاً، بينما انقلب الآخرون ومالوا عن جادّة الصواب والاستقامة، فمثل هؤلاء لا تشملهم الآيات المذكورة.

فالبيعة تحت الشجرة والسبق إلى الإسلام والجهاد في الحروب والالتحاق بصلاة الجماعة والجمعة في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله كلّها أُمور تستدعي المدح والثناء في وقتها، إلّا أنّ كثيراً من هؤلاء تبدّلت نواياهم وسلوكيّاتهم فيما بعد، فلا معنى للتمسّك بعموم الآية وقد دلّ الدليل الخاصّ على انحراف بعض الصحابة الذين ارتكبوا أعمالاً يستحقّون عليها الذمّ من قبل الله تعالى في الدُّنيا والنار في الآخرة.

وأعتقد أنّني قد خرجتُ عن أصل الموضوع ولكن كان هذا جواباً على

---

(١) تقدّم مصدر الحديث وكلام المصنّف عنه في الجزء الأوّل ص ٣٢٠.

سؤالكم والكلام يجرّ الكلام والآن أترك الفرصة لكم لكي تتحدّثوا أو تسألوا.

سؤال: نحن لا نعرف كيف نشكركم على هذه التنبيهات والإيضاحات وقد أتعبناكم كثيراً مع ما أنتم عليه من المرض والجهد ولكن ما تفضّلتم به أكثر ممّا كنّا نتوقّع فنشكركم كثيراً ولكن بقي لدينا سؤالان[1].

السيّد: وما هما تفضّل بهما لأُجيبك عليهما؟

الإجابة على السؤال الرابع والخامس

سؤال: الاختلافات الحاصلة بين المذاهب والفِرق هل هي اختلافات في أُصول الدين أم في فروعه؟

والسؤال الخامس (وهو الأخير) هو: من هي الفرقة الناجية التي أخبر عنها رسول الله ﷺ؟ وما هو الدليل لمعرفتها؟

الجواب: أمّا الجواب عن السؤال الرابع ـ الذي نسيناه ونحن مستغرقون في المطالب ـ فهو أنّ أعظم الاختلافات بين المسلمين اختلافات أصولية لأنّ المسلمين اليوم بما فيهم من مذاهب وطرق ينتهون إلى ثلاث فرق مهمّة ومنها تتشعّب المذاهب:

١ ـ أهل السنّة.

٢ ـ الخوارج.

٣ ـ الشيعة.

---

(١) جميع ما تقدّم كان جواباً على السؤال الثالث الذي وجّهوه للمصنّف وهو: هل هناك فِرق أُخرى غير الشيعة والسنّة وما هي؟

وما سيأتي هو السؤال الرابع الذي كانوا قد وجّهوه للمصنّف في أوّل الحوار وهو مذكور في الجزء الأوّل ص٩ / المترجم.

أمّا أهل السنّة فقد تشعّبوا إلى فرقتين عظيمتين:

أ ـ الأشاعرة وهم معظم أهل السنّة.

ب ـ المعتزلة.

والأشاعرة هم أتباع أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المولود عام ٢٥٦هـ في البصرة والمتوفي عام ٣٣٠هـ في بغداد، وينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري المنافق الذي أوجد الاختلاف والفتن إبّان خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام كما أشرتُ إلى حالاته سابقاً[١].

ولهذه الفرقة عقائدها الخاصّة بها التي تختلف فيها مع جميع المسلمين، فمثلاً[٢]:

أوّلاً: تقول الأشاعرة إنّ صفات الله تعالىٰ زائدة على الذات الإلهية وهي قديمة أيضاً!!

بينما تقول الإمامية والمعتزلة: إنّ صفاته تعالىٰ عين ذاته وهذا هو معنى التوحيد الذاتي، إذ لو كانت صفاته تعالىٰ زائدة عليه لزم تعدّد القدماء والشركة وهو باطل.

ثانياً: تقول الأشاعرة: إنّ الحُسن ما حسّنه الشارع سبحانه وتعالى والقبح ما قبّحه الشارع، فكلّ ما حكم به الشرع فهو حسن وما قبّحه فهو قبيح.

بينما تقول الإمامية والمعتزلة: إنّ الحُسن والقبح عقليان فكلّ ما حكم به العقل حكم به الشرع، لأنّ الشرع موافق للعقل لا بديل عنه.

ثالثاً: وقالت الأشاعرة: إنّ كلام الله تعالىٰ قديم بقدمه بينما ذهبت الإمامية

---

(١) الجزء الأوّل ص٣٤٢.

(٢) لاحظ آراؤهم في الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٩٤ وما بعدها، ط دار المعرفة بيروت / المترجم.

والمعتزلة إلى أنّ كلامه سبحانه وتعالىٰ حادث.

رابعاً: قالت الأشاعرة بالجبر وأنّ الإنسان مسيَّر!!

وذهبت المعتزلة إلى القول بالتفويض وأنّ الإنسان مخيَّر تماماً.

بينما قالت الإمامية: إنّه ليس مسيّراً ولا مخيَّراً محضاً بل هو أمرٌ بين أمرين، أي بلحاظ السنن التكوينيّة هو مجبور عليها ولا يملك تغييرها، لكنّه بلحاظ السنن التشريعيّة هو مخيّر وله كامل الاختيار.

ولا يخفىٰ عليكم سخافة رأي الأشاعرة لأنّهم يعدّون الإنسان مثل الآلة التي تحرّكها الطاقة، فالإنسان في نظرهم لا يملك ذرّة من الاختيار، وكلّ ما يكسبه فهو مقدّر له من قبل الله تعالى، فالإرادة الإنسانية ممسوخة تماماً في نظرهم، فالمرض والصحّة والكفر والإيمان والخير والشرّ والضرر والنفع كلّها من الله تعالىٰ ولا يملك البشر أمامها أيّ اختيار أو مقاومة، فالله هو الذي يجعل المؤمن مؤمناً والكافر كافراً والزاني زان وشارب الخمر و... ثمّ يعاقب السيء ويُثيب المحسن!!

خامساً: تقول الأشاعرة بإمكان رؤية الله تعالىٰ رؤية بصرية بالعين المجرّدة يوم القيامة فيراه المؤمنون.

يقول الشهرستاني ـ وهو أشعري المذهب ـ: ومن مذهب الأشعري أنّ كلّ موجود يصحّ أن يُرى، فإنّ المصحّح للرؤية إنّما هو الوجود، والباري تعالىٰ موجود فيصحّ أن يُرىٰ[1].

بينما قالت بقيّة الفرق الإسلامية بامتناع رؤية الحقّ تبارك وتعالىٰ ولانستطيع هنا أن نناقش كلّ واحدة من هذه المقالات الباطلة للأشاعرة لأنّها بحاجة إلىٰ بحوث خاصّة ومتّسع من الوقت.

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٠٠ ط دار المعرفة بيروت.

سادساً: وقالت الأشاعرة: إنّ الإمامة تثبت بالاتّفاق أو باختيار الأمّة دون النصّ والتعيين من رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ لو كان نصٌّ لما خفي، والدواعي تتوافر على نقله واتّفقوا في سقيفة بني ساعدة على أبي بكر.

هذه عمدة أُصول الأشاعرة التي يختلفون فيها مع جميع المسلمين.

وأمّا خرافاتهم وعقائدهم التي أوجدت الاختلاف في الأُمّة الإسلامية فكثيرة جدّاً، ولسنا في صددها.

إذن يكون جواب سؤالكم عن الاختلافات بين الفرق الإسلامية هل هي أصولية أم فرعية؟ نقول لكم: هي أصولية[1].

سؤال: يُفهم من استعراضكم لآراء الأشاعرة أنّكم ترونها باطلة، من أين يُعرف ذلك؟ إذ قد تكون موافقة للحقّ والصواب فما تقولون؟

الجواب: لقد أجاب علماء الكلام من المحقّقين وردّوا هذه الآراء وأشاروا إلى وجه الفساد فيها، ولو أردتُ أنا أن أتطرّق لردّها من القرآن والعقل لاحتجنا إلى كتاب مستقلّ.

سؤال: ولكن لا بأس أن تذكروا فساد هذه الوجوه ولو بسطر واحد عن كلّ مسألة لكي تطمئن قلوبنا ونعرف الحقيقة.

أجوبة مختصرة في ردّ عقائد الأشاعرة

الجواب: من الصعب جدّاً أن أجيبكم أجوبة مختصرة على مثل هذه المسائل التي تحتاج إلى كلام وكلام، ولكن على الله أتوكّل وبه أستعين:

---

(١) أقول: قال الشهرستاني في الملل والنحل: أهل الأُصول المختلفون في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل.. أُنظر الملل والنحل ج ١ الباب الأوّل ص ٣٢ وقوله هذا تصريح أنّ الاختلافات أصولية بين الفرق / المترجم.

أوّلاً: أذكر لكم مقدّمة مهمّة وهي أنّ أساس الاختلاف بين الإلهيّين والمادّيين في الصفات الإلهية، إذ يقول المادّيون بعدم وجود خالق يتّصف بصفات معيّنة وإنّما من الطبيعة تبدأ الأشياء.

وكانت هذه الآراء الفاسدة في بلاد اليونان بعد سقراط ثمّ دخلت إلى بلاد المسلمين شيئاً فشيئاً وأصبح هناك نوع من التداخل المعرفي بين المسلمين وأصحاب هذه العقائد والمقالات، وبالتالي فقد أثّرت هذه الفلسفة في عقائد المسلمين وأفكارهم؛ فقالت الأشاعرة إنّ الصفات الإلهية زائدة على الذات فقد تصوّروا أنّ الخالق سبحانه وتعالى مثلنا (الممكنات)، فكما أنّ صفة العلم بالنسبة لنا إضافية وهكذا القدرة والحياة فقاسوا الخالق (الواجب) بالمخلوق (الممكن) وقالوا إنّ صفاته زائدة على ذاته إلّا أنّها قديمة معه[1].

قال القاضي الفضل بن روزبهان في كتابه إبطال الباطل: مذهب الأشاعرة أنّه تعالى له صفات موجودة قديمة زائدة على ذاته فهو عالم بعلم وقادر بقدرة ومريد بإرادة وعلى هذا القياس والدليل عليه أنّنا نفهم الصفات الإلهية من صفات الشاهد وكون علّة الشيء عالماً في الشاهد هي العلم فكذا في الغائب، وحدّ العالم هاهنا مَن قام به العلم فكذا حدّه هناك.

---

(١) بينما الصحيح أنّ الصفات عين ذاته المقدّسة وأستطيع أن أُمثّل لكم هذه العينية بمثال بسيط لأجل تقريب الفكرة، فالدسومة في السمن غير قابلة للانفكاك عنه في الواقع الخارجي وهكذا حلاوة السُكّر في ذرّات السُكّر، لأنّ السمن والدسومة شيئاً واحداً وهكذا الحلاوة وذرّات السُكّر، بحيث لو تصوّرنا إمكان التفكيك بينهما لما عاد السمن سمناً ولا السكّر سكّراً /المؤلّف ﷺ.
﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣).
أقول: كان هذا الكلام في المتن أدرجته في الهامش للحفاظ على وحدة السياق والموضوع /المترجم.

وقال الشهرستاني في الملل والنحل: الإنسان إذا فكّر في خلقته من أيّ شيء ابتدأ وكيف دار في أطوار الخلقة طوراً بعد طور حتّى وصل إلى كمال الخلقة وعرف يقيناً أنّه بذاته لم يكن ليدبّر خلقته وينقله من درجة إلىٰ درجة.. علم بالضرورة أنّ له صانعاً قادراً عالماً مريداً.. وكما دلّت الأفعال على كونه عالماً قادراً مريداً دلّت على العلم والقدرة والإرادة لأنّ وجه الدلالة لا يختلف شاهداً وغائباً، وأيضاً لا معنى للعالم حقيقة إلّا أنّه ذو علم ولا للقادر إلّا أنّه ذو قدرة... وهذه الصفات لن يُتصوّر أن يوصف بها الذات إلّا وأن يكون الذات حيّاً بحياة..[1].

وهم يقصدون بالشاهد (الإنسان) وبالغائب (الله).

اُنظروا إلى هذه الخرافات والأوهام التي تسرّبت إلى أذهان الأشعري وأتباعه بسبب ابتعادهم عن بيت الرسالة والوحي ومجانبتهم باب علم رسول الله صلى الله عليه وآله علي عليه السلام، فلو كانوا يتبعونه في أقواله وأفعاله لما وصل بهم الحال إلى مثل هذه الأباطيل، وأنا سأحاول أن أذكر لكم واحدة من كلماته الذهبية عليه السلام المذكورة في نهج البلاغة حول الصفات والتوحيد الإلهي والذي تلتزم به الإمامية، يقول عليه السلام: «أوّل الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومَن قرنه فقد ثنّاه، ومَن ثنّاه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومَن جهله فقد أشار إليه، ومَن أشار إليه فقد حدّه، ومَن حدّه فقد عدّه[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي ج ١، ص ٧٢.

يقولعليه السلام: إنّ صفاته سبحانه وتعالى ليست كصفات المخلوقين أي أنّها ليست عارضة عليه وزائدة علىٰ ذاته كما هو الأمر فينا، وإلّا لزم النقص والعجز، أي أنّ ذاته ليست عادلة ولا قادرة ولا عالمة وإنّما تحلّت بالعدالة والقدرة والعلم وهذا اعتراف ضمني بالعجز والنقص للربّ سبحانه وتعالى (علوّاً كبيراً) في حال افتقاده إليها.

فإن قالوا: إنّها قديمة مع قدم ذاته، لزم محذور تعدّد القدماء والشركة ولا يقول به أحد من المسلمين، ولزم محذور التركيب وكلّ مركّب محتاج وهو باطل كما ترون.

إذن الصحيح أن يعتقد المسلم أنّ صفاته سبحانه وتعالىٰ ذاتية كما تقول به الإمامية إتّباعاً لأمير المؤمنين عليّعليه السلام الذي قال: «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه» أي أنّ صفاته ليست كصفات المخلوقين فكلّ صفة نتحلّىٰ بها نحن البشر يجب أن ننفيها عنه سبحانه، لأنّه ليس كمثله شيء وهذا معنى قول الإمامية أنّ صفاته عين ذاته أي أنّها ليست إضافية ولا عارضة بل هي من شأن ذاته المقدّسة.

فعندما نقول إنّ العجز والموت والجهل ليست من صفاته يعني أنّها لم تكن ولن تكون من صفاته أبداً، وهكذا بقيّة صفات المخلوقين لاتجد طريقها إلى الحقّ سبحانه وتعالى، بل يتفرّد بصفاته التي لا مثيل لها أبداً، وهذا هو معنى التوحيد الذاتي، والتوحيد الصفاتي، وأنّه تبارك وتعالىٰ يؤثّر في الوجود على سبيل الاستقلال لا كما نحن وهذا معنى التوحيد الافعالي.

وبهذا البيان المختصر بان بطلان قول الأشاعرة في موضوع الصفات الذي قاسوا فيه الخالق مع المخلوق.

الحسن والقبح العقليان

وأمّا اختلافهم الأصولي الثاني مع المسلمين حول الحسن والقبح على أنّهما شرعيان ولا مدخلية للعقل في ذلك...

نقول: ذهبت الإمامية إلى أنّهما عقليان إتّباعاً لأهل البيت عليهم السلام والدليل على كونهما عقليين أنّه قد حكم بوجود الحسن والقبح الملاحدة الذين لا يعترفون بالخالق والشرائع السماوية والأديان الربّانية، مثل حكمهم بقبح الظلم وحُسن العدل، فمن أين حكموا بالحسن والقبح مع عدم اعترافهم بالشرع؟ أليس هو العقل قد حكم بذلك؟

ولو تصوّرنا وجود شخص لا يعرف أي شيء عن الأنبياء والأديان ولا يعرف أنّ هناك خالق ومشرّع وله أحكام خاصّة، ثمّ عرضنا عليه رجل سكران قد شرب الخمر وقتل الناس واعتدى عليهم، وسألنا الأوّل عن فعل هذا السكران لأجاب بأنّ شرب الخمر أمرٌ قبيح لأنّه يؤدّي إلى القبائح. إذن فعقله يحكم بذلك استقلالاً.

ومع وضوح هذه المسألة حتّى تكاد تكون من البديهيّات نجد الأشعري يغالط نفسه وعقله ويحكم بالعكس ويرى أنّ العقل ليس له أيّ دور!

وليس قوله هذا مستنداً إلى دليل وإنّما اتّباعاً للهوى ومخالفةٌ مع آل محمّد صلى الله عليه وآله ومعاندة أهل الحقّ، والتمسّك بالمغالطة؛ لأنّ أهل البيت عليهم السلام قد أوضحوا كلّ شيء لاسيما هذا الموضوع، فلم تبق المساحة فارغة لكي يدلي الأشعري بدلوه فيها ويوجد انحرافاً خطيراً يقود الناس إلى الضلال.

فلقد ذكر ثقة الإسلام أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني المتوفّى عام ٣٢٨ أو ٣٢٩هـ والمدفون في بغداد بباب الجسر في كتابه القيِّم أُصول الكافي في كتاب العقل والجهل ٣٦ حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته لبيان الحسن والقبح العقليان منها في حديث طويل عن هشام بن الحكم الكوفي عن أبي

الحسن موسىٰ بن جعفرعليه‌السلام قال: يا هشام إنّ لله على الناس حجّتين، حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرُّسل والأنبياء والأئمّةعليهم‌السلام وأمّا الباطنة فالعقول[١].

أي كما أنّ الأنبياء يقودون الإنسان نحو الخير والكمال، كذلك العقل له القدرة على هذا الأمر.

وفي حديث آخر عن ابن السكّيت المطلبي عنهعليه‌السلام في حديث طويل قال فيه: فما الحجّة على الخلق اليوم؟ فقالعليه‌السلام: العقل يُعرف به الصادق على الله فيصدّقه، والكاذب على الله فيكذّبه[٢].

وهو واضح الدلالة على أنّ العقل يميّز الصدق ـ وهو من الأمور الحسنة ـ عن الكذب وهو من الأمور القبيحة.

وفي حديث ثالث مسنداً عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله الصادقعليه‌السلام أنّه قال: حجّة الله على العباد النبيّ والحجّة فيما بين العباد وبين الله العقل[٣].

وروي أيضاً «العقل دليل المؤمن» لأنّه يميّز له الحسن من القبيح فلهذا صار دليله.

ثمّ إنّ الثواب والعقاب على مقدار العقل إذ لا يكلّف الله نفساً فوق طاقتها، ولذا روي مسنداً عن إسحاق بن عمّار أنّه قال للصادقعليه‌السلام: جعلت فداك إنّ لي جاراً كثير الصلاة كثير الصدقة كثير الحجّ لا بأس به، قالعليه‌السلام: يا إسحاق كيف عقله؟ قال: جُعلت فداك ليس له عقل، قالعليه‌السلام: لا يرتفع بذلك منه[٤].

وروي عنهعليه‌السلام: إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة كثير الصيام فلا تباهوا به حتّىٰ

---

(١) أصول الكافي ج ١ كتاب العقل والجهل ح ١٢ ص ١٣.

(٢) المصدر نفسه ح ٢٠ ص ٢٤.

(٣) المصدر نفسه ح ٢٢ ص ٢٥.

(٤) المصدر نفسه ح ١٩ ص ٢٤.

تنظروا كيف عقله[١]؛ لأنّ العقل هو مدار الاعتبار وعليه تُقاس الأعمال.

وفضلاً عن ذلك فأنتم تعلمون أنّ دعوات الأنبياء من لدن آدمعليه السلام إلى الخاتمصلى الله عليه وآله كانت للعقلاء وأمّا المجانين وفاقدي العقول فهم خارجون عن التكليف، إذ بالعقل يتبع الناس الأنبياء عندما يقطعوا ـ بعقولهم ـ بحسن النبوّة ودعواتها، وإلّا إذا لم يحكم العقل بذلك لصار بعث الأنبياء لغواً وانسد باب الهداية، إذ الهدف من البعثة هو هداية الناس، والهداية لا تتحقّق إلّا بعد حكم العقل بصدق دعوى النبوّة وحسن متابعة الأنبياء.

وأمّا إذا قلنا بقول الأشاعرة أنّ الحسن ما حسّنه الأنبياء والقبح ما قبّحوه، لزم عدم متابعة الأنبياء بالمرّة؛ لأنّ العقل لا يميّز بين الصدق والكذب فيستحيل أن يذعن للأنبياء لأنّه لا يرى أي فرق بينهم وبين أهل السحر والشعبذة فكلاهما يخرق العادة، فعلىٰ مذهب الأشاعرة لا يمكن إثبات النبوّة بأيّ طريق من الطرق.

مع أنّ القرآن يصرّح أنّ أفضل طريق لإثبات الحقّ والصدق هو العقل ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٢].

وفي محاولة يائسة تمسّك علماء الأشاعرة بظواهر بعض الآيات لدعم مذهبهم مع إغماضهم عن آيات قرآنية أُخرى تبطل مذهبهم، وقد ردّهم علماء الإمامية والمعتزلة بأجوبة متقنة، وأحيلكم إلى قراءة ما كتبه العلّامة الشهيد القاضي نور الله المرعشي المقتول عام ١٠١٩هـ وقد ذكرته سابقاً في ردّه على الفضل بن روزبهان في إحقاق الحقّ الجزء الأوّل.

---

(١) المصدر نفسه ح٢٨ ص٢٦.

(٢) الزمر: ١٧ ـ ١٨.

هل القرآن قديم أم حادث؟

الاختلاف الأصولي الثالث للأشاعرة هو موضوع قِدم أو حدوث القرآن فقال أبو الحسن الأشعري: إنّ القرآن قديم، لأنّ القرآن كلام الله، وهو معنىٰ قائم بالذات الإلهية، كما أنّ الكلام معنىٰ قائم بذات الإنسان يعبّر عنه بالحروف والأصوات، والدليل علىٰ قيام ذلك المعنىٰ بالذات الإلهية أنّه تعالى متكلّم.

فالأشعري يذهب إلى أنّ المتكلّم مَن قام به الكلام، وقال بالكلام النفسي القائم بالنفس، وكلامه ليس حروفاً ولا صوتاً، فعنده ـ الأشعريّ ـ الكلام صفة ثبوتية قديمة كبقيّة الصفات.

وأمّا الإمامية والمعتزلة فيذهبون إلى القول بحدوث القرآن، وأمّا كونه تعالىٰ متكلّماً فهو إيجاده وخلقه للكلام في الأشياء فيخرج منها الصوت والحرف مرتّباً ليعبّر عن إرادة المولىٰ سبحانه وتعالىٰ.

لأنّ المتكلّم هو من فعل الكلام لا مَن قام به الكلام (كما زعموا) فضارب هو مَن فعل الضرب وقاتل مَن فعل القتل وهكذا المتكلّم مَن فعل الكلام أي يوجد الحروف والأصوات المرتّبة ترتيباً مفهماً في الأشياء الخارجية.

وعليه فيكون القرآن الذي هو كلام الله حادثاً، ولو قلنا إنّ الكلام توأم العلم والإرادة لزم أن يكون الأخرس أو الصامت متكلّماً لوجود العلم والإرادة فيهما، وهو ليس بصحيح.

ثمّ إنّ الكلام متكوّن من حروف متتالية بعضها مقدّمة على البعض الآخر فاللّاحقّ يعدم السابق وهذا دليل حدوثه أيضاً وقد صرّح الله سبحانه بأنّ كتابه المجيد وكلامه المقدّس حادث لا قديم.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

---

(١) الحجر: ٩.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

ففي هذه الآيات يظهر أنّ القرآن نزل في فترة معيّنة لقوم وجدوا وخُلقوا لا أنّه كان موجوداً في الأزل.

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾[٦].

وقال تعالىَ: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾[٧].

ففي جميع هذه الآيات يوجد تصريح بحدوث القرآن وأنّه الآن بدأ يقصّ ويروي للنبيّ صلى الله عليه وآله وأُمّته أنباء الأمم الماضية.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٨].

وكلّ شيء (يجعله) الله من الأمور التكوينيّة يعني يخلقه فقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أي إنّا خلقناه وهو تعبير واضح على حدوثه.

---

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) النحل: ٤٣.

(٣) الأعراف: ١٠١.

(٤) هود: ١٢٠.

(٥) يوسف: ٣.

(٦) الكهف: ١٣.

(٧) طه: ٩٩.

(٨) الزخرف: ٣.

ولعلّ أوضح آية في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[١].

ولايوجد تصريح أكثر وضوحاً وصراحةً من هذا على حدوث القرآن فقوله: ﴿مُحْدَثٍ﴾ دليل جليّ على أنّه حادث ليس بقديم.

ومضافاً إلى صراحة القرآن جاء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ليؤكّدوا هذه العقيدة برواياتهم الذهبية وأقوالهم الرائعة منها ما ذكره باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله عليّ عليه السلام في خطبته حول التوحيد حيث قال:

«يقول لِما أراد كونه كن فيكون، لا بصوت يقرع، ولا بنداءٍ يُسمع وإنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه، ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً ولو كان قديماً لكان إلٰهاً ثانياً..»[٢].

إذن فكلامه سبحانه عبارة عن فعله الخارجي تارةً يعبّر عنه بالكتب المقدّسة كالقرآن والتوراة والإنجيل، وأُخرى يعبّر عنه بالفعل التكويني وهو على كلا الأمرين حادث ليس قديم.

والعجب من أهل السنّة فمع كلّ هذه الدلائل القرآنية وروايات أهل البيت عليهم السلام نراهم يعرضون عنها ويتمسّكون بما قاله أبو الحسن الأشعري ويتبعونه على باطله، وما هذا إلّا ترجيحاً لقوله علىٰ قول أهل البيت عليهم السلام الذي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالتمسّك بهم وأنّهم سفينة النجاة دون سواهم.

ولم يقف الأمر إلى هذا الحدّ بل أنّهم ـ يعني الأشاعرة ـ كفّروا مَن يقول بحدوث القرآن واعتبروه ملحداً وحرّضوا السلاطين على قتل مَن يقول بحدوث القرآن!!

---

(١) الأنبياء: ٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٨٥.

المأمون يقتل مَن يقول بحدوث القرآن!

ومن جملة المآسي ما ذكره المؤرِّخ الطبري في تأريخه وابن الأثير في تأريخه أيضاً في حوادث سنة ٢١٨هـ: إنّ المأمون العبّاسي كتب إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداد في امتحان القضاة والشهود والمحدِّثين بالقرآن فمن أقرّ أنّه مخلوق محدث خلّىٰ سبيله ومن أبىٰ أعلمه به ليأمره فيه برأيه وطوّلَ كتابه بإقامة الدليل على خلق القرآن وترك الاستعانة بمن امتنع عن القول بذلك.

فورد الكتاب إلى إسحاق بن إبراهيم بامتحان القضاة والفقهاء فأُدخلوا جميعاً على إسحاق فقرأ عليهم كتاب المأمون وكانوا كلّ من: بشر بن الوليد الكندي، وعلي بن أبي مقاتل، والفضل بن غانم، والذيال بن الهيثم، وسجادة، والقواريري، وأحمد بن حنبل، وقتيبة، وسعدويه الواسطي، وعلي بن جعد، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وابن الهرش، وابن علية الأكبر، ويحيىٰ بن عبد الرحمن العمري، وشيخاً آخر من ولد عمر بن الخطّاب كان قاضي الرقّة، وأبا نصر التمّار، وأبا معمّر القطيعي، ومحمّد بن حاتم بن ميمون، ومحمّد بن نوح المضروب، وابن الفرخان، وجماعة منهم النضر بن شميل، وابن علي بن عاصم وأبو العوام البزّاز وابن شجاع، وعبد الرحمن بن إسحاق.

فقرأ عليهم الكتاب مرّتين ثمّ قال بشر بن الوليد: ما تقول في القرآن؟ فقال: إنّه مخلوق ثمّ سألهم واحداً واحداً فقالوا كلّهم بخلق القرآن إلّا أربعة أشخاص قالوا بقدم القرآن، وهم: أحمد بن حنبل إمام الحنابلة وسجادة، والقواريري، ومحمّد بن نوح المضروب.

فأمر بهم إسحاق فشدّوا في الحديد، فلمّا كان الغد دعاهم في الحديد فأعاد عليهم المحنة فأجابه سجادة والقواريري فأطلقهما وأصرّ أحمد بن حنبل ومحمّد بن نوح علىٰ قولهما فشدّا في الحديد ووُجّها إلى طرسوس حيث

المأمون العبّاسي كان هناك[١].

فهذه واحدة من مئات القصص حول مخالفة الأشاعرة لجميع المسلمين منذ ذلك اليوم وإلى هذا الوقت أيضاً.

الأشاعرة ينفون الاختيار عن الإنسان

ومن جملة أصولهم التي يختلفون فيها مع كافّة المسلمين هو قولهم بالجبر ونفي الاختيار عن البشر ونسبة الأفعال كلّها إلى الله تعالى، فالإنسان في نظرهم أشبه بالآلة لا يملك لنفسه أيّ شيء وكلّ ما يفعله من خيرٍ أو شرّ هو من الله، وأمّا الحديث عن الطموحات والآمال والسعي الدؤوب والوصول إلى الأهداف فهو حديث لا وجود له عند الأشاعرة، لاعتقادهم أنّ الله كتب الشقاء لجماعة والسعادة لآخرين ولا يملكون تغيير ما كتبه الله عزّوجلّ!

ففعل الإنسان لا يؤثّر بل أفعاله مخلوقة له وهو مجبول ومجبور عليها، نعم نسبة الفعل إلى الإنسان باعتباره كاسب الفعل لا أكثر.

المجبرة عبر التأريخ

إنّ التدقيق في آيات الذكر الحكيم يعطينا نتيجة مهمّة وهي أنّ الشيطان الرجيم هو أوّل مَن قال بفكرة الجبر وسلب الاختيار عن الإنسان، أوّل قل الجبرية عقيدة شيطانية كما حكى الله تعالى قول إبليس اللعين: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٢]، فإنّه ـ لعنة الله عليه ـ نسب الإغواء إلى الله تبارك وتعالىٰ مع أنّه هو الذي امتنع عن السجود وعن الامتثال للأمر الإلهي،

---

(١) الكامل في التاريخ ج٦ ص٣ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧م.

(٢) الأعراف: ١٦.

فإبليس ينظر إلى الإضلال والإغواء على أنّه من فعل الله به وكأنّه أُجبر عليه كما قال: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[١].

ومنذ ذلك الحين حاول إبليس لعنه الله أن يبثّ هذه الأفكار عبر الإغواء والإضلال لبني البشر حتّى قال المشركون والمفسدون والكفرة: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[٢].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٣].

فهذه الآيات تستعرض عقيدة الجبر التي ترسّخت في أذهان المشركين وقد توارثوها عن آبائهم وأجدادهم بعد أن ألقاها إليهم إبليس.

فالجبر ليس من اختصاص الأشاعرة بل هو موضوع قديم وقد ظهر في بني البشر لأوّل مرّة عند البراهمة (عبدة الأصنام) في الهند، فاعتقدوا أنّ الإنسان آلة الفعل لا غير، وأمّا الفاعل الحقيقي هو الخالق وهو الذي يقرّر مصير الإنسان نحو الخير أو الشرّ.

ثمّ انتقلت هذه الفكرة إلى قدماء المصريّين من عبدة الأصنام وكانت مورد بحثهم إلى أن اعتقدوا بها.

بعدها وصلت إلى مسامع فلاسفة اليونان من قبيل سقراط وافلاطون،

---

(١) أُنظر مجمع البيان ج٤ ص٢٢٧ ط الأعلمي - بيروت.

(٢) الأنعام: ١٤٨.

(٣) النحل: ٣٥.

فتمسّكوا بها وصدّقوها ونشروها، فقال بها أغلب الفلاسفة لاسيّما بعد أن تصدّى أرسطو لنشرها وبيانها.

ثمّ عادت من خلالهم إلى المسلمين في زمن بني أُميّة الذين روّجوا لها، فأوّل من قال بالجبر من المسلمين رجل اسمه الجهم بن صفوان في تركستان في مدينة ترمذ وكان يعيش قرب نهر جيحون.

لقد رفع هذا الرجل راية الجبر ونفى الاختيار عن الإنسان واعتبر المؤثّر الحقيقي هو الله لا غير، وأمّا الإنسان وغيره من الكونيات كالشمس والماء والطعام و... إنّما يتمّ تأثيرها من الله، وبالتالي لا ينسب شيء من الأفعال إليها بل إلى الله فقط حتّى أنّه كفَّرَ من ينسب الفعل إلى الإنسان أو الأشياء الخارجية، وقد اتّبعه بعض الحمقىٰ في عقيدته الفاسدة هذه حتّى أيّام هشام بن عبد الملك الأموي، فقُتل الجهم علىٰ يد مسلم بن الأحوز المازني في (مرو شاه جهان) وهي واحدة من مدن خراسان المهمّة، وبقتله انقطع أتباعه ولم يبق منهم أي أثر.

ومع مطلع القرن الرابع الهجري ظهر أبو الحسن الأشعري في البصرة وبغداد بعد أن ترك مذهب المعتزلة وصنع لنفسه مذهباً خاصّاً سمّي باسمه وضع فيه مقابل كلّ أصل من أصول المعتزلة أصلاً يختلف عنهم(١).

ولمّا كانت المعتزلة تقول بالاختيار التام وأنّ الإنسان مفوّض ومخيّر، قال أبو الحسن بالجبر المحض ونفى الاختيار عن الإنسان، وفي الحقيقة فإنّ

---

(١) قال السيّد ابن طاووس: وفي الحديث الرابع من أفراد مسلم المتضمّن أنّ أوّل من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني وأنّ يحيىٰ بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميدي لقيا عبدالله بن عمر بن الخطّاب فسألاه فصدق معبد الجهني /أنظر الطرائف فصل في بيان أقوال الطائفة المجبرة وردّها ص٣٢٤ ط بيروت / المترجم.

الأشعري أعاد عقيدة الجهمية بعد أن أجرى بعض التعديلات الطفيفة (غير المؤثِّرة) عليها ونشرها باسم الإسلام!!

فمثلاً كان صفوان بن الجهم يقول بسلب الفعل عن الإنسان وينسبه إلى الله مباشرة، فأجرى الأشعري تعديلاً على ذلك وقال: إنّ الفعل يُنسب إلى الإنسان بلحاظ الكسب لأنّه كاسب للفعل.

وفي بدء دعوته تبعه القليل من الناس ولكن بعد وفاته اشتُهر أمره وذاع صيته وانتشرت فكرته، وكان وراء ذلك خلفاء وسلاطين آل أيّوب الذين حكموا في مصر وبلاد الشام من عام ٥٦٢هـ إلى ٦٤٩هـ.

فلمّا رأت السلاطين أنّ هذه الفكرة تخدم حكمهم وتقوّي سلطانهم وتدعم أفعالهم وتبرِّر جرائمهم وفضائحهم، سخّروا كلّ طاقاتهم لإحيائها وترويجها فتمسّك بها أهل السنّة إلى يومنا هذا[1].

ووقف المعتزلة أتباع واصل بن عطاء (ولد في المدينة عام ٨٠هـ وتوفي عام ١٣١هـ) أمام الأشاعرة وقالوا بالاختيار وأنّ الإنسان يملك كامل اختياره وأنّ الأفعال منسوبة له حقيقة وهو يملك ويقرّر مصيره بيده نحو الخير أو الشرّ ولا علاقة لله تعالى بأفعاله.

---

(١) أقول: يظهر من بعض النصوص أنّ عمر بن الخطّاب يقول بفكرة الجبر، يروي الواقدي في أحداث غزوة حنين عن أبي قتادة يُحدّث: لمّا التقينا كانت للمسلمين جولة... فلحقت عمر بن الخطّاب فقلت:
ما بال الناس؟ (أي حينما انهزموا) قال: أمر الله!! ثمّ إنّ الناس رجعوا... الخ / المغازي ج٢ ص٩٠٨.
فانظر إلى عمر يوكل فرار المسلمين إلى (أمر الله) وكأنّ الله تعالى هو الذي كتب الفرار عليهم، ثمّ إنّ الله نفسه هو الذي يوبّخهم على فرارهم هذا!! إنّ هذا لشيءٌ عجاب / المترجم.

أمر بين أمرين

وقد كفَّر الأشاعرة والمعتزلة بعضهم بعضاً وفسَّقَ أحدهما الآخر وبين هذا وذاك قال الشيعة الإمامية وفقاً لحديث أهل بيت النبيّ عليهم السلام واستناداً للأدلّة العقلية بالأمر بين الأمرين، وأبطلوا عقيدة الأشاعرة والمعتزلة معاً.

أمّا بالنسبة للأشاعرة فقالوا لهم: لو كانت الأفعال كلّها مخلوقة لله ومنسوبة إليه سبحانه وتعالى فلا معنى لإرساله الرُّسل وبعثه الأنبياء لهداية الناس، كيف والناس لا يملكون أمر الهداية بأيديهم ليهتدوا، لاسيما أولئك الذين كتب الله عليهم الضلال؟

فتكون بعثة الأنبياء من العبث واللغو، بل ستكون الكثير من الآيات القرآنية عبثية الوجود لا معنى لها بعدما كان الفاعل هو الله، والإنسان لا يملك أدنى اختيار، فالمؤمن إنّما صار مؤمناً بمشيئة الله وكذا الكافر ودخول الأوّل إلى الجنّة والثاني إلى النار أيضاً بمشيئته سبحانه وتعالى وهذا خلاف العدل الإلهي، لأنّه كتب الكفر أو النفاق أو الضلال على بعض الأفراد ثمّ يعاقبهم على كفرهم ونفاقهم وضلالهم، وهكذا إجراء الحدود وإنزال القصاص المذكور في الكتب السماوية كلّها ستكون خلاف العدل والعقل، لأنّ قطع يد السارق وجلد الزاني أو رجمه ـ إن كان محصناً ـ ونفي أهل الفساد وقتل القاتل وما إلى ذلك من حدود، لا ذنبَ للإنسان فيها لكي نعاقبه عليها، بل أفعال قدّرها الله وخلقها وأجبر الإنسان على فعلها تكويناً بعد أن سلب منه الاختيار.

أليس هذا نوعاً من اللغو والعبث؟

وكذلك وعده سبحانه وتعالي المؤمنين بالجنّة ووعيده الكفرة بالنار سيكون لا معنى له أبداً، لأنّ دخول أيّاً منهما ليس باختياره لكي يتمّ وعده أو وعيده، لأنّ العاصي لا يملك الاختيار على فعل الخير فدخل النار مكرهاً، والمؤمن لا يملك الاختيار على الانحراف فدخل الجنّة مكرهاً.

وهذا ما لا يرتضيه أي عاقل في الوجود[١].

لُعنتْ القدرية على لسان سبعين نبيّاً

ولم يترك الأنبياء والأولياء هذا التيّار الجبري بدون أن يواجهوه لأنّه لونٌ من ألوان الكفر، بل هو أشدّ كفراً لأنّهم يجعلون الخالق في قفص الاتّهام دائماً.

فقد ذكر العلّامة المجلسي في البحار وابن طاووس في الطرائف وجماعة

---

(١) روي أنّ البهلول اجتاز يوماً على مسجد أبي حنيفة وكان يعظ الناس على المنبر فوقف على باب المسجد فإذا أبو حنيفة يقول: إنّ جعفر بن محمّد يزعم أنّ للعباد أفعالاً تصدر منهم بالاختيار وهذا كذب لأنّه لا فعل في أفعال العباد إلّا من الله.
وزعم أيضاً أنّ الشيطان يُعذّب في النار وهذا كذب أيضاً لأنّه مخلوق من النار والجنس لا يُعذّب بجنسه.
وزعم أيضاً أنّ الله موجود لا يجوز عليه الرؤية وهذا أيضاً كذب لأنّ كلّ موجود مرئي، فلمّا سمع البهلول كلامه عمد إلى مدرة كبيرة فرمىٰ بها إلى رأس أبي حنيفة وشجّه في رأسه وجرى الدم على وجهه فركب البهلول قصبته ومضىٰ مع الأطفال، فخرج أبو حنيفة وأتىٰ شاكياً إلى الخليفة هارون الرشيد فلمّا رآه غضب غضباً شديداً وأمر بإحضار البهلول، فلمّا حضر سأله: لِمَ فعلت بإمام المسلمين هذا الفعل؟ فقال: سله عن هذا أما قال إنّ جعفر بن محمّد كذب في قوله إنّ للعبد فعلاً بل الأفعال كلّها من الله فإذا كان هذا مذهبه فالله سبحانه الذي شجّه بهذا المدر فما يكون تقصيري أنا؟
وقال أيضاً إنّ الجنس لا يتعذّب من جنسه فهذا أبو حنيفة مخلوق من التراب وهذا المدر من التراب فلِمَ تعذّب أبو حنيفة به؟
وأيضاً قال: إنّ كلّ ما هو موجود مرئي فسله عن هذا الألم الذي حصل له من هذه الشجّة أهو مرئي أم لا؟ فأُفحم أبو حنيفة ثمّ مضى.
أُنظر الأنوار النعمانية ج٢ ص٢٦٥ ط الأعلمي ـ بيروت / المترجم.

كبيرة من العلماء في كتبهم ذكروا عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: لعنت القدرية على لسان سبعين نبيّاً، قيل: ومَن القدرية يارسول الله؟ فقال: قوم يزعمون أنّ الله سبحانه قدَّرَ عليهم المعاصي وعذّبهم عليها[١].

وذكر الزمخشري في الفائق (في غريب الحديث) وغيره عن محمّد بن علي المكّي بإسناده أنّ رجلاً قدم على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: أخبرني بأعجب شيء رأيت؟ فقال: رأيت قوماً ينكحون أُمّهاتهم وبناتهم وأخواتهم، فإذا قيل لهم: لِمَ تفعلون ذلك؟ قالوا: قضاه الله تعالى علينا وقدره!!

فقال صلى الله عليه وآله: سيكون من أُمّتي أقوام يقولون مثل مقالتهم أولئك مجوس أُمّتي[٢].

وروى في الفائق عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي ويقولون إنّ الله قد قدّرها عليهم، الرادّ عليهم كالشاهر سيفه في سبيل الله[٣].

ونقل أيضاً عن كتاب الفائق قوله: فأمّا المجبرة، فإنّ شيوخنا كفّروهم وحكى قاضي القضاة عن الشيخ أبي علي أنّه قال: المجبرة كفرة من شكّ في كفرهم فهو كافر[٤].

وليس قصدي من نقل هذه الروايات والكلمات لردّ الأشاعرة بل الردّ يحتاج إلى مجال أوسع وكلام مطوّل ليس هنا محلّه ولكن يمكن مراجعة البحار

---

(١) الطرائف لابن طاووس، فصل في بيان أقوال الطائفة المجبرة وردّها ص٣٤٤ ط بيروت.

أقول: وذكره في الأنوار النعمانية ج٢ ص٢٦٥ ط الأعلمي ـ بيروت / المترجم.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

وإحقاق الحقّ للقاضي نور الله الشهيد، وأمّا في اللغة الفارسية فيمكن مطالعة كتاب (حقيقة الأمر) تأليف المرحوم الحاج ميرزا رفيع نظام العلماء التبريزي، وكتاب (آئين رستگاري)[1] تأليف إبراهيم كتابچيان وغيرها من الكتب التي طرحت المسألة بشكل مفصّل، وأوضحت معنىٰ قول الإمامية (أمرٌ بين أمرين).

ولكن قصدي من إيراد تلك الروايات هو بيان الاختلاف بين الأصول الدينية من الفرق الإسلامية.

وأمّا المعتزلة

وأمّا المعتزلة فقد خالفوا الأشاعرة وألّفوا الكتب تلو الكتب لردّ عقيدة المجبرة ولكنّهم لم يفلحوا أيضاً فقد وقعوا في حفيرة ظلماء لم يخرجوا منها بسلام.

فكما أنّ الأشاعرة نفوا الاختيار لدى الإنسان تماماً، جاء المعتزلة ونفوا نفوذ القدرة الإلهية على فعل الإنسان وقالوا إنّ الإنسان يملك كامل الاختيار والأفعال بجملتها وأسبابها ونتائجها تنسب إليه ولا مدخلية لقدرة الله تعالى في فعل الإنسان بل فوّض الله له كلّ شيء فلا وجود للتوفيق الإلهي ولا اللطف وأنّ الإنسان مستغني عن حول الله وقوّته، وهذه من عقائد الزنادقة كما لايخفىٰ.

وأمّا عن الشيعة الإمامية فنعتقد أنّ هذه الفكرة خاطئة وخطئها لايقلّ عن فكرة الأشاعرة في الجبر، نعم الإنسان فاعل مختار ولكن ليس كما تصوّر المعتزلة لأنّ ذلك من عقائد اليهود ونحن لا نلتزم بها أبداً.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[2].

---

(١) المعنى هو: هذه هي النجاة / المترجم.

(٢) المائدة: ٦٤.

وقد اختلفت التفاسير حول هذه الآية ولكن ما يهمّنا هو ما يتّصل ببحثنا هذا أي أنّ اليهود تصوّروا أنّ الله تعالى خلق الخلق وفرغ عنهم وهو لا يملك بعد خلقهم أي قدرة للتصرّف في شؤون خلقه فلا يزيد ولا ينقص(١).

وذيل الآية ردّ صريح على هذه الفكرة أي فكرة التفويض لذا قال الفخر الرازي: «اعلم أنّ هذه الآية ردّ على المعتزلة وذلك لأنّهم في الحقيقة قائلون بأنّ يد الله مغلولة الخ..»(٢).

ومضافاً إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(٣) أي أنّ له سبحانه التصرّف الكامل في أمر خلقه وفق السنن، لأنّ فعله وتصرّفه يقوم على أساس مصلحة الخلق ونفعهم، فله سبحانه في كلّ لحظة إحداث أو تغيير شيء.

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية: إنّ جماعة من اليهود قالوا إنّ الله تعالى لايفعل شيئاً في يوم السبت، فردّت عليهم الآية أنّه تعالىٰ في كلّ يوم له شأن وتصرّف.

وقد روي عن سعيد بن جبير في رواية عن ابن عبّاس أنّه قال: إنّ أوّل شيء خلقه الله هو اللوح وهو من درّ أبيض وأطرافه من ياقوت أحمر وقلمه من نور وكتابته من نور أيضاً، وله تعالىٰ في كلّ يوم ثلاثمائة وستّين نظرة في هذا اللوح فيجيب الداعي ويعطي السائل ويهدي الحيران ويسرّ المغموم ويشفي المريض ويهب التوبة لجماعة من خلقه ويغفر لآخرين(٤).

---

(١) تفسير البرهان ج٢ ص٤٩٠ ط الأعلمي بيروت ١٩٩٩م.

(٢) تفسير الرازي ج٤، ص٣٩٦ في تفسير الآية ط: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٩٥م.

(٣) الرحمن: ٢٩.

(٤) بحار الأنوار ج١٥، ص٤، ح٤.

فمن الآيات والروايات نخرج بنتيجة مهمّة هي أنّ الله له كامل التصرّف في خلقه في كلّ يوم وفق المصلحة والخير، وهذا يُبطل القول بالتفويض الذي قالت به المعتزلة، ولعلّ أوضح آية لردّ مزاعم المعتزلة قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

فالاختيار الكامل والتام بيد الله فقط وفقط، فله إعزاز البعض أو إذلالهم كما هو صدر الآية، أمّا ذيلها فيشير إلى النظم والقوانين الكونية التي جعلها الله تعالى سارية المفعول على الدوام بقدرته واختياره واتّصال قدرته المقدّسة بهذه القوانين والنظم لحظة بلحظة دون انقطاع [...][2] وهكذا عملية الإحياء والإماتة فإنّه تعالىٰ بقدرته يخرج الحيّ من النطف والبيوض التي هي بحكم الميّت. ويخرج الميّت من الحيّ، أو أنّه تعالىٰ يخرج الخبيث من الطيّب، والطيّب من الخبيث، أو يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر، فقد روي أنّ النبيّ ﷺ ذهب يوماً إلى إحدى زوجاته فرأىٰ عندها امرأة صالحة فقال: مَنْ هذه؟ فقيل له: إنّها واحدة من خالاتك، فقال: وأيّ واحدة منهنّ؟ فقيل له: هي خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث، فقال ﷺ: سبحان الذي يخرج الحيّ من

---

(١) آل عمران: ٢٦ـ٢٧.

(٢) [...] مثال ضربه المؤلّف لدليل النظام على أنّ لكلّ حالة نظامية في الكون لابدّ لها من حكيم عالم مدبّر هو وراء هذه الظواهر وهو الله تعالى، إذ يستحيل إيكال ذلك إلى الصدفة أو الطبيعة العمياء التي لا تتّصف بالاختيار، اختصرتُ كلامه وجعلته في الهامش لكي لا نخرج عن صلب الموضوع /المترجم.

الميّت[١]، فقد فسَّرَ الكافر بالميّت والمؤمن بالحيّ.

وهكذا تتّصل قدرته واختياره وعلمه بموضوع الرزق فهو الرزّاق الوحيد الذي يهب الخلائق أرزاقها بلا حساب، حتّى أنّه تعالى لا يقطع فضله وإفاضاته عن الخلق إلّا إذا انقطع الناس عنه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[٢].

فهذه الآية من عجائب الآيات لأنّها تردّ مذهب الأشاعرة القائلين بالجبر وأنّ الله تعالىٰ هو الذي كتب الضلال على بعض الناس والإيمان للبعض الآخر، إذ الآية تقول: إنّ الله تعالىٰ يغيّر أحوال الناس من حال إلى حال متىٰ ما تغيّر الناس، وهي صريحة في إثبات نوع من الاختيار للإنسان.

ومن جهة ثانية تردّ مذهب المعتزلة القائلين بالتفويض الكامل للإنسان وأنّ الله لا دخل له في مجريات الأحداث، فإنّها تؤكّد وبصراحة أنّ الله سبحانه يمسك بأزمة الأسباب فله القدرة والاختيار علىٰ تغيير الأحوال بل على إنفاذ إرادته بدون أي مانع «فلا مردّ له» وإذا راجعنا التأريخ فإنّنا سنجد الشواهد القصصية علىٰ ذلك كثيرة جدّاً منها ما روي في تفسير المنهج:

---

(١) تفسير المنهج، في تفسير الآية ٢٦ ـ ٢٧ من آل عمران.

أقول: الأسود بن عبد يغوث هو من جملة المستهزئين برسول الله ﷺ وكانوا خمسة نفر العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وأبو زمعة وهو الأسود بن المطّلب والأسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس.

ومرَّ الأسود برسول الله ﷺ مستهزئاً فأشار ﷺ إلى بطنه فاستسقىٰ فمات، وقيل: أصابه السموم فصار أسود فأتى أهله فلم يعرفوه فمات وهو يقول: قتلني ربّ محمّد، أنظر البحار ج١٨، ص٤٨، ط: إيران / المترجم.

(٢) الرعد: ١١.

من معاجز رسول اللهﷺ

عن ابن عبّاس قال: أقبل بن الطفيل وأربد بن قيس (ربيعة) إلى النبيّﷺ فقال عامر: ما لي إن أسلمت؟ قال: لكَ ما للمسلمين وعليك ما للمسلمين، قال: تجعل لي الأمر بعدك؟ قال: ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن ذاك إلى الله تعالىٰ يجعل حيث يشاء، قال: فتجعلني على الوبر (اليمن) وأنت على المدر (مكّة)، قال: لا، قال: فماذا تجعل لي؟ قال: أجعل لك أعنّة الخيل تغزوا عليها، قال: أوليس ذلك لي اليوم؟ قم معي فأكلّمك، قال: فقام معه رسول اللهﷺ وأومئ لأربد بن قيس ابن عمّه أن أضربه، قال: فدار أربد بن قيس خلف النبيّﷺ فذهب ليخترط السيف فاخترط منه شبراً أو ذراعاً فحبسه الله عزّوجلّ فلم يقدر على سلّه فجعل يؤمئ عامر إليه فلا يستطيع سلّه، فقال رسول اللهﷺ: اللّهمّ هذا عامر بن الطفيل أوعر الدين عن عامر[1] ثلاثاً ثمّ التفت ورأى أربد وما يصنع بسيفه فقال: اللّهمّ اكفينهما بم شئت، وبدر بهما الناس فولّيا هاربين قال: أرسل الله على أربد صاعقة فأحرقته ورأى عامر بن الطفيل بيت سلّولية فنزل عليها فطعن في خنصره فجعل يقول: يا عامر غدة كغدة البعير وتموت في بيت سلوليّة وكان يعيّر بعضهم بعضاً بنزوله على سلول ذكراًكان أو أُنثىٰ، قال: فدعا عامر بفرسه فركبه ثمّ أجراه حتّى مات علىٰ ظهره خارجاً من منزلها، فقتل عامر بن الطفيل بالطعنة وأربد بالصاعقة[2].

وهذه القصّة تبيِّن عناية الله تعالىٰ وحفظه لنبيّه الكريمﷺ وتدخّله سبحانه

---

(١) أوعر الدين: احبس الدين عنه فلا يناله بمكروه.

(٢) البحار ج١٨ ص٧٤ ح٣٠ ط إيران. ومجمع البيان ج٦ ص٢٨٣، وسيرة ابن هشام ج٤ ص٢١٣ ط مطبعة مصطفى البابي بمصر ١٩٣٦م.

وتعالى في أمور خلقه ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾(١) وهو خلاف فكرة المعتزلة القائلين بالتفويض.

وممّا روي أيضاً في هذا الباب أنّ شاباً من الأنصار كان يحمل على رأسه مفخرة فيها خمر، فرأى النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه أمامه في الطريق فدخله الخوف والاضطراب وندم على حمله لهذا الخمر فسأل الله تعالى أن لا يلتفت النبيّ صلى الله عليه وآله إليه على أن يتوب إلى الله توبةً نصوحاً، فلمّا اقترب منه رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: ما تحمل على رأسك؟ فخاف الشاب واضطرب ثمّ قال: إنّه خلّ، فقال صلى الله عليه وآله ومدّ يده إليه: اجعل منه بيدي لأراه، فأخذ الشاب المفخرة من رأسه وسكب في يد النبيّ صلى الله عليه وآله وملؤه الخوف، فلمّا سكبه كان خلّاً صافياً فشربه النبيّ صلى الله عليه وآله وشرب بقيّة أصحابه منه، فتعجّب الشاب لمّا رأى الخل وقال: والذي أرسلك بالحقّ نبيّاً إنّه كان في هذه المفخرة خمراً فكيف صار خلّاً؟ فقال صلى الله عليه وآله: صدقت ولكنّك لمّا رأيتنا تبتَ إلى الله توبةً نصوحاً وعاهدت الله إن أنجاك من هذه الشدّة أن لا تعود إلى حمل الخمر مرّة أُخرى فبدّل الله الخمر خلّاً، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٢).

فانظروا إلى هذا اللطف الإلهي، فبمجرّد أن بدَّلَ هذا الشاب نيّته، بدّل الله له الخمر خلّاً وهو نوع تصرّف وتغيير وتبديل في الموضوعات الخارجية التكوينيّة ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(٣)، وقال تعالى مشيراً إلى قدرته المستمرّة على التغيير والتصرّف ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(٤).

---

(١) الرعد: ١١.

(٢) الرعد: ١١.

(٣) الرعد: ٣٩.

(٤) إبراهيم: ٧.

ولهذا قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: إذا وصلت إليكم أطراف النِّعم فلا تنفروا أقصاها بقلّة الشكر[١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾[٢] كلّها آيات واضحة في عدم التفويض.

وأيضاً من الأمثلة القرآنية والتأريخية على تصرّف الله سبحانه في خلقه ونفي التفويض التامّ ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

إخبار منه تعالى على سُنّة وقانون مطرد وهو إنزال العقاب الإلهي والانتقام الربّاني على الذين يكفرون ويكذّبون بآيات الله تعالى وأنّ هذا العقاب لا يأتي جُزافاً وإنّما هو معلول عن الكفر بأنعُم الله وجحدها وعدم شكرها، لذلك يجري القانون الإلهي وهو عبارة عن تبديل النعمة بعذاب ونقمة وهو نوع من التصرّف الإلهي بمظاهر الكون فأين التفويض؟

وهكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٤].

وقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٥].

---

(١) نهج البلاغة، الباب الثالث المختار من الحكم رقم ١٢، ص٦٢٨، ط: الأعلمي.

(٢) الإسراء: ١٦.

(٣) الأنفال: ٥٢ ـ ٥٣.

(٤) البقرة: ١٨٦.

(٥) غافر: ٦٠.

قصّة زكرياعليه السلام تنفي التفويض

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ. فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنْ اللهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنْ الصَّالِحِينَ. قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[1] ثمّ صام زكرياعليه السلام وزوجته (ايشاع) وهي خالة مريم وطلبا من الله ولداً، فجاءت الملائكة تنادي زكرياعليه السلام في المحراب وبشّروه بيحيىٰ وهو طاعن في السنّ، ففي رواية ابن عبّاس إنّ زكريا كان عمره (١٢٠) عاماً وزوجته كان عمرها (٩٨) عاماً، فلمّا جاءته البُشرىٰ قال: ربِّ أنّىٰ يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر؟ فقال له جبرئيل: كذلك الله يفعل ما يشاء فحملت إيشاع بيحيىٰ ثمّ ولدته مباركاً[2].

وهكذا في قصّة عيسىٰ بن مريم وكيف أنّه تعالى وهبها ولداً حصوراً بلا سبب متعارف وهو الزواج، فهذا وذاك دليل علىٰ نفاذ قدرته وتصرّفه المعبّر عنه بـ(كن) ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[3].

فله سبحانه وتعالى القدرة التامّة علىٰ تسبيب الأسباب الخفيّة للتأثير والتغيير ليكون دليلاً حسّياً على بطلان مقولة التفويض.

---

(١) آل عمران: ٣٨ ـ ٤٠.

(٢) أُنظر قصّته في التفاسير عندما يتعرّضون للآية المذكورة أعلاه.

(٣) آل عمران: ٤٧.

إرسال الملائكة للنصر ينفي التفويض

ومن موارد إبطال التفويض المعتزلي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[١].

فهذه الآية تصرّح بوجود التدخّل الربّاني على سبيل العناية واللطف بالمسلمين فقد أنزل عليهم خمسة آلاف ملك يرتدون البياض ليقاتلوا مع المسلمين الذين كان عددهم ٣١٣ رجلاً مقابل (١٠٠٠) مقاتل من قريش حتّى قُتل من المشركين سبعون وأُسر سبعون وجُرح سبعون بعد أن جرّوا وراءهم ذيول الخيبة والهزيمة.

وتكرّر نفس الأمر في معركة حنين كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[٢].

فأخبر سبحانه أنّ هذه العناية كانت ترافق المسلمين في ثمانين موضعاً وليس هناك أي مجال للقول بالتفويض، بل كانت القدرة الإلهية والتصرّف الربّاني والاختيار الإلهي هو وراء النصر الإسلامي في هذه المواقع.

سؤال: إنّ كلمة (مواطن) جمع موطن وهي تدلّ على الكثرة فمن أين

---

(١) آل عمران: ١٢٣ ـ ١٢٥.

(٢) التوبة: ٢٥ ـ ٢٦.

حدّدت هذه المواطن بـ(ثمانين)؟

الجواب: نعم، فكلمة موطن عبارة عن محلّ إقامة الجيش قبل الحرب، وأمّا أنّ تحديد المواطن بـ(ثمانين) فليس رأياً شخصياً منّي وإنّما رواية ذكرها الطبرسي في تفسير مجمع البيان والعلّامة البحراني في البرهان والكليني في الكافي والفيض الكاشاني في تفسير الصافي والعيّاشي في تفسيره وابن بابويه عن عليّ بن إبراهيم قال: حدّثني محمد بن عمرو، قال: كان المتوكّل قد اعتلّ علّة شديدة فنذر إن عافاه الله أن يتصدّق بدنانير كثيرة أو قال بدراهم كثيرة فعُوفي فجمع العلماء فسألهم عن ذلك، فاختلفوا عليه فقال أحدهم عشرة آلاف وقال بعضهم مائة ألف، فلمّا اختلفوا قال له عبادة ابعث إلى ابن عمّك عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام فسئله عن ذلك، فبعث إليه فسأله فقال عليه السلام: الكثير ثمانين، فقالوا: ردّ إليه الرسول فقل من أين قلت ذلك؟ فقال: من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ فكان المواطن ثمانين موطناً، وروي: فعددنا تلك المواطن فكان ثمانين، وروي: والمواطن التي نصر الله رسوله فيها ثمانون[١].

وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره وهو من أكابر علمائكم: قيل: إنّ تلك المواطن كانت ثمانين موطناً[٢].

سؤال: نتمنّى أن تعودوا إلى صُلب الموضوع وتذكروا لنا شيئاً عن معركة حنين؟

---

(١) تفسير البرهان ج٢ ص١١٢ ط الرحلي ـ قم.

(٢) تفسير الرازي ج٦، ص١٨، ط: دار إحياء التراث العربي، في تفسير هذه الآية.

مرور على وقعة حنين

الجواب: بعد فتح مكّة حصل ائتلاف بين قبيلة هوازن وقبيلة ثقيف لمحاربة المسلمين، وكان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة في أواخر شهر رمضان أو الأوّل من شهر شوّال، فلمّا علم النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك سار إليهم ومعه اثنىٰ عشر أو ستّة عشر ألف رجل ـ ومن ضمنهم ألفين من الطلقاء ـ بينما كان عدد المشركين أربعة آلاف رجل.

فسار الجيش الإسلامي بقيادة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وكان جيشاً جرّاراً مهيباً، فلمّا رأى أبو بكر كثرة الجيش الإسلامي داخله العُجب والغرور، فقال: لن نُغلب اليوم من قلّة، وهكذا راود هذا الشعور عدد من المسلمين وظنّوا أنّ النصر موكول إلى كثرة العدد، فلمّا سمعهم النبيّ صلى الله عليه وآله تأثّر كثيراً ثمّ قال: بل قولوا: وما النصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم.

وكان هذا الشعور السلبي الذي تمثّل به أبو بكر وآخرون مقدّمة للانهزام والفشل بعدما تعلّقت قلوبهم بالبشر وانقطعت عن تعلّقها بالله العظيم الذي هو السبب الحقيقي وراء كلّ الأسباب المادّية المؤثّرة في صناعة النصر، وبالفعل فلمّا هجم المشركون على المسلمين من أربع جهات وهم في الوادي انكسر الجيش الإسلامي وفرّوا على وجوههم كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾[1].

ولم يبق مع النبيّ صلى الله عليه وآله سوىٰ:

١ ـ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢ ـ العبّاس بن عبد المطّلب.

---

(١) التوبة: ٢٥.

٣ ـ الفضل بن العبّاس.

٤ ـ أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب.

٥ ـ نوفل بن الحارث.

٦ ـ ربيعة بن الحرث.

٧ ـ عبدالله بن الزبير.

٨ ـ عتبة بن أبي لهب.

٩ ـ معتب بن أبي لهب.

١٠ ـ أيمن ابن أُمّ أيمن وقد أُستشهد في المعركة، فلمّا ثبت هؤلاء مع النبيّ صلى الله عليه وآله أرسل إليهم الله سبحانه وتعالىٰ ملائكة عليهم ثياب بيض وعمائم حمر يقاتلون معهم المشركين[1] كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ جُنُوداً لَمْ تَـرَوْهَا﴾[2] فلمّا رأى النبيّ صلى الله عليه وآله فرار أصحابه رفع يديه الكريمتين بالدُّعاء وقال: «اللّهمّ لك الحمد ولك الشكر وإليك المشتكىٰ وأنت المستعان»، فهبط عليه جبرئيل وقال له: لقد دعوت بدعاء موسىٰ بن عمران حينما وصل البحر فانفلق له وسار فيه مع بنيٰ إسرائيل، وأغرق فرعون وأتباعه.

ثمّ دعا النبيّ عمّه العبّاس وقال له: ناد بالمسلمين وكان جهوري الصوت فناداهم: يا معاشر المهاجرين والأنصار، يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، إلى أين تفرّون اذكروا العهد الذي عاهدتم علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلمّا سمعوا ندائه خجلوا من أنفسهم فصاروا يعودون واحداً بعد واحد ويلتحقون بعليّ عليه السلام إذ كانت الراية بيده، ثمّ قتل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أبا جرول وهو حامل راية هوازن ثمّ حملها الثاني فقتله عليّ عليه السلام فلمّا رأوا ذلك

---

(١) المغازي للواقدي ج٢، ص٩٠٥.

(٢) التوبة: ٢٦.

فرّوا على وجوههم، فغنم المسلمون (٢٤٠٠٠) ناقة و(٤٠٠٠٠) أوقية من الفضة وأكثر من (٤٠٠٠٠) شاة، هذا مختصر عن هذه الواقعة[١]، ولم يكن غرضنا هو أحداث حنين وإنّما ردّ المعتزلة القائلين بالتفويض.

ومن الشواهد الأخرى على ردّ التفويض قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ. وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

وهي صريحة في أنّ النصر والألفة من الله تعالىٰ بقدرته الخارقة يقرّب القلوب بعضها مع البعض الآخر، وأنّ الأسباب الظاهرية كلّها لا تؤثّر في ذلك، فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

حتّى قال الله تعالىٰ حكايةً عن قول النبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلَا نَفْعاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ﴾[٣] فالتأثير الحقيقي هو بيد الله تعالىٰ وإنّ الأسباب لا تفعل مفعولها إلّا بقدرته وإذنه وعلمه، وقد جاء في الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام قوله:

وللمهيمن في حالاتنا نظر ... وفوق تدبيرنا لله تقدير[٤]

وقوله عليه السلام في نهج البلاغة: «عرفت الله بفسخ العزائم وحلّ العقود»[٥] أي أنّ التدبير والتخطيط البشري قد يفشل إن لم تكن معه العناية الربّانية فليس هناك أي تفويض تام للبشر وليس هناك أي مانع من نفوذ القدرة الإلهية.

---

(١) راجع تفاصيلها في كتب التاريخ كالسيرة النبوية لزيني دحلان ج٢، ص٣٠٣، ط: بيروت، وسيرة ابن هشام ج٤، ص٨٨، ومغازي الواقدي ج٢، ص٩٠٤ وغيرها.

(٢) الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣.

(٣) يونس: ٤٩.

(٤) راجع ديوان الإمام عليّ عليه السلام ص٢٤٦، لقطب الدين البيهقي النيشابوري ط: إيران.

(٥) شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج١٩، باب: ٢٤٧، ص٨٤.

سؤال: لقد أبطلت قول الأشاعرة (الجبرية) وأبطلت قول المعتزلة (المفوّضة) إذن ما هي عقيدة الإمامية في هذا المجال؟ بل اللّازم أن تكون عقيدتك أفضل من هؤلاء وهؤلاء بعد إبطالك لأقوالهما، فنرجوا أن تذكرها لنا مع الأدلّة؟

عقيدتنا لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين

الجواب: أوّلاً: لم أكن بصدد ردّ المجبرة والمفوّضة بشكل واسع ومفصّل وما مرَّ عليكم كان ردّاً مختصراً موجزاً، بل كان الغرض هو بيان اختلاف الفرق الإسلامية فيما بينها في الأصول والاعتقادات، وقد ظهر لكم فساد قول الأشاعرة الذين يمثّلون أكثر أهل السنّة من المالكية والحنبلية والشافعية وقد ورثوا قول أبي الحسن الأشعري الذي اقتبس أفكاره من جهم بن صفوان الملحد.

وهكذا ظهر لكم بطلان قول المعتزلة الذين ظهروا في بغداد والبصرة أتباع واصل بن عطاء.

وأمّا نحن الشيعة الإمامية الاثنا عشرية فنتّبع في هذه المسألة أئمّتنا الأطهار من أهل بيت النبيّ ﷺ وهم أعدال القرآن، وقد قالوا: لا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين أمرين، وهو أجمل المعاني وأدقّها بعيداً عن الأوهام والخرافات.

سؤال: ما هي «المنزلة» أو «الأمر» بين الأمرين؟

الجواب: لقد بيّن الأئمّة الهُداة عليهم السلام هذا الأمر فقد روى الشيخ الكليني (أعلى الله مقامه) في الأصول مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما، فيها الحقّ التي بينهما لا يعلمها إلّا العالم، أو من علّمهما إيّاهُ العالِم(١).

---

(١) أصول الكافي ج ١، ص١٥٩، ح ١٠ باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين. ط:

وروي في نفس المصدر مسنداً عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام : إنّ الله أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثمّ يعذّبهم عليها والله أعزّ من أن يريد أمراً فلايكون، قال: فسُئلا عليهما السلام: هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالا: نعم أوسع ممّا بين السماء والأرض[١].

وروي أيضاً مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ رجلاً سأله: أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال عليه السلام : الله أعدل من أن يجبرهم على المعاصي ثمّ يعذّبهم عليها، فقال له: جُعلت فداك ففوّض الله إلى العباد؟ قال عليه السلام : لو فوّض إليهم لم يحصرهم بالأمر والنهي، فقال له: جُعلت فداك فبينهما منزلة؟ قال عليه السلام : نعم أوسع ما بين السماء والأرض[٢].

وروي مسنداً عنه عليه السلام أنّه قال: لا جبر ولا تفويض ولكن أمرٌ بين أمرين[٣].

وقال الشيخ الصدوق في الاعتقادات: اعتقادنا في نفي الجبر والتفويض قول الصادق عليه السلام : لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين[٤].

وقال العلّامة المجلسي في مختصر العقائد وهو في صدد ذكر الضروريّات التي ثبتت بالتواتر: لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين[٥].

وقال المرحوم الملّا جعفر شريعتمداري الاسترابادي[٦] في كتابه الفلك

← الكتاب الإسلامي عام ١٣٨٨هـ.

(١) أصول الكافي ج١، ص١٥٩، ح٩.

(٢) نفس المصدر ح١١.

(٣) نفس المصدر ص١٦٠، ح١٣.

(٤) اعتقادات الصدوق ص١٠، ط: إيران ١٤١٢هـ، تحقيق غلام رضا المازندراني.

(٥) العقائد للعلّامة المجلسي ص٤٠، تحقيق حسين درگاهي، ط: ١٤٢٠هـ.

(٦) وهو من تلامذة السيد علي صاحب الرياض، كان ساكناً في طهران وتوفي عام ١٢٦٣هـ / المؤلّف.

المشحون: إنّ الاعتقاد بالأمر بين أمرين من أصول المذهب، ومنكره عن تقصير خارج عن المذهب ومخلّد في النار.

فهذه خلاصة اعتقادنا.

سؤال: لقد نقلت لنا روايات جاء فيها لفظ (القدر) إلى جانب الجبر، فما الفرق بينها وبين التفويض؟

الجواب: لقد أوضحت لكم سابقاً أنّ الأشاعرة هم المجبرة، والمعتزلة هم المفوّضة وقد أُطلقت لفظة (القدرية) غالباً على الأشاعرة فكانوا مورد الذمّ واللعن ولكن أُستخدمت اللفظة أيضاً على المعتزلة، لأنّهم ينفون التقدير الإلهي، ثمّ استخدم كلا الفريقين هذه اللفظة ضدّ الآخر، فأُطلقت على الأشاعرة والمعتزلة على حدٍّ سواء!

لأنّ الأشاعرة قالوا: المراد من القدرية هم الذين ينفون التقدير الإلهي وهم المفوّضة الذين ينسبون كلّ شيء إلى الإنسان ولهذا سمّوا بالقدرية وهم المقصودون بالذمّ واللعن وأنّهم مجوس هذه الأُمّة.

حتّى قال السيّد علي شريف الجرجاني في شرح المواقف:

قيل: القدرية هم المعتزلة، لإسناد أفعالهم إلى قدرتهم[1].

بينما قال المعتزلة: أنّ المراد من القدرية هم الذين قالوا بأنّ الله تعالى قدّر الخير والشرّ كلّه فالطاعات والمعاصي منه، وهم الأشاعرة الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله: القدرية مجوس أُمّتي، وقد قال العلّامة الحلّي في شرح تجريد الشيخ الطوسي: قال أبو الحسن البصري ومحمود الخوارزمي وجه تشبيهه عليه السلام المنجبرة بالمجوس من وجوه:

أحدها: إنّ المجوس اختصّوا بمقالات سخيفة واعتقادات واهية معلومة

---

(١) شرح المواقف، المجلّد الأوّل ص ١٨٠، ط: الأولى بمصر عام ١٣٢٥ هـ.

البطلان وكذلك المجبرة.

وثانيها: إنّ مذهب المجوس أنّ الله تعالى يخلق فعله ثمّ يتبرّأ منه كما خلق إبليس ثمّ انتفىٰ منه وكذلك المجبرة قالوا: إنّه تعالىٰ يفعل القبائح ثمّ يتبرّأ منها.

وثالثها: إنّ المجوس قالوا: إنّ نكاح الأخوات والأُمّهات بقضاء الله وقدره وإرادته، ووافقهم المجبرة، حيث قالوا: إنّ نكاح المجوس لأخواتهم وأُمّهاتهم بقضاء الله وقدره وإرادته.

ورابعها: إنّ المجوس قالوا: إنّ القادر على الخير لا يقدر على الشرّ وبالعكس، والمجبرة قالوا: إنّ القدرة موجبة للفعل غير متقدّمة عليه، فالإنسان القادر على الخير لا يقدر على ضدّه وبالعكس[١].

وقال العلّامة المجلسي في البحار بعد أن نقل أقوال المعتزلة والأشاعرة واتّهام بعضهم لبعض بالقدرية: «سيتّضح لك أنّ كلّاً منهما ضالّ صادق فيما نسب إلى الآخر وأنّ الحقّ غير ما ذهبنا إليه، وهو الأمر بين الأمرين»[٢].

وقد جاء ذكر حديث لعن القدرية في كتب الفريقين عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى قال الفاضل التفتازاني وهو من أكابر علماء أهل السنّة في شرحه على

---

(١) شرح التجريد، فصل القضاء والقدر، المسألة ٨، والبحار ج٥، ص٧، الرواية (٤)، الباب الأوّل.

(٢) البحار: ج٥، ص٧، الرواية الرابعة، باب الأوّل.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: لكلّ أُمّة مجوس ومجوس هذه الأُمّة الذين يقولون لا قدر.

وعنه عليه السلام: ما غلا أحد في القدر إلّا خرج من الإيمان.

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: صنفان من أُمّتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية.

أُنظر الأحاديث في البحار ج٥ ص١١٨ ـ ١١٩ / المترجم.

المقاصد بصراحة:

«لا خلاف في ذمّ القدرية وقد ورد في صحاح الأحاديث لعن الله القدرية على لسان سبعين نبيّاً»[١].

سؤال: أرجو أن تبيِّن لنا معنى أمر بين أمرين الذي تقول به الإمامية؟

الجواب: وهو يعني بين الجبر والتفويض توجد مرحلة معتدلة وفقاً للموازين العقلية والمنطقية الصحيحة، فالشيعة لا تقول بالجبر المحض (الأشعري) ولا بالتفويض المحض (المعتزلي) بل تقول بوجود نوع من الجبر ونوع من التفويض وبيانه كالتالي:

إنّ الأوامر الإلهية علىٰ قسمين: أوامر تكوينيّة وأوامر تشريعيّة، والإنسان في القسم الأوّل لا يملك أي اختيار بل هي جبرية قسرية عليه تجري وفق المشيئة الإلهية فقط ولا دخل لإرادة ورغبة واختيار الإنسان ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٢].

من قبيل خلق الإنسان فلا أحد يتدخّل بل لا قدرة لأحد في خلق البشر مثل العقم أو الولادة، ذكر أو أُنثىٰ، طويل أو قصير، أبيض أو أسود جميل أو قبيح وإلى غيرها من أُمور عجيبة غريبة لا دخل للبشر فيها بل فقط يجري القانون الإلهي بقدرته واختياره سبحانه وتعالىٰ كما قال: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[٣].

وهكذا في بقيّة أجزاء الخلقة العجيبة مثل العين والأنف والأذن واليد

---

(١) شرح المقاصد، ج٢، ص١٤٣، ط: مصر ١٣٠٥ هـ

(٢) يٰس: ٨٢.

(٣) الشورىٰ: ٤٩ ـ ٥٠.

والرجل وغيرها من الأعضاء الظاهرية، والأمعاء والأحشاء والأوردة والشرايين والأعصاب وجهاز التنفّس والرئة والقلب والدورة الدموية والمعدة والطحال والكبد والقصبة الهوائية و... من الأعضاء الداخلية، فلا أحد له السيطرة على هذه الأمور، بل هي تجري في الإنسان بدون اختياره، من النطفة في الرحم وإلى حين الولادة، فالحركات الداخلية لبعض هذه الأجهزة كإفراز الصفراء وعمل بعض الغدد والأنزيمات لا دخل للبشر فيها أبداً.

نعم، للإنسان الاختيار في انتخاب نوع الغذاء ومكان الاستراحة وانتخاب الزوجة أو الصديق وكيفيّة الأكل ووقته وزيادته أو قلّته وانتخابه للأكل الحلال أو الحرام واستعماله لبعض المقوّيات وما إلى ذلك.

ولهذا القسم بعث الله الأنبياء أي لإرائة الطريق للإنسان وهدايته للخير في كلّ شيء حتّى يكون اختياره دائماً صائباً وصحيحاً وحسناً بلا أدنى إكراه وإجبار في المسألة.

فمثلاً أوضح الأنبياء للناس طريقة الزواج الشرعي وحذّروهم من الزنا واللواط والفاحشة، ليبقى الاختيار للإنسان نفسه فبإمكانه أن يختار الزوجة العفيفة ليعيش الرفاه والطمأنينة معها، وبإمكانه أن يذهب وراء تلك المنهيات ليمرض بالسل أو الزهري أو السيلان... ليعاني في الدُّنيا من هذه الأمراض وفي الآخرة من النار إن لم يتب توبةً نصوحاً، وهكذا جاءت دعوات الأنبياء لتنهى الناس عن تناول المسكرات وحبّبوا إليهم تناول بقيّة السوائل المفيدة، والإنسان يملك اختياره في ذلك فله أن يعصي الله تعالىٰ ويشرب المسكر فيعاني من المشاكل والاضطرابات والمآسي فقد يُصاب بالجنون أو يرتكب بعض الأعمال الخطيرة كالقتل فينال جزاءه في الدُّنيا والآخرة.

وهكذا في بقيّة الأحكام الشرعية، إذن فالإنسان لا يملك اختياراً في القسم الأوّل من الأمور التكوينية التي ضربتُ أمثلتها، بينما يملك كامل الاختيار في

القسم الثاني من الأمور التشريعيّة، فلا جبر (في التشريع) ولا تفويض (في التكوين) بل أمر بين أمرين.

ذكر العلّامة المجلسي في البحار نقلاً عن عيون أخبار الرضاعليه السلام مسنداً عن يزيد بن عمير بن معاوية الشامي أنّه قال للرضاعليه السلام: يابن رسول الله روي لنا عن جعفر بن محمّد الصادقعليه السلام قوله: لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، فما معناه؟

فقالعليه السلام: من زعم أنّ الله تعالى يفعل أفعالنا ثمّ يعذّبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم أنّ الله عزّوجلّ فوّض الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك فقلت له: يابن رسول الله فما أمر بين أمرين؟ فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أُمروا به، وترك ما نهوا عنه، فقلت: فهل لله عزّوجلّ مشيئة وإرادة في ذلك؟ فقال: أمّا الطاعات فإرادة الله ومشيئته فيها الأمر بها والرضا لها، والمعاونة عليها، وإرادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها، قلت: فهل لله فيها القضاء؟ قال: نعم، ما من فعل يفعله العباد من خير أو شرّ إلّا ولله فيه قضاء، قلت: ما معنى هذا القضاء؟ قال: الحكم عليهم بما يستحقّونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدُّنيا والآخرة[1].

وعلىٰ غرار هذه الروايات توجد روايات كثيرة أعتذر إليكم عن ذكرها، المهمّ أنّها تؤكّد عدم وجود أي نوع من الجبر التشريعي على إرادة الإنسان، وتنفي التفويض الذي تقول به المعتزلة أو غيرهم، فالأمور كلّها بيد الله تعالىٰ فالعبد يدبّر والله يقدّر، فهناك مجال واسع لتحرّك إرادة العبد في اختيار الأسباب والمقدّمات، التي تؤثّر تأثيرها التكويني بإذن الله فقط فهناك طرف بيد الإنسان

(١) عيون أخبار الرضا ج ١ باب ١١ في التوحيد ح ١٧ ص ١٠١.

وطرف بيد الله تعالى، مع أنّ الأوّل واقع تحت قدرة الله تعالى أيضاً، كما يقول القائل: «ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله» و«لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم» لأنّ الاختيار في الإنسان صفة موهوبة من الله تعالى للإنسان، ولذلك نقول: إنّ الأمور عائدة كلّها إلى قدرة الله تعالى بالنظرة الدقيقة، ولهذا ورد في الشرع المقدّس استحباب اعتراف الإنسان بالفقر والعجز التام أمام قدرة الله تعالى. ففي رواية عباية بن ربعي المشهورة أنّه سأل أمير المؤمنين علياًعليه السلام عن القدرة والاستطاعة فقال لهعليه السلام: تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عباية، فقالعليه السلام له: قل، فقال: وما أقول؟ قالعليه السلام: تقول تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن يملّكها إيّاك كان ذلك من عطائه وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك ملكك والمالك لما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوّة حيث يقولون لا حول ولا قوّة إلّا بالله، فقال عباية: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال: لا حول بنا عن معاصي الله إلّا بعصمة الله، ولا قوّة لنا على طاعة الله إلّا بعون الله[1].

وذكر الشيخ الطبرسي في الاحتجاج عن أمير المؤمنينعليه السلام قوله في القضاء والقدر: «ولا تقولوا وكّلهم الله إلى أنفسهم فتوهنوه، ولا تقولوا أجبرهم فتظلموه ولكن قولوا الخير بتوفيق الله، والشرّ بخذلان الله، وكلّ سابق في علم الله»[2].

فخلاصة «أمر بين أمرين» أنّ الله أعطى القدرة والاستطاعة إلى الإنسان فجعله مختاراً وبنفس الوقت أمره ونهاه على سبيل الاختيار ثمّ أرسل إليه الأنبياء والحجج لتكتمل الحجّة على الإنسان، وبنفس الوقت أحاطه بمجموعة من الأسباب والقوانين الكونية الخارجة عن اختيار الإنسان.

---

(١) البحار: ج٥، ص٧٥، الرواية الأولى، الباب الثاني.

(٢) الاحتجاج ج١، ص١٩٨، ط بيروت الأعلمي عام ١٤٠١هـ.

سؤال: كان عندي سؤال لطالما أردتُ أن أسألك عنه والآن قد حان وقته، وهو إنّنا عندما نجلس في بعض محافل علمائنا الكبار يقولون إنّ الشيعة (الروافض) كفرة ومشركون لاعتقادهم أنّ الله تعالى فوّض الأمور كلّها للأئمّة كالإحياء والإماتة والرزق والعزّة و... فهل هذا الكلام صحيح؟ نرجو أن توضّحوه لنا.

الجواب: الاتّهامات من هذا القبيل ضدّنا كثيرة جدّاً، فقد اعتاد علماء أهل السنّة على ذلك، ممّا أثار ويثير تعجّب عوام الشيعة الذين لم يألفوا هذه الحالة.

وللأسف فإنّ هذه الاتّهامات مجرّد افتراء ناشئ عن التعصّب والحقد والعناد، للحطّ من شأن الشيعة وإثارة الأجواء ضدّهم من خلال الكذب والدجل، وممّا يؤسف له أنّ بعض أهل السنّة يتلقّون أمثال هذه الافتراءات بشكل أعمىٰ بدون أن يطالعوا الكتب الشيعيّة التي صنّفها علماء الإمامية الكبار، فيقوم علماء أهل السنّة بنسبة بعض الأكاذيب والعقائد (كالغلوّ مثلاً) إلى الشيعة ويتّهمونهم بالشرك والكفر والزندقة، مع أنّ الشيعة الإمامية بريئون من جميع هذه العقائد والأكاذيب.

لا للتفويض

قلنا سابقاً: إنّ الائمّة الهُداة من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله قد شجبوا فكرة التفويض إلى جانب شجبهم للجبر، وهكذا فقد نفوا عن أنفسهم ما اُتّهموا به من التفويض، روى الشيخ المفيد في الاختصاص عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: من زعم أنّ الله عزّوجلّ فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر فهو كافر، والقائل بالتفويض فهو مشرك[1].

---

(١) الاختصاص ص٣٣٢، ط الأعلمي، عام ١٩٨٢م.

وقال عليه السلام لياسر الخادم: إنّ الله فوّض إلى نبيّه صلى الله عليه وآله أمر دينه فقال: ﴿مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(١)، فأمّا الخلق والرزق فلا، ثمّ قال: إنّ الله عزّوجلّ خالق كلّ شيء وهو يقول تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢).

وجاء في كتاب اعتقادات الشيخ الصدوق عن زرارة بن أعين يقول: جئت الصادق عليه السلام وقلت له: إنّ رجلاً من ولد عبدالله بن سبأ يقول بالتفويض ويقول: إنّ الله تعالى خلق محمّداً وعليّاً ففوّض إليهما فخلقا ورزقا وأماتا وأحييا، فقال عليه السلام: كذب عدوّ الله إذا انصرفت إليه فاقرأ عليه هذه الآية في سورة الرعد: ﴿أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾(٣)، يقول زرارة: فرجعت إليه وقرأتُ عليه الآية فسكت كأنّه أُلقم حجراً(٤).

الإمام المهدي عليه السلام يجيب عن موضوع التفويض

وجاء في غيبة الشيخ الطوسي: أنّ قوماً من المفوّضة وجّهوا كامل بن إبراهيم المدني إلى أبي محمّد العسكري عليه السلام، قال كامل: فقلت في نفسي أسأله: لايدخل الجنّة إلّا من عرف معرفتي وقال بمقالتي، قال: فلمّا دخلت على سيّدي أبي محمّد عليه السلام نظرت إلى ثياب بياض ناعمة عليه فقلت في نفسي: وليّ الله

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) الروم: ٤٠.

(٣) الرعد: ١٦.

(٤) اعتقادات الصدوق.

وحجّته يلبس الناعم من الثياب ويأمرنا نحن بمواساة الاخوان وينهانا عن لبس مثله، فقال متبسِّماً: يا كامل وحسر عن ذراعيه، فإذا مسح أسود خشن علىٰ جلده، فقال: هذا لله وهذا لكم، فسلّمت وجلست إلى باب عليه ستر مرخىٰ فجاءت الريح فكشفت طرفه فإذا أنا بفتىٰ كأنّه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، فقال لي: ياكامل بن إبراهيم فأقشعررتُ من ذلك وأُلهمتُ أن قلت: لبّيك ياسيّدي، فقال: جئت إلىٰ وليّ الله وحجّته وبابه تسأله هل يدخل الجنّة إلّا من عرف معرفتك وقال بمقالتك؟ فقلت: إي والله، قال: إذن والله يقلّ داخلها والله إنّه ليدخلها قومٌ يُقال لهم الحقّية، قلت: ياسيّدي ومَن هم؟ قال: قوم من حبّهم لعلي يحلفون بحقّه ولا يدرون ما حقّه وفضله، ثمّ سكتعليه السلام عنّي ساعة ثمّ قال: وجئت تسأله عن مقالة المفوّضة كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله فإذا شاء شئنا والله يقول: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[1] ثمّ رجع الستر إلى حالته، فلم أستطع كشفه فنظر إليّ أبو محمّدعليه السلام مبتسماً فقال: ياكامل ما جلوسك وقد أنبأك بحاجتك الحجّة مِن بعدي؟ فقمت وخرجت[2].

وأيضاً جاء في كتاب الغيبة للشيخ توقيعاً للإمام المهدي صلوات الله عليه وعجّل الله فرجه هذا نصّه: إنّ الله تعالىٰ خلق الأجسام وقسّم الأرزاق، لأنّه ليس بجسم ولا حال في جسم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فأمّا الأئمّة فإنّهم يسألون الله تعالىٰ فيخلق ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقّهم[3].

---

(١) الإنسان: ٣٠.

(٢) البحار ج٥٢ ص٥٠ ح٣٥ ط إيران نقلاً عن غيبة الشيخ الطوسي.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي ص١٧٨، ط: مكتبة نينوى الحديثة عام ١٣٨٥هـ، بمقدّمة العلّامة الشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب (الذريعة).

ولا نريد أن نطيل عليكم وإلّا فإنّ مثل هذه الأخبار كثيرة مرويّة في كتبنا، ومضافاً إلى ذلك فقد كان الأئمّة عليهم السلام يعدّون أنفسهم لا شيء أمام المولى سبحانه وتعالىٰ، لا أنّهم يجعلون أنفسهم شركاؤه والعياذ بالله فهذا إمامنا علي بن الحسين السجّاد عليه السلام في صحيفته السجّادية يقول:

«اللّهمّ إنّك من الضعف خلقتنا وعلى الوهن بنيتنا فلا حول لنا إلّا بعونك ولا قوّة لنا إلّا بعونك» ويقول: «اللّهمّ إنّي أصبحت وأمسيت عبداً داخراً لك لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إلّا بك».

فهل بعد كلّ هذه التصريحات من نفس أئمّتنا عليهم السلام يبقىٰ مجال لاتّهامنا بالتفويض؟

نعم، عَليَّ أن أقول لكم: إنّ من بين الشيعة ظهر بعض الأفراد الذي قالوا بالتفويض أو التصوّف بعد أن خدعهم الشيطان وأغواهم، ولكن لم يدع الأئمّة الأطهار مجالاً لهؤلاء فقد لعنوهم وطردوهم وتبرّأوا منهم وحذّروا شيعتهم منهم.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: يُهلك فيَّ رجلان محبٌّ مبطر يضعني في غير موضعي ويمدحني بما ليس فيَّ، ومبغض مفتر يرميني بما أنا منه بريء[١].

وقال عليه السلام: سيهلك فيَّ صنفان: محبٌّ مفرط يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ[٢].

وقال عليه السلام: هلك فيَّ رجلان: محبّ غال، ومبغض قال[٣].

وقال عليه السلام: يهلك فيَّ اثنان: محبّ غال، ومبغض قال[٤].

---

(١) البحار: ج٢٥، ص٢٨٥، الرواية (٣٧)، الباب العاشر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر السابق.

ومن خلال هذه الكلمات اتّخذ الشيعة الإمامية موقف الحذر والبراءة من الغُلات والمفوّضة الذين وضعوا الأحاديث على لسان الأئمّة ونسبوها إليهم أو أنّهم أدخلوا بعض الكلمات في أحاديث الأئمّةعليهم السلام ، ـ مثل خطبة البيان غير المعتبرة ـ أمثال عبدالله بن سبأ الملعون في زمن الإمام عليّعليه السلام وبنان بن سمعان، وأبو عبدالله الحرث الشامي في زمن الإمام السجّادعليه السلام ، والمغيرة بن سعيد في زمن الباقرعليه السلام ، وأبو الخطّاب ومعمر والسري وبشّار الشعيري وحمزة ابن عمّار البربري الترمذي وصائد النهدي وحارث الشامي وأبو هارون المكفوف وبزيغ وغيرهم كلّهم غُلات كانوا في زمن الصادقعليه السلام ، ومحمّد بن بشير في زمان الإمام السابع ـ الكاظمعليه السلام ـ، ويونس بن ظبيان ومحمّد بن فرات وغيرهما في زمان الرضاعليه السلام ، وقاسم اليقطيني وعلي بن حسكة القمّي وفارس ابن حاتم القزويني وحسن بن بابائي القمّي وفهري بن محمّد بن نصير في زمان الإمام الهادي والعسكريعليهما السلام ، وهكذا استمرّ ظهور الغلات والمفوّضة إلى زمان الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف.

وقد تصدّىٰ جميع الأئمّة لهؤلاء الغُلات باللعن والدُّعاء وإبعاد شيعتهم عنهم، ولكن من الطبيعي أن يجد هؤلاء الغُلاة بعض البسطاء من الناس الذين يصدّقونهم حبّاً منهم لفضائل أهل البيتعليهم السلام ، ويوجد في زماننا هذا عدّة قليلة من هؤلاء الغُلات الذين يعدّون أنفسهم من شيعة أهل البيتعليهم السلام ولكنّهم في الحقيقة من أبعد الناس عن الشيعة وعن أهل البيتعليهم السلام ، وقد تعرّض علماؤنا المحقّقون في كتبهم ومصنّفاتهم لبيان عقائد المفوّضة والغُلات الذين نبرأ منهم، إذ الإمامية لا تقول بالتفويض للأئمّةعليهم السلام ، بل تقول إنّ آل الرسولصلى الله عليه وآله الأئمّة الاثنا عشر أولياء الله وحججه وخلفاء الرسولصلى الله عليه وآله وهم عباد الله المكرمون المتّقون وهم أفضل وأورع وأتقىٰ وأزهد الناس جميعاً، وهمعليهم السلام

واسطة ووسيلة للفيض الربّاني وليسوا هم الرازقون أو الخالقون.[١]

وقد انقدحت في ذهني رواية الشيخ الكشي أنّ جماعة قالوا للإمام الصادق عليه السلام:

وهذا المقدار كافٍ لبيان عقيدة الإمامية وردّ الاتّهامات الكاذبة التي أُلصقت بهم، ولم يكن هدفنا من البحث هذا بل كان الكلام حول الاختلافات الأصولية بين المسلمين، وكنّا قد ذكرنا بعض الأصول التي انفرد بها الأشاعرة دون المسلمين كافّة، والآن نعود معاً إلى أحد أصولهم الاعتقادية:

الأشاعرة تقول بإمكان رؤية الله!

ومن جملة الأصول التي تختلف فيها الأشاعرة مع المسلمين قولهم بتحقّق رؤية الله تبارك وتعالىٰ يوم القيامة وهي ـ الرؤية ـ خاصّة بالمؤمنين استناداً إلى ظواهر بعض الآيات، ثمّ إنّ المجسّمة والمشبّهة والكرامية منهم ـ الأشاعرة ـ قالوا: إنّ جميع أهل المحشر يرون الله تبارك وتعالىٰ وينظرون إليه كما ينظرون إلى الشمس أو القمر وذلك لأنّهم يعتقدون أنّ الله تبارك وتعالىٰ جسماً ولذا يمكن مشاهدته بالعين المجرّدة في جهة من الجهات، ولكن قد ثبت بالأدلّة العقلية والنقلية أنّ الباري سبحانه ليس جسماً لأنّ الأجسام لها أبعادها الثلاثة الطول والعرض والعمق فهي بذلك محتاجة إلى الحيّز والفراغ، والباري سبحانه غير محتاج، ثمّ إنّ الأجسام مركّبة وكلّ مركّب محتاج ومفتقر إلى أجزاءه، والباري منزّه عن الاحتياج والنقص والافتقار، وغيرها من الأدلّة تجدونها في مظانّها، فإذا لم يكن الخالق جسماً استحالت رؤيته بتاتاً.

---

(١) ويمكن مراجعة اختيار معرفة الرجال للكشي ففيه بعض الروايات التي ينفي فيها الإمام الصادق عليه السلام عن نفسه كلّ صور الغلوّ.

والعجب أنّ بعض الأشاعرة قال بإمكان رؤية الله في الحياة الدُّنيا كما رآه رسول الله ﷺ في ليلة المعراج!! أعوذ بالله من هذه المقالات الفاسدة المخالفة لضروريات الدين الإسلامي المقدّس ولهذا لا أعتني كثيراً لمثل هذه الخزعبلات.

ولكن في مقابل الأشاعرة قالت الشيعة الإمامية الاثنا عشرية تباعاً للأئمّة المعصومين من عترة الرسول الكريم ﷺ وكذا المعتزلة والزيدية بعدم إمكان رؤية الله تعالى.

أدلّة الشيعة على استحالة رؤية الله

لقد ذكرت عدّة أدلّة عقلية ونقلية لردّ عقيدة الأشاعرة واستحالة رؤية المولىٰ سبحانه وتعالىٰ في الدُّنيا والآخرة للأنبياء وغيرهم، فقد ذكر المعتزلة والزيدية أدلّتهم في ردّ الأشاعرة ولكن أدلّتنا ـ الإمامية ـ قد تكون أمتن وأقوى لأنّها مستندة إلى بيت الوحي والرسالة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[1] أي أنّ الأئمّة من أهل البيت توأم القرآن العظيم، ومن جملة ما ذكروه لنا لردّ الأشاعرة هي:

١ ـ أنّ الرؤية بالعين لا تتحقّق إلّا إذا كان الجسم مقابلاً للعين وهناك مسافة تسمح للرؤية وأنّ الجسم في جهة واحدة، وجميع هذه الشروط لا تتحقّق في الله سبحانه وتعالىٰ.

٢ ـ والرؤية لا تتحقّق إلّا إذا كان الجسم مركّباً ومتناهياً ومحصوراً وفي جهة واحدة وخلوّ الجهات الأُخرىٰ منه، وجميع هذه الأعراض لا تقبل بها حتّى

---

(١) تذكرة الخواص ص٣٢٣، والفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ص ٤٠.
وستمرّ بقية مصادر الحديث لاحقاً.

الأشاعرة.

٣ ـ والرؤية لا تتحقّق إلّا إذا انطبعت صورة الشيء في حدقة العين وهو محال بل لا ترتضيه حتّى الأشاعرة، وهكذا بالنسبة للإشارة إليه.

٤ ـ والرؤية لا تتحقّق مع وجود بُعد مكاني، كما ذكره الإمام العسكري ببيان آخر[١].

٥ ـ ثمّ إنّ الأشياء كلّها إمّا محسوسة مادّية أي لها وجود خارجي، وإمّا معنوية لها وجود ذهني فقط مثل قول الشاعر: «أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد» فمثل هذه الأعلام والرماح لا وجود لهما في الواقع الخارجي وإنّما صور ذهنية خيالية، ولكن كلّ هذه الأمور مخلوقة محدودة وكلّ ما دقّ وتناها في الخيال فهو أيضاً مخلوق متخيّل، وليس هو الله لأنّه سبحانه خالق، وما نتخيّله في الذهن صور مخلوقة.

نعم، نحن ندرك وجود الله تعالى من خلال آيات صنعته وعجائب مخلوقاته فيقطع العقل بوجوده يقيناً وهذا اليقين كأنّه رؤية. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٢].

وفي الديوان المنسوب للإمام علي عليه السلام يقول:

وفي كلّ شيء له آية   تدلّ على أنّه واحد[٣]

٦ ـ أمّا الآيات والروايات على إبطال رؤية الله فكثيرة جدّاً، فأكثر الآيات صراحة قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

---

(١) سيذكر المصنّف رحمه الله نصّ الرواية لاحقاً / المترجم.

(٢) آل عمران: ١٩٠.

(٣) ديوان الإمام علي عليه السلام ص٣٩٩، حرف الدال، بشرح القاضي كمال الدين اليزدي المتوفى ٩٠٩هـ.

الْخَبِيرُ﴾[١]، ووجه الاستدلال: أنّه تعالىٰ ينفي رؤيته بالبصر ثمّ يمتدح نفسه علىٰ هذه الصفة لأنّها من صفات كماله، وذكر اسم «اللطيف» يدلّ على لطافته وبساطته وتجرّده عن أي حالة جسمية.

وقد ذكر ثقة الإسلام الكليني في الحديث التاسع من أحاديث إبطال الرؤية في الكافي مسنداً عن عبدالله بن سنان أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا تدركه الأبصار» أي إحاطة الوهم، ألا ترى إلى قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ليس يعني بصر العيون، فمن أبصر فلنفسه، ليس يعني من البصر، ومن عمي فعليها، ليس يعني عمى العيون، إنّما عنى إحاطة الوهم كما يُقال: فلان بصير بالشِعر وفلان بصير بالفقه وفلان بصير بالدراهم وفلان بصير بالثياب الله أعظم من أن يُرى بالعين[٢].

وأيضاً روي مسنداً عن أبي هاشم الجعفري أنّه قال لأبي جعفر محمّد بن الرضا عليه السلام: لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار؟

فقال عليه السلام: يا أبا هاشم؛ أوهام القلوب أدقّ من إبصار العيون إنّك قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك وأوهام القلوب لا تدركه فكيف إبصار العيون[٣].

إذن معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعني لا تدركه الأوهام.

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[٤]، بل هو تعالىٰ يحيط بنا ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[٥].

---

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) أصول الكافي ج ١ ص ٩٨ كتاب التوحيد باب إبطال الرؤية ح ٩.

(٣) المصدر نفسه ح ١١

(٤) طه: ١١٠.

(٥) فصّلت: ٥٤

فثبت أنّه تعالىٰ محيط بنا، والرؤية تحتاج أن يكون المبصَر إليه محاط به والحال أنّه سبحانه محيط بنا فانتفت واستحالة رؤيته لاستحالة الإحاطة بـه لا نظراً ولا علماً.

وروي الكليني مسنداً عن صفوان بن يحيى قال: سألني أبو قرّة المحدّث أن أدخله على أبي الحسن الرضاعليه السلام فاستأذنته في ذلك فأذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتّى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبو قرّة إنّا روينا أنّ الله قسّم الرؤية والكلام بين نبيّين؛ قسّم الكلام لموسىٰ ولمحمّد الرؤية، فقال أبو الحسنعليه السلام: فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلين من الجنّ والإنس «لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء» أليس محمّد؟ قال بلىٰ، قالعليه السلام: كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: لا تدركه الأبصار ولا يحيطون بـه عـلماً وليس كمثله شيء ثمّ يقول: أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر؟!

أما تستحون ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عـند الله بشيء، ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر؟! قال أبو قرة: فإنّه يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[1]؟ فقال أبو الحسنعليه السلام: إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأىٰ، حيث قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[2] يقول: ما كذب فؤاد محمّدصلى الله عليه وآله ما رأت عيناه ثمّ أخبر بما رأى فقال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[3]، فآيات الله غير الله وقد قال الله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[4] فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم

---

(١) النجم: ١٣.

(٢) النجم: ١١.

(٣) النجم: ١٨.

(٤) طه: ١١٠.

ووقعت المعرفة، فقال أبو قرة: فتكذّب بالروايات؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذّبتها، وما أجمع المسلمون عليه أنّه لايُحاط به علماً ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء[١].

ومن الآيات الصريحة في ردّ الأشاعرة قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنْ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾[٣].

جاء في التفاسير: إنّ كليم الله موسىٰ بن عمران علم أنّ الله عزّوجلّ أجلّ عن أن يُرىٰ بالأبصار ولكنّه لمّا كلّمه الله عزّوجلّ وقرّبه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ الله كلّمه وقرّبه وناجاه «فقالوا لن نؤمن لك» حتّى نسمع كلامه وكان القوم سبعمائة ألف فاختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه، فسأل موسىٰ ربّه أن يكلّمهم ويسمعهم كلامه، فكلّمه الله تعالىٰ ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾ فلمّا قالوا هذا القول العظيم واستكبروا بعث الله عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا[٤].

ووجه الاستدلال بهذه الآية، أنّ الله تعالى اعتبر هذا الطلب من بني إسرائيل طلباً عظيماً فظيعاً، واعتبرهم ظالمين في طلبهم الرؤية، واستحقّوا الصاعقة من الله تعالىٰ.

---

(١) المصدر السابق ج٢ ص٩٥.

(٢) البقرة: ٥٥.

(٣) النساء: ١٥٣.

(٤) أُنظر تفسير البرهان ج١ ص١٠٠ ط الرحلي.

يقول آية الله المجاهد المرحوم الحاج عبد الحسين شرف الدين العاملي رحمه الله: إنّ الآية الأولى ـ السالفة الذكر ـ مع قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1] توأماً واحداً فكليهما يدلّان على فظاعة الخطب، أي طلب الرؤية وعبادة العجل حتّى استحقّا العقاب في كلا الحالتين من الله تعالىٰ، بل كانت عقوبة الذين طلبوا الرؤية أشدّ وأقسىٰ وهو يدلّ على كفر كلا الفريقين، لأنّ الذين طلبوا الرؤية تصوّروا أنّ الله تبارك وتعالى يمكن تحيّزه وتحديده ووجوده في مكان خاصّ، وهكذا الذين عبدوا العجل فقد جسّدوا الخالق وحدّدوه وجعلوا له حيّزاً، فكانوا جميعاً من الظالمين والكافرين حالهم حال المشركين من قريش: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً﴾[2] فوصف الذين يريدون رؤية الله أنّهم مستكبرون وعتاة.

ونظراً لهذا فقد حاول الأشاعرة أن يقولوا بإمكان رؤية الله في الآخرة فقط فراراً من هذه الآيات، وهم لا يعلمون أنّ القول برؤية الله لا يفرق في الدُّنيا أو الآخرة فجميع ما وُصفَ به بنو إسرائيل والمشركون ينطبق على الأشاعرة كظلمهم أنفسهم وعدّهم من المستكبرين العتاة واستحقاقهم العذاب والعقوبة في الآخرة.

إذن فرؤيته سبحانه وتعالى بالعين الباصرة محال.

---

(١) البقرة: ٥٤.

(٢) الفرقان: ٢١.

نفي الرؤية مؤبّداً

ومن الأدلّة على استحالة رؤيته سبحانه قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ووجه استحالة رؤية الله في الآية من جهتين:

١ ـ أداة (لن) وقد ذكر أهل اللغة والأدب أنّها تفيد التأبيد أي أنّك لن تراني أبداً، وإذا كان موسىٰ عليه السلام علىٰ منزلته وجلالة قدره لا يستطيع رؤية الله فمن الأولى لا يقدر غيره من الناس العاديّين علىٰ رؤيته سبحانه.

٢ ـ إنّه تعالىٰ علّق الرؤية علىٰ بقاء الجبل واستقراره، والمشروط عدم عند انعدام شرطه، وهو أحد معاني التعليق بالمحال[2] فلمّا تجلّىٰ ربّك للجبل جعله دكّاً وتفتّت وتناثر ولم يبق له أي أثر، فصعق موسىٰ ومات من معه لشدّة الهول والتجلّي، فلمّا أفاق موسىٰ عليه السلام نزّه الله عن الرؤية.

سؤال: إذا كان موسىٰ عليه السلام مؤمناً بعدم إمكان الرؤية فلماذا طلبها إذن؟

الجواب: لقد أُثير هذا السؤال قبل عدّة قرون وكان مورد بحث بين المفسِّرين وفي الحقيقة فإنّ موسى لم يطلب الرؤية بنفسه أو لنفسه وإنّما كان طلب الرؤية بعد إلحاح بني إسرائيل عليه وعنادهم معه حتّى أنّهم علّقوا الإيمان بالرؤية كما وصفهم الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾[3]، فلمّا

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾/المترجم.

(٣) البقرة: ٥٥.

رأى موسىٰ ذلك منهم أذن الله تعالى له أن يسأله هذا السؤال مجاراة معهم فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[١]، فهذا في الحقيقة سؤال أولئك السبعين الذين كانوا مع موسىٰ، ولمّا حصل ما حصل وأفاق موسى قال: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾[٢].

فنسب هذا الفعل (وهو طلب الرؤية) إلى أولئك السفهاء السبعين الذين ذهبوا معه إلى الميقات، لأنّ سؤالهم دليل على سفاهتهم، وهذه الآية تؤكّد على أنّ طلب الرؤية لم يكن من موسىٰ عليه السلام.

وقد ذكر الشيخ الصدوق رحمه الله في التوحيد والعيون مسنداً عن علي بن محمّد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام فقال له المأمون: يابن رسول الله أليس من قولك إنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلىٰ، فسأله عن آيات من القرآن فكان فيما سأله أن قال له: فما معنى قول الله عزّوجلّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي...﴾ كيف يجوز أن يكون كليم الله موسىٰ بن عمران عليه السلام لا يعلم أنّ الله تعالىٰ ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتّىٰ يسأله هذا السؤال؟

فقال الإمام الرضا عليه السلام: إنّ كليم الله موسىٰ بن عمران عليه السلام علم أنّ الله، تعالىٰ عن أن يُرى بالأبصار ولكنّه لمّا كلّمه الله عزّوجلّ وقرّبه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ الله عزّوجلّ كلّمه وقرّبه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّىٰ نسمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبعمائة ألف رجل فاختار منهم سبعين ألفاً ثمّ اختار منهم سبعة آلاف ثمّ اختار منهم سبعمائة ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) الأعراف: ١٥٥.

موسىٰ عليه السلام إلى الطور وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلّمه ويسمعهم كلامه، فكلّمه وسمعوا كلامه..، فقالوا: لن نؤمن لك بأنّ هذا الذي سمعناه كلام الله حتّى نرى الله جهرة، فلمّا قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا، بعث الله عزّوجلّ عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسىٰ: ياربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنّك ذهبت بهم فقتلتهم لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله إيّاك؟ فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنّك لو سألت الله أن يريك أن تنظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حقّ معرفته، فقال موسىٰ عليه السلام: ياقوم إنّ الله لا يُرىٰ بالأبصار ولا كيفيّة له وإنّما يُعرف بآياته ويُعلم بأعلامه فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله، فقال موسىٰ عليه السلام: ياربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله جلّ جلاله إليه؛ ياموسىٰ اسألني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسىٰ عليه السلام: «ربِّ أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه (وهو يهوي) فسوف تراني فلمّا تجلى ربّه للجبل (بآية من آياته) جعله دكّاً وخرَّ موسىٰ صعقاً» فلمّا أفاق قال: «سبحانك تبت إليك (رجعتُ إلى معرفتي بك عن جهل قومي) وأنا أوّل المؤمنين» منهم بأنّك لا تُرىٰ.

فقال المأمون: لله درّك يا أبا الحسن..[١].

وهذه الرواية تقطع الطريق أمام الأشاعرة وكلّ شكّاك في الدين لأنّها الحقّ بعينه، ولكن مع شديد الأسف أن نرى الناس يتّبعون أبا الحسن الأشعري علىٰ خزعبلاته وضلالاته المخالفة للعقل والقرآن ويتركون متابعة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ رغم موافقتهم للقرآن والعقل والوجدان.

---

(١) التوحيد للصدوق باب ٨ ح ٢٤.

الإمام علي ينفي إمكان رؤية الله

يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في نهج البلاغة حينما سأله ذعلب اليماني: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرىٰ؟ فقال: وكيف تراه؟ قال عليه السلام: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان[١].

وذكر العلّامة الكليني في الكافي مسنداً عن الصادق عليه السلام قال: جاء حبرٌ إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟ قال: ويلك ما كنتُ أعبد ربّاً لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان[٢].

وروي مسنداً عن عبدالله بن سنان عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر أيّ شيء تعبد؟ قال: الله تعالىٰ، قال: رأيته؟ قال: بل لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان لا يُعرف بالقياس ولا يُدرك بالحواس ولا يُشبّه بالناس موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجور في حكمه ذلك الله لا إله إلّا هو، فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الأولى في نهج البلاغة حول ابتداء خلق السماء والأرض والإنسان: الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادّون ولا يؤدّي حقّه المجتهدون، الذي لا يدركه بُعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حدّ محدود ولا نعت موجود ولا وقتٌ

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٧٨.

(٢) الكافي ج ١ كتاب التوحيد باب إبطال الرؤية ح٦.

(٣) المصدر السابق ح٥.

معدود[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الأشباح حينما أتاه رجلاً في مسجد الكوفة، وقال له: يا أمير المؤمنين صف لنا ربّنا مثلما نراه عياناً لنزداد له حبّاً وبه معرفة، فنادىٰ الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتّى غصّ المسجد بأهله، فصعد المنبر وهو مغضب متغيِّر اللون فحمد الله وأثنىٰ عليه وصلّىٰ علىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: ... الأوّل الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله، والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده، والرادع أناسي الأبصار عن أن تناله أو تدركه[٢].

وقال عليه السلام في خطبة أُخرىٰ: ... فلسنا نعلم كنه عظمتك إلّا إنّا نعلم أنّك حيّ قيّوم لا تأخذك سِنةٌ ولا نوم، لم ينته إليك نظر ولم يدركك بصر أدركت الأبصار[٣] إشارة منه إلى قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾.

وقال عليه السلام في خطبة أُخرىٰ:

الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الدالّ على قدمه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه على وجوده[٤].

وقال عليه السلام في نفس الخطبة: واحد لا بعدد ودائم لا بأمد وقائم لا بعمد تتلقّاه الأذهان لا بمشاعرة وتشهد له المرائي لا بمحاضرة لم تحط به الأوهام بل تجلّى لها وبها امتنع منها وإليها حاكمها[٥].

(١) نهج البلاغة، خطبة ١.
(٢) المصدر نفسه خطبة ٩١.
(٣) المصدر نفسه خطبة ١٦٠.
(٤) المصدر نفسه خطبة ٢٢٧.
(٥) المصدر نفسه خطبة ٢٢٧.

وقال عليه السلام في خطبة أُخرىٰ: ما وحّده من كيّفه، ولا حقيقته أصاب من مثّله، ولا إيّاه عنىٰ مَن شبّهه، ولا صَمَدَّهُ مَن أشار إليه وتوهّمه، إلى أن يقول: بها تجلّىٰ صانعها للعقول وبها امتنع عن نظر العيون.. لا تناله الأوهام فتقدّره ولا تتوهّمه الفطن فتصوّره ولا تدركه الحواس فتحسّه ولا تلمسه الأيدي فتمسّه(١).

وأكثر عبارات الأئمّة الهداة عليهم السلام وأجوبتهم تؤكّد علىٰ عدم المشاهدة الحسّية.

ذكر الشيخ الكليني في الكافي مسنداً عن أبي هاشم الجعفري عن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الله هل يُوصَ؟ فقال: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلىٰ، قال: أما تقرأ قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؟ قلت: بلىٰ، قال: فتعرفون الأبصَار؟ قلت: بلىٰ، قال: ما هي؟ قلت: إبصار العيون، فقال: إنّ أوهام القلوب أكبر من إبصار العيون فهو لا تدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام(٢).

وروي في نفس الباب مسنداً عن عاصم بن حميد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ذاكرتُ أبا عبدالله عليه السلام فيما يروون من الرؤية، فقال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر فإن كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب(٣).

وروي في نفس الباب أيضاً عن أحمد بن إسحاق: قال كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام (الإمام الهادي) أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس فكتب: لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء (لم) ينفذه البصر فإذا

---

(١) خطبة ٢٢٨.

(٢) أصول الكافي ج ١ كتاب التوحيد باب إبطال الرؤية ح ١٠.

(٣) المصدر نفسه ح ٧.

انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصحّ الرؤية، وكان في ذلك الاشتباه، لأنّ الرائي متىٰ ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه لأنّ الأسباب لابدّ من اتصالها بالمسبّبات[1]. ولمّا كان السائل على منزلة لا بأس بها في العلم فنرى الإمام قد فصّل له الجواب بشكل علمي دقيق، إذا ثبت في العلوم العصرية أنّ الرؤية لا تتحقّق إلّا بعد انطباع صورة المرئي عبر الشعاع في حدقة العين عبر الهواء كما هو الحال في انتقال الصور إلى جهاز التلفاز [...][2].

والمهمّ فقد ذكر في كتاب الكافي (١٢) خبراً على امتناع الرؤية وغيرها في كتاب التوحيد وعيون أخبار الرضاعليه السلام وغيرها من الكتب المعتبرة في الأُصول والاعتقادات، وقد عرفتم أنّ الأئمّةعليهم السلام ذكروا لعلّة استحالة الرؤية إمّا أسباباً عقلية أو نقلية من القرآن المجيد حسب ما يقتضيه الزمان أو السائل، وقد قام الإجماع عند الإمامية ـ تباعاً للرسول وأهل بيته ـ أنّ رؤية الله مستحيلة في الدُّنيا والآخرة.

المحال على نوعين

المستحيلات أو المحال على قسمين:

الأوّل: المحال العادي: وهو الممكن في نفسه ولكن ما لم تألفه الناس ولم تشاهده لأنّه لايقع إلّا نادراً، مثل قيام الميّت من قبره بعد مضيّ السنين المتمادية عليه، ومثل خلق الطيور من الطين ثمّ تحوّلها إلى طيور حقيقيّة تطير في السماء، ومثل ذبح الطيور الأربعة وتقطيعها ثمّ دعوتهن وعودة الحياة إليهنّ من جديد،

---

(١) المصدر نفسه ح ٤.

(٢) [...] ما بين المعقوفتين كلام للمؤلّف عبارة عن شرائط تحقّق الرؤية وقد ذكرها المؤلّف سابقاً وأعادها هنا فلم نذكرها حذراً من التكرار. /المترجم

ومثل تحوّل العصا إلى ثعبان عظيم، ومثل خروج الناقة من الجبل الأصمّ، ومثل انشقاق القمر نصفين في السماء وإلى آخره من المعاجز الخارقة للعادة التي جاءت في الكتب السماوية لاسيما القرآن المجيد.

الثاني: المحال العقلي: وهو المحال في نفسه الممتنع من التحقّق خارجاً الذي لاتتعلّق به المشيئة الإلهية مثل اجتماع الضدّين وارتفاع النقيضين وهكذا ما نحن فيه من رؤية الله تعالى الذي جعلته الأشاعرة أحد أصولها الاعتقادية، فهو من المحالات العقلية الممتنعة في نفسها، ومع ذلك فقد جوّزوه على الله تعالىٰ ذكره، وجعلوا المستحيل ممكناً وهو باطل يشهد ببطلانه جميع العقلاء، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[1] فبما إنّه لا مثيل ولا شبيه له في الوجود فهو خارج عن حدود الممكنات جميعاً فلا يجري عليه ما يجري عليها.

نتيجة ما تقدّم من الاختلافات في الأصول والفروع لأهل السنّة

بما تقدّم ثبت أنّ الاختلافات بين الفرق الإسلامية اختلاف أصولي أي في أصول الاعتقادات كالقول بأنّ الصفات إضافية أم عينية، وإنّها قديمة بقدمه أم لا؟ وفي الحسن والقبح أنّهما عقليان أم شرعيان؟ وأنّ كلام الله قديم أم حادث؟ وإنّه أجبر العباد أمن فوّضهم؟ وهل يُرى بالعين المجرّدة أم لا؟

وقد أشرنا إلى كلّ هذه المسائل باختصار واقتضاب، وعرفتم أنّ الاختلاف عميق وكبير وليس سطحياً ولا في الفروع، فضلاً عن الاختلافات الأصولية والفرعية بين الأشاعرة والمعتزلة والحنفية والمالكية والحنبلية.

---

(١) الشورى: ١١.

ومَن أحبّ أن يطلّع على جميع هذه الأقوال للمذاهب الأربعة عليه أن يراجع دورة (مسائل الخلاف في الفقه) تأليف الشيخ الطوسي ﷺ المتوفي عام ٤٦٠هـ في النجف الأشرف[١] فقد ذكر أقوال المذاهب الإسلامية من باب الطهارة إلى باب الديات، وكلّ مَن راجع هذه الأقوال الغريبة والفتاوى العجيبة بين فرق أهل السنّة يدرك بأنّهم لا يمثّلون الفرقة الناجية التي أخبر عنها رسول الله ﷺ والتي هي مدار بحثنا هذا، فترى التراشق بالاتّهامات والتناقض في المبتنيات فيما بينهم على قدمٍ وساق، والمنصف يقطع أنّ هؤلاء ليسوا هم الفرقة الناجية وإلّا لما اختلفوا.

يذكر صدر الحكماء والعلماء السيّد نعمة الله الجزائري في الأنوار قصّة ظريفة جدّاً فيقول: ويعجبني نقل نبذة من كتاب يوحنا الذمي...

قال يوحنّا: فلمّا رأيت هذه الاختلافات من كبار الصحابة الذين يذكرون مع رسول الله ﷺ فوق المنابر عظم عليّ الأمر وغمّ عليّ الحال وكدت أن أُفتن في ديني فقصدت بغداد وهي قبّة الإسلام لأخوض فيها علماء الإسلام (المسلمين) لأنظر الحقّ وأتبعه فلمّا اجتمعت بعلماء المذاهب الأربعة قلت لهم: أنا رجل ذمّي وقد هداني الله تبارك وتعالى للإسلام فأسلمت وقد أتيتكم لأتقبّل عنكم معالم الدين وشرائع الإسلام، فقال كبيرهم وهو الحنفي: يا يوحنا مذاهب الإسلام أربعة فاختر لنفسك واحداً منها ثمّ اشرع في قول ما تريد، فقلت لهم: إنّي رأيت تخالف المذاهب وعلمت أنّ الحقّ منها واحد فاختاروا لي ما تعلمون أنّه الحقّ الذي كان عليه نبيّكم، ثمّ قال الحنفي: إنّا لا نعلم الحقّ الذي كان عليه نبيّنا بل نعلم أنّ طريقته غير خارجة عن الفرق الإسلامية وكلّ من

---

(١) الشيخ الطوسي مؤسّس الحوزة العلمية في النجف الأشرف في أوائل القرن الرابع الهجري / المؤلّف.

أربعتنا يقول إنّه محقّ لكن يمكن أن يكون مبطلاً ويقول إنّه غيره مبطل لكن يمكن أن يكون غيره محقّاً، وبالجملة أنّ مذهب أبي حنيفة أنسب المذاهب كلّها، وأقيسها للحقّ وأطبقها للسنّة و...

قال يوحنا: فصاح به إمام الشافعية وأظنّ أنّه كان بين الشافعي والحنفي منازعات فقال له: اسكت لا نطقت والله لقد كذبت وتقوّلت ومن أين أنت والتمييز بين المذاهب وترجيح المجتهدين ويلك ثكلتك أُمّك؟ ألك وقوف على ما قاله أبوحنيفة وما قاس برأيه فإنّ المسمّىٰ بصاحب الرأي يجتهد في مقابلة النصّ ويستحسن في دين الله تعالى ويعمل به حتّى أوقعه رأيه في الوهن في أن قال: لو عقد رجل في أقصى الهند على امرأة بكر وهي في الروم عقداً شرعياً ثمّ أتاها بعد سنين متعدّدة فوجدها حامل وبين يديها أولاد يمشون فيقول لها ما هؤلاء؟ فتقول له: أولادك فيرافعها في ذلك إلى القاضي الحنفي فيحكم أنّ الأولاد لصلبه يلحقون به ظاهراً وباطناً يرثهم ويرثونه، فيقول: وكيف ذلك ولم أقربها قط؟ فيقول القاضي: يحتمل أن يكون قد احتلمت وأطارت الريح منيك فوقعت في فرج المرأة فحملت! فهل يا حنفي هذا مطابق للكتاب والسنّة؟.

وهكذا بدأ الشافعي يذكر الفتاوى المضحكة لأبي حنيفة التي لا دليل له عليها وبدأ كلّ إمام مذهب يذكر مخازي الآخر وبالتالي بقي يوحنا حائراً بعد أن أسقط الجميع بعضهم بعضاً بالأدلّة، والقصّة طويلة يمكن مراجعتها في الأنوار النعمانية أو كتاب يوحنا الذمي (إلزام النواصب في خلافة علي بن أبي طالب) وكتاب (منهاج السالكين) لنجم الدين كبرى وكتاب قواعد العقائد لنصير الدين الطوسي[1].

---

(١) الأنوار النعمانية ج٢ ص٢٧٠ ط الأعلمي ـ بيروت ١٩٨٤م.

صلاة الحنفية والشافعية أمام سبكتكين

ذكر المؤرّخ ابن خلكان المتوفى عام ٦٨١هـ في وفيّات الأعيان ضمن تعرّضه لسيف الدولة أبي القاسم السلطان محمود سبكتكين نقلاً عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني في كتابه (مغيث الخلق في اختيار الأحق) وأيضاً ذكر القصّة كمال الدين الدميري في حياة الحيوان حين تعرّضه لنوع من الطيور اسمه (القُمري)[1]: إنّ السلطان محمود كان حنفي المذهب وكان مولعاً بعلم الحديث وكان يُسمع عنده الحديث ويسأل عن معناه فيجد أكثره موافقاً لمذهب الإمام الشافعي، فجمع فقهاء المذهبين والتمس منهما الكلام في ترجيح أحد المذهبين، فوقع الاتّفاق على أن يُصلّىٰ بين يديه ركعتان على مذهب الشافعي ثمّ علىٰ مذهب أبي حنيفة، فينظر السلطان إلى ذلك ويختار الأحسن، فصلّى القفال المروزي بطهارة سابغة وشرائط معتبرة من الطهارة والستر واستقبال القبلة وأتىٰ بالأركان والهيئات والسنن والأبعاض والآداب على وجه الكمال وكانت صلاة لا يجوّز الشافعي دونها، ثمّ صلّى ركعتين على ما يجوِّز أبو حنيفة فلبس جلد كلب مدبوغاً ولطخ بعضه بالنجاسة وتوضّأ بنبيذ التمر وكان ذلك في صميم الصيف فاجتمع عليه الذباب والبعوض، وكان وضوءه منكساً منعكساً ثمّ استقبل القبلة وأحرم بالصلاة من غير نيّة في الوضوء وكبَّر بالفارسية ثمّ قرأ بها (دوبرك سبز) ثمّ نقر كنقرات الديك من غير فصل بينها ومن غير طمأنينة وتشهّد وضرط في آخرها وخرج

---

(١) القُمري: طائر معروف حسن الصوت وقالوا إذا ماتت ذكور القماری لم تتزاوج إناثها بعدها وتنوح عليها إلى أن تموت /أُنظر حياة الحيوان ج٢ ص٢٢٢ / المترجم.

من غير نيّة السلام.

فقال: أيّها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة!! فقال السلطان: لو لم تكن هذه صلاة أبي حنيفة لقتلتك لأنّ مثل هذه الصلاة لا يجوِّزها ذو دين، فأنكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة جائزة عند أبي حنيفة فطلب القفال كتب أبي حنيفة فأمر السلطان بإحضارها وأمر نصرانياً أن يقرأ كتب المذهبين جميعاً فوجدت الصلاة التي صلّاها القفال جائزة عند أبي حنيفة فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة وتمسّك بمذهب الشافعي[1].

فالهدف من هذه القصص الواقعية أنّ أئمّة وزعماء المذاهب الأربعة أحدهم يعيب الآخر ويختلف معه في الأصول والفروع، ويحاول كلّ واحد أن يثبت أحقّيته ويبطل المذهب الآخر، فالاختلاف بين المذاهب السنّية الأربعة أكثر وأعمق وأوسع من اختلاف السنّة والشيعة، وقد كتب أحد علماء السنّة كتاباً أسماه (الفقه على المذاهب الأربعة) لعبد الرحمن الجريري وقد طبعته وزارة الأوقاف المصرية في القاهرة عام ١٣٦٩هـ، وإذا سنحت لكم الفرصة انظروا إلى هذه الاختلافات بين المذاهب الأربعة من أبواب الطهارة إلى العبادات والنكاح والطلاق وجميع المعاملات..

ولذلك تجدون هذه الكثرة في الأقوال والتصادم في العقائد والأصول من التوحيد إلى المعاد بين المعتزلة والأشاعرة والداووديّين والثوريّين والأحناف والشافعية والمالكية والحنبلية و... طيلة أكثر من ألف عام كان هؤلاء يُكفِّر ويُفسِّق أحدهم الآخر.

---

(١) حياة الحيوان للدميري ج٢ ص٢٢٣ ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر / المترجم.

أهل السنّة ليسوا هم الفرقة الناجية

وقد ذكرنا في أوائل هذا الكتاب أنّ رسول الله ﷺ قال: ستفترق أُمّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلّا واحدة.

مع أنّ أهل السنّة يعتبرون أنفسهم فرقة واحدة تحت اسم (أهل السنّة) أو (الجماعة) ولكن الواقع يكذِّب ذلك بعدما عرفتم أنّهم على أنحاء أربعة يكذِّب ويكفِّر أحدهم الآخر، وتختلف كلّ فرقة مع الأُخرى جملةً وتفصيلاً فروعاً وأصولاً، فهذا دليل على أنّهم ليسوا فرقة واحدة وبالتالي لا يصلح أن يكونوا مصداقاً للفرقة الناجية كيف وقد ذكرنا لكم ما ذكره الشهرستاني من فرق أهل السنّة حتّى عدّهم إلى ٣٥ فرقة أو أكثر وكلّهم يختلفون أصولاً وفروعاً، وأمّا إذا كانوا فرقة واحدة كما يزعمون لما تعدّدوا ولما اختلفوا ولما تكافروا..

فالنتيجة المهمّة هنا ـ وفاقاً للعقل والإنصاف واستناداً لما تقدّم من الأدلّة ـ أنّ أهل السنّة ليسوا هم الفرقة الناجية.

سؤال: بما أنّ الكلام وصل بنا إلى هنا فإنّا نكرِّر عليكم سؤالنا الأخير، فمن هي الفرقة الناجية وما هي علاماتها وخصائصها لكي نستطيع معرفتها بالعلائم من هذه الـ ٧٣ فرقة الهالكة؟[١]

علامات الفرقة الناجية

الجواب: إنّنا عندما أبطلنا كون أهل السنّة هم الفرقة الناجية استناداً إلى الأدلّة العقلية، ولم يكن رأياً شخصياً فاقداً للمستندات، خلافاً لادّعاءات عبد

---

(١) كان هذا هو السؤال الخامس والأخير الذي وجّهوه للمؤلّف ﷺ، وقد ذكرناه في مطلع الجزء الأوّل ص٩ / المترجم.

القاهر البغدادي والشهرستاني الذين قالا بأنّ الفرقة الناجية هم الأشاعرة!! تعصّباً وانحيازاً وعناداً ولجاجاً.

كيف تكون الأشاعرة (فرقة ناجية) وهم يقولون بزيادة الصفات على الذات الإلهية وهو شرك صريح، ويقولون بتحقّق رؤية الله تعالى وهو كفر واضح كما أشرنا، ويقولون إنّ الله أجبر الإنسان على أفعاله الصالحة والطالحة وهو خلاف العدل وظلم صريح، وهكذا بالنسبة لغيرهم كالمعتزلة الذين قالوا بالتفويض وهو باطل مخالف لنصوص القرآن فكيف تخالف الفرقة الناجية القرآن والعقل ؟!

وفضلاً عن هذه المعتقدات الفاسدة فإنّ أبا الحسن الأشعري (المتوفي عام ٣٢٩هـ أو ٣٣٠هـ) أي أنّ بينه وبين النبي الأكرم فترة زمنيّة تبلغ ثلاثة قرون!! فكيف يصلح أن تكون فرقته فرقة ناجية ؟! وهو الذي نشر مثل هذه العقائد المخالفة لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى كفّره المعتزلة والحنابلة، فقد ذكر أبو الوليد محبّ الدين محمّد بن محمّد بن شحنة الحنفي (وهو قاضي الحنفية في حلب المتوفي عام ٨١٥هـ) في كتابه (تأريخ روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر) الذي كتبه عام ٣٢٩هـ: إنّ أبا الحسن الأشعري توفي في بغداد وقد دفن سرّاً في شرعة الزوايا وأُخفي قبره خوفاً من الحنابلة الذين كفّروه وأباحوا دمه أن ينشبوا قبره ويهينوا جسده!!، فكيف يصلح لأمثال هؤلاء أن يكونوا الفرقة الناجية ؟

سؤال: إذن نرجو أن تشرع في ذكر علامات الفرقة الناجية ؟

الجواب: أوّلاً: لا يُعقل من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أن يذكر حديث الافتراق ثمّ لا يذكر علامات هذه الفرقة الناجية، وهو صلى الله عليه وآله الذي ذكر السنن والآداب والشرائع بكلّ تفاصيلها الدقيقة.

ثانياً: الفرقة الناجية هي التي تتّصل بالله وبرسول الله صلى الله عليه وآله اتّصالاً معنوياً.

ثالثاً: عقائد الفرقة الناجية خالية من الشرك والكفر والخرافات والأوهام.

سؤال: وفي أيّ فرقة من فرق المسلمين تجد هذه الأمور؟

الجواب: هي الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بلا أدنى شكّ بالأدلّة العقلية والقرآنية، وهم أتباع الرسول وأهل بيته عليهم السلام.

سؤال: إنّ هذا مجرّد ادّعاء يجب عليك ذكر الأدلّة لإثباته؟

الجواب: الدليل الأوّل هو القرآن المجيد الذي يصرّح أنّ الفرقة الناجية هم عليّ عليه السلام وأتباعه وهم خير البرية.

سؤال: أرجو أن تذكر نصّ هذا الدليل مع التوضيح؟

الدليل الأوّل على أنّ الشيعة هم الفرقة الناجية

الجواب: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ. جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[١].

فقد أجمع الشيعة الإمامية أنّ الآية نزلت في حقّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأتباعه، وكذلك ذكر أكابر علماء السنّة ذلك:

مثل السيوطي (وهو من مفاخر أهل السنّة حتّى عدّوه مجدّد القرن التاسع) قال: أخرج ابن عساكر[٢] عن جابر بن عبدالله (وهو من كبار الصحابة) قال: كنّا عند النبيّ صلّى الله عليه وآله فأقبل عليّ عليه السلام فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته

---

(١) البيّنة: ٧ ـ ٨.

(٢) ذكر ابن خلكان في الوفيات والذهبي في التذكرة والخوارزمي في رجال مسند أبي حنيفة وفي طبقات الشافعية والحافظ أبو سعيد في تاريخه: أنّ ابن عساكر من الثقاة وهو فخر الشافعية وكان في زمانه إمام أهل الحديث كثير العلم غزير الفضل ثقة عرف بالتقوى، كان عَلَماً عند علماء أهل السنّة في عام ٥٥٠هـ / المؤلّف.

لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، فكان أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله إذا أقبل عليّ عليه السلام قالوا: جاء خير البرية[1].

وفي نفس التفسير أخرجه عن ابن عدي عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين[2].

وأخرجه عن ابن مردويه عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: ألم تسمع قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ...﴾ أنت وشيعتك موعدي وموعدكم الحوض[3].

وذكر ذلك أيضاً أبو المؤيّد موفّق بن أحمد الخوارزمي في الفصل ١٧ من المناقب، والحاكم أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله الحسكاني (وهو من فحول وأعلام المفسِّرين عند أهل السنّة) في شواهد التنزيل[4]، ومحمّد بن يوسف الكنجي الشافعي في باب ٦٢ من كفاية الطالب، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص بإسناده عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليّ عليه السلام قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مسنده إلى صدري فقال: ياعلي أما تسمع قول الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ هم أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا اجتمعتْ الأمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين[5]، وفي مناقب الخوارزمي مسنداً عن جابر قال: كنّا جلوساً عند رسول الله إذ أقبل علي بن أبي طالب فلمّا نظر إليه النبيّ قال: قد أتاكم أخي، ثمّ التفت إلى الكعبة فقال: وربّ هذه البنية إنّ هذا وشيعته هم

---

(١) و (٣) و (٤) الدرّ المنثور ج٦ ص٣٧٩ ط بيروت.

(٤) شواهد التنزيل ج٢ ص٣٥٦ تحقيق المحمودي ط الأعلمي بيروت.

(٥) المصدر نفسه والمناقب للخوارزمي الفصل التاسع في بيان أنّه أفضل الأصحاب ح١٠.

الفائزون يوم القيامة[١].

وذكره ابن حجر في الصواعق المحرقة عن الحافظ جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي المدني (وهو من فحول الفقهاء عند أهل السنّة) قال: لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي أنت وشيعتك خير البرية تأتي يوم القيامة أنت وشيعتك راضين مرضيين ويأتي عدوّك غضباناً مقمحين[٢].

فقال: مَن عدوّي؟ قال: مَن تبرّأ منك ولعنك[٣].

وذكر حديث خير البرية ابن الأثير في النهاية[٤] والعلّامة السمهودي في جواهر العقدين نقلاً عن الحافظ جمال الدين الزرندي المدني[٥]، ونور الدين علي بن محمّد بن أحمد المالكي المكّي المشهور بابن الصبّاغ في الفصول المهمّة عن ابن عبّاس: لمّا نزلت الآية قال رسول الله لعليّ عليه السلام: هو أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين[٦] مرضيّين ويأتي أعدائك غضباناً مقمحين[٧].

وممّا يدلّ بصراحة أكثر على أنّ الشيعة هم الفرقة الناجية ما ذكرته لكم سابقاً ـ في الجزء الأوّل ـ عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله عن الخوارج: ويخرجون على خير فرقة من الناس، أي أنّ الخوارج يخرجون ضدّ

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) أقول إلى هنا ذكره الشبلنجي في نور الأبصار ص٨٧ ط بيروت / المترجم.

(٣) الصواعق المحرقة ج٢ ص٤٦٧ في باب الآيات الواردة فيهم عليهم السلام ط: مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧م، وشواهد التنزيل ج٢ ص٣٥٧.

(٤) النهاية ج١، ص١٢٢، ط دار الكتب العلمية ١٩٩٧م.

(٥) جواهر العقدين ص٣١٥، ط بغداد.

(٦) (راضون)

(٧) الفصول المهمّة، ص١١٧ في مناقبه عليه السلام ط: دار الأضواء، بيروت عام ١٩٨٨م.

خير فرقة في الإسلام وهو عليّ عليه السلام وأتباعه، ثمّ قال أبو سعيد: أشهد أنّي سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله وأشهد أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام قاتلهم وأنّي معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتىٰ به فنظرت إليه على نعت النبيّ صلى الله عليه وآله الذي نعته[١].

فهو كما ترون صريح في أنّ الشيعة هم الفرقة الناجية الذين وقفوا معه في حربه ضدّ الخوارج حتّى نصروه عليهم.

هذا وقد ذكرت حديث خير البرية في كتاب ليالي بيشاور مع المصادر المتظافرة من أهل السنّة[٢].

الدليل الثاني على أنّ الشيعة هم الفرقة الناجية[٣]
إسناد حديث السفينة عن أبي ذرّ[٤]

وهو حديث السفينة، فقد شبّه النبيّ صلى الله عليه وآله أهل بيته بسفينة نوح عليه السلام وأنّ من اتّبعهم نجا ومن تخلّف وتأخّر عنهم هلك، وقد تواتر هذا الحديث عند

---

(١) أقول: ذكره المؤلّف رحمه الله في الجزء الأوّل من الفرقة الناجية ص٣٥٧ من الطبعة العربية مع المصادر فراجع / المترجم.

(٢) راجع ليالي بيشاور ص٨٤٦.

(٣) لقد خرّجتُ الحديث من المصادر التي ذكرها المؤلّف ولكن بطبعاتها الحديثة تقريباً / المترجم.

(٤) أبو ذرّ الغفاري صحابي جليل القدر عظيم المنزلة قال فيه النبيّ صلى الله عليه وآله: «ما أقلّت الغبراء وما أظلّت الخضراء على رجل أصدق لهجة من أبي ذرّ».

أنظر الحديث في الاستيعاب باب جندب ج١ ص٣٢١ رقم ٣٤٣ دار الكتب العلمية ١٩٩٥م، وقد ذكرنا تمام المصادر السنّية لهذا الحديث في الجزء الأوّل ص١٩٦ من الطبعة العربية فراجع / المترجم.

الفريقين، فقد ذكره كبار علماء أهل السنّة وإليكم بعض مصادر هذا الحديث:

١ ـ تهذيب الآثار للطبري.

٢ ـ المعجم الصغير للطبراني ص٧٨ ط الدهلي، وج١ ص١٣٩ ط مكتبة السلفية بالمدينة.

٣ ـ المستدرك للحاكم ج٣ ص ١٥٠ ط حيدر آباد الدكن.

٤ ـ المعارف لابن قتيبة ص٨٦ ط مصر، وعيون الأخبار ج١ ص ٢١١ ط مصر.

٥ ـ مسند الإمام أحمد [المجلّد الثالث، ص٣١٨، ط: دار الفكر].

٦ ـ منقبة المطهرين أبو نعيم الاصفهاني.

٧ ـ أسباب النزول للواحدي [ص٣٨٦، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١م].

٨ ـ تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي [ص٣٢٣ ط النجف].

٩ ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي [ص٣٧٨، ط: إيران ١٤٠٤هـ].

١٠ ـ فرائد السمطين للحمويني [ج٢ ص٢٤٤ رقم ٥١٨ ط بيروت]*.

١١ ـ نظم درر السمطين لجمال الدين الزرندي ص٢٢٥ ط القضاء.

١٢ ـ مودّة القربىٰ، المودّة ١٢ مير سيد علي الهمداني.

١٣ ـ الكاشف وهو شرح على المشكاة، حسن بن محمّد الطيّبي.

١٤ ـ هداية السعداء، الهداية الثانية من الفصل الثالث لملك العلماء دولة آبادي.

١٥ ـ الفصول المهمّة ص ١٠ لابن الصبّاغ المالكي.

١٦ ـ شرح الديوان[1] للميبدي ص١٨٩ مخطوط.

١٧ ـ الدرّ المنثور ج١ عند قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا

(*) ما بين المعقوفتين تخريج على وفق المطبوع حديثاً / المترجم.

(١) أي الديوان المنسوب للإمام علي عليه السلام / المترجم.

حِطَّةٌ..﴾[١].

١٨ ـ جواهر العقدين للسمهودي [ص ٢٦٠ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥م].

١٩ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر ص١٨٤ ط عبد اللطيف بمصر، [وج ٢ ص ٦٧٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧م].

٢٠ ـ كنز العمّال للمتّقي الهندي ج١٣ ص٨٢ ط حيدر آباد الدكن.

٢١ ـ المرقاة في شرح المشكاة[٢] لملّا علي القاريْ.

٢٢ ـ ينابيع المودّة للبلخي الحنفي في الباب الرابع ص٢٨ ط اسلامبول.

عن مشكاة المصابيح وعن أبي الطفيل وأبي يعلى وأحمد بن حنبل وسعيد بن المسيب وابن المغازلي الشافعي والثعلبي السمعاني وسليم بن قيس الهلالي كلّهم بعبارات وألفاظ مختلفة عن الصحابي الصادق المصدّق أبي ذرّ الغفاري أنّه كان في المسجد الحرام وهو آخذ بباب الكعبة وحوله الناس فقال: مَن عرفني فقد عرفني ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ سمعت النبيّ ﷺ يقول: ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح مَن دخلها نجىٰ ومن تخلّف عنها هلك.

وفي بعض الألفاظ: من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق.

وقال ﷺ كما في بعض الألفاظ: وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل مَن دخله غفر له الذنوب[٣].

---

(١) البقرة: ٥٨.

(٢) المشكاة للعلّامة الخطيب التبريزي وعليه عدّة شروحات منها المرقاة للعلّامة علي بن سلطان محمد القاريْ الذي ذكره المؤلّف ﷺ، والحديث موجود في ج ١١ ص٣٩٩ طبعة ملتان، وفي غيرها ج ١١ ص٥٥٢ / المترجم.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص١٤٨ رقم ١٧٣ ومابعده، دار الأضواء بيروت ١٩٩٢م.

إسناد حديث السفينة عن ابن عبّاس وكبار الصحابة

١ ـ منقبة المطهرين لأبي نعيم الاصفهاني.

٢ ـ الانباء على قبائل الرواة لابن عبد البرّ.

٣ ـ المناقب لابن المغازلي ص١٣٢ ط طهران.

٤ ـ والملّا في سيرته.

٥ ـ تفسير الدرّ المنثور.(١)

٦ ـ ذخائر العقبى للطبري ص ٢٠ ط مكتبة القدسي بمصر.

٧ ـ الجامع الصغير للسيوطي ص ٤٦٠ ط مصر.

وإحياء الميّت المطبوع بهامش الاتحاف ص١١٣ ط مصطفى الحلبي بمصر.

٨ ـ منتخب كنز العمّال المطبوع بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٩٢ ط الميمنية بمصر.

٩ ـ وسيلة المآل لأحمد بن الفضل المكّي، تجده ضمن مناقب الآل ص٦٣.

١٠ ـ ينابيع المودّة ص١٨٧ وص١٩٣ ط اسلامبول(٢).

وقد روي هذا الحديث المتواتر عن أبي سعيد وعبدالله بن الزبير وأنس بن

---

(١) أخرج السيوطي هذا الحديث في سورة البقرة عند تفسيره لقوله تعالى (وادخلوا الباب سجّداً وقولوا حطّة نغفر لكم خطاياكم).

(٢) وقد ذكر المؤلّف ﷺ حديث السفينة مع مصادره من كتب السنّة في كتابه ليالي بيشاور ص١٧٩ فراجع لمزيد الفائدة /المترجِم.

مالك وغيرهم، وأعلى من الجميع أنّه روي مسنداً عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في عدّة مواقع حسب الظروف منها في حديث المناشدة في رحبة الكوفة وقد ذكره المتّقي الهندي في كنز العمّال ضمن تفسيره لسورة هود عن عبّاد بن عبدالله الأسدي قال: كنّا في رحبة الكوفة عند عليّ عليه السلام فجاءه رجل وسأله عن هذه الآية: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾[1] فقال عليه السلام: ما من رجل من قريش جرت عليه الموسىٰ إلّا قد نزلت فيه طائفة من القرآن، والله لأن يكونوا يعلموا ما سبق لنا أهل البيت على لسان النبيّ الأمّي صلى الله عليه وآله أحبّ إليّ من أن يكون لي ملئ هذه الرحبة ذهباً وفضّة والله إنّ مثلنا في هذه الأمّة كمثل سفينة نوح في قوم نوح وإنّ مثلنا في هذه الأمّة كمثل باب حطّة في بني إسرائيل[2].

وقد ذكر هذا الحديث أكابر أهل السنّة بطرق مختلفة منهم المتعصّب العنيد الذي أجرى الله الحقّ في قلمه لتتمّ عليه الحجّة، فقد ذكر في صواعقه: وجاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً: إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، وفي رواية مسلم: ومن تخلّف عنها غرق، وفي رواية: هلك، وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل مَن دخله غُفر له، وفي رواية: غفر له الذنوب[3].

وذكر حديث السفينة محمّد بن إدريس أحد الأئمّة الأربعة عند أهل السنّة ذكره عنه إبراهيم بن محمّد الحمويني في الفرائد[4].

---

(١) هود: ١٧.

(٢) أُنظر كنز العمّال تفسير سورة هود والصواعق المحرقة ج٢ ص٦٧٥ ط مؤسسة الرسالة ١٩٩٧م.

(٣) الصواعق المحرقة ص٩٣ باب ١١ الآية رقم ٧، وفي الطبعة الجديدة ج٢ ص٦٧٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧م.

(٤) فرائد السمطين [ج٢، ص٢٤٢، ط: مؤسسة المحمودي بيروت ١٩٧٨م].

وقد ذكر العلّامة الفاضل العجيلي في ذخيرة المآل أبيات شعر للإمام الشافعي يشير فيها إلى صحّة حديث السفينة:

ولمّا رأيت الناس قد ذهبت بهم
مذاهبهم في أبحر الغيّ والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا
وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرُسل
وأمسكت حبل الله وهو ولائهم
كما قد أُمرنا بالتمسّك بالحبلِ
إذا افترقت في الدِّين سبعون فرقة
ونيفاً على ما جاء في أوضح النقل
ولم يك ناجٍ منهم غير فرقة
فقل لي بها يا ذا الرجاحة والعقل
أفي الفرقة الهلاك آل محمّد؟
أم الفرقة اللآتي نجت منهم قل لي
فإن قلت في الناجين فالقول واحد
وإن قلت في الهلّاك حفت عن العدل
إذا كان مولى القوم منهم فإنّني
رضيت بهم لا زال في ظلّهم ظلّي
رضيت عليّاً لي إماماً ونسله
وأنت من الباقين في أوسع الحلِّ

وقد تذكرتُ الآن أبيات العدوّ اللدود لأمير المؤمنين علي عليه السلام ولأهل البيت كافّة ألا وهو عمرو بن العاص، والفضل ما شهدت به الأعداء كما يقول معاوية عليه الهاوية، ليتّضح لكم الحقّ أكثر فأكثر ولتنجلي سُحب الجاهلية والتضليل

عن صفحات عقولكم أيّها المثقّفون المتنوّرون وتعرفوا حقّ آل محمّد صلى الله عليه وآله.

ذكر أبو محمّد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليمني في كتاب (الإكليل) وجمال الدين المحدّث الشيرازي في كتاب (تحفة الأحبّاء من مناقب آل العبا) أنّ معاوية كان يوماً مع صناديد أهل الشام وبيده درّة كبيرة فقال لهم: أيّكم يخبرني عن عليّ بن أبي طالب، فبدأ كلّ واحد باللعن والسبّ والشتم حتّى وصل الدور إلى عمرو بن العاص فأنشد قائلاً:

بآل محمّد عُرف الصوابُ ... وفي أبياتهم نزل الكتابُ
وهم حجج الإله على البرايا ... بهم وبجدّهم لا يُستراب
ولاسيّما أبا حسنٍ عليّاً ... له في العلم مرتبةٌ تُهابُ
إذا نادت صوارمه نفوساً ... فليس لها سوى نعم جوابُ
طعام سيوفه مهج الأعادي ... وفيض دم الرّقاب لها شرابُ
ومن لم يبر من أعدا عليّ ... فليس له النجاة ولا ثوابُ
أمير المؤمنين عليّ ذخري ... شفيعٌ لي إذا قام الحسابُ
هو الفردوس لا يخفى عليكم ... هو الساقي على الحوض الشرابُ
هو النبأ العظيم وفلك نوحٍ ... وباب الله وانقطع الخطابُ

فناوله الدرّة وقال:

وملـيحة شـهدت لهـا ضـرائـها　　　والفضل ما شهدت بـه الأعـداء

نتيجة الدليل الأوّل والثاني

إنّ قولهﷺ: من ركبها نجا يعني من اتّبع أهل البيتعليهم السلام في كلّ شيء نجا وقد عرفتم منذ بداية الحوار أنّ هناك فرقة واحدة ناجية، وعرفتم من حديث السفينة أنّ أهل بيت رسول اللهﷺ هم الناجون فقط، وأخبرﷺ في حديث السفينة أنّ من أحبّهم واتّبعهم ينجو بواسطتهم، وواضح لدى جميع المسلمين أنّه فقط الشيعة الإمامية يحبّون ويتابعون أهل بيت النبيّﷺ ولا أحد سواهم، فهم الفرقة الناجية.

ردّ شبهة أهل السنّة
ومزاعمهم في حبّ أهل البيتعليهم السلام

ومن هذا المنطلق حاول علماء أهل السنّة أن يُوهموا الناس أنّهم من محبّي أهل البيتعليهم السلام بل صنّفوا الكتب في فضائلهم أيضاً مع أنّ سلاطينهم وخلفائهم (أمثال معاوية وعمرو بن العاص..) كانوا يلعنون أمير المؤمنين علي والحسن والحسينعليهم السلام على المنابر وهم سادة أهل البيتعليهم السلام، فكيف يجتمع هذا مع ذاك؟ أم كيف يُساوى بينهم وبين أعدائهم؟! وهم الذين يعترف لهمعليهم السلام الحسن البصري بالحقّ والفضل فقد كتب للحسن بن عليّعليهما السلام ذات مرّة: السلام عليك يابن رسول الله ورحمة الله وبركاته وبعد فأنتم معاشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة ومصابيح الدُّجىٰ وأعلام الهدىٰ والأئمّة القـدوة الذيـن مـن تبعهم نجا كسفينة نوح المشـحونة التـي يـؤول إليـها المـؤمنون ويـنجو فـيها المتمسِّكون، فأنتم ذرّيةٌ بعضها من بعض بعلم الله علمتم وهو الشاهد عليكم

وأنتم شهداء على الناس أنتم شهداء على الناس، أنتم شهداء على الناس[١].

والمهمّ أنّهم ـ أهل السنّة ـ يحاولون إظهار أنفسهم بأنّهم يحبّون أهل البيت عليهم السلام وبالتالي فهم قد ركبوا سفينة النجاة.

والجواب عن هذه المزاعم الباطلة يحتاج إلى مقدّمة تأريخية صغيرة [...][٢] وهي أنّ النبيّ نوح عليه السلام لمّا عرف العناد من قومه وأنّه لا يؤمن منهم إلّا مَن آمن فقط وتعرّض لأنواع العذاب من أتباعه دعا ربّه قائلاً: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[٣] ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾[٤] فنزل عليه الوحي ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[٥] فشرع نوح بصناعة السفينة وكان طولها ألف ومائتي ذراع وعرضها ثمانين ذراعاً وارتفاعها ثمانين ذراعاً وكان فيها غرف خاصّة للمؤمنين، وأماكن خاصّة للحيوانات، وقد أمضى في صناعتها سنتين، ثمّ جاءه الخطاب الإلهي العظيم أن يحمل فيها من آمن بالله إيماناً خالصاً فكانوا سبعين أو ثمانين، وحمل فيها من الحيوانات من كلٍّ زوجين اثنين، وتهيّأ كلّ شيء.

يقول الشيخ إسماعيل حقّي وهو من مفسّري أهل السنّة في تفسير روح البيان: إنّ الله أنطق السفينة فقالت: لا إله إلّا الله في الأوّلين والآخرين أنا السفينة

---

(١) هداية السعداء، الهداية ٤ ملك العلماء القاضي شهاب الدين دولة آبادي نقلاً عن كتاب كشف المحجوب / المؤلّف.

(٢) [...] سرد المؤلّف ﷺ أحداث أوّل انحراف منذ بداية الخلقة إلى أن وصل إلى قصّة نوح وقد عزفتُ عن ترجمته إذ لا علاقة له بما نحن فيه / المترجم.

(٣) القمر: ١٠.

(٤) نوح: ٢٦.

(٥) هود: ٣٦ ـ ٣٧.

التي من ركبني نجا ومن تخلّف عنّي هلك ولا يدخلني إلّا أهل الإيمان والإخلاص[١].

فيظهر أنّ الذين نجوا في السفينة كانوا من أهل الإيمان والإخلاص لا من المحبّين فقط، إذ لا يكفي الحبّ هنا، بدليل أنّ نوحاً كان يحبّ ابنه وبالعكس وهكذا كان يحبّ زوجته وبالعكس ولكن لم ينفعهما هذا الحبّ إذ لم يكونا من المؤمنين المخلصين، لأنّ أعمالهم التي ارتكبوها منعت من فاعلية الحبّ، ولذلك قال الله تعالىٰ مخاطباً نوح: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٢].

وقوله: ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ دليل على أنّ الإيمان الخالص هو الملاك في النجاة وهو الأساس في الخلاص، ولا يكفي الحبّ المعبّر عنه بلقلقة اللسان بدليل قوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[٣] فجعل سبحانه وتعالىٰ قيد الإيمان هو الملاك في الاتّصال النسبي حتّىٰ مع الأنبياء عليهم السلام، ثمّ إنّ هذا الإيمان يجب أن يكون خالصاً مخلصاً مقروناً بالعمل الصالح المطابق لعمل النبيّ عليه السلام، ولذلك نقل صاحب روح المعاني كلام السفينة التي نطقت بإذن الله: (لايدخلني إلّا أهل الإيمان والإخلاص).

والآن نأتي إلى ما نحن فيه من ردّ الشبهة:

حيث يزعم أهل السنّة أنّهم محبّون لأهل البيت عليهم السلام وبالتالي يعتبرون أنفسهم قد ركبوا سفينة النجاة أو أنّهم الفرقة الناجية بنجاة أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله.

---

(١) روح البيان ج٤ ص١٢٤ ط دار الفكر بيروت.

(٢) هود: ٤٠.

(٣) هود: ٤٥ ـ ٤٦.

والحال أنّ مزاعمهم هذه مجرّد حبّ ساذج يخالفونه في أعمالهم حيناً وفي مقالاتهم حيناً آخر[1]، إذ لا توجد أي مشابهة عملية بين أعمالهم وأعمال أهل البيت عليهم السلام، وبتعبير آخر لا يوجد في قلوبهم الإيمان الخالص بأهل البيت عليهم السلام.

إذن فكما أنّ سفينة نوح عليه السلام كانت سبباً للتمييز بين المؤمن الخالص وغيره، كذلك أهل البيت عليهم السلام سبباً للتمييز، فكلّ من اتّبعهم في أفعالهم وسار وفق منهجهم وطريقتهم في الحياة فقد نجىٰ، وكلّ من أحبّهم بلسانه وخالفهم في الطريقة فقد هلك وغرق، وقد ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله هذه الحقيقة بشكل واضح وجلي في حديثه الذي ذكره الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودّة عن فرائد السمطين للحمويني مسنداً عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا علي أنا مدينة العلم وأنت بابها ولن تُؤتىٰ المدينة إلّا من قبل الباب وكذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك، لأنّك منّي وأنا منك، لحمك لحمي ودمك من دمي وروحك من روحي وسريرتك من سريرتي وعلانيّتك من علانيّتي، سعد مَن أطاعك وشقي مَن عصاك، وربح مَن تولّاك، وخسر مَن عاداك، فاز من لزمك، وهلك من فارقك، مثلك ومثل الأئمّة من ولدك بعدي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق ومثلكم كمثل النجوم كلّما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة»[2].

---

(١) وقد يجري الحقّ على أقلامهم بقدرة الله تعالى لإتمام الحجّة عليهم كما يقول ابن حجر في صواعقه: «ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مرّ أنّ مَن أحبّهم وعظّمهم شكر النعمة مشرفهم صلى الله عليه وآله وأخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومَن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان».

أقول: ذكره المصنّف في المتن وأدرجته في الهامش / المترجم.

(٢) ينابيع المودّة الباب الرابع ص٢٧ ط الأعلمي بيروت اوفست على الطبعة الأولى في اسلامبول بإذن نظارة المعارف.

وعلى غرار هذا الحديث توجد العشرات لكنّنا نعرض عنها خشية الإطالة عليكم، لاسيما وأنّ هذا القليل يفي بالغرض ويوّضح أنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام لا يكفي بدون متابعتهم في السرّ والعلن ولزومهم وعدم مفارقتهم وإطاعتهم وعدم عصيانهم أو معاداتهم فهذا هو ملاك حبّهم عليهم السلام.

وأمّا التهريج بالأكثرية كما يطبّل بها أهل السنّة فهي ليست ملاك الحقّ، لأنّ التأريخ القرآني والبشري يخبرنا أنّ الأكثرية كانت مع الباطل دائماً كما هو الحال في قوم نوح عليه السلام وما آمن معه إلّا قليل، بل تجد هذه الحالة في جميع الأُمم تقريباً، فالأكثرية من الناحية العقلية والنقلية لا تصلح دليلاً للجزم بأنّهم على حقّ، بل الأقلّية كانت أكبر شاهد على الحقّ على مرّ التأريخ.

إذن ملاك الحقّ والباطل ليس هو الأكثر والأقلّ بل الدليل والبرهان والمنطق والمبادئ الشريفة هي ملاك الحقّ، وعليه فلا تغرّكم ألفاظ (أهل السنّة) و(الجماعة) و(جماعة المسلمين).. الخ.

وأمّا إدّعائهم حبّ أهل البيت عليهم السلام باللسان فهو لا يكفي بل للحبّ شرائط على الرغم من أنّه أمر قلبي ولكن الآثار والأفعال الظاهرية تدلّل على ذلك الأمر القلبي. فقد ذكر علماء الأخلاق أنّ من شرائط الصداقة والحبّ أن يحبّ المحبّ صديق محبوبه أو صديقه ويعادي عدوّه، لا أنّه يحبّ عدوّ محبوبه ويعادي محبّ محبوبه أو صديقه فهذا خلاف الأخلاق والأدب ولذلك قال الشاعر:

تودّ عدوّي ثمّ تزعم أنّني ... صديقك إنّ الرأي لعازب

وهذا ما ينطبق على أهل السنّة تمام الانطباق فإنّهم يزعمون حبّ أهل البيت عليهم السلام ولكنّهم بنفس الوقت يحبّون ويتابعون أعدائهم بل ويمدحون أعداء أهل البيت عليهم السلام أكثر من مدحهم لأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله ويدافعون عن أعدائهم أكثر من دفاعهم عن أهل البيت!!

ونحن لا نفهم أيّ علاقة هذه؟ وأيّ حبّ هذا؟ إنّه مجموعة من التناقضات إذ كيف يتسنّىٰ للإنسان أن يحبّ النبيّ ﷺ وأهل بيته وبنفس الوقت يحبّ أعداء النبيّ وأهل بيته والمحاربين والظالمين لهم والغاصبين لحقوقهم والطامسين لآثارهم وفضائلهم والقاتلين لهم والمريقين دمائهم؟

أين هذا من قاموس الحبّ؟

والعجيب أنّهم ـ أهل السنّة ـ سَخّروا أقلامهم المأجورة للدفاع عن بني أُميّة وبني العبّاس وستر فضائحهم وإعلاء شأنهم وترقيع أفعالهم القبيحة والفظيعة مع أنّهم من ألدّ الأعداء لآل البيت عليهم السلام، ولذلك تراهم في مصنّفاتهم ـ أهل السنّة ـ يحاولون تصحيح الأفعال السيّئة لخلفاء الجور، ومن أبرز هؤلاء ابن تيمية وابن حجر وابن الجوزي والغزالي وروزبهان وهؤلاء كلّهم من النواصب تُشمّ رائحة الأموية من سطورهم الخبيثة حيث يدافعون بكلّ بسالة بأقلامهم عن أعداء أهل البيت عليهم السلام وبنفس الوقت يزعمون ويعدّون أنفسهم من جملة المحبّين، فحقّاً أنّ أمرهم لعجيب، وأعجب منه روايتهم في كتبهم المعتبرة حديث رسول الله ﷺ مكرّراً: «فاطمة بضعةٌ منّي فمن أغضبها أغضبني»[1]، وقال ﷺ: «إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني مَن آذاها»[2]، وقال ﷺ: «إنّها بضعة منّي يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها»[3].

---

(١) صحيح البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب ١٢ مناقب قرابة رسول الله ﷺ رقم ٣٧١٤ ج٦ ص٩٧.

(٢) سنن الترمذي كتاب المناقب باب ٦١ رقم ٣٨٦٩ ثمّ قال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) ينابيع المودّة باب ٥٥ عن الترمذي في كتاب المناقب باب ٦١ فضل فاطمة رقم ٣٨٦٧ ج٥ ص٦٩٨.

ومقابل هذه الروايات التي تشير إلى عظمة مقام فاطمة الزهراء عليها السلام يذكرون هذه الرواية في أصحّ كتبهم: فوجدتْ (أي حزنت وغضبت) فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت وعاشت بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ستّة أشهر، فلمّا توفّيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها[1].

وذكر أحمد بن حنبل في مسنده وابن قتيبة في الإمامة والسياسة قول فاطمة عليها السلام حينما جاء أبو بكر وعمر (بعد غصبهما حقّها) لعيادتها في منزلها قالت لهما: ألم تسمعا قول رسول الله صلى الله عليه وآله: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني ومن أرضىٰ فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: أُشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبيّ لأشكونّكما إليه[2].

فكيف يروون فضائل فاطمة عليها السلام ويعلمون أنّ غضبها غضب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وبنفس الوقت يهضم حقّها ويتسبّب في إغضابها أبو بكر وعمر؟ وأهل السنّة اليوم يقدّسون الأوّل والثاني أكثر من تقديسهم لفاطمة كما هو واضح لا ينكره أحد، فأيّ تناقض هذا؟ وأي تهافت هذا؟ وأيّ اجتهاد هذا؟ إنّه اجتهاد مقابل النصّ الذي يرويه ثقاتهم!!

وهكذا تجد تناقضهم في ادّعائهم حبّ عليّ عليه السلام أمير المؤمنين مع حبّهم وتمسّكهم لأعداء علي عليه السلام مثل طلحة والزبير وعائشة الذين خرجوا ضدّه في حرب الجمل وأجمع المسلمون كافّة أنّ عليّاً عليه السلام كان علىٰ حقّ في كلّ حروبه،

---

(١) صحيح البخاري ج٥ ص١٧٧ أواخر باب خيبر، وج٨ ص١٨٥ باب ٢ من كتاب الفرائض ط محمّد علي صبيح وأولاده بمصر.

(٢) الإمامة والسياسة ج١ ص١٣ وما بعدها ط مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

وما دام الحقّ مع عليّ عليه السلام دائماً فمَن حاربه كافر ومنافق إذ لا توجد منزلة بين الحقّ والباطل لاسيما والذين حاربوه كانوا أكثر الناس معرفة بعظمته ومنزلته، فهم المسؤولون عن كلّ دم أُريق ظلماً وعدواناً، ولكن مع وضوح ذلك فإنّ أهل السنّة يحملون أعمال أعداء علي عليه السلام على الصحّة ويدافعون عنهم بكلّ شدّة وحماس!!

وأيضاً حبّهم لمعاوية عليه الهاوية العدوّ التقليدي لأمير المؤمنين علي عليه السلام وحبّهم لعمرو بن العاص وهما من أكبر الفتن، وأشهر السفّاكين الذين قتلوا الأبرياء تلو الأبرياء من محبّي الإمام علي عليه السلام أمثال حجر بن عدي وعمّار وغيرهما وقد مرَّ ذلك سابقاً.

فأهل السنّة يحبّون معاوية.. الذي سنَّ السبّ واللعن لعليّ خليفة المسلمين على المنابر وفي الخطب والصلوات وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبَّ الله[1].

ويزعمون حبّهم لسبط رسول الله صلى الله عليه وآله الأكبر الإمام الحسن ويعترفون أنّه سيّد شباب الجنّة ولكن بنفس الوقت يحبّون إلى جانبه قاتله وعدوّه، معاوية بن أبي سفيان (الملعون)[2] ويعتبرونه ـ معاوية ـ خليفة المسلمين ويدفعون عنه المثالب والحقائق المخزية.

وهكذا يحبّون بقيّة الأئمّة ولكن يجعلونهم في مصاف ملوك بني أُميّة الملعونين أو بني العبّاس، مع أنّه لم يضطهد ويقتل الأئمّة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام غير هؤلاء الملوك الجبابرة.

فاقضوا بعقولكم في مثل هذه التناقضات واحكموا بالإنصاف؟!

---

(١) ذكره المؤلّف مع مصادره في الجزء الأوّل ص ٣٢٠ / المترجم.

(٢) تطرّق لذلك المؤلّف في الجزء الأوّل ص ٢٥٤ / المترجم.

وألفت نظركم إلى أنّ علمائكم ينقلون الروايات والأحاديث عن الكذّاب والوضّاع والمجهول والخارجي والناصبي و... ولكنّهم لا ينقلون عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام إلّا الشيء النادر جدّاً جدّاً، ويتّبعون أهل الضلالات أمثال الأشعري وواصل بن عطاء وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل والشافعي، ولكن لا يتابعون أئمّة أهل البيت عليهم السلام مع أنّهم باب علم النبيّ صلى الله عليه وآله وسفينة النجاة الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معاشر أصحابي أنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح وباب حطّة في بني إسرائيل فتمسّكوا بأهل بيتي بعدي الأئمّة الراشدين من ذرّيتي فإنّكم لن تضلّوا أبداً، فقيل: يارسول الله كم الأئمّة بعدك؟ قال: اثنا عشر من أهل بيتي أو قال: من عترتي(١).

إذن فالمطلوب أوّلاً هو الحبّ الخالص لأهل البيت عليهم السلام أي بدون حبّ النقيض، بل البراءة منه، وثانياً متابعة أهل البيت عليهم السلام في الأصول والفروع والاعتقادات والأحكام فهذا معنى الشيعي.

إذن تحصّل ممّا سبق أنّ النجاة لا تتحقّق بالحبّ المجرّد ـ لقلقة اللسان ـ ولا بالحبّ مع النقيض ـ حبّ الأعداء ـ ولا بالحبّ بلا متابعة وعمل فهذا مفاد حديث السفينة الذي نقلناه لكم من مصادر أهل السنّة ويمكنكم مراجعته في الدورة النفيسة (عبقات الأنوار) المجلد ١٢ المختصّ بإمامة أهل البيت عليهم السلام للعلّامة مير سيّد حامد الهندي.

الدليل الثالث على أنّ الشيعة هم الفرقة الناجية

ومن جملة الأدلّة على كون الشيعة الإمامية هم الفرقة الناجية حديث الثقلين الذي نقله علماء أهل السنّة بألفاظ مختلفة، وقد ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله في هذا الحديث

---

(١) مسند الفردوس للديلمي ج ١، ص ٤٩٤، ط دار الكتاب العربي ١٩٨٧.

أنّ أهل بيته توأم القرآن وأنّهم طريق الهداية الوحيد الذي لايوجد غيره وأمر المسلمين بوجوب متابعتهم والتمسّك بهم(١).

سؤال: لماذا تختلف ألفاظ الحديث، هل أنّه صلى الله عليه وآله بيّنه بأساليب مختلفة؟

الجواب: أوّلاً: قد يأتي الاختلاف في الألفاظ من السامعين لعدم ضبطهم أو حفظهم لكلمات الحديث، وهذا يختلف باختلاف الاستعداد البشري.

ثانياً: وقد يكون الاختلاف بسبب بُعد أو قرب السامع من النبيّ صلى الله عليه وآله، فالقريب قد يسمع نصّ الحديث بينما يسمع البعيد شيئاً آخر لاسيما في المواقف العظيمة مثل عرفات أو غدير خمّ فقد ذكر المؤرّخون أنّ المسلمين الذين وقفوا في غدير خمّ كانوا أكثر من مائة ألف، فالبُعد والقرب له أثر في السماع.

ثالثاً: وقد يكون اختلاف العبارة بسبب البيانات المتكرّرة من النبيّ صلى الله عليه وآله في مواطن ومواقف عديدة، كان يكرّر الحديث بألفاظ أُخرىٰ مع وحدة المضمون والمعنىٰ، فهذه أسباب اختلاف العبارات في الروايات، وما نحن فيه من حديث الثقلين من هذا القبيل فقد ذكر المتعصّب العنيد ابن حجر المكّي في صواعقه: إعلم أنّ لحديث التمسّك بذلك (أي الثقلين) طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيّاً، ومرَّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال صلى الله عليه وآله ذلك بحجّة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنّه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنّه قال صلى الله عليه وآله ذلك بغدير خمّ، وفي أخرى أنّه قال لمّا قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مرّ، ولا تنافي إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن

---

(١) أقول: لقد ذكر المؤلّف رحمه الله حديث الثقلين في كتابه ليالي بيشاور ص ١٧٠ / المترجم.

الكتاب العزيز والعترة الطاهرة[١].

سؤال: قلتم إنّنا مأمورون بوجوب متابعة أهل البيت عليهم السلام والتمسّك بهم، فهل وردت هذه الألفاظ (المتابعة) (التمسّك) في نصّ الحديث أم لا؟

الجواب: الأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّاً، ولكنّنا نذكر لكم بعض ألفاظ حديث الثقلين كنماذج من مصادر أهل السنّة، فضلاً عن كتب الشيعة:

١ ـ ذكر ملك العلماء دولة آبادي في مناقب السادات قال: ذكر في المشارق والمصابيح وشرف النبوّة للخرگوشي، والدرر، وتاج الأسامي وغيرها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي فإن **تمسّكتم** بهما لن تضلّوا من بعدي»[٢].

٢ ـ ذكر رزين بن معاوية عبد الري في الجمع بين الصحاح الستّة عن زيد ابن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «إنّي تارك فيكم ما إن **تمسّكتم** بهما لن تضلّوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتّىٰ يردا عَلَيَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٣].

٣ ـ ذكر أبو عبدالله محمد بن مسلم بن أبي الفوارس الرازي في الأربعين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي فهما خليفتان بعدي أحدهما أكبر من الآخر، سبب موصول من السماء إلى الأرض فإن **استمسكتم** بهما لن تضلّوا فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض يوم القيامه فلا تسبقوا أهل بيتي بالقول فتهلكوا ولا تقصروا عنهم

---

(١) الصواعق المحرقة، ج٢، ص٥٤٣ ط مؤسسة الرسالة.

(٢) تقدّم مصدر هذا الحديث.

(٣) تقدّم مصدر هذا الحديث.

فتذهبوا فإن مثلهم فيكم كمثل سفينة نوح مَن ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك، مثلهم فيكم كمثل باب حطّة في بني إسرائيل مَن دخله غفر له... ألا وأنّ الله فرض لهم الطاعة على الفرق والجماعة فمن **تمسّك** بهم سلك ومن حاد عنهم هلك».

٤ ـ ذكر ملك العلماء دولة آبادي في كتاب هداية السعداء نقلاً عن كتاب الحقائق للشيخ فخر الدين هانسوي عن زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال بعد رجوعه من حجّة الوداع ووقوفه بغدير خمّ «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي إن **تمسّكتم** بهما لن تضلّوا من بعدي».

٥ ـ ذكر السيّد محمّد بن السيّد جلال البخاري في خطبة المقالة الأولى من تذكرة الأبرار هذا الحديث: الحمد لله الذي شرّف السادات بخطاب ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] وأنزل في حقّهم لتعظيم قدرهم: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[2]، والصلاة والسلام على النبي الأُمّي الذي ذكر أولاده لعلوّهم في الشأن مساوياً بالقرآن حيث قال: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي فإن **تمسّكتم** بهما لن تضلّوا بعدي.

٦ ـ وذكر الشيخ صالح بن مهدي بن علي المقبلي الصنعاني في ملحقات أبحاثه المسدّدة ضمن بيانات مفصّلة قول النبي صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن **تمسّكتم** بهما لن تضلّوا من بعدي أبداً، إنّ اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلّفوني فيهما».

٧ ـ وذكر أحمد بن عبد القادر بن بكري العجيلي الشافعي في ذخيرة المآل

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الشورىٰ: ٢٣.

في الآية ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[١] قول النبيّ صلى الله عليه وآله : «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن **تمسّكتم** بهما لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي إنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلّفوني فيهما».

٨ ـ ذكر الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودّة نقلاً عن المناقب عن كتاب سليم بن قيس أنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم عرفة وهو على ناقته القصوىٰ وفي مسجد الخيف ويوم الغدير ويوم وفاته «أيّها الناس إنّي تركت فيكم الثقلين لن تضلّوا ما **تمسّكتم** بهما الأكبر منهما كتاب الله والأصغر عترتي أهل بيتي وأنّ اللطيف الخبير عهد إليَّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض كهاتين أشار بالسبّابتين، ولا أنّ أحدهما أقدم من الآخر، **فتمسّكوا** بهما لن تضلّوا ولا تقدموا منهم ولا تخلفوا عنهم ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»[٢].

٩ ـ وجاء في المناقب عن أحمد بن عبد الله بن سلام عن حذيفة بن اليمان الصحابي أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن صلّى بنا الظهر: «معاشر أصحابي أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته وأنّي أُدعىٰ فأُجيب وأنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن **تمسّكتم** بهما لن تضلّوا وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض فتعلّموا منهم ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم».

١٠ ـ وأيضاً عن عطاء بن السائب عن أبي يحيىٰ عن ابن عبّاس نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله خطبة قال فيها: «يا معشر المؤمنين إنّ الله عزّوجلّ أوحى إليَّ أنّي

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) ينابيع المودّة ج١ باب ٤ ص٣٦.

مقبوض أقول لكم قولاً إن عملتم به نجوتم وإن تركتموه هلكتم، أنّ أهل بيتي وعترتي هم خاصّتي وحامتي وأنّكم مسؤولون عن الثقلين كتاب الله وعترتي إن **تمسّكتم** بهما لن تضلّوا فانظروا كيف تخلّفوني فيهما».

١١ ـ وأيضاً عن المناقب عن أبي ذرّ الغفاري قال: قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص «هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض وأنّكم لن تضلّوا إن اتّبعتم **واستمسكتم** بهما؟ قالوا: نعم».

١٢ ـ وذكر العلّامة السمهودي في جواهر العقدين وسليمان الحنفي في ينابيع المودّة عن حلية الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني وغيره عن أبي الطفيل أنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام خطب خطبة حمد الله فيها وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أنشد الله من شهد يوم غدير خمّ إلّا قام ولا يقوم رجل يقول نبئت أو بلغني إلّا رجل سمعتْ أُذناه ووعاه قلبه فقام سبعة عشر رجلاً منهم خزيمة بن ثابت وسهل بن سعد وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر وأبو أيّوب الأنصاري وأبو سعيد الخدري وأبو شريح الخزاعي وأبو قدامة الأنصاري وأبو يعلىٰ الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان ورجال من قريش فقال علي: هاتوا ما سمعتم؛ فقالوا: نشهد أنّا أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع نزلنا بغدير خمّ ثمّ نادىٰ بالصلاة فصلّينا معه ثمّ قام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس ما أنتم قائلون، قالوا: قد بلّغت قال: اللّهمّ اشهد ثلاث مرّات ثمّ قال: إنّي أوشك أن أُدعىٰ فأُجيب وأنّي مسؤول وأنتم مسؤولون ثمّ قال: أيّها الناس إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن **تمسّكتم** بهما لن تضلّوا فانظروا كيف تخلّفوني فيهما وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض نبأني بذلك اللطيف الخبير... الخ[1].

---

(١) ينابيع المودّة ج١ الباب الرابع ص٣٦.

١٣ ـ وأيضاً ذكر أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد بن حميد بسند جيّد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّي تارك فيكم ما إن **تمسّكتم** به لن تضلّوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»[١].

١٤ ـ وذكر في المسند عن ابن عقدة نقلاً عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: كنّا مع النبي صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع فلمّا رجع إلى الجحفة نزل ثمّ خطب الناس فقال: أيّها الناس إنّي مسؤول وأنتم مسؤولون فما أنتم قائلون، قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وأدّيت، قال: إنّي لكم فرط وأنتم واردون على الحوض وأنّي مخلّف فيكم الثقلين إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَليَّ الحوض، ثمّ قال: ألستم تعلمون أنّي أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلىٰ، فقال آخذاً بيد علي: مَن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه[٢].

فهذه أربعة عشر رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله مأثورة في كتب أعلام أهل السنّة تدلّل على وجوب التمسّك بأهل البيت عليهم السلام باعتبارهم عدل القرآن وتوأمه.

سؤال: هل يوجد خبر يدلّ على وجوب متابعة أهل البيت وأخذ الدين وأحكامه عنهم عليهم السلام بهذا اللفظ «المتابعة»؟

الجواب: نعم، يوجد الكثير.

سؤال: هل يمكنكم ذكر بعضها؟

الجواب: نعم بالطبع.

١ ـ ذكر أبو محمّد دعلج بن أحمد المعدل عن مستدرك الحاكم مسنداً عن

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق ص٣٩ ط الأعلمي أوفست على الطبعة الأولى في اسلامبول بإذن نظارة المعارف.

زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ أنّه كان بين مكّة والمدينة وقد نزل للراحة قليلاً ثمّ صلّىٰ ووقف خطيباً فقال: «أيّها الناس إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن **اتبعتموهما** وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي ثمّ قال: أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثلاث مرّات؟ قالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»[1].

٢ ـ ذكر نور الدين علي بن عبد الله السمهودي نقلاً عن أكابر أهل السنّة في جواهر العقدين حديثاً عن رسول الله ﷺ أنّه قال: أيّها الناس إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن **اتبعتموهما** وهما كتاب الله وأهل بيتي وعترتي[2].

٣ ـ وذكر ابن حجر في الصواعق ذيل الآية الرابعة، والسمهودي في جواهر العقدين قال في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن **اتبعتموهما** وهما: كتاب الله وأهل بيتي، وزاد الطبراني: سألت ذلك

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص١١٨ رقم ٤٥٧٧ ط دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

أقول: ذكر السمهودي في جواهر العقدين بعد أن ذكر طرق مختلفة لهذا الحديث: ومن العجيب ذكر ابن الجوزي له ـ أي للحديث ـ في العلل المتناهية ـ أي أنّه ضعّفه ـ فإيّاك أن تغترّ به، وكأنّه لم يستحضره حينئذٍ إلّا من تلك الطريق الواهية ولم يذكر بقيّة طرقه...

وأخرجه الحاكم في المستدرك في ثلاث طرق وقال في كلّ منها: إنّه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه!!

أُنظر جواهر العقدين ص٢٣٢ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥.

وقال ابن حجر في الصواعق: ولم يصب ابن الجوزي في إيراده في العلل المتناهية كيف وفي صحيح مسلم وغيره خطبته...

أُنظر الصواعق المحرقة ج٢ ص٦٥٢ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧ / المترجم.

(٢) جواهر العقدين ص٢٣٣ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥م.

لهما فلا تقدموهما فتهلكوا»[١].

٤ ـ ذكر محمود بن شيخاني القادري في الصراط السوي في مناقب آل النبيّ ﷺ عن زيد بن أرقم أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتبعتموهما** وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي»[٢].

٥ ـ وذكر أبو إسحاق أحمد بن محمّد الثعلبي إمام الحديث المعروف في تفسير الكشف والبيان ذيل قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ مسنداً عن أبي سعيد الخدري الصحابي قال: سمعت رسول الله ﷺ **يقول: «يا أيّها الناس إنّي قد تركت فيكم خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»**[٣].

٦ ـ وذكر رفيع الدين عبد الوهاب بن محمّد بن رفيع الدين البخاري في التفسير الأنوري ذيل آية المودّة عن أبي سعيد الخدري في رواية عن رسول الله ﷺ: **«أيّها الناس أنّي تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي وهم أهل بيتي لن يفترقا حتّى يردا عَليَّ الحوض»**.

٧ ـ وذكر الشيخ سليمان البلخي في الينابيع عن تفسير الثعلبي بسنده عن عطية الكوفي عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ **يقول: «أيّها الناس إنّي تركت فيكم الثقلين إن أخذتم بهما لن تضلّوا، أحدهما أكبر من**

---

(١) أُنظر الصواعق ج٢ ص٦٥٢ ـ ٦٥٣ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧م.

(٢) لم أعثر على الكتاب.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في الفضائل عن زيد بن ثابت ج٢ ص٦٠٣ رقم ١٠٣٢ ط دار العلم ـ جدّة ١٩٨٣م، وقال عنه: إسناده حسن.

الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»(١).

وقد يُقال: لماذا هذا التكرار في إيراد أحاديث متشابهة؟

فأقول: إنّ هذا الإشكال قد يبدو صحيحاً في نظر الناس البسطاء لأنّهم قد يكتفون بحديث واحد لقبول الفكرة، وأمّا هذا الكمّ الهائل من الروايات فهو ينفع لأهل التحقيق من العلماء وكذلك ينفع أهل العناد واللجاج فإنّه يخصم حجّتهم ويقطع عنادهم. ولمن طلب المزيد فوق ما ذكرتُه يمكنه مراجعة الجزء الثاني عشر من الدورة النفيسة (عبقات الأنوار) للعالم الكبير والمتبحّر الخبير جامع المعقول والمنقول آية الله السيّد مير حامد حسين النيشابوري الكنتوري اللكهنوي أعلى الله مقامه، المتوفّي عام ١٣٠٦هـ في شهر صفر.

وقد ألّف هذه الدورة ردّاً على الباب السابع من كتاب التحفة الاثنى عشرية للمتعصّب العنيد عبد العزيز الدهلوي الذي ردّ اثنا عشر حديثاً في ولاية أهل البيت عليهم السلام بكلّ وقاحة من غير دليل وبرهان وحجّة.

وقد ردّه السيّد مير حامد في العبقات ردّاً علمياً موسّعاً ومعمّقاً في اثنى عشر مجلّداً فقد نقل الأحاديث بأسانيدها الصحيحة(٢) وما نحن فيه أي حديث

---

(١) ينابيع المودّة ج١ الباب الرابع ص٣١.

(٢) وقد بُدأ طباعة هذه الدورة من عام ١٢٩٣هـ إلى عام ١٣٤٤هـ وهي موجودة في مكتبتي، ثمّ طبعت هذه الدورة أخيراً في اصفهان تصدّت لطبعها إحدى المؤسسات باسم (نشر نفائس مخطوطات اصفهان) وهي إحدى الجهود المشكورة والعظيمة التي تصبّ في خدمة المذهب المقدّس، وبلا شكّ فإنّ مثل هذا العمل يدخل السرور على أرواح النبي وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، والعبقات تدلّل على علوّ منزلة مؤلّفها السيّد مير حامد وكثرة إطّلاعه وإحاطته بكتب الحديث ←

السفينة وحديث الثقلين تجدونه في المجلّد (١٢)، فقد أورد حديث الثقلين عن مائة وثمانين رجلاً من أكابر علماء أهل السنّة عن ٣٤ طريقاً، فهذا الكم الهائل دليل ينير الظلمة ويكشف الضباب عن قلوب المخالفين والمعاندين.

وقبل أن أنتقل إلى دلالة حديث الثقلين وأشرح لكم بعض مفرداته المهمّة أذكر لكم فهرست بأسماء بعض الكتب السنّية التي ذكرت حديث الثقلين الموجودة عندي أو التي رأيتها سواء المخطوط أو المطبوع وقد ذكرت بعضها في كتاب ليالي بيشاور أيضاً.

١ ـ صحيح مسلم ٢ ـ صحيح أبي داود ٣ ـ سنن ونوادر الأصول للترمذي ٤ ـ خصائص النسائي ٥ ـ مسند أحمد ٦ ـ مستدرك الحاكم ٧ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني ٨ ـ تذكرة سبط ابن الجوزي ٩ ـ أُسد الغابة لابن الأثير الجزري ١٠ ـ الجمع بين الصحيحين للحميدي ١١ ـ الجمع بين الصحاح الستّة لرزين بن معاوية ١٢ ـ المعجم الكبير للطبراني ١٣ ـ تلخيص المستدرك للذهبي ١٤ ـ العقد الفريد ١٥ ـ مطالب السؤول للشافعي ١٦ ـ مناقب الخوارزمي ١٧ ـ ينابيع المودّة ١٨ ـ مودّة القربىٰ للهمداني ١٩ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٢٠ ـ نور الأبصار للشبلنجي ٢١ ـ الفصول المهمّة للمالكي ٢٢ ـ فرائد السمطين ٢٣ ـ تفسير الكشف والبيان للثعلبي ٢٤ ـ المناقب للسمعاني ٢٥ ـ المناقب لابن المغازلي ٢٦ ـ كفاية الطالب ٢٧ ـ طبقات ابن سعد ٢٨ ـ تفسير الرازي ٢٩ ـ تفسير ابن كثير ٣٠ ـ استجلاب ارتقاء الغرف للسخاوي ٣١ ـ درر نظم السمطين للزرندي ٣٢ ـ كنز العمّال ٣٣ ـ منقبة المطهرين لأبي نعيم الاصفهاني ٣٤ ـ فردوس الأخبار للديلمي ٣٥ ـ الصواعق المحرقة وغيرها.

← والرجال و... وحقّاً كان لائقاً لنيابة الإمامعليه السلام وكلّ من طالعها بدقّة يكتشف أنّها كانت معجزة عجيبة / المؤلّف.

دلالة حديث الثقلين

أمّا دلالة حديث الثقلين فيمكن أن نشير إليها عبر النقاط التالية:

أوّلاً: يفيد أنّ العترة الطاهرة لن تفترق عن القرآن إلى يوم القيامة حتّىٰ يردا الحوض، فـ(لن) تفيد التأبيد كما قلنا فالدين باقٍ إلى يوم القيامة، أي الدِّين الإسلامي وفق مذهب ومسلك أهل البيت عليهم السلام وهو القرآن بعينه(١).

ثانياً: ويفيد أنّ نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وهم أهل بيته وعترته موجودون أيضاً إلى جانب القرآن إلى يوم القيامة (لن يفترقا حتّى يردا الحوض) وهذا يعني بقاء الذرّية الطاهرة التي عُبّر عنها بالكوثر في قوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ...﴾(٢) فقد عاب بعضهم النبيّ صلى الله عليه وآله في مكّة ووصفوه بالأبتر فأنزل الله تعالى هذه السورة لتبشّره صلى الله عليه وآله بأمرين مهمّين:

١ ـ بالكوثر وهو كناية عن كثرة العلم والأمّة والنسل الطاهر إلى يوم القيامة(٣).

٢ ـ إنّ نسل الأعداء والمخالفين للنبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته مقطوع مضمحل، فصار العدوّ هو الأبتر، ونحن اليوم نشاهد هذه المعجزة العجيبة فقد استمرّ نسل النبيّ صلى الله عليه وآله على رغم الممارسات الإرهابية ضدّهم بينما انقطع نسل أعدائهم الذين حاربوهم أمثال بني أُميّة وبني مروان وبني العبّاس، حتّى أنّك لا تجد لهم أثراً ولا ذِكراً بخلاف الأشراف الذين يملؤون الدُّنيا ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

---

(١) أقول: روي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: عليّ مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض، المعجم الأوسط للطبراني ج٥ ص٤٥٥ رقم ٤٨٧٧ مكتبة المعارف الرياض / المترجم.

(٢) الكوثر: ١ ـ ٢.

(٣) راجع مجمع البيان للطبرسي ج١٠ ص٧٠٣، ط مؤسسة التاريخ العربي.

ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

ثالثاً: والحديث يشير إلى منزلة العترة الطاهرة التي تفوق جميع الناس وذلك لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله في حديثه لم يقصد المبالغة وإنّما أراد المعنى الحقيقي المتبادر إلى أذهان الناس بكلّ واقعية، لأنه صلى الله عليه وآله معصوم ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٢].

إذا تمّ هذا فنقول: جميع ما للقرآن الكريم من عظمة وجلالة وقداسة وإعجاز ينطبق ويجري في أهل البيت عليهم السلام لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جعلهم إلى مصافّه وعدله وقرينه، وأخبر صلى الله عليه وآله بعدم الافتراق إلى يوم البعث فيكون حكمهما واحد ولكن للتمييز بينهما جعل صلى الله عليه وآله القرآن ثقل الله الأكبر وأهل بيته الثقل الأصغر.

رابعاً: ولمّا كان القرآن الكريم كتاب هداية وسعادة في الدُّنيا والآخرة، بعدما جعل الله فيه كلّ شيء ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٣] كذلك ـ قطعاً ـ أهل البيت عليهم السلام فهم أهل الهداية والرشاد بفضل علمهم وهَديهم و.. ولهذا أمرنا الرسول صلى الله عليه وآله بوجوب متابعتهم كما أمرنا بوجوب متابعة القرآن فالحكم واحد لإطلاق اللفظ «لن تضلّوا إن اتبعتموهما»، وهكذا بالتمسّك بهم عليهم السلام فهو على غرار وجوب التمسّك بالقرآن «ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا». والعجيب من أهل السنّة أنّهم يقولون أُمرنا بحبّ أهل البيت في حديث الثقلين!!

والحال أنّ ألفاظ الحديث مثل (تضلّوا) وُضع مقابل الهداية التي تتجسّد في أهل البيت عليهم السلام وواضح أنّ الهداية والضلال يتّصلان اتّصالاً مباشراً باعتقاد وعمل الإنسان، ثمّ إنّ القرآن لم ينزل على النبيّ والمسلمين لكي يحبّونه فقط،

---

(١) الأنعام: ٤٥.

(٢) النجم: ٣ـ٤.

(٣) الأنعام: ٥٩.

بل نزل كدستور وشرع ونهج يجب متابعته والعمل على فقه لكي لا يقع الناس في الضلال، وهكذا أهل البيت ـ قرين القرآن وعدله ـ لم يدعُ النبي في حديث الثقلين لحبّهم فقط، بل إلى حبّهم ومتابعتهم والتمسّك بهم والأخذ عنهم وطاعتهم وبذلك تتحقّق النجاة وتُطمس معالم الضلال[1].

ومن هذا المنطلق وهذه الحقيقة قال صلى الله عليه وآله: «فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»[2].

وقال صلى الله عليه وآله: «فلا تسبقوا أهل بيتي فتفرقوا ولا تخلّفوا عنهم فتضلّوا ولا تعلّموهم فهم أعلم منكم، وأنّهم لن يخرجوكم من باب هدىً ولم يدخلوكم في باب ضلالة، أحلم الناس كباراً وأعلمهم صغاراً»[3].

وقال صلى الله عليه وآله: «فلا تسبقوهم فتهلكوا ولا تعلّموهم فهم أعلم منكم»[4].

وقال صلى الله عليه وآله: «فتعلّموا منهم ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»[5].

فكلّ عاقل خالٍ من الأمراض الجاهلية والعصبيات القومية والمذهبية والأمراض النفسية يدرك حقيقة ما بيّناه وفق مفردات الحديث ودلالاتها، ويدرك هدف النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله فإنّه أراد توحيد الأمّة الإسلامية لتكون أُمّة واحدة تتبع القرآن وأهل بيته بدل هذا التشتّت والتفرّق، فدعى الناس إلى الالتفاف

(١) قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أنت وشيعتك تردون عليَّ الحوض رواء مرويّين مبيضّة وجوهكم وإنّ عدوّك يردون عليَّ ظماء مقبحين، المعجم الكبير للطبراني ج ١ ص ٣١٩ رقم ٩٤٧ / المترجم.

(٢) مرّ مصدره.

(٣) منقبة المطهرين لأبي نعيم الاصفهاني عن البراء بن عازب وتجدها في الصواعق المحرقة ج ٢ ص ٦٥٣ ط مؤسسة الرسالة.

(٤) الموالاة لابن عقدة عن حذيفة بن أسيد وتجدها في الصواعق المحرقة كما مرّ.

(٥) المصدر نفسه ص ٧٧٩ وتجدها في الصواعق المحرقة كما مرّ.

والتمسّك بالعترة الطاهرة والقرآن وهما وجهان لعملة واحدة إن صحّ التعبير، لأنّ في متابعتهم أمان من الضلال والاختلاف والتفرّق، وكانﷺ يكرّر هذه الدعوة على مسامع المسلمين كما بيّنا ذلك حتّى أوضح لهم الإمام الأوّل من أهل البيتعليهم السلام في مناسبات عديدة كان آخرها يوم غدير خمّ بعد عودته من حجّة الوداع وطلب منهم مبايعته وطاعته وعدم الاختلاف عليه أو الافتراق عنه.

حديث الغدير وتعيين الأمير

لقد ذكر جمع كثير من أعلام أهل السنّة حديث الثقلين في يوم الغدير مع حديث الولاية، منهم أبو عبد عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد بن حنبل في المستدرك والحاكم في المستدرك والنسائي في الخصائص وملّا علي المتّقي الهندي في كنز العمّال وشيخ محمود الشيخاني القادري في الصراط السوي والخوارزمي في المناقب عن أحمد بن حسين البيهقي وابن المغازلي الفقيه في المناقب وحميد بن أحمد المحلى في محاسن الأزهار في تفضيل العترة الأخيار، ونور الدين ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة، والسمهودي في جواهر العقدين، وأحمد بن الفضل بن محمّد باكثير المكّي في وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل.. وآخرين بعبارات وألفاظ مختلفة عن عدّة من الأصحاب مثل حذيفة بن أسيد وزيد بن أرقم وحذيفة ابن اليمّان أنّ رسول اللهﷺ قال يوم الغدير: إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروني كيف تخلّفوني فيهما فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ثمّ قال: إنّ الله عزّوجلّ مولاي وأنا مولى كلّ مؤمن ثمّ أخذ بيد علي فقال: مَن كنت وليّه فهذا وليّه اللّهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه[1].

---

(١) المستدرك ج٣ ص١١٨ رقم ٤٥٧٦ ط دار الكتب العلمية بيروت.

وذكر أحمد بن فضل بن محمّد باكثير المكّي في وسيلة المآل عن جعفر البزّار عن أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة (رض)، وابن حجر المكّي في آخر الفصل الثاني من الباب ٩ في صواعقه في مرض النبيّ ﷺ حينما كانت داره ممتلئة قال: أيّها الناس يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فيُنطلق بي وقد قدّمتُ إليكم القول معذرة إليكم، ألا إنّي مخلّف فيكم كتاب الله عزّوجلّ وعترتي أهل بيتي، ثمّ أخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتّىٰ يردا عليَّ الحوض، فأسألهما (عن) ما خلفت فيهما[1].

فيظهر أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام أوّل الأئمّة من عترته ﷺ ويجب على الأُمّة متابعته والتمسّك به والأخذ عنه نظراً لما مرَّ عليكم من أحاديث، بل هناك أحاديث خاصّة في هذا المورد منها ما ذكره الطبراني في المعجم الكبير والرافعي في المسند والهندي في كنْز العمّال وأبو نعيم في الحلية وابن أبي الحديد في شرح النهج عن مسند وفضائل أحمد أنّ رسول الله ﷺ قال: من سرّه أن يحيىٰ حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدنٍ غرسها ربّي فليوال عليّاً من بعدي وليوال وليّه وليقتد بالأئمّة من بعدي فإنّهم عترتي خُلقوا من طينتي رُزقوا فهمي وعلمي (فهماً وعلماً) وويلٌ للمكذّبين بفضلهم من أُمّتي للقاطعين صلتي لا أنالهم الله شفاعتي[2].

وذكر الحافظ أبو نعيم الاصفهاني في حلية الأولياء والكنجي الشافعي في إيصال الطالب الباب ٥٤ مسنداً عن أنس بن مالك قال: طلب النبيّ ماءاً فتوضّأ ثمّ قال رسول الله ﷺ: يا أنس اسكب لي وضوءاً يغنيني فتوضّأ ثمّ قام وصلّىٰ

---

(١) الصواعق المحرقة ج٢ ص٣٦٨ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧م رقم الحديث (٤٠).

(٢) راجع ينابيع المودّة للقندوزي ص١٥١، الباب ٤٣.

ثمّ قال: يا أنس أوّل مَن يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين وخاتم الوصيّين.

قال أنس: قلت: اللّهمَّ اجعله رجلاً من الأنصار وكتمته إذ جاء عليّ فقال: مَن هذا يا أنس؟ قلت: عليّ بن أبي طالب، فقام النبيّ صلى الله عليه وآله مستبشراً فاعتنقه ثمّ جعل يمسح عرق وجهه بوجهه ويمسح عرق عليّ عليه السلام بوجهه قال علي عليه السلام: يارسول الله لقد رأيتك صنعتَ بي شيئاً ما صنعتَ بي قبل، قال: وما يمنعني وأنت تؤدّي عنّي وتسمعهم صوتي وتبيِّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي[١].

وأيضاً جاء في الحلية مسنداً عن أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ادعوا لي سيّد العرب ـ يعني عليّاً ـ فقالت عائشة: ألست سيّد العرب؟ فقال: أنا سيّد ولد آدم وعليّ سيّد العرب، فلمّا جاء عليّ أرسل رسول الله إلى الأنصار فأتوه فقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلّكم على ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعده؟ قالوا: بلىٰ يارسول الله، قال: هذا عليّ فأحبّوه لحبّي [بحبّي] وأكرموه بكرامتي فإنّ جبرئيل أمرني بالذي قلتُ لكم من الله عزّوجلّ[٢].

وعلىٰ غرار هذه الأحاديث توجد العشرات في كتب أهل السنّة ذكرها حتّى المتعصّبين من أهل السنّة مثل ابن حزم وابن حجر وابن قتيبة وابن الجوزي والفضل بن روزبهان، وقد عمل بعض الوضّاعين بدوافع أموية وعمرية علىٰ وضع أحاديث مشابهة لتلك الأحاديث في أعداء أهل البيت عليهم السلام وقد أشار إليها علماء الحديث في كتب مستقلّة، ومن هذا القبيل وضعهم حديث مقابل حديث الثقلين.

---

(١) كفاية الطالب الباب ٥٤ ص ٢١١ ط النجف، وقال في ذيله: هذا حديث حسن عال.

(٢) كفاية الطالب باب ٥٣ ص ٢١٠ وقال: هذا حديث ثابت صحيح.

إبطال حديث كتاب الله وسنّتي

فقد رووا كذباً وزوراً عن النبيّ ﷺ قوله: إنّي قد خلفتُ فيكم ثنتين كتاب الله وسنّتي!!

أوّلاً: أمّا من ناحية سند هذا الحديث فقد روي عن (صالح بن موسىٰ) الذي ضعّفه الذهبي ويحيى والبخاري وابن عدي وقال عنه: إنّه متروك ومردود وضعيف[1].

ثانياً: وأمّا من ناحية الدلالة فأنّي أشير إلى نقطة عقلانية ومنطقية وهي: أنّ رسول الله ﷺ لا يتكلّم بكلام معقّد أو متناقض والعياذ بالله فكيف يقول: خلفت فيكم كتاب الله وسنّتي مع أنّ كلاهما يحتاج إلى مبيِّن ومفسِّر، فالكتاب الكريم فيه المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والمجمل والمفصّل.. فالضرورة قاضية بوجوب وجود المبيِّن وهو شخص النبي الكريم ﷺ لرفع الاختلاف والكشف عن مراد الله تعالى، ولكن فيما بعد الرسول ﷺ تكون الحاجة إلى هذا المبيِّن أكثر ضرورة لأنّ الاختلاف حاصل لا محالة ـ كما تحقّق في التأريخ ـ وعليه فلابدّ من تعيين هذا المبيِّن تعييناً واضحاً لازماً.

وهنا لا يمكن القول إنّه ﷺ أوكل الأمّة إلى سنّته الشريفة وجعلها بمثابة المبيِّن للقرآن الكريم، لأنّ السنّة هي الأُخرى فيها المحكم والمتشابه والخاص والعام والناسخ والمنسوخ والمجمل والمفصّل... وبالتالي فهي لاتختلف عن القرآن في نسبة الاحتياج إلى الموضِّح والمبيِّن، فالنبيّ ﷺ قطعاً لم يقل هذا

---

(١) صالح بن موسىٰ بن عبد بن إسحاق بن طلحة بن عُبيد الله القُرشي كوفيٌّ ضعيف. راجع ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ج٣، ص٤١٤، رقم ٣٨٣٥، ط: دار الكتب العلمية بيروت عام ١٩٩٥.

الحديث المتناقض لأنّه صلى الله عليه وآله منزّه عن مثل هذه الأحاديث وتلاحظون أنّ كلّ من أخذ بهذا الحديث (الموضوع) وعمل به أُصيب بالضلال والانحراف كالأشاعرة وفرقهم المتعدّدة والمعتزلة..

لأنّهم اعتمدوا في تفسير القرآن وفهمه وكذا السنّة على عقولهم وقياساتهم واستحساناتهم الخاطئة، وأعرضوا بكلّ صراحة إلى اليوم عن باب علم النبيّ صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذرّيته الأطهار عترة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

ثالثاً: ثمّ إنّ هذا الحديث (المجعول) يسقط عن الاعتبار عندما نضعه أمام حديث الثقلين (كتاب الله وعترتي) المتواتر، لأنّ خبر الواحد لا يعارض المتواتر، والضعيف لا يعارض الصحيح.

انصفوا أيّها المنصفون

والآن أسألكم أيّها المنصفون هذا السؤال وأطلب من كلّ منصف من أهل السنّة أن يُجيب عنه بكلّ موضوعية بعيداً عن التمذهب والتعصّب:

أوّلاً: لقد ذُكرتْ فضائل أهل البيت عليهم السلام في كتبكم بشكل كثير وواسع، فهل لأبي الحسن الأشعري وواصل بن عطاء المعتزلي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل فضائلاً مثل ما لأهل البيت عليهم السلام في كتبكم؟

الجواب: لا.

ثانياً: أيّهما أصحّ، هل نتّبع أهل البيت (أحد الثقلين) الذين عاشوا في رحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسمعوا منه وتعلّموا على يده وورثوا علمه، أم نتّبع الأشعري والمعتزلي الذين جاءا بعد ثلاثة قرون من رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله؟

فهنا لا مجال لمخالفة العقل والوجدان والحكمة، لأنّ الجواب سيكون في وجوب متابعة أهل البيت عليهم السلام؛ الذين قال عنهم النبيّ صلى الله عليه وآله: فلا تسبقوهم ولا تتقدّموهم فتهلكوا... ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم.

إذن فنحن (الشيعة) ليس لدينا أي حرب مع أهل السنّة بل هناك خطأ منهجي وفكري سار عليه أهل السنّة حتّى وصلوا إلى ما وصلوا إليه اليوم من الافتراق والشتات خلفاً عن سلف، لأنّهم يقدّمون الأشعري والمعتزلي والحنبلي.. على آل محمّد صلى الله عليه وآله ويأخذون دينهم من أولئك أكثر من أخذهم من أهل البيت عليهم السلام، وبالتالي فقد سبقوا وتقدّموا على أهل البيت عليهم السلام وتابعوا علمائهم أكثر من متابعتهم أهل البيت عليهم السلام فخالفوا النبيّ صلى الله عليه وآله الذي أوصاهم بالمتابعة والتمسّك بأهل البيت عليهم السلام، بينما سار الشيعة الإمامية منذ عصر النبيّ صلى الله عليه وآله وإلى اليوم على منهج أهل البيت عليهم السلام تباعاً لأوامره صلى الله عليه وآله، فظهر لكم ولجميع المنصفين أنّ أئمّة أهل السنّة هم أوّل من خالف النبيّ صلى الله عليه وآله في عدم متابعتهم وتمسّكهم بأهل بيته عليهم السلام وتابعهم الناس، فهل يحقّ لنا أن نقول عنهم: مشركون.. كفّار.. روافض؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

نتيجة الأدلّة الثلاثة حول الفرقة الناجية

ممّا تقدّم يظهر أنّ أوّل علامة ذكرها النبيّ صلى الله عليه وآله للفرقة الناجية هي: متابعة أهل بيته والتمسّك بهم وأخذ الدين عنهم وعدم مخالفتهم أو تقديم سواهم عليهم، أو التخلّف عنهم، بل يجب أن تكون الأعمال وفق أعمالهم والأحكام مأخوذة عنهم وتوقيرهم وتفضيلهم ومدحهم وعدم سبّهم أو لعنهم أو محاربتهم لأنّ ذلك كفر صريح، وكذلك لا يمكن التفكيك بين الحبّ والعمل. وهذا ما لم يتوفّر إلّا في الشيعة الإمامية الاثنا عشرية لأنّهم يحبّون ويتابعون ويتمسّكون بأهل البيت عليهم السلام ويقدّمونهم على جميع الناس، ولذلك كانت عقائدنا خالية من الخرافات والكفريات التي قال بها الأشاعرة أو المعتزلة كما تقدّم، لأنّهم ـ الشيعة ـ أخذوا كلّ شيء عن العترة الطاهرة من أحكام وتأريخ وتفسير إنطلاقاً من الإمام الأوّل علي بن أبي طالب عليه السلام باب العلم الذي تلقّى علومه من النبيّ صلى الله عليه وآله

منذ طفولته وحتّىٰ رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله فقد كان عليه السلام أُذن واعية لرسول الله صلى الله عليه وآله يحفظ كلّ شيء بقدرة الله تعالىٰ، فقد ذكر أكابر علماء أهل السنّة في تفاسيرهم أو كتبهم الحديثيّة مثل تفسير الطبري وتفسير الكشف والبيان والكشّاف وتفسير ابن كثير والدرّ المنثور.. ذكروا في ذيل قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[1] قول رسول الله صلى الله عليه وآله: سألت ربّي أن يجعلها أُذن عليّ وبعضهم ذكر: سألت ربّي أن يجعلها أُذنك يا عليّ، ففعل، كما هو في الدرّ المنثور عن سعيد بن منصور وابن جرير وابن منذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن مكحول[2].

وذكر السيوطي عن ابن جرير وابن أبي حاتم والواحدي وابن مردويه وابن عساكر وابن البخاري عن بريدة[3] وابن كثير مسنداً عن ابن مرّة الأسلمي، والثعلبي عن طريق أبي حمزة الثمالي، ومحمّد بن يوسف الگنجي الشافعي في كفاية الطالب باب ٦٢ عن بريدة الأسلمي قال: وبهذا السياق أورده حافظ العراق ومحدِّث الشام، والشيخ سليمان البلخي الحنفي في الينابيع[4] عن الخوارزمي والثعلبي والحافظ أبو نعيم وسيّد علي الشريف الجرجاني في شرح المواقف بألفاظ مختلفة وبقليل من التفصيل والاختصار كلّهم رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله لعليّ عليه السلام: إنّ الله أمرني أن أعينك ولا أقصيك وأن أعلّمك وأن تعي وحقٌّ على الله أن تعي، قال: ونزلت: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.

وذكر الحافظ أبو نعيم الاصفهاني في الحلية مسنداً عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ

---

(١) الحاقة: ١٢.

(٢) تفسير الدرّ المنثور ج٦ ص٣٦٠ ط بيروت.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينابيع المودّة عن المناقب للخوارزمي ص٢٨٢، ط جامعة المدرّسين قم ـ سنة ١٤٢١هـ.

رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا علي أنّ الله أمرني أن أُدنيك وأُعلّمك لتعي وأُنزلت هذه الآية ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ فأنت أُذن واعية لعلمي(١).

وقال الشيخ سليمان البلخي الحنفي في الينابيع: «وفي شرح المواقف قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ أي حافظة، أكثر المفسّرين على أنّه علي عليه السلام، وقول علي كرّم الله وجهه: لو كسرت لي الوسادة ثمّ جلستُ عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل القرآن بقرآنهم وقوله: والله ما من آية نزلت في برّ أو سهل أو جبل في ليل أو نهار إلّا وأنا أعلم فيمن نزلت وفي أيّ شيء نزلت، إلى أن قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد العلم فليأت الباب(٢).

سؤال: لقد سمعنا من أساتذتنا في الجامعة أنّ حديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها) موضوع وضعه الشيعة، إذ كيف يتسنّىٰ لشخصٍ واحد أن يحيط بالعلم النبويّ كلّه، وهكذا سمعنا هذا التعليل من علمائنا الدينيّين وقالوا: إنّه مجعول من الشيعة؟

الجواب: لقد طُرح هذا الإشكال والكلام عليَّ كراراً من قِبل علمائكم منها ما كان في مدينة بيشاور أثناء محاورتي مع أهل السنّة لمدّة عشر ليالي ورددتُ هذه المزاعم بالأدلّة الثابتة منع ذكر بعض الأسانيد المروية في كتب أهل السنّة التي يمكنكم الرجوع إليها في كتابي ليالي بيشاور.

سؤال: هل يمكنكم الآن ذكر بعض أسانيد هذا الحديث.

---

(١) حلية الأولياء ج١ ص٦٢، ط: الكتب العلمية بيروت، ونور الأبصار ص٨٧ ط بيروت.

(٢) راجع ينابيع المودّة، الباب الرابع عشر ص٧٥، منشورات المكتبة الحيدرية عام ١٩٦٥م.

الجواب: كنتُ أتمنّى أن أفتح لكم هذا البحث وأستوعبه بالشكل المطلوب ولكن كما ترون فإنّ حالتي الصحّية لا تساعدني كثيراً فقد أُصبت بالمرض القلبي منذ ثلاث سنوات وإلى الآن، وأنّي أشكر الله تعالى أن وهبني قسطاً من العافية لمحاورتكم خلال هذه الأيّام، ولكن مع ذلك سوف أختصر لكم الإجابة، وتستطيعون مراجعة المجلّد الخامس من عبقات الأنوار للمرحوم السيّد مير حامد أعلى الله مقامه الذي ذكر فيه حديث مدينة العلم عن صحيح البخاري متواتراً، وأمّا المصادر السنّية التي ذكرت هذا الحديث بإسناد أهل السنّة نفسهم فأذكر لكم بعض ما رأيته من الكتب الخطّية أو المطبوعة مع أسماء مؤلّفيها(١):

١ ـ محمّد بن جرير الطبري المتوفي عام ٣١٠هـ في تهذيب الآثار.

٢ ـ الحاكم النيشابوري المتوفى عام ٤٠٥ هـ في المستدرك.

٣ ـ أبو عيسى الحكيم محمّد الترمذي المتوفي عام ٢٨٩هـ في سننه.

٤ ـ جلال الدين السيوطي المتوفي عام ٩١١هـ في جمع الجوامع والمجلّد الأوّل من الجامع الصغير.

٥ ـ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفّي عام ٣٦٠هـ في المعجم الأوسط والكبير.

٦ ـ الحافظ أبو محمّد حسن السمرقندي المتوفي عام ٤٩١هـ في بحر الأسانيد.

٧ ـ الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الاصفهاني المتوفي عام ٤٣٠هـ في معرفة الصحابة.

٨ ـ الحافظ أبو عمرو يوسف القرطبي المتوفي عام ٤٦٣هـ في الاستيعاب

٩ ـ أبو الحسن الفقيه الشافعي ابن المغازلي المتوفّي عام ٤٨٣هـ في المناقب.

---

(١) لقد ذكر المؤلّف هذه المصادر في ليالي بيشاور ص١١١٣ / المترجم.

١٠ ـ أبو شجاع شيرويه الهمداني الديلمي المتوفي عام ٥٠٩هـ في فردوس الأخبار.

١١ ـ أبو المؤيّد موفّق الدين الخوارزمي المتوفي عام ٥٦٨هـ في المناقب والمقتل [ج ١ ص٧٦ رقم٢٤].

١٢ ـ أبو القاسم ابن عساكر علي بن الحسن الدمشقي المتوفي عام ٥٧١هـ في التأريخ.

١٣ ـ أبو الحجّاج يوسف بن محمّد الأندلسي المتوفي ٦٠٥هـ في المجلّد الأوّل من (ألف باء).

١٤ ـ أبو الحسن علي بن محمّد بن الأثير الجزري المتوفي عام ٦٣٠هـ في أُسد الغابة.

١٥ ـ محبّ الدين أحمد بن عبدالله الطبري الشافعي المتوفّي عام ٦٩٤هـ في الرياض النضرة وذخائر العقبىٰ.

١٦ ـ شمس الدين محمّد بن أحمد الذهبي الشافعي المتوفى عام ٧٤٨هـ في تذكرة الحفّاظ.

١٧ ـ بدر الدين محمّد الزركشي المصري المتوفي عام ٧٤٩هـ في فيض القدير.

١٨ ـ الحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفي عام ٨٠٧هـ في مجمع الزوائد.

١٩ ـ كمال الدين محمد بن موسى الدميري المتوفي عام ٨٠٨هـ في حياة الحيوان [ج ١ ص٧٩ مادّة الإوز].

٢٠ ـ شمس الدين محمّد بن محمّد الجزري المتوفي عام ٨٣٣هـ في أسنى المطالب.

٢١ ـ شهاب الدين بن حجر أحمد بن علي العسقلاني المتوفي عام ٨٥٢هـ في تهذيب التهذيب.

٢٢ ـ بدر الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي المتوفي عام ٨٥٥هـ في عمدة

القاريْ.

٢٣ ـ علي بن حسام الدين المتّقي الهندي المتوفي عام ٩٧٥هـ في كنز العمّال.

٢٤ ـ عبد الرؤوف المناوي الشافعي المتوفي عام ١٠٣١هـ في فيض القدير.

٢٥ ـ الحافظ علي بن أحمد العزيزي الشافعي المتوفي عام ١٠٧٠هـ في السراج المنير.

٢٦ ـ محمد بن يوسف الشامي المتوفي عام ٩٤٢هـ في سبل الهدى والرشاد في أسماء خير العباد.

٢٧ ـ محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفي عام ٨١٧ في نقد الصحيح.

٢٨ ـ أحمد بن حنبل المتوفي عام ٢٤١هـ في مناقب المسند بشكل مكرّر.

٢٩ ـ أبو سالم محمّد بن طلحة الشافعي المتوفي عام ٦٥٢هـ في مطالب السؤول.

٣٠ ـ شيخ الإسلام إبراهيم بن محمد الحمويني المتوفي عام ٧٢٢هـ في فرائد السمطين.

٣١ ـ شهاب الدين دولة آبادي المتوفّي عام ٨٤٩هـ في هداية السعداء.

٣٢ ـ العلّامة السمهودي نور الدين الشافعي المتوفي عام ٩١١هـ في جواهر العقدين.

٣٣ ـ القاضي الفضل بن روزبهان الشيرازي في إبطال الباطل.

٣٤ ـ نور الدين بن الصبّاغ المالكي المتوفّي عام ٨٥٥هـ في الفصول المهمّة.

٣٥ ـ شهاب الدين ابن حجر المكّي المتوفي في عام ٩٧٤هـ في الصواعق [ج ٢ ص٣٥٧ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧م].

٣٦ ـ جمال الدين عطاء الله المحدّث الشيرازي المتوفي عام ١٠٠٠هـ في الأربعين.

٣٧ ـ ملّا علي القاريْ الهروي المتوفي عام ١٠١٤هـ في المرقاة على شرح المشكاة.

٣٨ ـ محمد بن علي الصبان المتوفي عام ١٢٠٥هـ في إسعاف الراغبين.
٣٩ ـ القاضي محمّد بن علي الشوكاني المتوفّي عام ١٢٥٠هـ في الفرائد المجموعة.
٤٠ ـ شهاب الدين السيّد محمود الآلوسي البغدادي المتوفي عام ١٢٧٠هـ في روح المعاني.
٤١ ـ الإمام الغزالي في إحياء العلوم.
٤٢ ـ مير سيد علي الهمداني الفقيه الشافعي في آخر المودّة السابعة من مودّة القربى.
٤٣ ـ أبو محمّد أحمد بن العاصمي في زين الفتىٰ في شرح سورة هل أتىٰ.
٤٤ ـ محمّد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفي عام ٩٠٢هـ في المقاصد الحسنة.
٤٥ ـ سليمان البلخي الحنفي المتوفي عام ١٢٩٣هـ في الباب ١٤ من ينابيع المودّة.
٤٦ ـ يوسف سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص.
٤٧ ـ صدر الدين السيّد حسين فوزي الهروي في نزهة الأرواح.
٤٨ ـ كمال الدين حسين الميبدي في شرح الديوان [أي الديوان المنسوب للإمام عليّ عليه السلام].
٤٩ ـ الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفي عام ٤٦٣هـ في عدّة مجلّدات من تأريخه.
٥٠ ـ محمّد بن يوسف الگنجي الشافعي المتوفي عام ٦٥٨هـ في كفاية الطالب، فبعد أن ذكر ثلاثة طرق لحديث مدينة العلم باسناده قال: فقد قال العلماء من الصحابة والتابعين وأهل بيته بتفضيل علي عليه السلام وزيادة علمه وغزارته وحدّة فهمه ووفور حكمته وحسن قضاياه وصحّة فتواه وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من علماء الصحابة يشاورونه في الأحكام

ويأخذون بقوله في النقض والإبرام اعترافاً منهم بعلمه ووفور فضله ورجاحة عقله وصحّة حكمه، وليس هذا الحديث (أي مدينة العلم) في حقّه بكثير لأنّ رتبته عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وآله وعند المؤمنين من عباده أجلّ وأعلا من ذلك[١].

وقد صنّف الإمام أحمد بن محمد الصدِّيق المغربي ساكن القاهرة كتاباً في تصحيح حديث مدينة العلم باسم (فتح الملك العلي بصحّة حديث باب مدينة العلم عليّ) وهو موجود أمامي هذا.

ولو أنّكم راجعتم كتبكم مثل جمع الجوامع للسيوطي وتهذيب الآثار للطبري، والمستدرك والروضة الندية لليماني وبحر الأسانيد للسمرقندي ومطالب السؤول وغيرها لوجدتم أسانيد هذا الحديث حتّى قال جمال الدين الهندي في تذكرة الموضوعات: فمن حكم بكذبه فقد أخطأ، فأسانيده صحيحة تامّة لأنّه روي بطرق مختلفة وأسانيد متفاوتة عن الصحابة والتابعين بل روي عن أمير المؤمنين ومولى الموحِّدين علي عليه السلام وعن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وعن ابن عبّاس وجابر بن عبدالله الأنصاري وعبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وعبدالله بن عمر وأنس بن مالك وعمرو ابن العاص، وروي أيضاً عن الإمام الرابع من أئمّة أهل البيت علي بن الحسين زين العابدين والإمام الخامس محمّد بن علي الباقر عليهما السلام، والأصبغ بن نباتة وجرير الضبي والحارث بن عبدالله الهمداني الكوفي وسعد بن طريف الحنظلي الكوفي، وسعيد بن جبير الأسدي الكوفي، وسلمة بن كهيل الحضرمي الكوفي وسليمان بن مهران الأعمش الكوفي وعاصم بن حمزة السلولي الكوفي، وعبدالله بن عثمان بن خثيم القارئ المكّي وعبد الرحمن بن عثمان، وعبدالله

---

(١) كفاية الطالب ص٢٢٢، ط: إيران سنة ١٤٠٤هـ.

ابن عسيلة المرادي، وأبو عبدالله الصنابحي ومجاهد بن جبير أبو الحجّاج المخزومي المكّي (من التابعين)، وقد رواه العلماء العظام بسلسلة جليلة من أعلام أهل السنّة (فضلاً عن علماء الشيعة) من القرن الثاني وإلى اليوم، وأعتقد أنّي رأيت مائتي عالم سنّي نقل هذا الحديث ومع ذلك أوصيكم بمطالعة العبقات لمير حامد حسين‌ﷺ المجلّد الخامس الموجود في مكتبتي حالياً وتستطيعون الاستفادة منه متى شئتم لتعرفوا الحقّ وتتركوا العناد والتعصّب.

علي نفس الرسول

ثمّ لماذا هذا الاستبعاد في حقّ الإمام أمير المؤمنين علي‌عليه السلام في أن يحمل علم الرسول‌صلى الله عليه وآله؟ أليس هو نفس النبيّ‌صلى الله عليه وآله كما صرّح الخالق تبارك وتعالىٰ في آية المباهلة في مقام المحاججة مع النصارى؟ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١].

وقد اتّفق علماء السنّة والشيعة أنّ النبيّ‌صلى الله عليه وآله أخرج عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ليحاجج بهم نصارىٰ نجران، واتّفقوا على أنّ المراد من (أبناءنا) الحسن والحسين، و(نساءنا) فاطمة، و(أنفسنا) النبيّ مع عليّ صلوات الله عليهما وآلهما[٢]، وهذا يعني أنّ عليّاً‌عليه السلام متّحد مع النبيّ‌صلى الله عليه وآله، وبما أنّ الاتّحاد الحقيقي هنا ممنوع ومستحيل فقطعاً المراد به الاتّحاد المجازي، أي أنّ أمير المؤمنين علي‌عليه السلام يتّحد مع النبيّ‌صلى الله عليه وآله في الفضائل والكمالات النفسانية (إلّا ما

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) راجع الجزء الأوّل ص٩٧ الهامش من الفرقة الناجية، وليالي بيشاور ص٣٩١/ المترجم.

خرج بالنصّ والدليل) كالنبوّة ومقام الخاتمية وما يتفرّع علىٰ ذلك من نزول الوحي وتأسيس الشريعة.. وهو من خصائص النبيّ صلى الله عليه وآله أمّا بقيّة الفضائل والكمالات فعليّ عليه السلام نفس النبيّ صلى الله عليه وآله بدليل الآية السابقة، ومعناه أنّ الفيض الإلهي الذي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله ينتقل من قلب النبيّ صلى الله عليه وآله إلى قلب عليّ عليه السلام بالتعليم والوراثة فيحفظه ويضبطه ويعيه وعياً تامّاً كما لو كان في قلب النبيّ صلى الله عليه وآله، ولهذا لم يتجرّأ أحد في التأريخ أن يقول: سلوني غير عليّ عليه السلام كما ذكرناه سابقاً وتناولناه في ليالي بيشاور، فكان عليه السلام يتلقّى العلوم النبويّة بلا واسطة من لسان رسول الله صلى الله عليه وآله فيحفظه ويعلّمه ولديه الحسن والحسين عليهما السلام ابني رسول الله صلى الله عليه وآله فضلاً عن أنّهما قد عاشا وطراً من أولياتهما في كنف النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ولهذا روى علماء الفريقين في الكتب المعتبرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: الحسن والحسين هما إماما وسيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خيرٌ منهما[1].

وذكر الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودّة، ومير سيد علي الهمداني الشافعي في مودّة القربىٰ نقلاً عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي وهكذا الحمويني في الفرائد والخوارزمي في المناقب عنه ـ سلمان ـ قال: رأيت الحسين عليه السلام علىٰ فخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقبّله في وجهه وفيه ويقول: أنت سيّد ابن سيّد أخو سيّد، وأنت إمام ابن إمام أخو إمام، وأنت حجّة ابن حجّة أخو حجّة، وأنت أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم[2].

لأنّنا نعتقد بوجود الأئمّة الاثني عشر من آل محمّد صلى الله عليه وآله كلّما مضىٰ إمام سلّم ودائعه إلى الإمام الذي يليه إلى أن وصلت الإمامة إلى الثاني عشر وهو الإمام

---

(١) ينابيع المودّة ج١، ص١٩٥ ط: الشريف الرضي.

(٢) ينابيع المودّة، ج١، ص١٩٧، ط: الشريف الرضي، تحت عنوان فضائل الحسن والحسين عليهما السلام.

المهدي عجّل الله فرجه الذي غاب عن الأنظار بسبب جور الظالمين وسعيهم لقتله كما ذكرنا ذلك سابقاً.

ولذا فقد عُرفنا بـ(الإمامية الاثني عشرية) نسبةً لاعتقادنا هذا وهو الحقّ المطابق للقرآن بعدما جاءت أوامر الرسول الكريمﷺ تدعو إلى هذا الاعتقاد بالأسانيد المتّصلة والأخبار الصحيحة.

سؤال: هل هناك أحاديث من طريق أهل السنّة على أنّ الأئمّة اثنا عشر إماماً؟

أحاديث في أنّ خلفاء النبي اثنا عشر

الجواب: نعم، وقد ذكرتُ موضوع الخلفاء الاثنى عشر في ليالي بيشاور[1]، وهنا أذكر لكم بعض الأخبار المرويّة بأسانيد وكتب أهل السنّة ولكن بشكل مقتضب، منها ما ذكره الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودّة نقلاً عن فرائد السمطين للحمويني بسنده عن مجاهد عن ابن عبّاس قال: قدم يهودي يُقال له نعثل فقال: يا محمّد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين فإن أجبتني عنها أسلمت على يديك، قال: سل يا أبا عمارة، فسأل النبيّﷺ عن أشياء إلى أن قال: فأخبرني عن وصيّك مَن هو؟ فما من نبيّ إلّا وله وصيّ وأنّ نبيّنا موسىٰ بن عمران أوصىٰ يوشع بن نون؟ فقالﷺ: إنّ وصيّي عليّ بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين، قال: يا محمّد فسمّهم لي، قال: إذا مضى الحسين فابنه علي فإذا مضىٰ عليّ فابنه محمّد فإذا مضىٰ محمّد فابنه جعفر فإذا مضىٰ جعفر فابنه موسىٰ فإذا مضىٰ موسىٰ فابنه علي فإذا مضىٰ علي فابنه محمّد فإذا مضىٰ محمّد

---

(١) أُنظر ليالي بيشاور ص١١٠٨ / المترجم.

فابنه علي فإذا مضىٰ علي فابنه الحسن فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهدي فهؤلاء اثنى عشر، قال: أخبرني كيفيّة موت عليّ والحسن والحسين؟ قال صلى الله عليه وآله: يُقتل علي بضربة علىٰ قرنه، والحسن يُقتل بالسمّ، والحسين بالذبح، قال: فأين مكانهم؟ قال: في الجنّة في درجتي، قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله وأشهد أنّهم الأوصياء بعدك، ولقد وجدتُ في كتب الأنبياء المتقدّمة وفيما عهد إلينا موسىٰ بن عمران عليه السلام إنّه إذا كان آخر الزمان يخرج نبيّ يُقال له أحمد ومحمّد وهو خاتم الأنبياء لا نبيّ بعده فيكون أوصيائه بعده اثنى عشر أوّلهم ابن عمّه وختنه والثاني والثالث كانا أخوين من ولده وتقتل أُمّة النبيّ الأوّل بالسيف والثاني بالسمّ والثالث مع جماعة من أهل بيته بالسيف وبالعطش في موضع الغربة فهو كولد الغنم يذبح ويصبر على القتل لرفع درجاته ودرجات أهل بيته وذرّيته ولإخراج محبّيه وأتباعه من النار، وتسعة الأوصياء منهم من أولاد الثالث فهؤلاء الاثنى عشر عدد الأسباط، قال صلى الله عليه وآله: أتعرف الأسباط؟ قال: نعم كانوا اثنى عشر أوّلهم لاوي بن برخيا وهو الذي غاب عن بني إسرائيل غيبة ثمّ عاد فأظهر الله به شريعته بعد اندراسها، وقاتل قرسطيا الملك حتّى قَتَلَ الملك، قال صلى الله عليه وآله: كأن في أُمّتي ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، وأنّ الثاني عشر من ولدي يغيب حتّى لا يرى ويأتي على أُمّتي بزمن لا يبقى من الإسلام إلّا اسمه ولا يبقى من القرآن إلّا رسمه فحينئذٍ يأذن الله تبارك وتعالى له بالخروج فيظهر الله الإسلام به ويجدّده، طوبىٰ لمن أحبّهم وتبعهم والويل لمن أبغضهم وخالفهم وطوبىٰ لمن تمسّك بهداهم، فأنشأ نعثل:

صلّى الإله على ذو العُلىٰ — عليك يا خير البشر
أنت النبيّ المصطفىٰ — والهاشمي المفتخر
بكم هدانا ربّنا — وفيك نرجو ما أمر
ومعشر سمّيتهم — أئمّة اثنى عشر

حـباهم ربّ العُـلىٰ ثمّ اصطفاهم من كدر
قـد فـاز مـن والاهـم وخاب من عادى الزهـر
آخـرهم يسـقى الظما وهـو الإمـام المـنتظر
عـترتك الأخـيار لي والتـابعين مـا أمـر
مـن كـان عـنهم مـعرضاً فسوف تـصلاه سـقر(١)

وأخرج موفّق بن أحمد أخطب الخوارزمي بسنده عن واثلة بن الأسقع بن قرخاب عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: دخل جندل بن جنادة بـن جـبير اليهودي على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد اخبرني عمّا ليس لله وعمّا ليس عند الله وعمّا لا يعلمه الله ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أمّا ما ليس لله فليس لله شريك، وأمّا ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد، وأمّا ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود أنّ عزيراً ابن الله والله لا يعلم أنّه له ولد بل يعلم أنّه مخلوقه وعبده، فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله حقّاً وصدقاً، ثمّ قال: إنّي رأيت البارحة في النوم موسى بن عمران عليه السلام فقال: يا جندل أسلم علىٰ يد محمّد خاتم الأنبياء واستمسك بأوصيائه من بعده، فقلت فلله الحمد أسلمت وهداني بك.

ثمّ قال: أخبرني يارسول الله عن أوصيائك من بعدك لأتمسّك بهم، قال: أوصيائي الاثنى عشر، قال جندل: هكذا وجدناهم في التوراة وقال: يارسول الله سمّهم لي، فقال: أوّلهم سيّد الأوصياء أبو الأئمّة علي ثمّ ابناه الحسن والحسين فاستمسك بهم ولا يغرّنك جهل الجاهلين فإذا ولد علي بـن الحسـين زيـن العابدين يقضي الله عليك ويكون آخر زادك من الدُّنيا شربة لبن تشربه، فقال جند: وجدنا في التوراة وفي كتب الأنبياء عليهم السلام ايليا وشبراً وشبيراً فهذه

---

(١) يـنابيع المـودّة ج٢ ص٥٢٩ البـاب ٧٦ ط النـجف، وص ٤٤١ نـفس البـاب ط إسلامبول.

أسماء علي والحسن والحسين فمن بعد الحسين وما أسماؤهم؟ قال: إذا انقضت مدّة الحسين فالإمام ابنه علي ويلقّب بزين العابدين فبعده ابنه محمّد يلقّب بالباقر فبعده ابنه جعفر يدعى بالصادق فبعده ابنه موسىٰ يدعى بالكاظم فبعده ابنه علي يدعى بالرضا فبعده ابنه محمّد يدعى بالتقي والهادي فبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري فبعده ابنه محمّد يدعى بالمهدي والقائم والحجّة فيغيب ثمّ يخرج فإذا خرج يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، طوبى للصابرين في غيبته طوبى للمقيمين على محبّتهم أولئك الذين وصفهم الله في كتابه وقال: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[1]، ثمّ قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[2]، فقال جندل: الحمد لله الذي وفّقني بمعرفتهم، ثمّ عاش إلى أن كانت ولادة علي بن الحسين فخرج إلى الطائف ومرض وشرب لبناً وقال: أخبرني رسول الله ﷺ أن يكون آخر زادي من الدُّنيا شربة لبن ومات ودفن بالطائف بالموضع المعروف بالكوزارة.

وفي المناقب عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: جاء يهودي من يهود المدينة إلى علي «كرّم الله وجهه» قال: إنّي أسألك عن ثلاث وثلاث وعن واحدة فقال علي: لِمَ لا تقول أسألك عن سبع، قال: أسألك عن ثلاث فإن أصبت فيهنّ سألتك عن الواحدة، فقال علي: ما تدري إذا سألتني فأجبتك أخطأت أم أصبت فأخرج اليهودي من كمّه كتاباً عتيقاً قال: هذا ورثته عن آبائي وأجدادي عن هارون جدّي إملاء موسى بن عمران وخط هارون بن عمران عليه السلام وفيه هذه المسألة التي سألتك عنها، قال علي: إن أجبتك بالصواب فيهنّ لتسلم، فقال: والله أسلم الساعة على يديك إن أجبتني بالصواب فيهنّ،

---

(١) البقرة: ٢ و ٣.

(٢) المجادلة: ٢٢.

قال له قل: قال: أخبرني عن أوّل حجر وضع على وجه الأرض، وعن أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض، وعن أوّل عين نبعت على وجه الأرض، قال: أمّا أوّل حجر وضع على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها صخرة بيت المقدس وكذبوا ولكن هو الحجر الأسود نزل به آدمعليه السلام من الجنّة فوضعه في ركن البيت والناس يتمسّحون به ويقبّلونه ويجدّدون العهد والميثاق به لأنّه كان ملكاً ابتلع كتاب العهد والميثاق وكان مع آدم في الجنّة فلمّا خرج آدم خرج هو فصار حجراً قال اليهودي: صدقت، قال علي: وأمّا أوّل شجرة نبتت على الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها الزيتونة وكذبوا ولكنّها نخلة من العجوة نزل بها آدمعليه السلام من الجنّة فأصل كلّ النخل العجوة، قال اليهودي: صدقت، قال عليّ «كرّم الله وجهه»: وأمّا أوّل عين نبعت على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها العين التي كانت تحت صخرة بيت المقدس وكذبوا ولكنّها عين الحياة التي نسي عندها صاحب موسى السمكة المالحة فلمّا أصابها ماء العين حييت وعاشت وشربت منه فاتبعها موسىٰ وصاحبه الخضرعليهما السلام، قال اليهودي: صدقت، قال علي: سل عن الثلاث الأخر قال: أخبرني كم لهذه الأُمّة بعد نبيّها من إمام؟ وأخبرني عن منزل محمّد أين هو في الجنّة؟ وأخبرني من يسكن معه في منزله؟ قال علي: لهذه الأُمّة بعد نبيّها اثنى عشر إماماً لا يضرّهم خلاف مَن خالفهم، قال اليهودي: صدقت، قال علي: ينزل محمّدصلى الله عليه وآله وسلم في جنّة عدن وهي وسط الجنان وأعلاها وأقربها من عرش الرحمان جلّ جلاله، قال اليهودي: صدقت، قال علي: والذي يسكن معه في الجنّة هؤلاء الأئمّة الاثنى عشر أوّلهم أنا وآخرنا القائم المهدي، قال: صدقت، قال علي: سل عن الواحدة قال: أخبرني كم تعيش بعد نبيّك؟ وهل تموت أو تُقتل؟ قال: أعيش بعده ثلاثين سنة وتخضب هذه أشار إلى لحيته من هذا أشار إلى رأسه الشريف، فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله وأشهد أنّك وصيّ

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(١).

وذكر موفّق الدين الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام بإسناده عن أبي سلمى راعي إبل رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لمّا عرجت إلى السماء سمعتُ خطاباً يقول: آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه قلت: والمؤمنون، قال: صدقت، ثمّ قال: يا محمّد إنّي اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فشققت لك اسماً من أسمائي فلا أُذكر في موضوع إلّا ذُكرتَ معي فأنا المحمود وأنت محمّد، ثمّ اطلعت الثانية فاخترت علياً وشققت له اسماً من أسمائي فأنا الأعلى وهو عليّ، إنّي خلقتك وعلياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ولده من سنخ نور من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ومن جحدها كان عندي من الكافرين، يا محمّد لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني حتّى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثمّ أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتّى يقرّ بولايتكم، ثمّ قال لي: التفت عن يمين العرش، فالتفتُ فإذا أنا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمّد بن علي وعلي بن محمّد والحسن بن علي والمهدي، في ضحضاح من نور قياماً يصلّون وهو في وسطهم (المهدي) كأنّه كوكب درّي، قال: يا محمّد هؤلاء الحجج وهو الثائر من عترتك، وعزّتي وجلالي إنّه الحجّة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي(٢).

وروى الشيخ سليمان البلخي حديثاً في غاية الأهمّية إذ كلّ فقرة من فقراته

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج١، ص١٤٦، ح٢٣، في فضائل الحسن والحسين عليهما السلام ط: أنوار الهدى ١٤١٨هـ.

تستبطن معنىٰ عميقاً وتدلّل على أمور مهمّة نقلاً عن فرائد السمطين بسنده عن سليم بن قيس الهلالي قال: ... قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لجماعة من الأصحاب: قال: ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّي وأهل بيتي كنّا نوراً نسعىٰ بين يدي الله تعالىٰ قبل أن يخلق الله عزّوجلّ آدم بأربعة عشر ألف سنة فلمّا خلق الله آدم عليه السلام وضع ذلك النور في صلبه وأهبط إلى الأرض ثمّ حمله في السفينة في صلب نوح عليه السلام ثمّ قذف به في النار في صلب إبراهيم عليه السلام ثمّ لم يزل الله عزّوجلّ ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة من الآباء والأمّهات لم ينكح واحد منّا على سفاح قط؟ فقال أهل السابقة وأهل بدر وأحد: نعم قد سمعناه.

ثمّ قال: أنشدكم الله أتعلمون أنّ الله عزّوجلّ فضّل في كتابه السابق على المسبوق في غير آية، ولم يسبقني أحد من الأمّة في الإسلام؟ قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت والسابقون السابقون أولئك المقرّبون سُئل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أنزلها الله عزّوجلّ في الأنبياء وأوصيائهم فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعلي وصيّي أفضل الأوصياء؟ قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وحيث نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، وحيث نزلت: ﴿لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ وأمر الله عزّوجلّ نبيّه أن يعلّمهم ولاة أمرهم، وأن يفسّر لهم من الولاية كما فسّر لهم من صلواتهم وزكاتهم وحجّهم، فنصّبني للناس بغدير خمّ، فقال: ياأيّها الناس إنّ الله جلّ جلاله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننتُ أنّ الناس تكذّبني فأوعدني ربّي ثمّ قال: أتعلمون أنّ الله عزّوجلّ مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولىٰ بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلىٰ يارسول الله، قال آخذاً بيدي: مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه،

اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه، فقام سلمان وقال: يارسول الله ولاء عليٰ ماذا؟ قال ﷺ: ولائه كولائي من كنتُ أولىٰ به من نفسه فعليّ أولىٰ به من نفسه فنزلت: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾، فقال ﷺ: الله أكبر بإكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء ربّي برسالتي وولاية علي بعدي، قالوا؛ يارسول الله هذه الآيات في عليّ خاصّة؟ قال: بلىٰ فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة، قالوا: بيّنهم لنا؟ قال: علي أخي ووارثي ووصيّي ووليّ كلّ مؤمن بعدي ثمّ ابني الحسن ثمّ الحسين ثمّ التسعة من ولد الحسين، القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتّى يردوا عليَّ الحوض، قال بعضهم: قد سمعنا ذلك وشهدنا، وقال بعضهم: قد حفظنا جلّ ما قلت ولم نحفظ كلّه وهؤلاء الذين حفظوا أخيارنا وأفاضلنا، ثمّ قال: أتعلمون أنّ الله أنزل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(١) فجمعني وفاطمة وابنيّ حسناً وحسيناً ثمّ ألقى علينا كساءً وقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي لحمهم لحمي يؤلمني ما يؤلمهم ويجرحني ما يجرحهم فاذهب عنهم الرِّجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت أمّ سلمة: وأنا يارسول الله، فقال: أنتِ إلى خير فقالوا: نشهد أنّ أمّ سلمة حدّثتنا بذلك.

ثمّ قال: أنشدكم الله أتعلمون أنّ الله أنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(٢) فقال سلمان: يارسول الله هذا عامّة أم خاصّة؟ قال: أمّا المأمورون فعامّة المؤمنين، وأمّا الصادقون فخاصّة أخي عليّ وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة؟ قالوا: نعم.

فقال: أنشدكم الله أتعلمون أنّي قلت لرسول الله ﷺ في غزاة تبوك:

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) التوبة: ١١٩.

خلّفتني على النساء والصبيان، فقال: إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك وأنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؟ قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون أنّ الله أنزل في سورة الحجّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١)، فقام سلمان فقال: يارسول الله مَن هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الدِّين من حرج ملّة إبراهيم؟ قالصلى‌الله‌عليه‌وآله: عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصّة، قال سلمان: بيِّنهم لنا يارسول الله؟ قال: أنا وأخي علي وأحد عشر من ولدي، قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله قال في خطبه في مواضع متعدّدة، وفي آخر خطبةٍ لم يخطب بعدها: أيّها الناس إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فتمسّكوا بهما لن تضلّوا فإنّ اللطيف الخبير أخبرني وعهد إليَّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض؟ فقال كلّهم: نشهد أنّ رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله قال ذلك(٢).

وفي المناقب بسنده المذكور عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين عليعليه‌السلام حينما سأله أحد الرجال عن أدنى ما يكون به العبد مؤمناً، وعن أدنىٰ ما يكون به العبد كافراً، وعن أدنىٰ ما يكون به العبد ضالّاً؟

فقالعليه‌السلام: أمّا أدنى ما يكون به العبد مؤمناً: أن يعرِّفه الله تبارك وتعالىٰ نفسه فيقرّ له بالطاعة ويعرِّفه نبيّهصلى‌الله‌عليه‌وآله فيقرّ له بالطاعة، ويعرِّفه إمامه وحجّته في أرضه وشاهده على خلقه فيقرّ له بالطاعة.

وأدنىٰ ما يكون العبد به كافراً: من زعم أنّ شيئاً نهى الله عنه أن أمره به

---

(١) الحج: ٧٧.

(٢) تذكرة الخواص ص٣٢٣، والفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ص٤٠.

ونصبه دينا يتولى عليه، ويزعم أنّه يعبد الله الذي أمره به وما يعبد إلّا الشيطان.

وأمّا أدنىٰ ما يكون به العبد ضالاً: أن لا يعرف حجّة الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده الذي أمر الله عزّوجلّ عباده بطاعته وفرض ولايته، قلت ـ السائل ـ: يا أمير المؤمنين صِفهم لي؟ قال: الذين قرنهم الله تعالىٰ بنفسه ونبيّه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[١]، فقلت له: جعلني الله فداك أوضح لي، فقال: الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مواضع وفي آخر خطبة يوم قبضه الله عزّوجلّ إليه: إنّي تركت فيكم أمرين لن تضلّوا بعدي إن تمسّكتم بهما كتاب الله عزّوجلّ وعترتي أهل بيتي فإنّ اللطيف الخبير قد عهد إليَّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيَّ الحوض كهاتين وجمع مسبحتيه ولا أقول كهاتين وجمع مسبحته والوسطىٰ، فتمسّكوا بهما ولا تقدموهم فتضلّوا.

وأيضاً بسنده عن عيسىٰ بن النسري قال: جئت الإمام الصادق عليه السلام وقلت له: حدِّثني عمّا ثبت عليه دعائم الإسلام إذا أخذت بها زكىٰ عملي ولم يضرّني جهل ما جهلت؟ قال: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله وحقّ في الأموال من الزكاة، والإقرار بالولاية التي أمر الله بها ولاية آل محمّد صلى الله عليه وآله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية[٢]، قال الله عزّوجلّ: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٣] فكان علي صلوات الله عليه ثمّ صار من بعده حسن ثمّ حسين ثمّ من بعده علي ابن الحسين ثمّ من بعده محمّد بن عليٍ وهكذا يكون الأمر، إنّ الأرض لا تصلح

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) تقدّم مصدره.

(٣) النساء: ٥٩.

إلّا بإمام ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه هاهنا وأهوىٰ بيده إلى صدره، يقول: حينئذٍ لقد كان على أمر حسن(١).

وأيضاً ذكر سليمان الحنفي في الباب ٧٧ عن عباية بن ربعي عن جابر وفي صفحة أخرى عن عبدالله بن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيّد النبيّين وعلي سيّد الوصيّين وإنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر أوّلهم علي وآخرهم القائم المهدي(٢).

وذكر السيّد علي بن شهاب الهمداني في المودّة العاشرة من مودّة القربىٰ عن عباية بن ربعي الحديث أعلاه.

وفي الكتاب المذكور نفسه روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقىٰ ويعتصم بحبل الله المتين فليوال عليّاً بعدي وليعادِ عدوّه وليأتمّ بالأئمّة الهُداة من ولده فإنّهم خلفائي وأوصيائي وحجج الله على خلقه بعدي وسادات أُمّتي وقادات الأتقياء إلى الجنّة، حزبهم حزبي وحزبي حزب الله وحزب أعدائهم حزب الشيطان(٣).

وعن زيد بن حارثة حينما بايع الأنصار النبيّ صلى الله عليه وآله بيعتهم الأولى، قال صلى الله عليه وآله: أنا أخذ عليكم بما أخذ الله على النبيّين من قبلي أن تحفظوني وتمنعوني عن ما تمنعون أنفسكم عنه وتمنعوا علي بن أبي طالب عن ما تمنعون أنفسكم عنه وتحفظوه فإنّه الصدِّيق الأكبر يزيد الله دينكم، وأنّ الله أعطى موسى العصا

---

(١) البحار: ج٢٣، ص٧٦ ـ الرواية الثانية ـ الباب الرابع.

(٢) ينابيع المودّة ج٢ الباب ٧٧ ص١٠٥.

(٣) المصدر نفسه.

وإبراهيم برد النار وعيسى الكلمات يُحيي بها الموتىٰ وأعطاني هذا: علياً، ولكلّ نبي آية وهذا آية ربّي والأئمّة الطاهرون من ولده آيات ربّي لن تخلو الأرض من أهل الإيمان ما أبقى الله أحداً من ذرّيته واحداً.

وذكر الشيخ سليمان البلخي الحنفي في الينابيع الباب ٧٧ عن كتاب العمدة ليحيى بن الحسن من عشرين طريقاً ذكر فيها خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّهم اثنا عشر خليفة[١].

وذكر البخاري في صحيحه من ثلاث طرق وصحيح مسلم من تسعة طرق وفي سنن أبي داود من ثلاث طرق وفي سنن الترمذي من طريق واحد والحميدي من ثلاث طرق بألفاظ مختلفة أنّه صلى الله عليه وآله قال: يكون بعدي اثنا عشر أميراً فقال: كلمة لم أسمعها فسألت أبي ماذا قال؟ قال: قال: كلّهم من قريش[٢].

وفي لفظ مسلم: عن عامر بن سعد قال: كتبتُ إلى ابن سمرة (جابر) أخبرني عمّا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله: فكتب إليَّ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الجمعة عشية رجم الأسلمي يقول: لا زال الدِّين قائماً حتّى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش[٣].

وذكر السيّد علي الهمداني الشافعي في المودّة العاشرة عن عبد الملك بن عمير وسماك بن حرب عن جابر بن سمرة بهذا الطريق قال: كنتُ مع أبي عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال صلى الله عليه وآله: يكون بعدي اثنا عشر خليفة ثمّ قال كلاماً لم أسمعه فسألت أبي عنه فقال: قال: كلّهم من بني هاشم، يعني إلى الثاني عشر[٤].

---

(١) ينابيع المودّة ج٢ باب ٧٧ ص١٠٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

وعن الشعبي عن عمر بن قيس قال: كنّا جماعة عند عبدالله بن مسعود فدخل علينا أعرابي وقال: مَن منكم عبد الله بن مسعود؟ فقال عبدالله: أنا عبدالله ابن مسعود، فقال الرجل: هل حدّثكم نبيّكم كم يكون بعده من الخلفاء؟ قال: نعم، اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل[١].

وعن الشعبي أيضاً عن مسروق قريب من الحديث المتقدّم سأله أحد الشبّان عن الخلفاء؟ فقال عبدالله بن مسعود: نعم عهد إلينا نبيّنا ﷺ أنّه يكون بعده اثنا عشر خليفة بعدد نقباء بني إسرائيل[٢] وقريب منه عن جرير عن الأشعث عن عبدالله بن مسعود.

وفي مودّة القربىٰ ـ المودّة العاشرة ـ والحمويني في الفرائد عن الأصبغ بن نباتة عن ابن عبّاس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون ومعصومون[٣].

وذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة والحمويني في الفرائد عن حذيفة بن أسيد قال: قال رسول الله ﷺ: الأئمّة بعدي من عترتي عدد نقباء بني إسرائيل تسعة من صلب الحسين أعطاهم الله علمي وفهمي فلا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم اتّبعوهم فإنّهم مع الحقّ والحقّ معهم[٤].

وذكر الشيخ سليمان البلخي في ينابيع المودّة الباب ٧٨ نقلاً عن فرائد السمطين مروياً عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الاثنا عشر أوّلهم علي وآخرهم

---

(١) البحار: ج٣٦، ص ٢٣٠، الرواية التاسعة، الباب ٤١.

(٢) ينابيع المودّة ج٢ باب ٧٧ ص١٠٤.

(٣) المصدر نفسه ص١٠٥.

(٤) فرائد السمطين: ج ١، ص١٣٨، ط: السعادة بمصر ١٣٢٢ هـ.

ولدي المهدي.. إلى آخر الحديث[١].

وفي الباب ٩٣ في حديث طويل عن صاحب المناقب مسنداً عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام ذكر فيه فضائل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن يقول: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عن ربّه سبحانه وتعالى (أي حديث قدسي): يا محمّد أنت عبدي وأنا ربّك فإيّاي فاعبد وعليَّ فتوكّل وخلقتك من نوري وأنت رسولي إلى خلقي وحجّتي على بريتي، لك ولمن اتّبعك خلقت جنّتي ولمن خالفك خلقت ناري، ولأوصيائك أوجبت كرامتي، فقلت: ياربّ ومَن أوصيائي؟ فنوديت: يا محمّد أوصيائك المكتوبون على سرادق عرشي، فنظرتُ فرأيت اثنى عشر نوراً وفي كلّ نور سطراً أخضر، عليه اسم وصي من أوصيائي أوّلهم عليّ وآخرهم القائم المهدي فقلت: ياربّ هؤلاء أوصيائي من بعدي؟ فنوديت: يا محمّد هؤلاء أوليائي وأحبّائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريتي وهم أوصيائك... الخ[٢].

وفي المناقب مسنداً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً: الأئمّة بعدي اثنا عشر أوّلهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله عزّوجلّ على يديه مشارق الأرض ومغاربها[٣].

---

(١) ينابيع المودّة ج٢ باب ٧٨ ص١٠٨.

(٢) المصدر السابق باب ٩٣ ص١٥٩.

(٣) المناقب للخوارزمي ص٥، ط مكتبة نينوى الحديثة.

الخلفاء الاثنا عشر لا ينطبق إلّا على مذهب الإمامية

وتوجد على غرار هذه الأحاديث الكثير الكثير في كتب الفريقين يعضد بعضها بعضاً بعبارات مختلفة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وبشكل مكرّر وفي عدّة أماكن ومواطن، ولكن مَن يدِّقق ويطبّق هذا العدد (الاثنى عشر خليفة) على جميع عقائد المسلمين فإنّه لا ينطبق إلّا على مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية القائلون بإمامة اثنا عشر إمام كلّهم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد صرّح بعض علماء السنّة المنصفون بذلك أيضاً مثل الشيخ سليمان البلخي في الينابيع حيث قال تحت عنوان: «في تحقيق حديث بعدي اثنىٰ عشر خليفة»: قال بعض المحقّقين إنّ الأحاديث الدالّة على كون الخلفاء بعده صلى الله عليه وآله اثنا عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان علم أنّ مراد رسول الله صلى الله عليه وآله من حديثه هذا (الأئمّة الاثنا عشر) من أهل بيته وعترته إذ لا يمكن أن يُحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثنىٰ عشر ولا يمكن أن تحمله على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر ولظلمهم الفاحش إلّا عمر بن عبد العزيز[1] ولكونهم غير بني هاشم لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: كلّهم من بني هاشم.. ولا يمكن أن يحمله على الملوك العبّاسية لزيادتهم على العدد المذكور ولقلّة رعايتهم الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ وحديث الكساء فلابدّ من أن يحمل هذا الحديث على الأئمّة الاثني عشر من أهل بيته وعترته صلى الله عليه وآله (الذين تقول الشيعة الإمامية بإمامتهم) لأنّهم كانوا

---

(١) بل يكفي لإدانته أيضاً أنّه ملك وحكم الناس وفيهم مَن هو أعلم وأتقىٰ وأورع وأعدل منه / المؤلّف رحمه الله.

أعلم أهل زمانهم وأجلّهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند الله وكانت علومهم عن آبائهم متّصلاً بجدّهم صلى الله عليه وآله بالوراثة واللدنية كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق وأهل الكشف والتوفيق ويؤيّد هذا المعنى أي أنّ مراد النبيّ صلى الله عليه وآله الأئمّة الاثنا عشر من أهل بيته ويشهد ويرجّحه حديث الثقلين والأحاديث المتكرّرة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها[1]، ولم يتوصّل إلى هذه النتيجة الشيخ سليمان البلخي وحده بل يقطع بها كلّ عاقل منصف يترك العناد واللجاج والتعصّب ويؤمن بالواقعية والموضوعية والتحقيق والتدقيق فالحديث لا ينطبق إلّا على مذهبنا (الإمامية) ولا ينطبق على أيّ أئمّة أو خلفاء أو ملوك ولكم أن تجرّبوا وتطبّقوا الحديث.

إذن فمن خلال هذا تعرفون الفرقة الناجية التي ستكون واحدة من علاماتها أنّها تؤمن وتعتقد بوجود اثنى عشر إماماً من أئمّة أهل البيت عليهم السلام من بني هاشم، ولا توجد فرقة تتّصف بذلك سوى الشيعة الإمامية.

وكما قلتُ لكم مراراً إنّنا نتّبع الدليل وليس اعتقادنا هذا ناشئ عن هوى النفس أو التعصّب بل هو على أثر الأحاديث النبوية الشريفة، فلو كان هناك حديثاً واحداً من النبيّ صلى الله عليه وآله يأمرنا فيه بمتابعة واصل بن عطاء في الأصول، أو أبي الحسن الأشعري في الفروع أو أيّ واحد من أئمّتكم الأربعة لاتّبعناهم امتثالاً وتسليماً لأمر النبيّ صلى الله عليه وآله.

والعجب من أهل السنّة عندما نسألهم عن دليل إتّباعهم لهؤلاء الذين لم يأمر النبيّ صلى الله عليه وآله بوجوب متابعتهم، يقولون لأنّ أكثر المسلمين هم من أهل السنّة وأكثر أهل السنّة أشاعرة فهذا دليل متابعتنا للمذهب السنّي الأشعري، وقلتُ سابقاً: إنّ ملاك الحقّ ليس الأقلّ أو الأكثر بل هو الدليل المنبثق من القرآن والسنّة

---

(١) ينابيع المودّة ج ٢ الباب ٧٧ ص ١٠٥.

الصحيحة والعقل السليم، وكم هناك آيات قرآنية تذمّ الأكثرية منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(٢) فالأكثرية ليست مناط الحقّ ولا ملاكه.

نتيجة مهمّة

فالنتيجة ممّا تقدّم أنّ من علامات الفرقة الناجية هي:

١ ـ التابعون لعلي بن أبي طالب عليه السلام في كلّ شيء والذين يفضّلونه على جميع الصحابة إنطلاقاً من قوله «خير البرية» كما تقدّم بيانه.

٢ ـ الذين يتمسّكون بأهل البيت من آل محمّد وعلي صلوات الله عليهما وفقاً لحديث سفينة نوح المتقدّم.

٣ ـ الذين يتمسّكون ويتابعون أهل البيت عليهم السلام في الأصول والفروع وفقاً لحديث الثقلين المتقدّم.

٤ ـ الذين يؤمنون باثني عشر إماماً من عترة النبيّ صلى الله عليه وآله كما تقدّم، وجميع هذه العلامات والصفات لا توجد إلّا في الشيعة الإمامية فقطعاً هم الفرقة الناجية، المقصودون بحديث الافتراق وهم الناجون من بين (٧٣) فرقة.

تعصّب أهل السنّة

ورغم كلّ هذه الأدلّة إلّا أنّ أهل السنّة يتّبعون واصل والأشعري وأحمد وأبا حنيفة والشافعي مع عدم وجود أيّ حديث نبوي في فضل هؤلاء، بخلاف أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وهذا يعني أنّ أهل السنّة يتابعون أئمّتهم عن تعصّب لا عن

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) سبأ: ١٣.

دليل وإلى اليوم، ثمّ نراهم يكفِّرون الشيعة ويتّهمونهم بأنواع الاتهامات الباطلة بسبب متابعتهم ـ الشيعة ـ لأئمّة أهل البيت عليهم السلام وأخذ الأصول الاعتقادية والأحكام الفرعية عنهم عليهم السلام، ولا أدري بأيّ مناسبة يكفّرون الشيعة ولا يكفّرون أنفسهم وهم يأخذون دينهم وأحكامهم ـ التي أشرنا إلى فسادها ـ من رجال جاءوا بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله بعشرات السنين لم يسمعوا منه مشافهة حديثاً واحداً، ولم يشر إليهم النبيّ صلى الله عليه وآله بحديث واحد!! ألا يدعوكم هذا إلى الاستغراب والتعجّب ؟!

كيف تأخذ الأحكام الشرعية من هؤلاء ولا تأخذوها من رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الشريعة الإسلامية الغرّاء عبر عترته الطاهرة؟

كيف تقولون بالتجسيم ولا يقول به رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

كيف تقولون بالجبر أو التفويض ولم يقل بهما رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

كيف تقولون بزيادة الصفات على الذات ولم يقل به رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

وكلّ هذه العقائد تفوح منها رائحة الشرك والكفر كما ذكرتُ ذلك لكم سابقاً والحال أنّكم لا تجدون أمثال هذه الكفريات[1] في مذهب الفرقة الناجية لأنّنا نتّبع أهل بيت الرسالة عليهم السلام في كلّ شيء وهم أصل الإسلام، ولكي تطمأنوا إلى صحّة عقائد الفرقة الناجية ـ الشيعة الإمامية ـ سوف أستعرض لكم بشكل مختصر ما أعتقد به أنا باعتباري واحداً من الشيعة الإمامية التي يؤمن بها الجميع وكلّ من خالف في ذلك فهو ليس من الشيعة لأنّه إمّا من الغُلاة والمفوّضة أو غيرهما.

---

(١) لقد أبطلتُ المعتقدات الخرافية للأشاعرة والمعتزلة ورددتُ الاتّهامات ضدّ الشيعة التي شنّها الأموية والخوارج والنواصب في هذا الكتاب وفي ليالي بيشاور ومائة مقالة سلطانية / المؤلّف رحمه الله.

هذه عقائد الشيعة

التوحيد: نعتقد بأنّ الخالق (الله) سبحانه وتعالى إلٰهاً واحداً أحداً وهو واجب الوجود لذاته لا شبيه له ولا مثيل ولا عديل ولا نظير وهو سبحانه مجرّداً ليس جسماً ولا صورةً ولا عرضاً ولا جوهراً، وهو مجرّد عن جميع الصفات الإمكانية ومبرّأ من كلّ نقص، بل هو خالق الممكنات والأعراض والجواهر، فهو غيرها لا شريك له أبداً، وهو سبحانه مستجمع لكلّ صفات الكمال والجمال وصفاته عين ذاته، لا كما يقول الأشاعرة بالإضافة فهو شرك في مقام الذات، بل نقول بعينيتها تباعاً لأمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبته وقد مرّت.

وأنّه تعالى قادر علىٰ كلّ مقدور خلّاق على الإطلاق وهو الهادي سبحانه وتعالى ولكن لا على نحو الجبر والقهر.

النبوّة: وبما أنّه سبحانه ليس جسماً فهو إذن ليس من جنس الممكنات فلا يباشر الخلق ولا يباشرونه ولكنّه تعالى انتجب من خلقه رسلاً بعثهم لخلقه من أجل الهداية والرشاد، وزوّدهم بالمعجزات الخارقة والشرائع المتناسبة في الزمان والمكان، وجعل من بينهم خمسة أولي عزم وأصحاب شرائع عالمية وهم نوح وإبراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسىٰ روح الله ونبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله.

وجعل رسالة النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله ناسخة لتلك الشرائع كلّها لكونها أوسع وأعمق وأدق، ولكونه صلى الله عليه وآله أفضل وأشرف جميع الأنبياء والمرسلين فانتجبه لختم الرسالات وجعل دينه خاتم الأديان، فنعتقد أنّ حلال محمّد صلى الله عليه وآله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة وشريعته مستمرّة إلى يوم القيامة.

المعاد: ونعتقد بيوم القيامة وهو يوم المجازاة فمن عمل صالحاً دخل الجنّة ومن عمل طالحاً دخل النار، وفي ذلك اليوم يجمع الله الأوّلين والآخرين ويحيهم من جديد ويخلق أبدانهم ويعيد فيها الأرواح، فنؤمن بالنشر والحشر

والبعث والحساب والعقاب والثواب.. فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره كما أخبر القرآن بذلك.

القرآن: ونعتقد أنّ هذا القرآن الموجود بين أيدينا اليوم هو نفس القرآن الذي أنزله الله تعالىٰ علىٰ نبيّناﷺ لم يُزد فيه شيء ولم ينقص منه شيء وهو مصون من يد التحريف، وقد ذكرت تفصيل ذلك في كتابي (مائة مقالة سلطانية).

ونحن مأمورون بالعمل على وفق هذا القرآن العظيم وأخذ الأحكام منه كالصلاة والزكاة والحج والجهاد وغيرها من الأحكام والآداب والسنن (المستحبّات)، ونعتقد بحرمة الخمر والقمار والزنا واللواط والربا وقتل النفس والغيبة والكذب والتهمة والكبر والحسد والبخل والرياء والعجب والظلم وغيرها من الذنوب والمعاصي التي أخبر عنها القرآن المجيد.

الإمامة: ونعتقد أنّ لكلّ نبي وصي ينوب عنه حال ارتحاله لكي يحافظ على معالم الرسالة ويحفظ الأمّة من الانحراف والضلالة، فنعتقد أنّ النبيّﷺ لا يذهب عن هذه الدُّنيا إلّا وقد عيّن وصيّه للأمّة، ويجب أن يكون خليفة رسول اللهﷺ مثل النبيّﷺ أي أتقى وأعلم وأورع وأسخىٰ وأتمّ الناس ليصلح أن يكون حافظاً وحامياً للدِّين والناس ويتمّ تعيينه من الله تعالى ويُخبر عنه رسول اللهﷺ، فنعتقد أنّ أمير المؤمنين عليّاًعليه السلام هو خليفة ووصي رسولنا الكريم ﷺ إنطلاقاً من النصوص الصحيحة المروية عند الفريقين مثل قولهﷺ: «إنّ الله تعالىٰ جعل لكلّ نبيّ وصيّاً وجعل شيث وصي آدم ويوشع وصي موسىٰ وشمعون وصي عيسىٰ وعليّاً وصيّي، ووصيّي خير الأوصياء في البداء وأنا الداعي وهو المضيء»[1].

---

(١) ذكره مير سيّد علي الهمداني الشافعي في المودّة الرابعة من كتابه مودّة القربىٰ عن

وذكر سبط ابن الجوزي في تذكرة خواص الأئمّة وابن المغازلي الفقيه الشافعي في المناقب وشيخ سليمان البلخي الحنفي في الينابيع الباب ١٥ عن مسند أحمد بن حنبل بسنده عن أنس بن مالك قال: قلنا لسلمان: سل النبيّ صلى الله عليه وآله مَن وصيّه؟ فقال له سلمان: يارسول الله مَن وصيّك؟ فقال: ياسلمان مَن وصيّ موسىٰ؟ قال: يوشع بن نون، فقال صلى الله عليه وآله: وصيّي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب عليه السلام(١).

وعن موفّق بن أحمد الخوارزمي بسنده عن أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة (رض) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله اختار من كلّ نبيّ وصيّاً وعليّ وصيّي في عترتي وأهل بيتي وأُمّتي بعدي(٢).

← أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٦١٥ ح ١٠٥٢، وينابيع المودّة ج ١ الباب ١٥ ص ٧٧.

(٢) ينابيع المودّة ج ١ باب ١٥ ص ٧٧.

أقول: وللاطّلاع على النصوص التي ذكرت وصية النبيّ لعلي بالخلافة صريحاً يمكن مراجعة المصادر التالية من كتب أهل السنّة: تفسير الخازن ج ٣ ص ٣٧٢ ط دار المعرفة بيروت، وكفاية الطالب للحافظ الگنجي الشافعي الباب ٥١ ط النجف، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٤٣ ط النجف، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ١١٢ ط السعادة بمصر، وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٣ ط السعادة بمصر، وفضائل الصحابة لأحمد ج ٢ ص ٦١٥ والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٧٩، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٣، والفصول المهمّة لابن الصبّاغ ص ٢٧٧، ولسان الميزان للعسقلاني ج ١ ص ٤٨٠ ط حيدر آباد الدكن، السيرة الحلبية للشافعي ج ١ ص ٢٨٦ ط مصر، وتاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٥ رقم ١٠٢١ ط بيروت، وتفسير الطبري ج ٢ ص ٣١٩ ط دار المعارف مصر، وكنوز الحقائق للشافعي ص ٤٩ ط بولاق مصر، وذخائر العقبى ←

ونعتقد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كما نصّ على أمير المؤمنين علي عليه السلام نصّاً صريحاً كذلك نصّ وذكر بقيّة أوصيائه وخلفائه بأسمائهم وقد ذكرتُ لكم بعض هذه الروايات فلا أُكرّر، فنعتقد أنّ خلفائه اثنى عشر وصيّاً وخليفة وأنّ الثاني عشر منهم ما يزال حيّاً ولكنّه غائب عنّا، وليست الغيبة أمراً عجيباً بل هي حصلت لبعض الأنبياء والأوصياء في الزمان السابق وقد ادّخره الله تعالى لإنقاذ العالم من الظلم والاستبداد، ولنشر العدل والسلام وهو المصلح الذي ينتظره العالم بأسره، ولكن تختلف تسميته من أُمّة إلى أُمّة، وقد أشرت سابقاً إلى موضوع غيبته عليه السلام، هذا بالنسبة لأصول الدين عندنا.

فروع الدين: وأمّا فروع الدين فنعتقد بالأحكام الخمسة الوجوب والاستحباب والكراهة والحرمة والإباحة، ولكن نأخذ جميع هذه الأحكام من باب الطهارة إلى باب الديات عن أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وأنا شخصياً ـ وكلّ شيعي ـ أفتخر بأنّني أسير على نهج أهل البيت عليهم السلام وآخذ أحكامي منهم عليهم السلام بل أعتبر ذلك نعمة إلٰهية ليس يقابلها شكر لأنّهم عليهم السلام الصراط المستقيم ولأنّهم الصادقون الذين لا ينطقون إلّا وفق القرآن كما وصفهم الله تعالى وكما أمرنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1] وقد صرّح الكثير من علمائكم بأنّ المراد من الصادقين في هذه الآية هم آل محمّد صلى الله عليه وآله[2].

← للطبري ص ١٣١ ط جدّة، وكنز العمّال ج ١١ ص ٦٠٤ رقم ٣٢٩٢٣ ط سوريا وغيرها من المصادر الكثيرة يمكن مراجعة كرّاسنا علي سيّد الأوصياء /المترجم.

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) أُنظر الدرّ المنثور وتفسير الثعلبي وما نزل من القرآن في علي للحافظ أبي نعيم ومنقبة المطهّرين ومناقب الخوارزمي وينابيع المودّة باب ٣٩ وكفاية الطالب باب ٦٢ مسنداً وتاريخ ابن عساكر /المؤلّف رحمه الله.

←

وإذا استطال الشيء قام بنفسه   وصفاء ضوء الشمس يذهب باطلا[١]

إذن الفرقة الناجية هم أتباع آل محمّد صلى الله عليه وآله الذين نزل القرآن الكريم يأمر المسلمين بالكون معهم ووجوب متابعتهم، فهذه عقائدي وهي عقائد الشيعة ـ الفرقة الناجية ـ بعيداً عن التعصّب بل استناداً إلى الأدلّة النقلية والعقلية المتقدّمة، فالمطلوب من المتنوّرين من شباب أهل السنّة أن ينظروا إلى هذه المطالب العقائدية بعين الإنصاف والموضوعية ويزيلوا عن قلوبهم وعيونهم وعقولهم حُجب العصبية والقومية لأنّ ديننا الإسلامي العظيم دين المنطق والدليل والبرهان، لا دين التعصّب والجاهلية ومتابعة السلف على الخطأ، حتّى ذمَّ الله تعالى أولئك الذين يقلّدون الآخرين بلا دليل: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ... إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[٢].

وأنا شخصياً أشكر الله تعالى أن هداني إلى الدليل والمنطق فلم أتّبع أحداً إلّا بعد أن رأيت الأدلّة القرآنية والمنطقية الصحيحة التي جعلت الفرقة الناجية هم أولئك الذين يتّبعون القرآن والعترة معاً بلا أدنىٰ فرق.

← أقول: الصادقون جمع محلّى بالألف واللام وهو يفيد العموم أي أنّهم صادقون في جميع شؤونهم وهو تعبير ثاني عن العصمة، بل هو المتعيّن لأنّ الله لا يأمر بالكون إلّا مع أهل العصمة ولا معصوم في الأمّة آنذاك سوى النبيّ صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام اتّفاقاً بين المسلمين، فتكون الآية مخصوصة بعلي عليه السلام حتّى لو لم يكن لدينا نصّ علىٰ سبب نزولها، وفيها دلالات أخرى تشمل الأئمّة الهُداة من أهل البيت عليهم السلام لا يسع المجال لذكرها هنا / المترجم.

(١) هذا الشعر للمتنبّي لمّا سألوه عن عدم مدحه للإمام علي عليه السلام فأجابهم بهذا البيت.

(٢) الزخرف: ٢٢ ـ ٢٣.

مناقشة حديث: ما أنا عليه وأصحابي

ومع شديد الأسف نرى أكابر أهل السنّة يتعاملون مع الدِّين والعقائد الدينيّة بكلّ تعصّب وعناد ولجاج فهذا عبد القاهر البغدادي والشهرستاني وابن حزم الأندلسي يكتبون في كتبهم إنّ الفرقة الناجية هم الأشاعرة!! ودليلهم في ذلك حديث مروي عن النبي صلى الله عليه وآله حينما سُئل عن الفرقة الناجية فقال صلى الله عليه وآله: ما أنا عليه وأصحابي.

وبما أنّ الأشاعرة يقولون بتنزيه جميع الصحابة المؤمن والفاسق عندهم سواء فاعتبروا أنفسهم الفرقة الناجية باعتبارهم يتّبعون جميع الصحابة ويكفّرون كلّ من ينتقد الصحابة أو يناقش بعض أعمالهم، وهنا علينا أن نضع هذا الحديث تحت مجهر التحقيق والدراسة:

أوّلاً: مرَّ عليكم سابقاً من خلال العشرات من الأحاديث أنّ علامة الفرقة الناجية هي التمسّك بالقرآن والعترة الطاهرة ومتابعتهم وأخذ الأحكام عنهم ولايجوز تقديم غيرهم عليهم كما في حديث الثقلين والسفينة وغيرهما، في حين لايوجد أي حديث في فضل أبي الحسن الأشعري.

ثانياً: ومضافاً إلى تلك النصوص التي تأمرنا بمتابعة أهل البيت فقط فإنّ العقل يأمر بذلك، لأنّ الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام هم من جملة الصحابة ـ في نظر أهل السنّة ـ وقد عاشوا في كنف النبيّ صلى الله عليه وآله ونهلوا منه العلم عن لسانه المبارك وحملوا من الأسرار ما لا يعرفه أحد، بينما جاء أبو الحسن الأشعري بعد ٣٠٠ عاماً من وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله!! فالعقل يرى وجوب وضرورة متابعة أهل البيت عليهم السلام ولا يرى أي وجه حسن في متابعة الأشعري.

ثالثاً: ثمّ لو تنزّلنا وقلنا بصحّة حديث ما أنا عليه وأصحابي ـ ولا نقول به ـ علينا أن نعرف مراد ودلالة هذا الحديث فضلاً عن سنده، فما المراد من كلمة

(أصحابي)؟ هل المراد منها جميع الأصحاب؟ وهو تعبير ثانٍ عن إجماع الصحابة إلى درجة عدم خروج واحدٍ منهم فإذا كان هذا المراد، فقطعاً لم يتحقّق لا في زمان النبيّ صلى الله عليه وآله ولا بعد وفاته لأنّهم لم يجتمعوا على أمر ولم يتحقّق مثل هذا الإجماع أبداً ولكم أن تراجعوا بعض الموسوعات التأريخية لتعرفوا بطلان ذلك.

وقد مرَّ عليكم سابقاً أنّ الصحابة كانوا فريقين في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله فريق المؤمنين وفريق المنافقين، ثمّ استمرّ وجود هذين الفريقين إلى بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله وكان الاختلاف بينهما على قدمٍ وساق في كلّ شيء ولكن ظاهراً كانت الأجواء والظروف توحي أنّهم فرقة واحدة، وقد تكلّمت سابقاً عن ذلك. والآن إذا أردنا أن نكون مع الأصحاب فلمن نتّبع؟ هل إلى هؤلاء أم إلى هؤلاء؟ إذ لا يمكن اتّباع أيّاً منهما إلّا مع وجود الدليل المقنع الراجح، فمثلاً ذكر جميع المؤرّخين والعلماء من الفريقين أنّ الصحابة بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله كانوا فريقين، جماعة كانوا مع أبي بكر وعمر وبايعوه على الخلافة وجماعة كانوا مع أمير المؤمنين علي عليه السلام ووقفوا موقف المعارض الساخط الناقم من الجماعة الأُولىٰ، مثل سلمان الفارسي وأبي ذرّ الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي وعمّار بن ياسر وخالد بن سعيد بن العاص وبريدة الأسلمي وأُبيّ بن كعب وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبي الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وأبي أيّوب الأنصاري وجابر بن عبدالله الأنصاري وحذيفة بن اليمان وعبدالله ابن عبّاس وزيد بن أرقم وسعد بن عبادة الأنصاري وقيس بن سعد بن عبادة مع جماعة كبيرة من الخزرج وتمام بني هاشم بقيادة العبّاس بن عبد المطّلب عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله، والفضل بن العبّاس والزبير بن العوّام، والبراء بن عازب وآخرين..

والآن نوجّه هذا السؤال إلى أهل السنّة: على أيّ أساس ديني تابعتم الفريق الأوّل وقلتم بخلافة أبي بكر واعترفتم بصحّة طريقتهم دون الفريق الثاني؟ حتّى

أنّكم نقمتم على أتباع الفريق الثاني ووجّهتم إليهم سهام الاتّهام ووسمتموهم بالرافضة وما شابه ذلك!! أي أنّكم ترون خطأ الفريق الثاني فأين الدليل على ذلك؟

سؤال أحد الحاضرين: إذا عكسنا هذا السؤال ووجّهناه إليكم فنقول بأي دليل وبأي مرجِّح تابعتم الفريق الثاني من الصحابة ولم تعتقدوا بأحقّية الفريق الأوّل من الصحابة؟

الجواب: كنتُ أتوقّع مثل هذا السؤال، لقد ذكرت لكم سابقاً أنّ آيات القرآن الكريم وهكذا أحاديث الفريقين تخبرنا أنّ في صحابة النبيّ أُناساً منحرفين ولكنّهم يتظاهرون بالإيمان وقد نقلت لكم أحاديث البخاري حول ذلك، ومنه يظهر أنّ الجميع كان يعمل على أن يظهر بمظهر المؤمن ولكن يكمن النفاق والفسق في قلوب البعض.

فإذا كان الأمر كذلك لا يمكن لأي عاقل أن يلتزم بمتابعة الصحابة كلّهم لأنّه يعني متابعة المنافق والفاسق ضمناً وهو قبيح ويُذمّ فاعله، ولا يجوز أن يتّبع الفريق الأكثر عدداً لأنّنا قلنا إنّ الأكثرية ليست ملاك الحقّ ولا يُستكشف منها بأي شكل. فاجتماع بعض الصحابة أو أكثرهم في سقيفة بني ساعدة لا دليل على أنّه هو الحقّ، بل يُعرف الحقّ بالأدلّة العقلائية والمرجّحات غير القابلة للنقض والعلامات التي أخبر عنها النبيّ صلى الله عليه وآله وقد نقلتُ لكم سابقاً علامات الفرقة الناجية التي ذكرها النبيّ صلى الله عليه وآله فنحن عندما تابعنا فريقاً دون غيره وفق هذه الأسس الشرعية والعقلية، فنحن ندور مع أهل البيت عليهم السلام أينما داروا ونكون معهم أينما كانوا حسب حديث الثقلين والسفينة، فلمّا رأينا أنّ أهل البيت عليهم السلام غير موجودين في السقيفة ـ وهكذا معظم المهاجرين ـ بل لم يكن رأيهم إيجابياً لخلافة أبي بكر صرنا مع أهل البيت عليهم السلام حيث صاروا كما مال بنو هاشم ومعظم المهاجرين مع أهل البيت عليهم السلام آنذاك، واجتمع كبارهم في منزل علي وفاطمة

صلوات الله عليهما كما ذكره تاريخ اليعقوبي وغيره.

فالشيعة الإمامية مع الإمام علي أينما كان وأينما حلّ وصار ودليلنا أحاديث نبوية كحديث الثقلين والسفينة وغيرهما مثل قوله صلى الله عليه وآله لعمّار بن ياسر: يا عمّار إن سلك الناس وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادي علي وخل عن الناس، يا عمّار علي لا يردّك عن هدىٰ ولا يدلّك علىٰ ردىٰ، يا عمّار طاعة عليّ طاعتي وطاعتي طاعة الله[1].

ونقل ابن عبد البرّ المتوفّي عام ٤٦٣هـ في الاستيعاب وابن حجر العسقلاني المتوفي عام ٨٥٢هـ في الإصابة، ومحمد بن يوسف الگنجي في الباب ٤٤ من كفاية الطالب بألفاظ متفاوتة مسنداً عن ابن عبّاس قال: ستكون فتنة فمن أدركها منكم فعليه بخصلة من كتاب الله تعالىٰ وعلي بن أبي طالب، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: هذا أوّل من آمن بي وأوّل من يصافحني وهو فاروق هذه الأمّة يفرق بين الحقّ والباطل وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة وهو الصدِّيق الأكبر وهو بابي الذي أوتىٰ منه وهو خليفتي من بعدي[2].

ثمّ قال: وذكره محدّث الشام، وجاء مسنداً عن أبي ليلى الغفاري أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ستكون من بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا علي ابن أبي طالب أنّه أوّل مَن يراني وأوّل من يصافحني يوم القيامة وهو معي في السماء العليا وهو الفاروق بين الحقّ والباطل[3]، ثمّ قال: هذا حديث حسن وعال ذكره الحافظ في أماليه.

---

(١) ينابيع المودّة ج١، ص٨٤ ط بيروت الأعلمي.

(٢) ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي ج٤٢، ص٤١، الرقم (٨٣٦٨)، وقريب منه في كنز العمّال ج١١ ص٦١٦ رقم ٣٢٩٩٠ ط سوريا.

(٣) تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي ج٤٢، ص٤٥٠ ـ الرقم ٩٠٢٦ ـ.

وذكر المتّقي الهندي في كنز العمّال قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي أنت تبيِّن لأمّتي ما اختلفوا فيه من بعدي[١].

وأيضاً جاء في كنز العمّال وكفاية الطالب باب ٦٢ مسنداً عن ابن عبّاس وعن محمّد بن جرير والثعلبي، وفي ينابيع المودّة عن الحمويني والثعلبي والحاكم الحسكاني والسيّد علي الهمداني في مشارب الأذواق عن ابن عبّاس وأبي هريرة وبريدة بن الأسلمي: حينما نزل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٢]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا المنذر وعلي الهاد، بك يا علي يهتدِ المهتدون[٣].

فمع وجود هذه الأدلّة كلّها نميل إلى الفرقة الثانية من الصحابة أي إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ومَن كان معه من أهل بيته وأصحابه وأتباعه، وهذا ما أملاه علينا القرآن الكريم والأحاديث النبوية المتّفق عليها بين الفريقين، أي أنّنا لم ننطلق في عقائدنا من الهوى والرغبات والاستحسانات.

سؤال: أي أنّكم تريدون القول أنّ خلافة أبو بكر وعمر وعثمان لم تكن على حقّ؟

---

(١) نص الحديث: علي باب علمي ومبيِّن لأمّتي ما أُرسلت به من بعدي، حبّه إيمان وبغضه نفاق.. كنز العمّال ج١١ ص٦١٤ رقم ٣٢٩٨١ ط سوريا، والمناقب للخوارزمي ص٢٠٩، وفردوس الأخبار للديلمي ج٢ ص٧٨ رقم ٤٠٠٠ ط دار الفكر بيروت ١٩٩٧.

(٢) الرعد: ٧.

(٣) كنز العمّال ج١١ ص٦٢٠ رقم ٣٣٠١٢ ط سوريا، وتجده في نور الأبصار للشبلنجي ص٨٧ ط بيروت، ونظم درر السمطين للحنفي القسم الثاني من السمط الأوّل، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني ج١ ص٣٠٦ ط السعودية وغيرها / المترجم.

الجواب: أرجو أن لا يخرج الحوار عن إطاره العلمي ولا تخرجوا عن روحية المتطلّع نحو الحقيقة، لأنّنا التقينا لنتحاور لا لنتخاصم، وعليه فأرجو أن تسمعوني جيّداً:

أوّلاً: عليكم أن تفكّكوا بين الخلافة الدينية الإلهية وبين الرئاسة والسلطة الزمنية، فخلافة أبي بكر وعمر وعثمان وبني أُمية وبني العبّاس كلّها عبارة عن سلطة زمنية، وليست خلافة دينية جاءت بنصّ من الرسول ﷺ، فليس في كتب المسلمين جميعاً نصّاً نبويّاً علىٰ خلافة أبي بكر أو عمر أو عثمان ولهذا فإنّ خلافتهم جاءت من قِبل أنفسهم وتأييد بعض الناس لهم، حالهم حال رئيس الجمهورية في الوقت الحاضر ولا يستطيع أحد من أهل السنّة أن يثبت خلاف ذلك، أي لا دليل شرعي علىٰ شرعية خلافتهم، وهذا ما اتّفق عليه الشيعة والسنّة حتّى ذكروا ـ أهل السنّة ـ أبواباً في كتبهم أنّ النبيّ ﷺ مات ولم يوصِ لأحد من بعده، ونحن الشيعة نوافقهم في الجملة في ذلك أي أنّه ﷺ مات ولم يوصِ لأحد من بعده سوى أهل بيته عليهم السلام وأمّا غير أهل البيت عليهم السلام فإنّه ﷺ لم يوصِ بشيء إليهم غاية ما في الأمر أنّ الأوس والخزرج اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لتعيين أمير سياسي (لا ديني) يحكم المدينة، ودارت في السقيفة حوارات حتّى وصل ثلاثة من المهاجرين (فقط) إلى السقيفة وهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وختم اللقاء ببيعة أبي بكر وتمّ انتخابه زعيماً سياسيّاً في أجواء قلقة وظروف خطيرة استثنائية تمّ استغلالها لترتيب هذا الأمر وقد أوضحته سابقاً.

ثمّ رأى الخليفة الأوّل أن يجعل الأمر لعمر بن الخطّاب من بعده وهو رأياً شخصياً تابعاً لأبي بكر بمفرده ولا يعبّر حتّى عن إرادة الأُمّة الإسلامية فضلاً عن ـ إرادة السماء ـ!! ثمّ جاء عمر ورأى أن يجعلها شورىٰ في الظاهر وديكتاتورية في الباطن كما أوضحته لكم سلفاً، وهكذا تلاحظون الاختلاف في وجهات

النظر، فنحن وأنتم نتّفق على أنّ خلافة هؤلاء كانت رئاسة زمنية سياسية مثل رئاسة أي رئيس جمهورية في عصرنا الحاضر، وليس هناك أي تمثيل للرسول الأكرم ﷺ، كيف وقد خالف كبار الصحابة هذه الخلافة ـ المرتجلة ـ حتّى كان أمير المؤمنين علي عليه السلام في طليعتهم، باعتباره صاحب الحقّ والمنصب كما تقدّم بيانه.

وهكذا كان الشيعة مع الإمام علي عليه السلام في اعتراضه وسخطه وعدم رضاه لأنّه سيّد أهل البيت عليهم السلام سفينة النجاة والثقل الأصغر في الأرض وقد أمرنا الرسول الكريم ﷺ بالكون معهم والتمسّك بهم وركوب سفينتهم فصرنا بمرور السنين (إمامية) لأنّنا نقول بإمامة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وصرنا (جعفرية) لاتّباعنا للإمام جعفر الصادق عليه السلام[1]، وهو سليل ذلك البيت الطاهر وأحد الأئمّة الاثنا عشر الذي ملأ الخافقين من علوم آبائه (محمّد الباقر) و(علي بن الحسين) و(الحسين بن علي بن أبي طالب) و(جدّه رسول الله ﷺ) ليهلك من هلك عن بيّنةٍ ويحيى من حيَّ عن بيّنة.

وعليه فنحن نتّبع النصوص الصحيحة ونتّبع أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم سفينة النجاة وأبرز شاخص وعلامة للفرقة الناجية، وهكذا نتّبع من تابعهم من الصحابة المؤمنين المخلصين، وليس عندنا غير ذلك ونقولها لهم بكلّ صراحة

---

(١) عاصر الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام نهاية الدولة الأموية وقيام الدولة العبّاسية، وحينما كانت الدولة العبّاسية في شغل شاغل لقمع الأمويّين، ورفع شعارهم ـ المزيّف ـ باسم آل محمّد ﷺ سنحت الفرصة المناسبة ليبرز الإمام الصادق عليه السلام ويخرج من الحصار الخانق الذي ضربه حوله ملوك الجور، فنشر علوم آل محمّد ﷺ بلا تقيّة حتّى حضر درسه ٤٠٠٠ طالباً من مختلف المذاهب وذاع صيته واشتهر اسمه فصرنا بذلك (جعفرية) لهذا السبب / المؤلّف رحمه الله.

إنّنا نأخذ أصولنا وفروعنا وأحكام ديننا من أهل البيت عليهم السلام فقط تبعاً للدليل الذي تنجّز علينا.

وأمّا سائر المسلمين غيرنا فهم يتّبعون واصل بن عطاء أو أبا الحسن الأشعري أو أبا حنيفة أو أحمد ... مع أنّ كلّ واحد من هؤلاء ليس من أهل البيت عليهم السلام لا علوياً ولا حسينياً ولا حسنيّاً ولا جعفريّاً وبالتالي ينطبق على مذهبنا حديث (خلفائي اثنا عشر) ولا ينطبق على أهل السنّة بل لا ينطبق على أي فرقة منهم.

سؤال: إذن يتّضح من كلامكم أنّ ما يقوله علماء أهل السنّة حول الشيعة صحيح تام؟

الجواب: لا أدري ماذا تقصد، لأنّ أهل السنّة يتكلّمون حولنا وعلينا من جميع الجوانب مع الأسف.

سؤال: يقولون أنّ علماء الشيعة يعتقدون أنّ جميع الصحابة وكلّ من تابعهم من أهل السنّة كفّار نجسون يجب قتلهم!!

الجواب: ليست هذه أوّل قارورة كُسرت في الإسلام، فالتُّهم والمزاعم كانت منذ الزمن الأوّل وحتىٰ هذا اليوم وكلّها افتراءات لا نسبة من الصحّة لها، ولكم أنتم أيّها المتنوّرون المثقّفون أن تطالعوا كتب الشيعة المعتبرة الخطّية منها أو المطبوعة والمتوفّرة في الأسواق والمكاتب العامّة لتعرفوا أنّ ما قاله علماؤكم محض اتّهام وافتراء وذلك:

أوّلاً: أمّا عن الصحابة فالشيعة لا تقول غير ما يقوله القرآن الكريم عنهم وقد تطرّقتُ لذلك معكم سابقاً[1]، ونحن لا نكفّر المنحرف فتستطيعون مراجعة كتبنا الفقهية الاستدلالية مثل دورة الجواهر والمدارك وكشف الغطاء وشرح

---

(١) الفرقة الناجية ج١ ص٣١، أُنظر السؤال الثاني وجوابه مفصّلاً / المترجم.

اللمعة وغيرها، بل انظروا إلى الرسائل العملية لفقهاء الشيعة فإنّكم لا تجدون فيها أي فتوى يكفّرون بها المنحرفين، كما يزعم العلماء المتعصّبون من أهل السنّة.

وأمّا النجاسة فهي مختصّة بالكفّار والمرتدّين عن دين الإسلام، وحتّىٰ هؤلاء الكفّار فقد تمّ تعيينهم في الأدلّة ولكن لأُزيدكم اطمئناناً أذكر لكم واحدة من فتاوى المرجع الكبير آية الله العظمىٰ سيّد الفقهاء والمجتهدين السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي المتوفي في ٢٨ رجب ١٣٣٧هـ في النجف الأشرف من كتابه القيّم (العروة الوثقىٰ) في باب النجاسات يقول رحمه الله:

الثامن: الكافر بأقسامه حتّى المرتدّ بقسميه واليهود والنصارى والمجوس وكذا رطوباته وأجزائه سواء كانت ممّا تحلّه الحياة أو لا، والمراد بالكافر: مَن كان منكراً للإلوهية أو التوحيد أو الرسالة أو ضرورياً من ضروريّات الدين مع الالتفات إلى كونه ضرورياً بحيث يرجع إنكاره إلى إنكار الرسالة[١].

وقال في المسألة الثالثة: لا إشكال في نجاسة الغُلاة والخوارج والنواصب، وأمّا المجسّمة والمجبّرة والقائلين بوحدة الوجود من الصوفية إذا التزموا بأحكام الإسلام فالأقوىٰ عدم نجاستهم إلّا مع العلم بالتزامهم بلوازم مذاهبهم من المفاسد[٢].

فهذه فتاوى الشيعة بكلّ وضوح فأين تلك المزاعم الباطلة والاتهامات الكاسدة التي يثيرها علماء السنّة؟ نعوذ بالله من الفساد والضلال.

وأمّا انتقاد الشيعة لبعض الصحابة والإشارة إلى بعض مخالفاتهم فهو لا علاقة له بكفرهم أو نجاستهم، بل حتّى المنافق في الدُّنيا لا يمكن اتّهامه بالكفر

---

(١) العروة الوثقى ج ١، باب النجاسات.

(٢) المصدر السابق.

أو النجاسة كيف وهم يحضرون المساجد والصلاة ويقيمون الحجّ إلى بيت الله الحرام، بل أكثر من ذلك لدينا روايات عن أئمّتناعليهم السلام يأمرون الشيعة فيها على التعامل الأخوي والمعاشرة الطيّبة مع أهل السنّة منها ما ذكره الشيخ الكليني في أصول الكافي مسنداً عن سفيان ابن السمط عن أبي عبدالله الصادقعليه السلام قال: الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام[١].

ونحن نلتزم بهذه الرواية ونعتبر أهل السنّة من المسلمين ونعاشرهم عشرة المسلمين فندخل مساجدهم ويدخلون مساجدنا وفقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾[٢] وقلت لكم سابقاً عندما يكون فيما بيننا بحثاً علمياً ومناظرة موضوعية هذا لا يعني أن يكفّر بعضنا بعضاً والعياذ بالله.

فإنّ الله تبارك وتعالى لا يحبّ أن تشيع الفاحشة والأكاذيب والبُهتان في جماعة المسلمين لأنّها تزيد من اختلافهم وتفرّقهم، ولهذا يقول إمامنا الصادقعليه السلام: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يغتابه ولا يخونه ولا يحرمه[٣]. فنعتقد أنّ القواسم المشتركة بيننا وبين أهل السنّة كثيرة جدّاً فنحن وهم نعبد ربّاً واحداً ونعتقد بنبوّة النبي الخاتم محمّدصلى الله عليه وآله وقرآنه المجيد المصون من أي تحريف وأنّه معجزته الخالدة، ونصلّي الفرائض اليومية ونؤدّي الزكاة ونصوم شهر رمضان ونحجّ إلى الكعبة الحرام ونصدّق بجميع ما جاء به النبيّصلى الله عليه وآله؛ فحلاله حلال وحرامه حرام، ونحبّ من يحبّه الله ورسوله ونبغض

---

(١) أصول الكافي ج٢ ص٤٥، ط دار الكتاب الإسلامي.

(٢) النساء: ٩٤.

(٣) أصول الكافي ج٢ ص٣٥٦ ط دار الكتاب الإسلامي سنة ١٣٨٨هـ.

مَن يبغضه الله ورسوله، ونعتقد بالمعاد الجسماني و...

أمّا السبب الذي يدفع علماء أهل السنّة لاتّهام الشيعة ويتعصّبوا ضدّهم هو أنّ أهل السنّة يعتقدون بعدالة ونزاهة جميع الصحابة وينقلون ويقبلون أحاديث الصحابة كلّهم ولو كان الصحابي فاسقاً مجهولاً نزل القرآن بذمّه مثل الوليد بن عتبة وغيره ويستدلّون بأحاديثهم، بينما لا تلتزم الشيعة بهذا المنهج المخالف للقرآن والعقل، بل يقولون بوجود صحابة فاسقين كذّابين وضّاعين منافقين يظهرون الإسلام والإيمان ويبطنون النفاق، وعليه فالشيعة لا تعترف بعدالة ونزاهة جميع الصحابة وتردّ جميع الأحاديث التي ينقلها ذلك الصحابي الذي لم تثبت عدالته ونزاهته وإيمانه، بينما تقبل أحاديث الصحابي العادل الثقة، وهذا ما يغيض أهل السنّة، أي اختلاف الطريقة والمنهج هو الذي يدعو علماء أهل السنّة للتهجّم علينا واتّهامنا بجميع التُّهم الباطلة، مع أنّ الإنسان المؤمن بيوم المعاد والذي يضع نصب عينيه محكمة العدل الإلهي لا يرتكب مثل هذه الأفعال ولا يتّهم الناس ولا يتصرّف تصرّفاً عصبياً يقوده يوم القيامة إلى العذاب والمجازاة، هذا من الناحية الإيمانية.

أمّا من الناحية العلمية فنقول لكم: إذا كنتم تقولون بعدالة الصحابة وتقبلون أحاديثهم باعتبارهم عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعوا منه الحديث وتتابعونهم في أعمالهم وتتّخذونهم قدوة لكم، فلماذا لا تتابعون أمثال أبي ذرّ الغفاري أو المقداد أو عمّار بن ياسر أو خزيمة بن ثابت وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وأبي أيّوب الأنصاري وجابر بن عبدالله الأنصاري وحذيفة بن اليمان وسعد بن عبادة وولده قيس والعبّاس بن عبد المطّلب وعبدالله والفضل ولدي العبّاس و.. الذين امتنعوا من بيعة أبي بكر وكلّهم حاججوه وأثبتوا له إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام بالأحاديث التي سمعوها من النبيّ صلى الله عليه وآله ؟

ألم يكن هؤلاء من الصحابة الكبار العدول؟ ألم يكن تصرّفهم حجّة؟ ألم

تكن الأحاديث التي نقلوها حول إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام حجّة عليكم؟ فلماذا هذا التبعيض بين الصحابة، ثمّ تتّهمون الشيعة بذلك؟

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

والعجب كلّ العجب من أهل السنّة كيف يناقضون أنفسهم بأنفسهم فقد رووا حديث (أنّ أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم)[2]، فإذا كان هذا الحديث حجّة عندكم، لماذا تهاجمون الشيعة إذن وتتّهمونهم وتكفّرونهم مع أنّ الشيعة يتابعون بعض الصحابة الذين ثبتت عدالتهم عندهم وهم ـ الصحابة ـ كلّهم نجوم ـ عندكم ـ؟!

فلماذا باؤكم تجرّ وباؤنا لا تجرّ؟!

أتبصر في العين منّي القذى وفي عينك الجذع لا تبصر؟!

فكانت مثل هذه التصرّفات المتناقضة هي التي ولّدت العداوة والتفرقة بين المسلمين، إذ مارس علماء أهل السنّة اتّهام الشيعة منذ أقدم العصور وإلى اليوم وبنفس الوقت مارسوا التضليل وسياسة التجهيل مع أبناء ملّتهم وأخفوا عنكم هذه الحقائق، فكانوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[3].

---

(١) البقرة: ٨٥.

(٢) مرّ مصدر وتعليق المؤلّف عليه في الجزء الأوّل فراجع / المترجم.

(٣) الأنعام: ١٥٩.

صبر النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام مع المخالفين من أجل وحدة الإسلام

إنّ الركيزة الأساسية للإسلام هي الألفة والمحبّة والوحدة ولذلك كان النبيّ صلى الله عليه وآله يعرف المنافقين كلّهم ولكنّه لم يُعرِّفهم للناس عامّة ولم يبح بأسمائهم في الملأ العام حفاظاً على وحدة المسلمين من التفرقة، حتّى حينما حاولوا قتله في ليلة العقبة كما ذكرنا ذلك سابقاً بل طلب من حذيفة اليمان الذي رآهم وعرفهم أن يجعله سرّاً عنده ولايقوله لأحد، كلّ ذلك من أجل وحدة الصفّ.

وهكذا تصرّف أمير المؤمنين علي عليه السلام خلال خلافة الثلاثة حيث يقول في خطبته الشقشقية:

أَمَا وَٱللّٰهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلان[1]، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ ٱلْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا؛ يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ. فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فيهَا الكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فيهَا الْمُؤْمِنُ حَتى يَلْقَى رَبَّه؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي ٱلْعَيْنِ قَذىً، وَفي ٱلْحَلْقِ شَجاً. أَرَى تُرَاثِي نَهْباً[2]. وكثيراً ما كان يذكر حقّه بالخلافة ويناشد المسلمين ويذكّرهم بها ولكنّه لم يمارس أيّ عملٍ مضادٍ تجاه الخلفاء الثلاثة لانتزاع حقّه، بل كان يصبر من أجل الإسلام.

كما يقول هو عليه السلام: «فصبرتُ على طول المدّة وشدّة المحنة»[3] فكان الهدف

---

(١) في بعض النسخ بدل فلان ابن أبي قحافة يعني أبا بكر / المترجم.

(٢) الخطبة الشقشقية، أنظر نهج البلاغة خطبة رقم (٣).

(٣) المصدر نفسه.

عنده هو المحافظة على وحدة المسلمين فتحمّل ما تحمّل وجاهد نفسه وكظم غيضه للحيلولة دون وقوع أي منازعات أو حروب داخلية من شأنها أن تزعزع الدِّين أو تضعف الحالة الإسلامية، وكان هذا ديدن جميع أئمّتنا عليهم السلام مع الملوك الأمويّين أو العبّاسيّين، بل كانوا يأمرون الشيعة بالصبر والتقيّة لتبقى بيضة الإسلام ويستمرّ هذا الوجود في حصنٍ حصين.

وما علينا نحن (الشيعة والسنّة) اليوم هو ذلك فنتعلّم من رسول الله صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة عليهم السلام هذا النوع من السياسة والحكمة التي نحافظ من خلالها على وحدة المسلمين، لا أن يعمل البعض عكس ذلك فيثير الحسّاسيات ويشحن النفوس بسيل من الأكاذيب والاتّهامات الباطلة ضدّ إخوانه من الشيعة أو غيرهم ممّا يحرِّك به العوام ضدّهم وبالتالي يؤدّي إلى الحقد والبغض والتراشق بالكلمات النابية التي تضعف الحالة الدينية في النفوس وتشقّ العصا.

وأمّا الاختلاف في الرأي فإنّه لا يفسد في الودّ قضية علينا تقديم الأدلّة الكافية للطرف الآخر، وهو بدوره يعمل نفس العمل، والعقلاء يرجّحون أحد المذاهب بلا أي عنف فكري أو استبداد سياسي بلا اتّهامات ولا تكفير، وبلا فتاوي تكفيرية واضطهادات اجتماعية وسياسية كما فعله كثير من أهل السنّة ضدّ الشيعة، وأذكر لكم مثالاً واحداً فقط في هذا المجال:

فتوىٰ نوح الحنفي ضدّ الشيعة

أفتى الشيخ نوح الحنفي وهو من أهل السنّة[1] في أجوبة المسائل الحامدية في باب الردّة والتعزير وقد سُئل عن الشيعة فقال: «إنّ هؤلاء الكفرة والبُغاة الفجرة جمعوا بين أصناف الكفر والبغي والعناد وأنواع الفسق والزندقة والإلحاد ومن توقّف في كفرهم وإلحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر

---

(١) قدِمَ من بلاد الروم إلى بغداد في زمن السلطان مراد العثماني / المؤلّف.

مثلهم!!!

وأمّا الكفر فمن وجوه: منها أنّهم يستخفّون بالدِّين ويستهزؤون بالشرع المبين! ومنها أنّهم يهينون العلم والعلماء!، ومنها أنّهم يستحلّون المحرمات ويهتكون الحرمات! ومنها أنّهم ينكرون خلافة الشيخين ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين، ومنها أنّهم يطولون ألستهم علىٰ عائشة الصدِّيقة ويتكلّمون في حقّها ما لا يليق بشأنها (من أمر الافك) مع أنّ الله تعالى أنزل عدّة آيات في براءتها، فهم كافرون بتكذيب القرآن العظيم وسابّون النبي ضمناً بنسبتهم إلى أهل بيته هذا الأمر العظيم، ومنها أنّهم يسبّون الشيخين سوّد الله وجوههم في الدارين..

إلى أن يقول: فيجب قتل هؤلاء الأشرار الكفّار تابوا أو لم يتوبوا!!!

أقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

فمثل هؤلاء الذين بذروا بذور الشقاق والافتراق وأوجدوا مقدّمات الفتن والنفاق بالأكاذيب والاتّهامات والافتراءات التي كانوا يجعلونها في قوالب الفتاوى وكأنّها أسلحة فتّاكة وقنابل موقوتة يستخدمها أهل السنّة لقتل إخوانهم الشيعة والتعدّي عليهم، مع أنّ أقلّ عوام الشيعة لا يقول بهذه الأكاذيب لأنّها محض افتراء.

بل هذه بلادنا (العراق وإيران..) يعيش فيها السنّي والشيعي سواء وقد يمرّ السنّي بمثل هذه الفتاوىٰ مرور المستغرب لأنّه لا يرىٰ ذلك في حياته وهو يعيش بين ظهراني الشيعة.

ومتىٰ وأين استهزأ الشيعة بالدِّين؟ ألا ترون إلى علماء الشيعة واهتماماتهم بالدِّين، ألا ترون المدارس الدينيّة الشيعيّة ومدارس علوم الفقه والأصول والأخلاق والقرآن والحديث؟ ألا ترون إلى المساجد الشيعيّة تُقام فيها الجماعات؟ ألا ترون صيام وحج وصلوات الشيعة؟ ألا ترون تورّع كثير من

الشيعة عن المعاصي والمحرّمات؟ ثمّ حتّى لو صدرت بعض المخالفات الشرعية من بعض الناس فهذا ليس دليلاً على كفرنا، فكثير من أهل السنّة يعصي الله تبارك وتعالى ولكنّه لا يصلح مبرّراً لاتّهام الجميع وتكفيرهم!

أرجو أن تطالعوا الكتب الفقهية والأخلاقية للشيعة لتلاحظوا الدقّة التي يمارسها علماء الشيعة في مجال الأحكام وبناء النفس.

وأمّا ما ذكره هذا (المغرض) عن خلافة الشيخين فنحن نقول ما يقوله أهل السنّة لا غير، فإنّهم يقولون مات رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يوص لأحد من بعده وجاء الناس وانتخبوا زعيماً لهم في سقيفة بني ساعدة.

فحول هذه الخلافة والزعامة لا نضيف شيئاً غير ما قاله أهل السنّة في موسوعاتهم التأريخية.

وأمّا ما يتّصل بعائشة وحديث الافك فإنّ علماء الشيعة ردّوا هذا الاتّهام بكلّ قوّة، بل يعتقد الشيعة بضرورة نزاهة نساء جميع الأنبياء والأوصياء عن مثل هذه الاتّهامات التي افتعلها المنافقون من الصحابة، وليسوا الشيعة.

وأمّا رأينا في عائشة فنقول كانت وظيفتها الشرعية هي الجلوس في الدار كما أمرها الله بذلك أمراً وجوبيّاً ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[1] فلم تمتثل لذلك وخالفت وخرجت لتحارب أنزه وأطهر وأفضل وأعلم الناس عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهي المسؤولة عن تلك الدماء التي أُريقت لـ(٢٠,٠٠٠) مسلم في حرب الجمل، هذا ما نقوله وهو مسطور في التواريخ ولكن جاء الأمويون ونسجوا الأكاذيب ونسبوها إلى الشيعة وحرّضوا العوام ضدّهم لتتمّ اللعبة ويكسبوا الموقف.

وليس هنا مجال للردّ على جميع مفردات تلك الفتوى العجيبة إذ قد تعرّضت لأمثال هذه البحوث سابقاً، فالمطلوب من المثقّفين من أهل السنّة

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

قليل من التأمّل والعقلانية والتدبّر في التأريخ وعدم تقليد السلف تقليداً أعمىٰ بلا دليل، وبنفس الوقت، عليكم أن تعرفوا الشيعة من كتب الشيعة لا من كتب السنّة، فإنّكم لو طالعتموها لن تجدوا فتوى واحدة مثل فتاوى أهل السنّة ضدّنا فعليكم بالسلم وعدم العنف.

السعي الجاد من أجل الوحدة الإسلامية

لقد تحاورت مع أهل السنّة حول أكثر هذه المطالب السالفة عام ١٣٤٥هـ في مدينة بيشاور الهندية سابقاً (والباكستانية اليوم) عشر ليالٍ، وقد لخّصت مطالب تلك الليالي في محاضرة استغرقت ثلاث ساعات ألقيتها عليهم يوم ميلاد الإمام الحسين عليه السلام ودعوتهم (الشيعة والسنّة) ـ كما ذكرته في كتابي ليالي بيشاور ـ يمكنكم مراجعته وهنا أيضاً أدعو إلى مزيد من المحبّة واللقاء على الودّ والأُلفة، ونعيش معاً كما عاش الصحابة في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وبعده على رغم اختلاف مناهجهم بل كما عاش المنافقون بين المؤمنين بكلّ سلام، فالمسلمون اليوم بأمسّ الحاجة إلى الاتّفاق والاتّحاد لمواجهة الهجمات اليهودية والنصرانية وإفشال جميع محاولاتهم وهذا ما لا يتحقّق مع وجود الأفكار التمزيقيّة التي تؤدّي إلى الافتراق وضعف الحالة الإسلامية بشكل عام.

فالمطلوب من زعماء أهل السنّة (الشافعية والمالكية والحنبلية والمعتزلة والأشاعرة و..) أن يتفاهموا فيما بينهم ويتركوا التراشق والاتّهامات وتبادل الكتب التي يطعن بها بعضهم على بعض بكلمات قاسية التي امتدّ عمرها مئات السنين إذ لا طائل من ورائها وبالتالي سيصلون إلى اتّفاق معيّن، كما وأرجو أن تفهموا أنّ تأليف الكتب التي تتكفّل بإثبات الإمامة أو الخدش في بعض عقائد الفرق الأولى لا تعني شنّ الحرب ولا فتح ملفّ الاتّهامات والتفرقة بقدر ما تمثّل حالة من الانفتاح العلمي والمناقشة الموضوعية القائمة وفق الأدلّة، ولكن على

أن تخلو هذه الكتب من الاتّهامات والأكاذيب الباطلة، أو الفتاوى التي تحرّض العوام أو السلاطين لقتل الآخرين كما حصل في زمان بني أُميّة وغيرهم وراح الشيعة أتباع أهل البيت عليهم السلام ضحية هذه السياسة الأموية الحاقدة، فكانت التجربة قاسية حتّى تحوّل الخط الفقهي والفكري عند أهل السنّة إلى سياسة أموية تشنّ الحملات القمعية والتعسّفية ضد أتباع أهل البيت عليهم السلام مع الأسف.

هذه السياسة (الأموية) التي كشف عن حقيقتها الماكرة أبو سفيان حينما دخل على عثمان في أوّل يوم من خلافته: قال: يا بني أُميّة تلقّفوها تلقّف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنّة ولا نار ولا بعث ولا قيامة[1].

وهكذا صرّح يزيد الذي فرح بقتل سيِّد الشهداء الحسين بكربلاء، أنشد:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل[2].

فهذه هي السياسة الأموية التي لا تعرف الله ولا تؤمن به ولا بالمعاد أشاعوها في أوساط أهل السنّة عندما التقت المصالح فاستخدم بنو أمية هذه المذاهب السنّية سيفاً بتّاراً ضدّ إخوانهم الشيعة، ومارسوا سياسة القمع الفكري فصارت المذاهب السنّية هي التي تأخذ الإطار الرسمي في البلاد بين الفترة والأخرى في حين قُمعَ المذهب الجعفري (مذهب أهل البيت) وأُلغيَ ولم يُعترف به، وكانت هذه السياسة الإرهابية قد أضعفت الحالة الإسلامية بشكل عام أمام الكفّار.

وأخيراً أدعو الجميع إلى ترك مثل هذه السياسة واحترام الآخرين فكريّاً وسلوكيّاً والابتعاد عن مظاهر العنف والقمع والتحلّي بالعلم والموضوعية والروحية المرنة. «وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب».

---

(١) و (٢) مرّت مصادرهما سابقاً.

خاتمة الكتاب

وفي الختام أقول:

لقد مضىٰ عليَّ (١٨) شهراً وأنا أُعاني من مرض القلب وأرقد طيلة هذه الفترة في المستشفىٰ، حتّىٰ منعني الطبيب من أيّ عمل أو حركة فيها جهد.

واستمرّت الحالة إلى ٢٣ رمضان ١٣٨٣هـ حيث كنت في وقت السحر وقد وضعت القرآن الكريم علىٰ رأسي وسألت الله تعالى أن يعطف على حالي ويلطف بي لإكمال (مراجعتي) لهذا الكتاب وألححتُ على الله تعالىٰ كثيراً، حتّىٰ مَنَّ عَليَّ بالعافية وراجعت الكتاب كلّه وانتهيت منه في يوم ١٨ ذي الحجّة الحرام ١٣٨٤هـ (يوم الغدير العظيم) وأنا في المستشفىٰ وقد زارني الكثير من الناس من مختلف الطبقات لعيادتي في طهران.

وأشكر الله تعالىٰ علىٰ هذه النعمة العظيمة وأقرّ وأعترف باليقين بالمبدأ والمعاد ونبوّة النبي الخاتم محمّد صلى الله عليه وآله وولاية أهل البيت عليهم السلام وكلّ ما كتبته في كتبي هي الحقائق التي كانت على لساني.

والحمد لله ربّ العالمين، وأرجو من القرّاء أن يدعوا ويطلبوا الخير لروح أبي وأُمّي رحمهما الله، وأنا العبد الفاني محمّد الموسوي (سلطان الواعظين الشيرازي) ابن علي أكبر (أشرف الواعظين) ابن قاسم (بحر العلوم) ابن حسن ابن إسماعيل (المجتهد الواعظ) ابن إبراهيم بن صالح بن أبي علي محمّد بن علي (المعروف بالمِرداني) بن أبي القاسم محمّد تقي بن (مقبول الدِّين) حسين بن أبي علي حسن بن محمّد بن فتح الله بن إسحاق بن هاشم بن أبي محمّد بن إبراهيم بن أبي الفتيان بن عبدالله بن الحسن بن أحمد (أبي الطيّب) ابن أبي علي حسن بن أبي جعفر محمّد الحائري (نزيل كرمان) ابن إبراهيم الضرير الكوفي (المعروف بالمجاب) بن أمير محمّد العابد بن الإمام الهمام مولانا موسى

الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الإمام محمّد الباقر بـن الإمـام عـلي زيـن العابدين بن الإمام أبي عبدالله الحسين (سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء وسبط خاتم الأنبياء شهيد الطف) ابن أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم والحمد لله أوّلاً وآخراً.

خاتمة من المترجم

لقد تمّ الفراغ من الجزء الثاني في صفر الخير عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م على يد أقلّ العباد علماً وعملاً فاضل الفراتي، وأبتهل إلى الله تبارك وتعالىٰ الذي أعانني في إنجاز هذا العمل إذ لا حول لي ولا قوّة إلّا به سبحانه وتعالى أن يتقبّله منّي بقبول حسن، ويجعله ذخري يوم فقري وفاقتي، وأن يغفر لي ولوالديّ (رحمهما الله).

وأرفع آيات الشكر والثناء لأئمّتي وسادتي وقادتي وأولياء أمري النبيّ العظيم وأهل بيته الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام) على رعايتهم وعنايتهم في إكمال ترجمة وتحقيق هذا الكتاب.

وأقدّم شكري إلى أخي العزيز الأستاذ نزار الحسن الذي ساعدني في تخريج بعض المصادر.

وكذلك أشكر أخي العزيز المجاهد السيّد هاني الموسوي دام مجدهُ الذي كان يدفعني كلّما فترت ويقوّيني كلّما ضعفت ويشجّعني كلّما ازدحمت الأعمال، كما وأشكر كلّ من ساهم مادّياً لإخراج هذا الكتاب إلى النور وأدعو لهم بالخير والرفاه.

اللّهمّ اغفر وارحم وتقبّل إنّك أنت الغفّار الودود.

فاضل

٢٠٠٢م

الفهرس